تفسير
مقاتل بن سليمان

الإمام أبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير
الأزدي بالولاء البلخي
المتوفى ١٥٠ هـ

تحقيق
أحمد فريد

الجزء الثاني

المحتوى:
من أول سورة الأنفال - إلى آخر سورة العنكبوت

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

Copyright
All rights reserved
Tous droits réservés

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة
لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو
مجزأً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر
أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً

Exclusive rights by

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beirut - Lebanon

No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Droits exclusifs à

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beyrouth - Liban

Il est interdit à toute personne individuelle ou morale d'éditer, de traduire, de photocopier, d'enregistrer sur cassette, disquette, C.D, ordinateur toute production écrite, entière ou partielle, sans l'autorisation signée de l'éditeur.

الطبعة الأولى
٢٠٠٣م - ١٤٢٤هـ

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ١٣/١٢/١١/٨٠٤٨١٠ (٥ ٩٦١+)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kutub Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-3911-8

http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ الأَنفَالِ

مدنية كلها، غير آية واحدة:

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ [آية: ٣٠] الآية

وهى خمس وسبعون آية كوفية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ﴾ (١)، وذلك أن رسول الله ﷺ، قال يوم بدر: «إن الله وعدنى النصر أو الغنيمة، فمن قتل قتيلاً، أو أسر أسيرًا، فله من عسكرهم كذا وكذا، إن شاء الله، ومن جاء برأس، فله غرة»، فلما تواقعوا انهزم المشركون وأتباعهم سرعان الناس، فجاءوا بسبعين أسيرًا، وقتلوا سبعين رجلاً، فقال أبو اليسر الأنصارى: أعطنا ما وعدتنا من الغنيمة، وكان قتل رجلين، وأسر رجلين: العباس بن عبد المطلب، وأبا عزة ابن عمير بن هشام بن عبد الدار، وكان معه لواء المشركين يوم بدر، قال سعد بن عبادة الأنصارى، من بنى ساعدة، للنبى ﷺ: ما منعنا أن نطلب المشركين كما طلب هؤلاء

---

(١) قرأ ابنُ مسعود وسعد بنُ أبى وقاص وعليٌّ بن الحسين وأبو جعفر محمد ابن على وزيد بن على وجعفر بن محمد وطلحة بن مصرف: «يسألونك الأنفال» ، وقراءة عكرمة، وعطاء، والضحاك.
قال ابن جنى: هذه القراءَة بالنصب مؤدية عن السبب للقراءة الأُخرى التى هى: «عن الأنفال»، وذلك أنهم إنما سألوه عنها تعرضًا لطلبها، واستعلامًا لحالها: هل يَسُوغ طلبها؟.
انظر: (الكشاف ١١٢/٢، الطبرى ٣٧٧/١٣، التبيان ٨٦/٥، البحر المحيط ٤٥٦/٤، النحاس ٦٤٤/١، معانى القرآن للفراء ٤٠٣/١، تفسير القرطبى ٣٦١/٧، لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى ١٠٦، تفسير ابن كثير ٢٨٢/٢).

زهادة فى الآخرة، ولا جبنًا عن العدو، ولكن خفنا أن نعرى صفك، فتعطف عليك خيل المشركين، أو رجالنهم، فتصاب بمصيبة، فإن تعط هؤلاء ما ذكرت لهم، لم يبق لسائر أصحابك كبير شيء، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾، يعنى النافلة التى وعدتهم، يعنى أبا اليسر، اسمه كعب بن عمرو الأنصارى، من بنى سلمة بن جشم ابن مالك، ومالك بن دخشم الأنصارى، من بنى عوف بن الخزرج.

فأنزل الله عز وجل: ﴿قُلِ﴾ لهم يا محمد: ﴿ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾، يقول: ليرد بعضكم على بعض الغنيمة، ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ فى أمر الصلح، ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آية: ١]، يعنى مصدقين بالتوحيد، فأصلحوا.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾

ثم نعتهم، فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ فى أمر الصلح، ﴿زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾، يعنى تصديقًا مع إيمانهم مع تصديقهم بما أنزل الله عليهم قبل ذلك من القرآن، ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [آية: ٢]، يعنى وبه يثقون.

ثم نعتهم، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، يعنى يتمون الصلاة، ركوعها، وسجودها فى مواقيتها، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ من الأموال ﴿يُنفِقُونَ﴾ [آية: ٣] فى طاعة ربهم.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾، لا شك فى إيمانهم كشك المنافقين، ﴿لَّهُمْ﴾ بذلك ﴿دَرَجَٰتٌ﴾، يعنى فضائل ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ فى الآخرة فى الجنة، ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم، ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [آية: ٤]، يعنى حسن فى الجنة، فلما نزلت هؤلاء الآيات، قالوا: سمعنا وأطعنا لرسول الله ﷺ، فلم تقسم الغنيمة حتى رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، فقسم بينهم بالسوية، ورفع الخمس منه.

﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ

يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾

قوله: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ﴾(١)، وذلك أن عير كفار قريش جاءت من الشام تريد مكة فيها أبو سفيان بن حرب، وعمرو بن العاص، وعمرو بن هشام، ومخرمة بن نوفل الزهرى، فى العير، فبلغهم أن رسول الله ﷺ يريدهم، فبعثوا عمرو بن ضمضم الغفارى إلى مكة مستغيثًا، فخرجت قريش، وبعث النبى ﷺ عدى بن أبى الزغفاء عينًا على العير؛ ليعلم أمرهم، ونزل جبريل، عليه السلام، فأخبر النبى ﷺ بعير أهل مكة، فقال النبى ﷺ لأصحابه: «إن الله يعدكم إحدى الطائفتين، إما العير، وإما النصر والغنيمة، فما ترون؟»، فأشاروا عليه، بل نسير إلى العير، وكرهوا القتال، وقالوا: إنا لم نأخذ أهبة القتال، وإنما نفرنا إلى العير، ثم أعاد النبى ﷺ المشورة، فأشاروا عليه بالعير.

فقال سعد بن عبادة الأنصارى: يا رسول الله، انظر أمرك فامض له، فوالله لو سرت بنا إلى عدن ما تخلف عنك رجل من الأنصار، ففرح النبى ﷺ، حتى عرف السرور فى وجهه، فقال المقداد بن الأسود الكندى: إنا معك، فضحك النبى ﷺ، وقال لهم معروفًا، فأنزل الله عز وجل: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ﴾ ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ [آية: ٥] للقتال، فلذلك ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ**﴾ فى أمر الغنيمة، فيها تقديم.

ثم قال: ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾ لهم أنك لا تصنع إلا ما أمرك الله، ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ [آية: ٦].

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ﴾(٢) العير أو هزيمة المشركين وعسكرهم، ﴿أَنَّهَا

---

(١) معانى القرآن للفراء (٤٠٣/١، تفسير الطبرى ١٢١/٩، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣٢١/٣، تفسير القرطبى ٣٦٧/٧، لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى ١٠٧).

(٢) قراءة ابن محيصن: «وإذْ يعِدُكم اللهُ احدى الطائفتين» يصل ضمة الهاء بالحاء ويسقط الهمزة. انظر: (تفسير الطبرى ١٣٢/٩، تفسير الماوردى ٨٣/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣٢٢/٣، تفسير ابن كثير ٢٨٧/٢،البحر المحيط ٤/ ٤٦٤، الإتحاف ٢٣٥).

لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ ﴾[1]، يعنى العير، ﴿تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ﴾، يقول: يحقق الإسلام بما أنزل إليك، ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴾ [آية: ٧]، يعنى أصل الكافرين ببدر.

﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ ﴾، يعنى الإسلام، ﴿وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ ﴾، يعنى الشرك، يعنى عبادة الشيطان، ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ [آية: ٨]، يعنى كفار مكة.

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾ ﴾

قوله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ﴾، وذلك أن النبى ﷺ لما رأى المشركين يوم بدر، وعلم أنه لا قوة له بهم إلا بالله، دعا ربه، فقال: «اللهم إنك أمرتنى بالقتال، ووعدتنى بالنصر، وإنك لا تخلف الميعاد»، فاستجاب له ربه، فأنزل الله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ ﴾[2] فى النصر، ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ ﴾ يوم بدر، ﴿مُرْدِفِينَ ﴾[3] [آية: ٩]، يعنى متتابعين، كقوله فى المؤمنين: ﴿رُسُلَنَا تَتْرَا ﴾ [المؤمنون: ٤٤]، وقوله: ﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾ [الفيل: ٣]، وقوله: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴾ [هود: ٥٢]، يعنى متتابع قطرها.

---

(١) انظر: (تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٧٧، تفسير الماوردى ٢/٨٤، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٣٢٤، تفسير القرطبى ٧/٣٦٩).

(٢) انظر: (معانى القرآن للفراء ١/٤٠٤، السبعة لابن مجاهد ٣٠٤، الكشف عن وجوه القراءات السبع ١/٤٨٩، تفسير الماوردى ٢/٨٥، النشر فى القراءات العشر ٢/٢٧٥، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٣٢٦).

(٣) انظر: (البحر المحيط ٤/٤٦٥، الطبرى ١٣/٤١٥، القرطبى ٧/٧٠، إعراب القرآن للنحاس ١/٦٦٧، إعراب القرآن للعكبرى ٢/٣).

فنزل جبريل، عليه السلام، فى ألف من الملائكة، فقام جبريل، عليه السلام، فى خمسمائة ملك عن ميمنة الناس، معهم أبو بكر، ونزل ميكائيل، عليه السلام، فى خمسمائة على ميسرة الناس، معهم عمر فى صور الرجال، عليهم البياض، وعمائم البيض، قد أرخوا أطرافها بين أكتافهم، فقاتلت الملائكة يوم بدر، ولم يقاتلوا يوم الأحزاب، ولا يوم خيبر.

ثم قال: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾، يعنى مدد الملائكة، ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ﴾، يعنى لتسكن إليه قلوبكم، ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ﴾، وليس النصر، ﴿إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾، وليس النصر بقلة العدد ولا بكثرته، ولكن النصر من عند الله، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [آية: ١٠]، ﴿عَزِيزٌ﴾، يعنى منيع، ﴿حَكِيمٌ﴾ فى أمره، حكم النصر.

وقوله: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ﴾، وذلك أن كفار مكة سبقوا النبى ﷺ إلى ماء بدر، فخلفوا الماء وراء ظهورهم، ونزل المسلمون حيالهم على غير ماء، وبينهم وبين عدوهم بطن واد فيه رمل، فمكث المسلمون يومًا وليلة يصلون محدثين مجنبين، فأتاهم إبليس، لعنه الله، فقال لهم: أليس قد زعمتم أنكم أولياء الله على دينه، وقد غلبتم على الماء تصلون على غير طهور، وما يمنع القوم من قتالكم إلا ما أنتم فيه من العطش والبلاء، حتى إذا انقطعت رقابكم من العطش، قاموا إليكم فلا يبصر بعضكم بعضًا، فيقرنونكم بالحبال، فيقتلون منكم من شاءوا، ثم ينطلقون بكم إلى مكة.

فحزن المسلمون وخافوا، وامتنع منهم النوم، فعلم الله ما فى قلوب المؤمنين من الحزن، فألقى الله عليهم النعاس أمنة من الله ليذهب همهم، وأرسل السماء عليهم ليلاً، فأمطرت مطرًا جوادًا حتى سالت الأودية، وملؤوا الأسقية، وسقوا الإبل، واتخذوا الحياض، واشتدت الرملة، وكانت تأخذ إلى كعبى الرجال، وكانت باعة المؤمنين رجال لم يكن معهم إلا فارسان: المقداد بن الأسود، وأبو مرثد الغنوى، وكان معهم ستة أدرع، فأنزل الله ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ﴾ ﴿أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾[1] من الأحداث، والجنابة، ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾[2]، يعنى

---

(١) وقرأ الشعبى: «مَا لِيُطَهِّركم به». انظر: (الكشاف ٢/ ١١٧، البحر المحيط ٤/ ٤٦٨، مجمع البيان ٢/ ٥٢٣).

(٢) قراءة أبى العالية «رِجْسَ الشيطان»، بالسين. قال ابن جنى: كل شىء يُستقذَر عندهم فهو رجس، كالخنزير ونحوه. =

الوسوسة التى ألقاها فى قلوبكم والحزن، ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ بالإيمان من تخويف الشيطان، ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ﴾، يعنى بالمطر، ﴿ٱلْأَقْدَامَ﴾ [آية: ١١].

﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ﴾، ولما وصف القوم، أوحى الله عز وجل، ﴿إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟﴾، فبشروا ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بالنصر، فكان الملك فى صورة بشر فى الصف الأول، فيقول: أبشروا، فإنكم كثير، وعددهم قليل، فالله ناصركم، فيرى الناس أنه منهم، ثم قال: ﴿سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾ بتوحيد الله عز وجل يوم بدر، ثم علمهم كيف يصنعون، فقال: ﴿فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾[1]، يعنى الرقاب، تقول العرب: لأضربن فوق رأسك، يعنى الرقاب، ﴿وَٱضْرِبُوا۟﴾ بالسيف ﴿مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [آية: ١٢]، يعنى الأطراف.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الذى نزل بهم ﴿بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾، يعنى عادوا الله ورسوله، ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ﴾، يعنى ومن يعاد الله ﴿وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [آية: ١٣] إذا عاقب.

=وفيما قرئ على أبى العباس أحمد بن يحيى قال: الرجس فى القرآن: العذاب، كالرجز. ورجسُ الشيطان: وسوستُه وهَمْزُه ونحو ذلك من أمره. والرجز: عبادة الأوثان، ويقال: هو إثم الشرك كله.

وقرىء: «والرِّجْزَ والرُّجْزَ»، جميعًا «فاهْجُرْ». قال: وقال بعضهم: أراد به الصنم. قال: وكل عذاب أُنزل على قوم فهو رجز، ووسواس الشيطان رجز. وقد ترى إلى تزاحم السين والزاى فى هذا الموضع، فقراءَة الجماعة: ﴿رجْزَ الشيطان﴾ معناه كمعنى رجس الشيطان. وقد نبهنا فى كتابنا المعروف بالخصائص من هذه الطريق فى تزاحم الحروف المتقاربة ما فى بعضه كل مَقْنَع بمشيئة الله.

وقراءة الضم هى قراءة الجمهور، والكسر قراءة ابن مسعود. قال الخليل فى العين (٦: ٦٦): وقرئ «والرجز فاهجُر» بكسر الراء وفيها بضمها وهما واحد، وقال فى الدر المنثور: أخرج الطبرانى والحاكم وصححه (المستدرك ٢٩٩١/١٢٠)، وابن مردوية عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قرأ على رسول الله ﷺ: «والرجز فاهجر» بالكسر. انظر: (الدر المنثور ٤٥٢/٦، الزجاج معانى القرآن ٢٤٥/٥). (تفسير الماوردى ٨٧/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣٢٨/٣، تفسير القرطبى ٣٧٢/٧، الكشاف ٢/ ١١٧، البحر المحيط ٤٦٩/٤).

(١) انظر: معانى القرآن للفراء ٤٠٥/١، تفسير الطبرى ١٣٢/٩، تفسير الماوردى ٨٨/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣٣٠/٣، تفسير القرطبى ٣٧٨/٧، تفسير ابن كثير ٢٩٣/٢).

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ القتل، ﴿فَذُوقُوهُ﴾ يوم بدر فى الدنيا، ثم قال: ﴿وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ﴾ بتوحيد الله عز وجل مع القتل، وضرب الملائكة الوجوه، والأدبار أيضًا، لهم فى الآخرة ﴿عَذَابَ النَّارِ﴾ [آية: ١٤].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بتوحيد الله عز وجل يوم بدر، ﴿زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾ [آية: ١٥].

﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾، يعنى مستطردًا يريد الكرة للقتال، ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾، يقول: أو ينحاز إلى صف النبى ﷺ، ﴿فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾، يقول: فقد استوجب من الله الغضب، ﴿وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ﴾، يعنى ومصيره جهنم، ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [آية: ١٦].

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾، يعنى ما قتلتوهم، وذلك أن الرجل من المؤمنين كان يقول: فعلت وقتلت، فنزلت: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ (١)، وذلك أن النبى ﷺ حين صاف المشركين، دعا بثلاث قبضات من حصى الوادى ورمله، فناوله على بن أبى طالب، فرمى بها فى وجوه العدو، وقال: «اللهم ارعب قلوبهم، وزلزل أقدامهم»، فملأ الله وجوههم وأبصارهم من الرمية، فانهزموا عند الرمية الثالثة، وتبعهم المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم، فذلك قوله: ﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا﴾، يعنى القتل والأسر، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لدعاء النبى ﷺ، ﴿عَلِيمٌ﴾ [آية: ١٧] به.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ النصر، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ﴾، يعنى مضعف، ﴿كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ [آية: ١٨].

---

(١) انظر: (معانى القرآن للفراء ٤٠٦، معانى القرآن للزجاج ٢/٤٤٩، تفسير الطبرى ٩/١٣٥، تفسير الماوردى ٢/٩١، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٣٣٢، تفسير القرطبى ٧/٣٨٤، تفسير ابن كثير ٢/٣٩٥، لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى ١٠٧).

﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾

﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ (١)، وذلك أن عاتكة بنت عبد المطلب رأت فى المنام، كأن فارسًا دخل المسجد الحرام، فنادى: يا آل فهر من قريش، انفروا فى ليلة أو ليلتين، ثم صعد فوق الكعبة، فنادى مثلها، ثم صعد أبا قبيس، فنادى مثلها، ثم نقض صخرة من الجبل فرفعها المنادى، فضرب بها الجبل فانفلقت، فلم يبق بيت بمكة إلا دخلت قطعة منه فيه، فلما أصبحت أخبرت أخاها العباس وجلاً، وعنده أبو جهل ابن هشام، فقال أبو جهل: يا آل قريش، ألا تعذرونا من بنى عبد المطلب، إنهم لا يرضون أن تنبأ رجالهم حتى تنبأت نساؤهم، ثم قال أبو جهل للعباس: تنبأت رجالكم وتنبأت نساؤكم، والله لتنتهن، وأوعدهم، فقال العباس: إن شئتم ناجزناكم الساعة.

فلما قدم ضمضم بن عمرو الغفارى، قال: أدركوا العير أو لا تدركوا، فعمد أبو جهل وأصحابه، فأخذوا بأستار الكعبة، ثم قال أبو جهل: اللهم انصر أعلى الجندين وأكرم القبيلتين، ثم خرجوا على كل صعب وذلول ليعينوا أبا سفيان، فترك أبو سفيان الطريق وأغز على ساحل البحر، فقدم مكة وسبق أبو جهل النبى ﷺ ومن معه من المشركين إلى ماء بدر، فلما التقوا، قال أبو جهل: اللهم اقض بيننا وبين محمد، اللهم أينا كان أحب إليك وأرضى عندك فانصره، ففعل الله عز وجل ذلك، وهزم المشركين وقتلهم، ونصر المؤمنين.

فأنزل الله فى قول أبى جهل: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾، يقول: إن تستنصروا فقد جاءكم النصر، فقد نصرت من قلتم، ﴿وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من القتال، ﴿وَإِن تَعُودُواْ﴾ لقتالهم، ﴿نَعُدْ﴾ عليكم بالقتل والهزيمة بما فعلنا ببدر، ﴿وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا﴾، يعنى جماعتكم شيئًا، ﴿وَلَوْ كَثُرَتْ﴾ فئتكم، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ١٩] فى النصر هم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾﴾

---

(١) انظر: (معانى القرآن للفراء ١/٤٠٦، تفسير الطبرى ٩/١٣٧، تفسير الماوردى ٢/٩٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٣٣٤، تفسير القرطبى ٧/٣٨٦، تفسير ابن كثير ٢/٩٦، لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى ١٠٨، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٣/١٧٥).

وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ
ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ
أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا
دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ
تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ
ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن
يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ
تَشۡكُرُونَ ﴿٢٦﴾

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾، يعنى صدقوا بتوحيد الله عز وجل، ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فى أمر الغنيمة، ﴿وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ﴾، يعنى ولا تعرضوا عنه، يعنى أمر الرسول ﷺ، ﴿وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ﴾ [آية: ٢٠] المواعظ.

ثم وعظ المؤمنين، فقال: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا﴾ الإيمان ﴿وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ﴾ [آية: ٢١]، يعنى المنافقين.

ثم قال: ﴿۞إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ﴾ عن الإيمان، ﴿ٱلۡبُكۡمُ﴾، يعنى الخرس لا يتكلمون بالإيمان ولا يعقلون، ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [آية: ٢٢]، يعنى ابن عبد الدار بن قصى، وأبو الحارث بن علقمة، وطلحة بن عثمان، وعثمان، وشافع، وأبو الجلاس، وأبو سعد، والحارث، والقاسط بن شريح، وأرطاة بن شرحبيل.

ثم أخبر عنهم، فقال: ﴿وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ﴾، يعنى لأعطاهم الإيمان، ﴿وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ﴾، يقول: ولو أعطاهم الإيمان، ﴿لَتَوَلَّواْ﴾، يقول: لأعرضوا عنه، ﴿وَّهُم مُّعۡرِضُونَ﴾ [آية: ٢٣]، لما سبق لهم فى علم الله من الشقاء، وفيهم نزلت: ﴿وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاء وَتَصْدِيَةً...﴾ إلى آخر الآية [الأنفال: ٣٥].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ فى الطاعة فى أمر القتال، ﴿إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾ (١)، يعنى الحرب التى وعدكم الله، يقول: أحياكم بعد الذل، وقواكم

---

(١) انظر: (معانى القرآن للفراء ٤٠٧/١، معانى القرآن للزجاج ٤٥٢/٢، تفسير الطبرى ١٤٢/٩، تفسير الماوردى ٩٤/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٩٣٩/٣، تفسير القرطبى ٣٩٠/٧، تفسير ابن كثير ٢٩٧/٢).

بعد الضعف، فكان ذلك لكم حياء، ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾ (١)، يقول: يحول بين قلب المؤمن وبين الكفر، وبين قلب الكافر وبين الإيمان، ﴿وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ [آية: ٢٤] فى الآخرة، فيجزيكم بأعمالكم.

﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً﴾ تكون من بعدكم، يحذركم الله، تكون مع على بن أبى طالب، ﴿لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةً﴾ (٢)، فقد أصابتهم يوم الجمل، منهم: طلحة، والزبير، ثم حذرهم، فقال: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [آية: ٢٥] إذا عاقب.

ثم ذكرهم النعم، فقال: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٌ﴾ (٣)، يعنى المهاجرين خاصة، ﴿مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، يعنى أهل مكة، ﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ﴾، يعنى كفار مكة، نزلت هذه الآية بعد قتال بدر، يقول: ﴿فَـَٔاوَىٰكُمۡ﴾ إلى المدينة والأنصار، ﴿وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ﴾، يعنى وقواكم بنصره يوم بدر، ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾، يعنى الحلال من الرزق وغنيمة بدر، ﴿لَعَلَّكُمۡ﴾، يعنى لكى، ﴿تَشۡكُرُونَ﴾ [آية: ٢٦] تشكرون ربكم فى هذه النعم التى ذكرها فى هذه الآية.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾
وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانًا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ
وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ
يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا
قَالُواْ قَدۡ سَمِعۡنَا لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذۡ
قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ

(١) قراءة الحسن والزهرى «بين المَرِّ وقلبِه». انظر: (الكشاف ٢/١٢١، البحر المحيط ٤/٤٨٢).

(٢) وقراءة على وزيد بن ثابت وأبى جعفر محمدِ بن على والربيع بن أنس وأبى العالية وابن جمّاز: «لَتصِيبَنّ». وقراءة عبدالله بن مسعود، والزبير بن العوام، وأبى. انظر: (تفسير الطبرى ٩/١٤٤، تفسير الماوردى ٢/٩٤، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٣٤٢، الكشاف ٢/١٢١، القرطبى ٧/٣٩٢، مجمع البيان ٢/٣٢، البحر المحيط ٤/٤٨٦، شرح المفصل ٨/١١٧، مغنى اللبيب ١/٢٠٣).

(٣) انظر: (تفسير الماوردى ٢/٩٥، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٣٤٨، تفسير القرطبى ٧/٣٩٤).

مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ (١)، يعنى أبا لبابة، وفيه نزلت هذه الآية، نظيرها فى المتحرم ﴿وَتَخُونُوٓا۟﴾ [التحريم: ١٠]، يعنى فخالفتاهما فى الدين، ولم يكن فى الفرج، واسمه مروان بن عبد المنذر الأنصارى، من بنى عمرو بن عوف، وذلك أن النبى ﷺ حاصر يهود قريظة إحدى وعشرين ليلة، فسألوا الصلح على مثل صلح أهل النصير، على أن يسيروا إلى إخواتهم إلى أذرعات وأريحا فى أرض الشام، وأبى النبى ﷺ أن ينزلوا إلا على الحكم، فأبوا، وقالوا: أرسل إلينا أبا لبابة، وكان مناصحهم، وهو حليف لهم، فبعثه النبى ﷺ إليهم، فلما أتاهم، قالوا: يا أبا لبابة، أتنزل على حكم محمد ﷺ؟ فأشار أبا لبابة بيده إلى حلقه إنه الذبح، فلا تنزلوا على الحكم، فأطاعوه، وكان أبو لبابة وولده مهم، فغش المسلمين وخان، فنزلت فى أبى لبابة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ ﴿وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٢٧] أنها الخيانة.

ثم حذرهم، فقال: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾، يعنى بلاء؛ لأنه ما نصحهم إلا من أجل ماله وولده؛ لأنه كان فى أيديهم، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ﴾، يعنى جزاء ﴿عَظِيمٌ﴾ [آية: ٢٨]، يعنى الجنة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾، فلا تعصوه، ﴿يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾، يعنى مخرجًا من الشبهات، ﴿وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾، يعنى ويمحو عنكم خطاياكم، ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾، يقول: ويتجاوز عنكم، ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [آية: ٢٩].

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، وذلك أن نفرًا من قريش، منهم: أبو جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وهشام بن عمرو، وأبو البحترى بن هشام، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبى معيط، وعيينة بن حصن الفزارى، والوليد بن المغيرة، والنضر بن الحارث، وأبى بن خلف، اجتمعوا فى دار الندوة بمكة يوم، وهو يوم السبت ليمكروا بالنبى ﷺ، فأتاهم

(١) انظر: (تفسير الطبرى ٦/١٤٩، تفسير الماوردى ٢/٩٦، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٣٤٣، تفسير القرطبى ٧/٣٩٤، تفسير ابن كثير ٢/٣٠٠، لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى ١٠٨، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٣/١٧٨).

إبليس فى صورة رجل شيخ كبير، فجلس معهم، فقالوا: ما أدخلك فى جماعتنا بغير إذننا، قال: إنما أنا رجل من أهل نجد، ولست من أهل تهامة، قدمت مكة فرأيتكم حسنة وجوهكم، طيبة ريحكم، نقية ثيابكم، فأحببت أن أسمع من حديثكم، وأستر عليكم، فإن كرهتم مجلسى خرجت من عندكم، فقالوا: هذا رجل من أهل نجد، وليس من أهل تهامة، فلا بأس عليكم منه، فتعملوا بالمكر بمحمد.

فقال أبو البحترى بن هشام، من بنى أسد بن عبد العزى: أما أنا فرأيى أن تأخذوا محمدًا، فتجعلوه فى بيت، وتسدوا بابه، وتدعوا له كوة، يدخل منها طعامه وشرابه حتى يموت، قال إبليس: بئس والله الرأى رأيتم، تعمدون إلى رجل له فيكم صغو قد سمع به من حولكم، فتحبسونه فتطعمونه وتسقونه فيوشك الصغو الذى له فيكم أن يقاتلكم عليه، فيفسد جماعتكم ويسفك دماءكم، فقالوا: صدق والله الشيخ.

فقال هشام بن عمرو، من بنى عامر بن لؤى: أما أنا، فرأيى أن تحملوا محمدًا على بعير، فيخرج من أرضكم، فيذهب حيث شاء، ويليه غيركم، قال إبليس: بئس والله الرأى رأيتم، تعمدون إلى رجل قد شتت وأفسد جماعتكم، واتبعه منكم طائفة، فتخرجوه إلى غيركم، فيفسدهم كما أفسدكم، فيوشك والله أن يقبل بهم عليكم ويتولى الصغو الذى له فيكم، قالوا: صدق والله الشيخ.

فقال أبو جهل بن هشام المخزومي: أما أنا، فرأيي أن تعمدوا إلى كل بطن من قريش، فتأخذوا من كل بطن رجلاً، ثم تعطوا كل رجل منهم سيفًا، فيضربونه جميعًا بأسيافهم، فلا يدرى قومه من يأخذون به، وتؤدى قريش ديته، قال إبليس: صدق والله الشاب، إن الأمر لكما قال، فتفرقوا على قول أبى جهل.

فنزل جبريل، عليه اليلام، فأخبره بما ائتمر به القوم، وأمره بالخروج، فخرج النبى ﷺ من ليلته إلى الغار، وأنزل الله عز وجل: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾[(١)] من قريش ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾، يعنى ليحبسوك فى بيت، يعنى أبا البحترى بن هشام، ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾، يعنى أبا جهل، ﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ من مكة، يعنى به هشام بن عمرو، ﴿وَيَمْكُرُونَ﴾ بالنبى ﷺ الشر، ﴿وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾ بهم حين أخرجهم من مكة فقتلهم ببدر، فذلك قوله:

---

(١) انظر: (معانى القرآن للفراء ١/٤٠٨، تفسير الطبرى ٩/١٤٨، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٣٤٦، تفسير القرطبى ٧/٣٩٧، تفسير ابن كثير ٢/٣٠٢، لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى ١٠٩).

﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ [آية: ٣٠]، أفضل مكرًا منهم، أنزل الله: ﴿**أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا**﴾، يقول: أم أجمعوا على أمر، ﴿**فَإِنَّا مُبْرِمُونَ**﴾، يقول: لنخرجنهم إلى بدر فنقلتهم، أو نعجل أرواحهم إلى النار [الزخرف: ٧٩].

قوله: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا﴾، يعنى القرآن، ﴿قَالُواْ قَدۡ سَمِعۡنَا لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ﴾ القرآن، قال ذلك النضر بن الحارث بن علقمة، من بنى عبد الدار بن قصى، ثم قال: ﴿إِنۡ هَٰذَآ﴾[1] الذى يقول محمد من القرآن ﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [آية: ٣١]، يعنى أحاديث الأولين، يعنى محمدًا ﷺ يحدث عن الأمم الخالية، وأنا أحدثكم عن رستم وأسفندباز، كما يحدث محمد، فقال عثمان بن مظعون الجمحى: اتق الله يا نضر، فإن محمدًا يقول الحق، قال: وأنا أقول الحق، قال عثمان: فإن محمدًا يقول: لا إله إلا الله، قال: وأنا أقول: لا إله إلا الله، ولكن الملائكة بنات الرحمن.

فأنزل الله عز وجل فى حم الزخرف، فقال: ﴿**قُلْ**﴾ يا محمد: ﴿**إِن كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ**﴾ [الزخرف: ٨١]، أول الموحدين من أهل مكة، فقال عند ذلك: ألا ترون قد صدقنى: ﴿**إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ**﴾، قال الوليد بن المغيرة: لا والله ما صدقك، ولكنه قال: ما كان للرحمن ولد، ففطن لها النضر، فقال: ﴿وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا﴾ ما يقول محمد ﴿هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ﴾، يعنى القرآن، ﴿فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آية: ٣٢]، يعنى وجيع.

فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ﴾[2]، يعنى أن يعذبهم ﴿وَأَنتَ فِيهِمۡ﴾ بين أظهرهم حتى يخرجك عنهم كما أخرجت الأنبياء عن قومهم، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ [آية: ٣٣]، يعنى يصلون لله، كقوله: ﴿**وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾ [الذاريات: ١٨]، يعنى يصلون، وذلك أن نفرًا من بنى عبد الدار، قالوا: إنا نصلى عند البيت، فلم يكن الله ليعذبنا ونحن نصلى له.

---

(١) انظر: (تفسير الماوردى ٢/٩٧، تفسير الطبرى ٩/١٥٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٣٤٨، تفسير القرطبى ٧/٣٩٧، لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى ١١٠، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٣/١٨٠).

(٢) انظر: (تفسير الطبرى ٩/١٥٣، تفسير الماوردى ٢/٩٩، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٣٥٠، تفسير القرطبى ٧/٣٩٩، تفسير ابن كثير ٢/٣٠٥، لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى ١١).

ثم قال: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾[(١)] إذ لم يكن نبى ولا مؤمن بعد ما خرج النبى ﷺ إلى المدينة من أهل مكة، ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ المؤمنين، ﴿وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ﴾، يعنى أولياء الله، ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ﴾، يعنى ما أولياء الله ﴿إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ الشرك، يعنى المؤمنين أصحاب النبى ﷺ، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٣٤]، يقول: أكثر أهل مكة لا يعلمون توحيد الله عز وجل.

وأنزل الله عز وجل فى قول النضر أيضًا حين قال: ﴿**اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاء أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾، يعنى وجيع، أنزل: ﴿**سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ...**﴾ [المعارج: ١] إلى آيات منها.

ثم أخبر عن صلاتهم عند البيت، فقال: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ﴾، يعنى عند الكعبة الحرام، ﴿إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾[(٢)]، يعنى بالتصدية الصفير والتصفية، وذلك أن النبى ﷺ كان إذا صلى فى المسجد الحرام، قام رجلان من بنى عبد الدار بن قصى من المشركين عن يمين النبى ﷺ، فيصفران كما يصفر المكاء، يعنى به طيرًا اسمه المكاء، ورجلان عن يسار النبى ﷺ فيصفقان بأيديهما ليخلطا على النبى ﷺ صلاته وقراءته، فقتلهم الله ببدر هؤلاء الأربعة، ولهم يقول الله ولبقية بنى عبد الدار: ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾، يعنى القتل ببدر، ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آية: ٣٥] بتوحيد الله عز وجل.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (٣٦) لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ (٣٧)﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ﴾[(٣)]، وذلك أن رءوس كفار قريش استأجروا

---

(١) انظر: (زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٣٥١، تفسير القرطبى ٧/٣٩٩، تفسير ابن كثير ٢/٣٠٥).

(٢) انظر: (تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٧٩، تفسير الطبرى ٩/١٥٧، تفسير الماوردى ٢/٩٩، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٣٥٢، تفسير القرطبى ٧/٤٠٠).

(٣) انظر: (تفسير الماوردى ٢/١٠١، تفسير ابن كثير ٢/٣٠٧، لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى ١١١).

رجالاً من قبائل العرب أعوانًا لهم على قتال النبى ﷺ، فأطعموا أصحابهم كل يوم عشر جزائر ويومًا تسعة، فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ ﴿لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، يعنى عن دين الله، ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾، يعنى ندامة، ﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾، يقول: تكون عليهم أموالهم التى أنفقوها ندامة على إنفاقهم، ثم يهزمون، ثم أخبر بمنزلتهم فى الآخرة، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ بتوحيد الله، ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ فى ألآخرة ﴿يُحْشَرُونَ﴾ [آية: ٣٦].

﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ (١)، يعنى يميز الكافر من المؤمن، ثم قال: ﴿وَيَجْعَلَ﴾ فى ألآخرة ﴿ٱلْخَبِيثَ﴾ أنفسهم ﴿بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [آية: ٣٧]، يعنى المطعمين فى غزوة بدر: أبا جهل والحارث ابنا هشام، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، ومنبه ونبيه ابنا الحجاج، وأبا البحترى بن هشام، والنضر بن الحارث، والحكم بن حزام، وأبى بن خلف، وزمعة بن الأسود، والحارث بن عامر بن نوفل، كلهم من قريش.

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾

﴿قُل﴾ يا محمد ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ بالتوحيد، ﴿إِن يَنتَهُوا۟﴾ عن الشرك ويتوبوا، ﴿يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ من شركهم قبل الإسلام، ﴿وَإِن يَعُودُوا۟﴾ لقتال النبى ﷺ ولم يتوبوا، ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [آية: ٣٨]، يعنى القتل ببدر، فحذرهم العقوبة لئلا يعودوا فيصيبهم مثل ما أصابهم ببدر.

ثم قال للمؤمنين: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾، يعنى شركًا ويوحدوا ربهم، ﴿وَيَكُونَ﴾، يعنى ويقوم ﴿ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾، ولا يعبد غيره، ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟﴾ عن الشرك فوحدوا ربهم، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آية: ٣٩].

﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟﴾، يقول: وإن أبوا أن يتوبوا من الشرك، ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟﴾ يا معشر المؤمنين،

---

(١) انظر: (زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٣٥٦، تفسير القرطبى ٧/٤٠١، تفسير ابن كثير ٢/٣٠٧).

﴿أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ﴾، يعنى وليكم، ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ حين نصركم، ﴿وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [آية: ٤٠]، يعنى ونعم النصير لكم كما نصركم ببدر، وكانت وقعة بدر ليلة الجمعة فى سبع عشرة ليلة خلت من رمضان، وكانت وقعة أُحُد فى عشر ليال خلت من شوال يوم السبت بينهما سنة.

﴿۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَـٰدِ ۙ وَلَـٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَـٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾

﴿۞ وَٱعْلَمُوٓا۟﴾ يخبر المؤمنين ﴿أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ﴾ يوم بدر، ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[1]، يعنى قرابة النبى ﷺ، ﴿وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾، يعنى الضعيف نازل عليك، ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾، يعنى صدقتم بتوحيد الله وصدقتم بـ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ من القرآن ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾، يعنى يوم النصر فرق بين الحق والباطل، فنصر النبى ﷺ وهزم المشركين ببدر ﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾، يعنى جمع النبى ﷺ ببدر، وجمع المشركين، فأقروا الحكم لله فى أمر الغنيمة والخمس، وأصلحوا ذات بينكم، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آية: ٤١]، يعنى قادر فيما حكم من الغنيمة والخمس.

ثم أخبر المؤمنين عن حالهم التى كانوا عليها، فقال: أرأيتم معشر المؤمنين: ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا﴾، يعنى من دون الوادى على شاطئ مما يلى المدينة، ﴿وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ﴾[2] من الجانب الآخر مما يلى مكة، يعنى مشركى مكة، فقال: ﴿وَٱلرَّكْبُ

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١٠/٣، تفسير الماوردى ١٠٣/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣٥٩/٣، تفسير القرطبى ١٠/٨، تفسير ابن كثير ٣٠١/٢).

(٢) قراءة الناس ﴿بالعُدْوَةِ﴾ و«العِدْوَةِ»، بالضم والكسر. وقرأ «بالعَدْوَةِ» قتادة والحسن وعمرو،=

﴿أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ ، يعنى على ساحل البحر أصحاب العير أربعين راكبًا أقبلوا من الشام إلى مكة، فيهم: أبو سفيان، وعمرو بن العاص، ومخرمة بن نوفل، وعمرو بن هشام، ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ﴾ أنتم والمشركون، ﴿لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَٰكِن﴾ الله جمع بينكم وبين عدوكم على غير ميعاد، أنتم ومشركو مكة، ﴿لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا﴾ فى علمه، ﴿كَانَ مَفْعُولًا﴾ ، يقول: أمرًا لابد كائنًا؛ ليعز الإسلام وأهله، ويذل الشرك وأهله، ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ﴾ بالإيمان ﴿مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آية: ٤٢].

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ (١) يا محمد فى التقديم ﴿فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ (٢)، وذلك أن النبى ﷺ رأى فى المنام أن العدو قليل قبل أن يلتقوا، فأخبر النبى ﷺ أصحابه بما رأى، فقالوا: رؤيا النبى ﷺ حق والقوم قليل، فلما التقوا ببدر قلل الله المشركين فى أعين الناس، لتصديق رؤيا النبى ﷺ، ثم قال: ﴿وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا﴾ حين عاينتموهم ﴿لَّفَشِلْتُمْ﴾ ، يعنى لجبنتم وتركتم الصف، ﴿وَلَتَنَازَعْتُمْ﴾ ، يعنى واختلفتم، ﴿فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ﴾ ، يقول: أتم المسلمون أمرهم على عدوهم، فهزموهم ببدر، ﴿إِنَّهُ﴾ الله ﴿عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آية: ٤٣]، عليم بما فى قلوب المؤمنين من أمر عدوهم.

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ﴾ يا معشر المسلمين ﴿فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ ، يعنى فى أعين المشركين، وذلك حين التقوا ببدر، قلل الله العدو فى أعين المؤمنين، وقلل المؤمنين فى أعين المشركين ليجترئ بعضهم على بعض فى القتال،

=واختلف عنهم. كسر العين قراءة ابن كثير، وأبى عمرو بن العلاء، ويعقوب، وابن محيصن، والحسن، واليزيدى، وضمها قراءة باقى السبعة. انظر: (الإتحاف ٢٣٧، الطبرى ١٣/٥٦٥، القرطبى ٨/٢١، السبعة ٣٠٦، الكشاف ٢/١٢٧، معانى القرآن للأخفش ٢/٣٢٣، الرازى ٤/٣٦٩، النشر ٢/٢٧٦، التبيان ٥/١٤٧، التيسير ١١٦، البحر المحيط ٤/٤٩٩، إعراب القرآن للعكبرى ٢/٤، العنوان ٨٨، الحجة المنسوب لابن خالويه ١٧٠، ١٧١، الحجة لأبى زرعة ٣١١، غيث النفع ٢٣٤، الكشف ١/٤٩١، مجمع البيان ٢/٥٤٨).

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١٠/١٠، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٣٦٤، تفسير القرطبى ٨/٢٢، تفسير ابن كثير ٢/٣١٥، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٣/١٨٩).

(٢) انظر: (تفسير الطبرى ١٠/٩، تفسير الماوردى ٢/١٠٦، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٣٦٣، تفسير القرطبى ٨/٢٢، تفسير ابن كثير ٢/٣١٥).

﴿لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا﴾ فى علمه ﴿كَانَ مَفْعُولًا﴾، ليقضى الله أمرًا لابد كائنا ليعز الإسلام بالنصر ويذل أهل الشرك بالقتل والهزيمة، ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [آية: ٤٤]، يقول: مصير الخلائق إلى الله عز وجل، فلما رأى عدو الله أبو جهل وقتله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾، يعنى صدقوا بتوحيد الله عز وجل، ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾، يعنى كفار مكة ببدر، ﴿فَٱثْبُتُواْ﴾ لهم، ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ﴾، يعنى لكى ﴿تُفْلِحُونَ﴾ [آية: ٤٥].

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فيما أمركم به فى أمر القتال، ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ﴾، يقول: ولا تختلفوا عند القتال، ﴿فَتَفْشَلُواْ﴾، يعنى فتجبنوا، ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾، يعنى الصبا؛ لأن النبى ﷺ قال: «نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور»، ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ﴾ لقتال عدوكم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آية: ٤٦]، يعنى فى النصر للمؤمنين على الكافرين بذنوبهم وبعملهم.

ثم وعظ المؤمنين، فقال: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾[1]، ليذكروا بمسيرهم، يعنى ابن أمية، وابن المغيرة المخزومى، وذلك أنهم كانوا رءوس المشركين فى غزوهم بدر، فقال أبو جهل حين نجت العير وسارت إلى مكة، فأشاروا عليه بالرجعة، قال: لا نرجع حتى ننزل على بدر فننحر الجزر، ونشرب الخمر، وتعزف علينا القيان، فتسمع العرب بمسيرنا، فذلك قوله: ﴿**بطرًا ورئاء الناس**﴾،

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١٠/١٢، تفسير الماوردى ٢/١٠٧، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٣٦٦، تفسير القرطبى ٨/٢٥، تفسير ابن كثير ٢/٣١٧).

ليذكروا بمسيرهم ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، يقول: ويمنعون أهل مكة عن دين الإسلام، ﴿وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آية: ٤٧] أحاط علمه بأعمالهم.

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾، وذلك أنه بلغهم أن العير قد نجت، فأرادوا الرجوع إلى مكة، فأتاهم إبليس فى صورة سراقة بن مالك بن جشعم الكنانى، من بنى مدلج بن الحارث، فقال: لا ترجعوا حتى تستأصلوهم، فإنكم كثير وعدوكم قليل، فتأمن عيركم، ويسير ضعيفكم، ﴿وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ﴾(١) على بنى كنانة، أنكم لا تمرون بحى منهم إلا أمدكم بالخيل والسلاح والرجال، فأطاعوه ومضوا إلى بدر لما أراد الله من هلاكهم، فلما التقوا نزلت ملائكة ببدر مددًا للمؤمنين، عليهم جبريل، عليه السلام، ولما رأى إبليس ذلك، نكص على عقبيه، يقول: استأخر وراءه.

فذلك قوله: ﴿فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ﴾ فئة المشركين، ﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾، يقول: استأخر وراءه، وعلم أنه لا طاقة له بالملائكة، فأخذ الحارث بن هشام بيده، فقال: يا سراقة، على هذا الحال تخذلنا؟ ﴿وَقَالَ﴾ إبليس: ﴿إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾، فقال الحارث: والله ما نرى إلا خفافيش يثرب، فقال إبليس: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [آية: ٤٨]، وكذب عدوا الله ما كان به الخوف، ولكن خذلهم عند الشدة، فقال الحارث لإبليس وهو فى صورة سراقة: فهلا كان هذا أمس، فدفع إبليس فى صدر الحارث، فوقع الحارث، وذهب إبليس هاربًا، فلما انهزم المشركون، قالوا: انهزم بالناس سراقة، وهو بعض الصف، فلما بلغ سراقة سار إلى مكة، فقال: بلغنى أنكم تزعمون بأنى انهزمت بالناس، فوالذى يحلف به ما شعرت بمسيركم حتى بلغنى هزيمتكم، قالوا له: ما أتيتنا يوم كذا وكذا، فحلف بالله لهم أنه لم يفعل، فلما أسلموا علموا أنما ذلك الشيطان.

﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾، يعنى الكفر، نزلت فى قيس بن الفاكه، ولم يتجمع جمع قط منذ يوم كانت الهزيمة أكثر من يوم بدر، وذلك أن إبليس جاء بنفسه، وجاء كل شيطان موكل بالدنيا، إلا شيطان موكل بآدمى، وكفار الجن

---

(١) انظر: (معانى القرآن للفراء ٤١٣/١، تفسير الطبرى ١٤/١٠، تفسير الماوردى ١٠٧/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣٦٦/٣، تفسير القرطبى ٢٦/٨، تفسير ابن كثير ٣١٧/٢، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٣١٨/٣).

كلهم، وسبعمائة من المشركين عليهم أبو جهل بن هشام، وكان قبل ذلك فى ألف رجل، فرد منهم أبى بن شريق ثلاثمائة من بنى زهرة، وذلك أن أبى بن شريق خلا بأبى جهل، فقال: يا أبا الحكم، أكذاب محمد ﷺ؟ فقال: والله ما يكذب محمد ﷺ على الناس، فكيف يكذب على الله، وكان يسمى قبل النبوة الأمين؛ لأنه لم يكذب قط.

فقال أبو جهل: ولكن إذا كانت السقاية فى بنى عبد مناف، والحجابة والمشورة والولاية، حتى النبوة أيضًا، فلما سمع أبى بن شريق قول أبى جهل: إن محمدًا لم يكذب، رد أصحابه عن قتال محمد، عليه السلام، فخنس، فسمى الأخنس بن شريق؛ لأنه خنس بثلاثمائة رجل من بنى زهرة يوم بدر عن قتال محمد، عليه السلام، وبقى سبعمائة عليهم أبو جهل بن هشام، والنبى ﷺ يومئذ فى ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، وسبعين من مؤمنى الجن، وألف من الملائكة عليه جبريل، عليه السلام، فكان جبريل على خمسمائة على ميمنة الناس، وميكائيل على خمسمائة فى ميسرة الناس، ولم تقاتل الملائكة قتالاً قط إلا يوم بدر، وكانوا يومئذ على صور الرجال، وعلى قوة الرجال على خيول بلق، وكان جبريل، عليه السلام، يسير أمام صف المسلمين، ويقول: أبشروا، فإن النصر لكم، وما يرى المسلمون إلا أنه رجل منهم.

﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ (١)، يعنى الكفر، نزلت فى قيس بن الفاكه بن المغيرة، والوليد بن الوليد بن المغيرة، وقيس بن الوليد بن المغيرة، والوليد بن عتبة بن ربيعة، والعلاء بن أمية بن خلف الجمحى، وعمرو بن أمية بن سفيان بن أمية، كان هؤلاء المسلمون بمكة، ثم أقاموا بمكة مع المشركين، فلم يهاجروا إلى المدينة، فلما خرج كفار مكة إلى قتال بدر، خرج هؤلاء النفر معهم، فلما عاينوا قلة المؤمنين شكوا فى دينهم وارتابوا، فقالوا: ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ﴾، يعنون أصحاب محمد ﷺ، يقول الله عز وجل: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾، يعنى المؤمنين، يعنى يثق به فى النصر، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾، يعنى منيع فى ملكه، ﴿حَكِيمٌ﴾ [آية: ٤٩] فى أمره حكم النصر.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ

(١) انظر: (تفسير الماوردى ٢/١٠٨، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٣٦٧، تفسير القرطبى ٨/٢٧).

﴿بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾﴾

فلما قتل هؤلاء النفر من المشركين، ضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ يا محمد، ﴿إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بتوحيد الله ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾، يعنى ملك الموت وحده، ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ فى الدنيا، ثم انقطع الكلام، فلما كان يوم القيامة دخلوا النار، تقول لهم خزنة جهنم: ﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [آية: ٥٠].

﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ من الكفر والتكذيب، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [آية: ٥١]، يقول: ليس يعذبهم على غير ذنب.

ثم نعتهم، فقال: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾[1]، يقول: كأشباه آل فرعون فى التكذيب والجحود، ﴿وَ﴾ كأشباه ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، أى من قبل فرعون وقومه من الأمم الخالية، قوم نوح، وعاد، وثمود، وإبراهيم، وقوم شعيب، ﴿كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾، يعنى بعذاب الله بأنه ليس بنازل بهم فى الدنيا، ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾، يعنى فأهلكهم الله، ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾، يعنى بالكفر والتكذيب، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ﴾ فى أمره حين عذبهم، ﴿شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [آية: ٥٢] إذا عاقب.

﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ على أهل مكة، أطعمهم من جوع، وآمنهم من خوف، ثم بعث فيهم محمدًا رسوله ﷺ، فهذه النعمة التى غيروها، فلم يعرفوا ربها، فغير الله ما بهم من النعم، فذلك قوله: ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آية: ٥٣].

ثم قال: ﴿كَدَأْبِ﴾، يعنى كأشباه ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ وقومه فى الهلاك ببدر، ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، يعنى الذين قبل آل فرعون من الأمم الخالية، ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾، يعنى بعذاب ربهم فى الدنيا بأنه غير نازل بهم، ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾،

---

(١) انظر: (معانى القرآن للفراء ١/٤١٣٢، معانى القرآن للزجاج ٢/٤٦٥، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٣٧٠).

يقول: فعذبناهم بذنوبهم فى الدنيا وبكفرهم وبتكذيبهم، ﴿وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَۚ وَكُلّٞ﴾، يعنى آل فرعون والأمم الخالية الذين كذبوا فى الدنيا، ﴿كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ [آية: ٥٤]، يعنى مشركين.

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمۡ لَا يُعۡجِزُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، يعنى بتوحيد الله، ﴿فَهُمۡ﴾، يعنى بأنهم ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [آية: ٥٥]، وهم يهود قريظة، فمنهم حيى بن أخطب اليهودى وإخوته، ومالك بن الضيف.

ثم أخبر عنهم، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ﴾ [١] يا محمد، ﴿ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ﴾، وذلك أن اليهود نقضوا العهد الذى كان بينهم وبين النبى ﷺ، وأعانوا مشركى مكة بالسلاح على قتال النبى ﷺ وأصحابه، ثم يقولون: نسينا وأخطأنا، ثم يعاهدهم الثانية، فينقضون العهد، فذلك قوله: ﴿**ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِى كُلِّ مَرَّةٍ**﴾، يعنى فى كل عام مرة، ﴿وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ﴾ [آية: ٥٦] نقض العهد.

﴿فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ﴾ [٢]، يقول: فإن أدركتهم فى الحرب، يعنى القتال، فأسرتهم، ﴿فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ﴾ [٣]، يقول: نكل بهم لمن بعدهم من العدو وأهل عهدك، ﴿لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾ [آية: ٥٧]، يقول: لكى يذكروا النكال، فلا ينقضون العهد.

ثم قال: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ﴾، يقول: وإن تخافن ﴿مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ﴾، يعنى بالخيانة

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١٠/١٨، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٣٧٢، تفسير القرطبى ٨/٣١).

(٢) انظر: (معانى القرآن للفراء ١/٤١٤، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٨٠، تفسير الطبرى ١٠/١٩، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٣٧٢، تفسير القرطبى ٨/٣١).

(٣) يروى عن الأعمش أنه قرأ: «فَشَرِّذ بِهِم منْ خَلْفَهم»، بالذال معجمة. انظر: (الإتحاف ٢٣٨، الكشاف ٢/١٣٢، البحر المحيط ٤/٥٠٩).

نقض العهد، ﴿فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ [١]، يقول: على أمر بين، فارم إليهم بعهدهم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ [آية: ٥٨]، يعنى اليهود.

﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بتوحيد الله، يعنى كفار العرب، ﴿سَبَقُوٓاْ﴾ [٢] سابقى الله بأعمالهم الخبيثة، ﴿إِنَّهُمۡ لَا يُعۡجِزُونَ﴾ [آية: ٥٩]، يقول: إنهم لن يفوقوا الله بأعمالهم الخبيثة حتى يعاقبهم الله بما يقولون.

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٣﴾﴾

ثم قال: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾، يعنى السلاح، وهو الرمى، ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾ [٣]، يعنى كفار العرب، ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ﴾، يقول: لا تعرفهم يا محمد، يقول: ترهبون فيما استعددتم به آخرين من دون كفار العرب، يعنى اليهود، لا تعرفهم يا محمد، ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ﴾، يقول: الله يعرفهم، يعنى اليهود، ثم قال: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ﴾ من أمر السلاح والخيل، ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ﴾، يقول: يوفر لكم ثواب النفقة، ﴿وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ﴾ [آية: ٦٠]، يقول: وأنتم لا تنقصون يوم القيامة.

ثم ذكر يهود قريظة، فقال: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا﴾ [٤]، يقول: إن أرادوا

---

(١) انظر: (تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٨٠، تفسير الطبرى ١٠/١٩، تفسير الماوردى ٢/١١٠، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٣٧٣، تفسير القرطبى ٨/٣١).

(٢) انظر: (تفسير الطبرى ١٠/٢٠، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٣٧٤، تفسير ابن كثير ٢/٣٢١).

(٣) انظر: (تفسير الماوردى ٢/١١١، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٣٧٥، تفسير القرطبى ٨/٣٨، تفسير ابن كثير ٢/٣٢١).

(٤) قراءة الأشهب العقيلىّ: «فاجْنُحْ» (٤)، لها بضم النون. قال ابن الجوزى: وهذا منسوخ بآية السيف. انظر: (تفسير القرطبى ٨/٣٩، الكشاف ٢/١٣٢، البحر المحيط ٤/٥١٤، تفسير=

الصلح فأرده، ثم نسختها الآية التى فى سورة محمد ﷺ: ﴿**فَلاَ تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ**﴾ [محمد: ٣٥]، ثم قال للنبى ﷺ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾، يقول: وثق بالله، فإنه معك فى النصر إن نقضوا الصلح، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لما أرادوا من الصلح، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ [آية: ٦١] به.

ثم قال: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ﴾ يا محمد بالصلح لتكف عنهم، حتى إذا جاء مشركو العرب، أعانوهم عليك، يعنى يهود قريظة، ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ﴾، يعنى هو الذى قواك ﴿بِنَصْرِهِۦ﴾، يعنى جبريل، عليه السلام، وبمن معه، ﴿وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ٦٢] من الأنصار يوم بدر، وهو فاعل ذلك أيضًا، وأيدك على يهود قريظة.

ثم ذكر الأنصار، فقال: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ﴾ بعد العداوة التى كانت بينهم فى أمر شمير وحاطب، فقال: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ﴾ يا محمد على أن تؤلف بين قلوبهم ﴿مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ﴾ بعد العداوة فى دم شمير وحاطب بالإسلام، ﴿إِنَّهُۥ عَزِيزٌ﴾، يعنى منيع فى ملكه، ﴿حَكِيمٌ﴾ [آية: ٦٣] فى أمره، حكم الألفة بين الأنصار بعد العداوة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَ﴾ حسب ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [1] [آية: ٦٤]

=الطبرى ١٠/٢٤، تفسير الماوردى ٢/١١١، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٣٧٦، تفسير ابن كثير ٢/٣٢٢).

(١) انظر: (تفسير الماوردى ١/١١١، معانى القرآن للفراء ١/٤١٧، معانى القرآن للزجاج ٢/٤٦٨).

بالله عز وجل، نزلت بالبيداء فى غزاة بدر قبل القتال، وفيها تقديم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ﴾، يعنى حضض المؤمنين على القتال ببدر، ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟﴾، يعنى يقاتلوا، ﴿مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوٓا۟﴾، يعنى يقاتلوا، ﴿أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بالتوحيد، كفار مكة ببدر، ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [آية: ٦٥] الخير، فجعل الرجل من المؤمنين، يقاتل عشرة من المشركين، فلم يكن فرضه الله لابد منه، ولكن تحريض من الله ليقاتل الواحد عشرة.

فلم يطق المؤمنون ذلك، فخفف الله عنهم بعد قتال بدر، فأنزل الله: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ﴾ (١)، يعنى بعد قتال بدر، ﴿وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم﴾ عدة ﴿مِّائَةٌ﴾ رجل ﴿صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِائَتَيْنِ﴾، يعنى يقاتلوا مائتين، ﴿وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ﴾ رجل ﴿يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آية: ٦٦] فى النصر لهم على عدوهم، فأمر الله أن يقاتل الرجل المسلم وحده رجلين من المشركين، فمن أسره المشركون بعد التخفيف، فإنه لا يفادى من بيت المال إذا كان المشركون مثل المؤمنين، وإن كان المشركون أكثر من الضعف، فإنه يفادى من بيت المال، فينبغى للمسلمين أن يقاتلوا الضعف من المشركين إلى أن تقوم الساعة، وكانت المنزلة قبل التخفيف لا يفتدى الأسير إلا على نحو ذلك.

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ﴾ من قبلك يا محمد ﴿أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ﴾ (٢) عدوه ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ويظهر عليهم، ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾، يعنى المال، وهو الفداء من المشركين، نزلت بعد قتال بدر، ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ﴾ لكم ﴿ٱلْـَٔاخِرَةَ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ (٣)، يعنى منيع فى ملكه، ﴿حَكِيمٌ﴾ [آية: ٦٧] فى أمره، وذلك أن الغنائم لم تحل لأحد من

---

(١) انظر: (الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ٢٥٩، تفسير الطبرى ١٠/٢٧، تفسير الماوردى ٢/١١٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٣٧٨، تفسير القرطبى ٨/٤٤، لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى ١١٣، بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادى ١/٢٢٤).

(٢) انظر: (معانى القرآن للزجاج ٢/٤٧٠، تفسير الطبرى ١٠/٣٠، تفسير الماوردى ٢/١١٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٣٧٩، تفسير القرطبى ٨/٤٥، تفسير ابن كثير ٢/٣٢٥، لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى ١١٤).

(٣) انظر: (الكشاف ٢/١٣٤، البحر المحيط ٤/٥١٨).

الأنبياء ولا المؤمنين قبل محمد ﷺ.

وأخبر الله الأمم: إنى أحللت الغنائم للمجاهدين من أمة محمد ﷺ، وكان المؤمنون إذا أصابوا الغنائم جمعوها ثم أحرقوها بالنيران، وقتلوا الناس والأسارى والدواب، وهذا فى الأمم الخالية، فذلك قوله: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ [1] فى تحليل الغنائم لأمة محمد ﷺ فى علمه فى اللوح المحفوظ، ثم خالفتم المؤمنين من قبلكم، ﴿لَمَسَّكُمْ﴾، يعنى لأصابكم ﴿فِيمَآ أَخَذْتُمْ﴾ من الغنيمة ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آية: ٦٨].

ثم طيبها لهم وأحلها، فقال: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ ببدر، ﴿حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ ولا تعصوه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ ذو تجاوز لما أخذتم من الغنيمة قبل حلها، ﴿رَّحِيمٌ﴾ [آية: ٦٩] بكم إذ أحلها لكم، وكان النبى ﷺ جعل عمر بن الخطاب، وخباب بن الأرت، أولياء القبض يوم بدر، وقسمها النبى ﷺ بالمدينة، وانطلق بالأسارى فيهم العباس بن عبد المطلب، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وذلك أن العباس بن عبد المطلب يوم أسر أخذ منه عشرين أوقية من ذهب، فلم تحسب له من الفداء، وكان فداء كل أسير من المشركين أربعين أوقية من ذهب، وكان أول من فدى نفسه أبو وديعة ضمرة بن صبيرة السهمى، وسهيل بن عمرو، من عامر بن لؤى، القرشيان.

فقال النبى ﷺ: «أضعفوا الفداء على العباس»، وكلف أن يفتدى ابنى أخيه، فأدى عنهما ثمانية أوقية من ذهب، وكان فداء العباس بثمانين أوقية، وأخذ منه عشرون أوقية، فأخذ منه يومئذ مائة أوقية وثمانون أوقية، فقال العباس للنبى ﷺ: لقد تركتنى ما حييت أسأل قريشًا بكفى، وقال له ﷺ: «أين الذهب الذى تركته عند امرأتك أم الفضل؟»، فقال العباس: أى الذهب؟ فقال له رسول الله ﷺ: «إنك قلت لها: إنى لا أدرى ما يصيبنى فى وجهى هذا، فإن حدث بى ما حدث، فهو لك ولولدك»، فقال: يا ابن أخى، من أخبرك؟ قال: «الله أخبرنى»، فقال العباس: أشهد أنك صادق، وما علمت أنك رسول قط قبل اليوم، قد علمت أنه لم يطلعك عليه إلا عالم السرائر، وأشهد ألا إله إلا الله، وأنك عبده ورسوله، وكفرت بما سواه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ

(١) انظر: (تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٨٠، تفسير الطبرى ٣٢/١٠، تفسير الماوردى ١١٢/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣٨١/٣، تفسير القرطبى ٥٠/٨، تفسير ابن كثير ٣٨٦/٢).

خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾

وأمر ابني أخيه فأسلما، ففيهما نزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ﴾، يعنى العباس وابنى أخيه: ﴿إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾[1]، يعنى إيمانًا، كقوله: ﴿لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا﴾ [هود: ٣١]، يعنى إيمانًا، وهذا فى هود، ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ﴾ من الفداء، فوعدهم الله أن يخلف لهم أفضل ما أخذ منهم، ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ذنوبكم، ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لما كان منهم من الشرك من ذنوبهم، ذو تجاوز، ﴿رَّحِيمٌ﴾ [آية: ٧٠] بهم فى الإسلام.

﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ﴾، يعنى الكفر بعد إسلامهم واستحيائك إياهم، ﴿فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ﴾، يقول: فقد كفروا بالله من قبل هذا الذى نزل بهم ببدر، ﴿فَأَمْكَنَ﴾ الله ﴿مِنْهُمْ﴾ النبى، عليه السلام، يقول: إن خانوا أمكنتك منهم فقتلتهم وأسرتهم كما فعلت بهم ببدر، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه، ﴿حَكِيمٌ﴾ [آية: ٧١] فى أمره، حكم أن يمكنه منهم.

فقال العباس بعد ذلك: لقد أعطانى الله خصلتين، ما من شىء هو أفضل منهما، أما أحدهما: فالذهب الذى أخذ منى، فآتانى الله خيرًا منه عشرين عبدًا، وأما الثانية: فتنجيز موعود الله الصادق، وهو المغفرة، فليس أحد أفضل من هذا. ومن كان من أسارى بدر وليس له فدى، فإنه يدفع إليه عشرة غلمان يعلمهم الكتاب، فإذا حذقوا برئ الأسير من الفداء، وكان أهل مكة يكتبون، وأهل المدينة لا يكتبون، وكان النبى ﷺ قد استشار أصحابه فى أسارى بدر، فقال عمر بن الخطاب للنبى ﷺ: اقتلهم، فإنهم رءوس الكفر وأئمة الضلال، وقال أبو بكر: لا تقتلهم، فقد شفى الله الصدور وقتل المشركين وهزمهم، فآدهم أنفسهم، وليكن ما نأخذ منهم فى قوة المسلمين وعونًا على حرب المشركين، وعسى الله أن يجعلهم أعوانًا لأهل الإسلام فيسلموا.

فأعجب النبى ﷺ بقول أبى بكر الصديق، وكان النبى ﷺ رحيمًا، وأبو بكر أيضًا رحيمًا، وكان عمر ماضيًا، فأخذ النبى ﷺ بقول أبى بكر، ففاداهم، فأنزل الله عز وجل

---

(١) انظر: (زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٣٨٣، تفسير القرطبى ٨/٥٣، تفسير ابن كثير ٢/٣٢٦، لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى ١١٤).

توفيقًا لقول عمر: ﴿مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِى الأَرْضِ﴾، فقال النبى ﷺ لعمر: «أحمد الله إن ربك واتاك على قولك»، فقال عمر: الحمد لله الذى واتانى على قولى فى أسارى بدر، وقال النبى ﷺ: «لو نزل عذاب من السماء، ما نجا منا أحد إلا عمر بن الخطاب، إنه نهانى فأبيت».

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، يعنى صدقوا بتوحيد الله، ﴿وَهَاجَرُواْ﴾ إلى المدينة، ﴿وَجَٰهَدُواْ﴾ العدو ﴿بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، فهؤلاء المهاجرون، ثم ذكر الأنصار، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ﴾ (١) النبى ﷺ، ﴿وَّنَصَرُوٓاْ﴾ النبى ﷺ، ثم جمع المهاجرين والأنصار، فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ فى الميراث؛ ليرغبهم بذلك فى الهجرة، فقال الزبير بن العوام ونفر معه: كيف يرثنا غير أوليائنا، وأولياؤنا على ديننا، فمن أجل أنهم لم يهاجروا لا ميراث بيننا، فقال الله بعد ذلك: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، يعنى صدقوا بتوحيد الله، ﴿وَلَمْ يُهَاجِرُواْ﴾ إلى المدينة، ﴿مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ فى الميراث ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ﴾ إلى المدينة، ثم قال: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ يا معشر المهاجرين إخوانكم الذين لم يهاجروا إليكم، فأتاهم عدوهم من المشركين، فقاتلوهم ليردوهم عن الإسلام، ﴿فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾ فانصروهم، ثم استثنى، فقال: ﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾، يقول: إن استنصر الذين لم يهاجروا إلى المدينة على أهل عهدكم، فلا تنصروهم، ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آية: ٧٢].

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بتوحيد الله، ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ فى الميراث والنصرة، ﴿إِلَّا

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١٠/٣٧، لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى ١١٥، بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادى ١/٢٢٤).

﴿تَفۡعَلُوهُ﴾، أى إن لم تنصروهم على غير أهل عهدكم من المشركين فى الدين، ﴿تَكُن فِتۡنَةٞ﴾، يعنى كفر، ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ وَ﴾ يكن ﴿وَفَسَادٞ كَبِيرٞ﴾ [آية: ٧٣] فى الأرض.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، يعنى صدقوا بتوحيد الله، ﴿وَهَاجَرُواْ﴾ من مكة إلى المدينة، ﴿وَجَٰهَدُواْ﴾ العدو ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، يعنى فى طاعة الله، فهؤلاء المهاجرون، وإنما سموا المهاجرين؛ لأنهم هجروا قومهم من المشركين، وفارقوهم إذ لم يكونوا على دينهم، قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ﴾، يعنى ضموا النبى ﷺ إلى أنفسهم بالمدينة، ﴿وَّنَصَرُوٓاْ﴾ النبى ﷺ، فهؤلاء الأنصار، ثم جمع المهاجرين والأنصار، فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾، يعنى المصدقين ﴿حَقّٗاۚ لَّهُم﴾ بذلك ﴿مَّغۡفِرَةٞ﴾ لذنوبهم ﴿وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ [آية: ٧٤]، يعنى رزقًا حسنًا فى الآخرة، وهى الجنة.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴿٧٥﴾﴾

ثم قال بعد ذلك: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ﴾ هؤلاء المهاجرين والأنصار، ﴿وَهَاجَرُواْ﴾ من ديارهم إلى المدينة، ﴿وَجَٰهَدُواْ﴾ العدو ﴿مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ﴾ فى الميراث، ثم نسخ هؤلاء الآيات بعد هذه الآية، ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ﴾ فى الميراث، فورث المسلمون بعضهم بعضًا، من هاجر ومن لم يهاجر فى الرحم والقرابة، ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾ [آية: ٧٥] فى أمر المواريث حين حرمهم الميراث، وحين أشركهم بعد ذلك.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، عن أبى يوسف، عن الكلبى، عن أبى صالح، قال: إن الخمس كان يقسم على عهد النبى ﷺ خمسة أسهم: لله ولرسوله سهم، ولذى القربى سهم، ولليتامى سهم، وللمساكين سهم، ولابن السبيل سهم، قال: وقسمه عمر، وأبو بكر، وعثمان، وعلى، على ثلاثة أسهم، أسقطوا سهم ذى القربى، وقسم على ثلاثة أسهم، وإنما يوضع من أولئك فى أهل الحاجة والمسكنة، ليس يعطى الأغنياء شيئًا، فهذا على موضع الصدقة.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، عن محمد بن عبد الحق، عن أبى جعفر محمد بن على، عليه السلام، قال: قلت له: ما كان رأى على، عليه السلام،

فى الخمس؟ قال: رأى أهل بيته، قال: قلت: فكيف لم يمضه على ذلك حين ولى؟ قال: كره أن يخالف أبا بكر وعمر.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، عن مقاتل، قال: كان النبى ﷺ يأخذ من الغنيمة قبل أن تقسم صفيًا لنفسه، ويأخذ مع ذوى القربى، ويأخذ سهم الله تعالى ورسوله، ثم يأخذ مع المقاتلة، فكان يأخذ من أربعة وجوه ﷺ.

* * *

سورة التوبة

سورة براءة، مدنية كلها، غير آيتين، هما:

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ...﴾ [آية: ١٢٨، ١٢٩] إلى آخر السورة، فإنهما مكيتان، وهى مائة وسبع وعشرون آية كوفية

لما نزلت براءة، بعث النبى ﷺ أبا بكر الصديق على حج الناس، وبعث معه ببراءة، من أول السورة إلى تسع آيات، فنزل جبريل، فقال: يا محمد، إنه لا يؤدى عنك إلا رجل منك، ثم اتبعه على بن أبى طالب، فأدركه بذى الحليفة على ناقة رسول الله ﷺ، فأخذها منه، ثم رجع أبو بكر إلى النبى ﷺ، فقال له: بأبى أنت وأمى، هل أنزل الله فىّ من شيء؟ قال: «لا، ولكن لا يبلغ عنى إلا رجل منى، أما ترى يا أبا بكر أنك صاحبى فى الغار، وأنك أخى فى الإسلام، وأنك ترد علىَّ الحوض يوم القيامة؟»، قال: بلى يا رسول الله، فمضى أبو بكر على الناس، ومضى على ببراءة من أول السورة إلى تسع آيات، فقام على يوم النحر بمنى، فقرأها على الناس.

﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى الَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا۟ فِى الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى اللَّهِ ۙ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِى الْكَـٰفِرِينَ ﴿٢﴾﴾

﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾[1] من العهد غير أربعة أشهر، ﴿إِلَى الَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آية: ١]، نزلت فى ثلاثة أحياء من العرب، منهم خزاعة، ومنهم هلال بن عويمر، وفى مدلج، منهم سراقة بن مالك بن خثعم الكنانى، وفى بنى خزيمة بن عامر، وهما حيان من كنانة، كان النبى ﷺ عاهدهم بالحديبية سنتين، صالح عليهم المخش بن خويلد بن عمارة بن المخش، فجعل الله عز وجل للذين كانوا فى العهد أجلهم أربعة أشهر من يوم النحر إلى عشر من ربيع الآخر.

---

(١) انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ٢/٦، الكشاف للزمخشرى ٢/١٧٢، البحر المحيط ٥، ٦، إعراب القرآن للنحاس ٢/٤، تفسير الآلوسى ١٠/٤٢).

فقال: ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (١)، يقول: سيروا فى الأرض، ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ آمنين حيث شئتم، ثم خوفهم، فقال: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [آية: ٢]، فلم يعاهد النبى ﷺ بعد هذه الآية أحدًا من الناس.

﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَـٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾

ثم ذكر مشركى مكة الذين لا عهد لهم، فقال: ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ﴾ (٢)، يعنى يوم النحر، وإنما سمى الحج الأكبر؛ لأن العمرة هى الحج الأصغر، وقال: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ﴾ من العهد، ﴿فَإِن تُبْتُمْ﴾ يا معشر المشركين من الشرك، ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من الشرك، ﴿وَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾، يقول: إن أبيتم التوبة فلم تتوبوا، ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾، خوفهم كما خوف أهل العهد أنكم أيضًا غير سابقى الله بأعمالكم الخبيثة حتى يجزيكم بها، ثم قال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بتوحيد الله ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آية: ٣]، يعنى وجيع.

ثم جعل من لا عهد له أجله خمسين يومًا من يوم النحر إلى انسلاخ المحرم، ثم رجع إلى خزاعة، وبنى مدلج، وبنى خزيمة، فى التقديم، فاستثنى، فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ (٣)، فلم يبين الله ورسوله من عهدهم فى الأشهر الأربعة، ﴿ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا﴾ (٤) فى الأشهر الأربعة، ﴿وَلَمْ يُظَـٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾، يعنى ولم يعينوا

---

(١) انظر: (معانى القرآن للفراء ١/٤٢٠، تفسير الماوردى ٢/١١٧، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٣٩٤، تفسير القرطبى ٨/٦٤، تفسير ابن كثير ٢/٣٣١).

(٢) انظر: (تفسير الطبرى ١٠/٤٩، تفسير الماوردى ٢/١١٨، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٣٩٦، تفسير القرطبى ٨/٦٩، تفسير ابن كثير ٣/٣٣٢).

(٣) انظر: (زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٣٩٧، تفسير القرطبى ٨/٧١).

(٤) قراءة عِكرمة: «ثُم لم يَنقضوكم شيئًا»، بالضاد معجمة. قال: أى لم ينقضوا أموركم، وهو=

على قتالكم أحدًا من المشركين، يقول الله: إن لم يفعلوا ذلك، ﴿فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ﴾، يعنى الأشهر الأربعة، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [آية: ٤] الذين يتقون نقض العهد.

ثم ذكر من لم يكن له عهد غير خمسين يومًا، فقال: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ﴾ [(١)]، يعنى عشرين من ذى الحجة وثلاثين يومًا من المحرم، ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾، يعنى هؤلاء الذين لا عهد لهم إلا خمسين يومًا أين أدركتموهم فى الحل والحرم، ﴿وَخُذُوهُمۡ﴾، يعنى وأسروهم، ﴿وَٱحۡصُرُوهُمۡ﴾، يعنى والتمسوهم، ﴿وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ﴾، يقول: وأرصدوهم بكل طريق وهم كفار، ﴿فَإِن تَابُواْ﴾ من الشرك، ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ﴾، يقول: فاتركوا طريقهم، فلا تظلموهم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ للذنوب ما كان فى الشرك، ﴿رَّحِيمٞ﴾ [آية: ٥] بهم فى الإسلام.

﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ ﴿٦﴾ كَيۡفَ يَكُونُ لِلۡمُشۡرِكِينَ عَهۡدٌ عِندَ ٱللَّهِ
وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ
فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيۡفَ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ لَا
يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ وَأَكۡثَرُهُمۡ فَٰسِقُونَ
﴿٨﴾ ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ
يَعۡمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرۡقُبُونَ فِي مُؤۡمِنٍ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُعۡتَدُونَ ﴿١٠﴾
فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ
يَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ
أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾﴾

=كناية حسنة عن النقص؛ لأنه إذا نقصه شيئًا من خاصّه فقد نقضه عما كان، فهذه طريقة. انظر: (الكشاف ٢/١٧٤، الجامع لأحكام القرآن ٨/٧١، التبيان للطوس ٥/١٧٢، البحر المحيط ٥/٨، إعراب القرآن للعكبرى ٢/٦، مجمع البيان ٥/٤، تفسير الرازى ١٥/٢٤٤، تفسير الآلوسى ١٠/٤٩).

(١) انظر: (معانى القرآن للأخفش ٢/٣٢٦، معانى القرآن للزجاج ٢/٤٧٦، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٣٩٨).

ثم قال، يعني هؤلاء الكفار من أهل مكة: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾[١]، يقول: فإن استأمنك أحد من المشركين بعد خمسين يومًا فأمنه من القتل، ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾، يعنى القرآن، فإن كره أن يقبل ما فى القرآن، ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾، يقول: رده من حيث أتاك، فإن قاتلك بعد ذلك فقدرت عليه فاقتله، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٦] بتوحيد الله.

ثم ذكرهم أيضًا مشركى مكة، فقال: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ﴾[٢]، ثم استثنى خزاعة، وبنى مدلج، وبنى خزيمة، الذين أجلهم أربعة أشهر، فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ بالحديبية، فلهم العهد، ﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ﴾ بالوفاء إلى مدتهم، يعنى تمام هذه أربعة الأشهر من يوم النحر، ﴿فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ﴾ بالوفاء، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آية: ٧].

ثم حرض المؤمنين على قتال كفار مكة الذين لا عهد لهم؛ لأنهم نقضوا العهد، فقال: ﴿كَيْفَ﴾ لا تقاتلونهم، ﴿وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾[٣]، يقول: لا يحفظوا فيكم قرابة ولا عهدًا، ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾، يعنى بألسنتهم، ﴿وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ﴾، وكانوا يحسنون القول للمؤمنين، فيرضونهم وفى قلوبهم غير ذلك، فأخبر عن قولهم، فذلك قوله: ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾، يعنى بألسنتهم، ﴿وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ﴾ ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [آية: ٨].

ثم أخبر عنهم، فقال: ﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾، يعنى باعوا إيمانًا بالقرآن بعرض من الدنيا يسيرًا، وذلك أن أبا سفيان كان يعطى الناقة والطعام والشىء ليصد بذلك الناس عن متابعة النبى ﷺ، فذلك قوله: ﴿فَصَدُّوا۟﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِهِۦٓ﴾، أى عن سبيل الله، يعنى عن دين الله، وهو الإسلام، ﴿إِنَّهُمْ سَآءَ﴾، يعنى بئس ﴿مَا كَانُوا۟

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ٥٧/١٠، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣٩٩/٣، تفسير القرطبى ٧٧/٨، تفسير ابن كثير ٣٣٧/٢، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٢١٣/٣).

(٢) انظر: (معانى القرآن للزجاج ٤٧٨/٢، تفسير الطبرى ٥٩/١٠، تفسير الماوردى ١٢١/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤٠١/٣، تفسير القرطبى ٧٩/٨، تفسير ابن كثير ٣٨/٢).

(٣) قراءة عِكرمة: «إِيْلاً ولا ذِمَّةً»، بياءٍ بعد الكسرة خفيفة اللام. وقراءة طلحة بن مصرف. انظر: (مختصر شواذ القراءات ٥٢، إعراب القرآن للعكبرى ٧/٢، الكشاف ١٧٦/٢ مجمع البيان ٨/٥، البحر المحيط ١٣/٥).

﴿يَعۡمَلُونَ﴾ [آية: ٩]، يعنى بئس ما عملوا بصدهم عن الإسلام.

ثم أخبر أيضًا عنهم، فقال: ﴿لَا يَرۡقُبُونَ فِي مُؤۡمِنٍ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ﴾، يعنى لا يحفظون فى مؤمن قرابة ولا عهدًا، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُعۡتَدُونَ﴾ [آية: ١٠].

يقول: ﴿فَإِن تَابُواْ﴾ من الشرك، ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، أى أقروا بإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، ﴿فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ﴾ ونبين ﴿ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [آية: ١١] بتوحيد الله.

﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ﴾، يعنى نقضوا عهدهم، وذلك أن النبى ﷺ واعد كفار مكة سنتين، وأنهم عمدوا فأعانوا كنانة بالسلاح على قتال خزاعة، وخزاعة صلح النبى ﷺ، فكان فى ذلك نكث للعهد، فاستحل النبى ﷺ قتالهم، فذلك قوله: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم﴾ ﴿وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾، فقالوا: ليس دين محمد بشىء، ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾، يعنى قادة الكفر كفار قريش: أبا سفيان بن حرب، والحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، وعكرمة بن أبى جهل، وغيرهم، ﴿إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ﴾؛ لأنهم نقضوا العهد الذى كان بالحديبية، يقول: ﴿لَعَلَّهُمۡ﴾، يعنى لكى ﴿يَنتَهُونَ﴾ [آية: ١٢] عن نقض العهد ولا ينقضون.

﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣ قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ١٤ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٥ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تُتۡرَكُواْ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَلَمۡ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَلِيجَةٗۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٦ مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ١٧﴾

ثم حرض المؤمنين على قتالهم، فقال: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ﴾، يعنى نقضوا عهدهم حين أعانوا كنانة بالسلاح على خزاعة، وهم صلح النبى ﷺ، ﴿وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ﴾، يعنى النبى ﷺ من مكة حين هموا فى دار الندوة بقتل النبى ﷺ، أو بوثاقه أو بإخراجه، ﴿وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ﴾ بالقتال حين

ساروا إلى قتالكم ببدر، ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾ فلا تقاتلونهم، ﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾ فى ترك أمره، ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آية: ١٣] به، يعنى إن كنتم مصدقين بتوحيد الله عز وجل.

ثم وعدهم النصر، فقال: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ بالقتل، ﴿وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [آية: ١٤]، وذلك أن بنى كعب قاتلوا خزاعة، فهزموهم وقتلوا منهم، وخزاعة صلح النبى ﷺ، وأعانوهم كفار مكة بالسلاح على خزاعة، فاستحل النبى ﷺ قتال كفار مكة بذلك، وقد ركب عمرو بن عبد مناة الخزاعى إلى النبى ﷺ بالمدينة مستيعنًا به، فقال له:

اللهم إنى ناشد محمدا ... حلف أبينا وأبيه الأتلدا
كان لنا أبا وكنا ولدا ... نحن ولدناكم فكنتم ولدا
ثمت أسلمنا ولم ننزع يدا ... فانصر رسول الله نصرا أيدا
وادع عباد الله يأتوا مددا ... فيهم رسول الله قد تجردا
فى فليق كالبحر يجرى مزيدا ... إن قريشًا أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكد ... ونصبوا لى فى الطريق مرصدا
وبيتونا بالوتين هجدا ... وقتلونا ركعًا وسجدا
وزعموا أن لست أدعو أحدا ... وهم أذل وأقل عددا

قال: فدمعت عينا النبى ﷺ ونظر إلى سحابة قد بعثها الله عز وجل، فقال: «والذى نفسى بيده، إن هذه السحابة لتستهل بنصر خزاعة على بنى ليث بن بكر»، ثم خرج النبى ﷺ من المدينة، فعسكر وكتب حاطب إلى أهل مكة بالعسكر، وسار النبى ﷺ إلى مكة فافتتحها، وقال لأصحابه: «كفوا السلاح، إلا عن بنى بكر إلى صلاة العصر»، وقال لخزاعة أيضًا: «كفوا، إلا عن بنى بكر»، فأنزل الله تعالى: ﴿**وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ**﴾، يعنى قلوب قوم مؤمنين، يعنى خزاعة، ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾، وشفى الله قلوب خزاعة من بنى ليث بن بكر، وأذهب غيظ قلوبهم، ثم قال: ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ﴾[1]، فيهديهم لدينه، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ [آية: ١٥] فى أمره.

---

(١) قراءة الأعرج وابن أبى إسحاق وعيسى الثقفى وعمرو بن عُبَيْد: «ويتوبَ اللهُ»، بالنصب.وقراءة الحسن، وزيد بن على، وعمرو بن فائد، ورويس، ويعقوب، ومقاتل. انظر: (الكشاف ١٧٨/٢، مجمع البيان ١١/٥، مختصر شواذ القراءات ٥١، إعراب القرآن للنحاس ٨/٢، البحر المحيط ١٧/٥، الجامع لأحكام القرآن ٨٧/٨ النشر فى القراءات العشر ٢٧٨/٢، إتحاف فضلاء البشر ٢٤٠، تفسير الآلوسى ٦٣/١٠).

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ﴾ على الإيمان ولا تبتلوا بالقتل، ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ﴾، يعنى ولما يرى الله ﴿ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ﴾ العدو ﴿مِنكُمْ﴾ فى سبيله، يقول: لا يرى جهادكم حتى تجاهدوا، ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا﴾ من دون ﴿رَسُولِهِۦ وَلَا﴾ من دون ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾[1] يتولجها، يعنى البطانة من الولاية للمشركين، ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ١٦].

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ﴾، يعنى مشركى مكة، ﴿أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾، يعنى المسجد الحرام، ﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾[2]، نزلت فى العباس بن عبد المطلب، وفى بنى أبى طلحة، منهم: شيبة بن عثمان صاحب الكعبة، وذلك أن العباس، وشيبة، وغيرهم، أسروا يوم بدر، فأقبل عليهم نفر من المهاجرين، فيهم على بن أبى طالب والأنصار وغيرهم، فسبوهم وعيروهم بالشرك، وجعل على بن أبى طالب يوبخ العباس بقتال النبى ﷺ، وبقطيعته الرحم، وأغلظ له القول، فقال له العباس: ما لكم تذكرون مساوئنا وتكتمون محاسننا، قالوا: وهل لكم محاسن؟ قال: نعم، لنحن أفضل منكم أجرًا، إنا لنعمر المسجد الحرام، ونحجب الكعبة، ونسقى الحجيج، ونفك العانى، يعنى الأسير، فافتخروا على المسلمين بذلك، فأنزل الله: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾، يعنى ما ذكروا من محاسنهم، يعنى بطلت أعمالهم فى الدنيا والآخرة، يقول: ليس لهم ثواب فى الدنيا ولا فى الآخرة؛ لأنها كانت فى غير إيمان، ولو آمنوا لأصابوا الثواب فى الدنيا والآخرة، كما قال نوح، وهود، لقومه: ﴿اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم﴾ بالمطر ﴿مِّدْرَارًا﴾ [هود: ٥٢]، يعنى متتابعًا، ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٢]، فهذا فى الدنيا لو آمنوا، ثم قال: ﴿وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾ [آية: ١٧] لا يموتون.

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى

---

(١) انظر: (تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٨٣، تفسير الطبرى ٦٥/١٠، تفسير الماوردى ١٢٣/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤٠٧/٣، تفسير القرطبى ٨٨/٨).

(٢) انظر: (تفسير الطبرى ٦٦/١٠، تفسير الماوردى ١٢٤/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤٠٨/٣، تفسير القرطبى ٨٩/٨، تفسير ابن كثير ٣٤٠/٢).

ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٨﴾

﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾، يعنى صدق بالله، ﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾، يعنى من صدق بتوحيد الله والبعث الذى فيه جزاء الأعمال، ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ لوقتها، أتم ركوعها وسجودها، ﴿وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾، يعنى وأعطى زكاة ماله، ﴿وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾، يعنى ولم يعبد إلا الله، ﴿فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [آية: ١٨] من الضلالة.

﴿۞ أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسۡتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٢٢﴾﴾

ثم قال يعنيهم: ﴿۞ أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ﴾[1]، يعنى العباس، ﴿وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾[2]، يعنى شيبة، ﴿كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾، يعنى صدق بتوحيد الله واليوم الآخر، وصدق بالبعث الذى فيه جزاء الأعمال، يعنى عليًّا ومن معه، ﴿وَجَٰهَدَ﴾ العدو ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسۡتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ﴾ فى الفضل هؤلاء أفضل، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ١٩]، يعنى المشركين إلى الحجة فما لهم حجة.

ثم نعت المهاجرين عليًّا وأصحابه، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، يعنى صدقوا بتوحيد الله، ﴿وَهَاجَرُواْ﴾ إلى المدينة، ﴿وَجَٰهَدُواْ﴾ العدو ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، يعنى طاعة الله، ﴿بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ﴾ أولئك ﴿أَعۡظَمُ دَرَجَةً﴾، يعنى فضيلة، ﴿عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ من الذين افتخروا فى عمران البيت وسقاية الحاج وهم كفار، ثم أخبر عن ثواب المهاجرين، فقال:

---

(١) انظر: (إعراب القرآن للنحاس ٢/٩، إعراب القرآن للعكبرى ٢/٧ تحبير التيسير ١١٧، مختصر شواذ القراءات ٥٢، الجامع لأحكام القرآن ٨/٩١، البحر المحيط ٥/٢٠، تفسير الفخر الرازى ١٦/١٢، النشر فى القراءات العشر ٢/٢٧٨، الكشاف ٢/١٨٠، إتحاف فضلاء البشر ٢٤١، تفسير الآلوسى ١٠/٦٧).

(٢) انظر: (الكشاف ٢/١٨٠، مجمع البيان ٥/١٤، إتحاف فضلاء البشر ٢٤١، إعراب القرآن للعكبرى ٢/٩، البحر المحيط ٥/٢٠، تفسير الفخر الرازى ١٦/١٢، النشر ٢/٢٧٨، تفسير الآلوسى ١٠/٦٧).

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ [آية: ٢٠]، يعنى الناجون من النار يوم القيامة.

﴿يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ﴾ وهى الجنة، ﴿وَرِضۡوَٰنٖ﴾، يعنى ورضى الرب عنهم، ﴿وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٌ﴾ [آية: ٢١]، يعنى لا يزول.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ﴾ لا يموتون، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ﴾، يعنى عند الله ﴿أَجۡرٌ﴾، يعنى جزاء، ﴿عَظِيمٞ﴾ [آية: ٢٢]، وهى الجنة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٤﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ﴾، يعنى اختاروا الكفر على الإيمان، يعنى التوحيد، نزلت فى السبعة الذين ارتدوا عن الإسلام، فلحقوا بمكة من المدينة، فنهى الله عن ولايتهم، فقال: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ﴾ يا معشر المؤمنين، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [آية: ٢٣]، وهو منهم.

﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا﴾(١)، يعنى كسبتموها، ﴿وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ﴾، يعنى ومنازل ترضونها، يعنى تفرحون بها، ﴿أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦ﴾ فى فتح مكة، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [آية: ٢٤].

﴿لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ٢٥ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٧﴾

---

(١) انظر: (تفسير الماوردى ٢/١٢٥، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٤١٣، تفسير القرطبى ٨/٩٦).

﴿لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ﴾، يعنى يوم بدر، ويوم قريظة، ويوم النضير، ويوم خيبر، ويوم الحديبية، ويوم فتح مكة، ثم قال: ﴿وَ﴾ نصركم ﴿وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ﴾[1]، وهو واد بين الطائف ومكة، ﴿إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ﴾، يعنى برحبها وسعتها، ﴿ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ﴾ [آية: ٢٥] لا تلوون على شىء، وذلك أن المسلمين كانوا يومئذ أحد عشر ألفًا وخمسمائة، والمشركون أربعة آلاف، وهوازن، وثقيف، ومالك بن عوف النضرى على هوازن، وعلى ثقيف كنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عمير الثقفى، فلما التقوا قال رجل من المسلمين: لن نغلب اليوم من كثرتنا على عدونا، ولم يستثن فى قوله، فكره النبى ﷺ قوله؛ لأنه كان قال ولم يستثن فى قوله.

فاقتتلوا قتالاً شديدًا، وانهزم المشركون وجلوا عن الذرارى، ثم نادى المشركون تجاه النساء: اذكروا الفضائح، فتراجعوا وانكشف المسلمون، فنادى العباس بن عبد المطلب، وكان رجلاً صبيًا ثباتًا: يا أنصار الله وأنصار رسوله الذين آووا ونصروا، يا معشر المهاجرين الذين بايعوا تحت الشجرة، هذا رسول الله ﷺ، فمن كان له فيه حاجة فليأته، فتراجع المسلمون، ونزلت الملائكة عليهم البياض على خيول بلق، فوقفوا ولم يقاتلوا، فانهزم المشركون، فذلك قوله: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا﴾، يعنى الملائكة، ﴿وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بالقتل والهزيمة، ﴿وَذَٰلِكَ﴾ العذاب ﴿جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آية: ٢٦].

﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾، يعنى بعد القتل والهزيمة، فيهديه لدينه، ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ﴾ لما كان فى الشرك، ﴿رَّحِيمٞ﴾ [آية: ٢٧] بهم فى الإسلام.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٢٨﴾ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾

---

(١) انظر: (معانى القرآن للفراء ٤٣١/١، تفسير الطبرى ٧٤/١٠، تفسير الماوردى ١٢٧/٢، ٤١٧/٣، تفسير القرطبى ١٠٦/٨، تفسير ابن كثير ٣٤٦/٢).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾، يعنى مشركى العرب، والنجس الذى ليس بطاهر، الأنجاس الأخباث، ﴿فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾، يعنى أرض مكة، ﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾، يعنى بعد عام كان أبو بكر على الموسم. قال ابن ثابت: قال أبى: فى السنة التاسعة من هجرة النبى ﷺ، ثم قال: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾[1]، وذلك أن الله عز وجل أنزل بعد غزاة تبوك: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ...﴾ إلى قوله: ﴿...كُلَّ مَرْصَدٍ﴾، فوسوس الشيطان إلى أهل مكة، فقال: من أين تجدون ما تأكلون، وقد أمر أنه من لم يكن مسلمًا أن يقتل ويؤخذ الغنم، ويقتل من فيها، فقال الله تعالى: امضوا لأمرى وأمر رسولى، ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ﴾، ففرحوا بذلك، فكفاهم الله ما كانوا يتخوفون، فأسلم أهل نجد، وجرش، وأهل صنعاء، فحملوا الطعام إلى مكة على الظهر، فذلك قوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾، يعنى الفقر، ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [آية: ٢٨].

﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾، يعنى الذين لا يصدقون بتوحيد الله، ولا بالبعث الذى فيه جزاء الأعمال، ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾، يعنى الخمر، ولحم الخنزير، وقد بين أمرهما فى القرآن، ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ﴾ الإسلام؛ لأن غير دين الإسلام باطل، ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾، يعنى اليهود والنصارى، ﴿حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ﴾[2]، يعنى عن أنفسهم، ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [آية: ٢٩]، يعنى مذلون إن أعطوا عفوًا لم يؤجروا، وإن أخذوا منهم كرهًا لم يثابوا.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾

---

(١) وقراءة علقمة. انظر: (الكشاف ٢/١٤٢، مجمع البيان ٥/٢٠، البحر المحيط ٥/٢٨).

(٢) انظر: (تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٨٤، معانى القرآن للزجاج ٢/٤٨٩، تفسير الطبرى ١٠/٧٧، تفسير الماوردى ٢/١٢٨، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٤٢٠، تفسير القرطبى ٨/١١٥).

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾، وذلك أن اليهود قتلوا الأنبياء بعد موسى، فرفع الله عنهم التوراة، ومحاها من قلوبهم، فخرج عزير يسيح فى الأرض، فأتاه جبريل، عليه السلام، فقال له: أين تذهب؟ قال: لطلب العلم، فعلمه جبريل التوراة كلها، فجاء عزير بالتوراة غضًا إلى بنى إسرائيل فعلمهم، فقالوا: لم يعلم عزير هذا العلم إلا لأنه ابن الله، فذلك قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾، ثم قال: ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾، يعنون عيسى ابن مريم، ﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ (١)، يقول: هم يقولون بألسنتهم من غير علم يعلمونه، ﴿يُضَـٰهِـُٔونَ﴾ (٢)، يعنى يشبهون ﴿قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، يعنى قول اليهود ﴿مِن قَبْلُ﴾ قول النصارى لعيسى إنه ابن الله، كما قالت اليهود عزير ابن الله، فضاهأت، يعنى أشبه قول النصارى فى عيسى قول اليهود فى عزير، ﴿قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾، يعنى لعنهم الله ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [آية: ٣٠]، يعنى النصارى من أين يكذبون بتوحيد الله.

ثم أخبر عن النصارى، فقال: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ﴾، يعنى علماءهم، ﴿وَرُهْبَـٰنَهُمْ﴾، يعنى المجتهدين فى دينهم أصحاب الصوامع، ﴿أَرْبَابًا﴾ (٣)، يعنى أطاعوهم ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَ﴾ اتخذوا ﴿وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ ربًا، يقول: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟﴾، يعنى وما أمرهم عيسى، ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا﴾، وذلك أن عيسى قال لبنى إسرائيل فى سورة مريم، وفى حم الزخرف: ﴿**إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ**﴾ [الزخرف: ٦٤]، فهذا قول عيسى لبنى إسرائيل، ثم قال: ﴿لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [آية: ٣١]، نزه نفسه عما قالوا من البهتان.

ثم أخبر عنهم، فقال: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾، يعنى دين الإسلام بألسنتهم بالكتمان، ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾، يعنى يظهر دينه الإسلام، ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [آية: ٣٢] أهل الكتاب بالتوحيد.

(١) انظر: (معانى القرآن للزجاج ٢/٤٩٠، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٤٢٤، تفسير القرطبى ٨/١١٨).

(٢) انظر: (السبعة لابن مجاهد ٤/٣، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٨٤، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٤٢٤، تفسير القرطبى ٨/١١٨).

(٣) انظر: (تفسير الماوردى ٢/١٣١، معانى القرآن للفراء ١/٤٣٣، تفسير الطبرى ١٠/٣٠، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٤٢٦، تفسير القرطبى ٨/١٢٠).

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ﴾، يعنى محمدًا ﷺ ﴿بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ﴾، يعنى دين الإسلام؛ لأن غير دين الإسلام باطل، ﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾، يقول: ليعلو بدين الإسلام على كل دين، ﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [آية: ٣٣]، يعنى مشركى العرب.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ﴾، يعنى اليهود، ﴿وَٱلرُّهۡبَانِ﴾، يعنى مجتهدى النصارى، ﴿لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾(1)، يعنى أهل ملتهم، وذلك أنهم كانت لهم مأكلة كل عام من سفلتهم من الطعام والثمار على تكذيبهم بمحمد ﷺ، ولو أنهم آمنوا بمحمد ﷺ لذهبت تلك المأكلة، ثم قال: ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ﴾، يقول: يمنعون أهل دينهم عن دين الإسلام، ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ﴾، يعنى بالكنز منع الزكاة، ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾، يعنى الكنوز ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، يعنى فى طاعة الله، ﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [آية: ٣٤]، يعنى وجيع فى الآخرة.

ثم قال: ﴿يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ﴾ [آية: ٣٥].

﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ

---

(1) انظر: (تفسير الماوردى ١٣٢/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤٤٨/٣، تفسير القرطبى ١٢٢/٨).

﴿لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ﴾، وذلك أن المؤمنين ساروا من المدينة إلى مكة قبل أن يفتح الله على النبى ﷺ، فقالوا: إنا نخاف أن يقاتلنا كفار مكة فى الشهر الحرام، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ﴾ ﴿ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾، يعنى اللوح المحفوظ، ﴿يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾، المحرم، ورجب، وذو القعدة، وذو الحجة، ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾، يعنى الحساب، ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾، يعنى فى الأشهر الحرام، يعنى بالظلم ألا تقتلوا فيهن أحدًا من مشركى العرب، إلا أن يبدءوا بالقتل، ﴿ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾، يعنى بالدين الحساب المستقيم، ثم قال: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، يعنى كفار مكة، ﴿كَآفَّةً﴾، يعنى جميعًا، ﴿كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾، يقول: إن قاتلوكم فى الشهر الحرام، فاقتلوهم جميعًا، ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ﴾ فى النصر ﴿مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آية: ٣٦] الشرك.

﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ﴾ (١)، يعنى به فى المحرم زيادة ﴿فِى ٱلْكُفْرِ﴾، وذلك أن أبا ثمامة الكنانى، اسمه جبارة بن عوف بن أمية بن فقيم بن الحارث، وهو أول من ذبح لغير الله الصفرة فى رجب، كان يقف بالموسم، ثم ينادى: إن آلهتكم قد حرمت صفر العام، فيحرمون فيه الدماء والأموال، ويستحلون ذلك فى المحرم، فإذا كان من قابل نادى: إن آلهتكم قد حرمت المحرم العام، فيحرمون فيه الدماء والأموال، فيأخذ به هوازن، وغطفان، وسليم، وثقيف، وكنانة، فذلك قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ﴾ (٢)، يعنى ترك المحرم ﴿زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ ﴿يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا﴾، يقول: يستحلون المحرم عامًا، فيصيبون فيه الدماء والأموال، ويحرمونه عامًا، فلا يصيبون فيه الدماء والأموال، ولا يستحلونها فيه، ﴿لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟﴾ فى المحرم ﴿مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ فيه من الدماء والأموال، ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آية: ٣٧].

---

(١) انظر: (معانى القرآن للفراء ٤٣٦/١، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٨٦، تفسير الطبرى ٩٢/١٠، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤٣٥/٣، تفسير القرطبى ١٣٦/٨، تفسير ابن كثير ٣٥٦/٢، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٢٣٦/٣).

(٢) انظر: (السبعة ١٣١٤؛ إعراب القرآن للعكبرى ٨/٢، إعراب القرآن للنحاس ١٦/٢ الكشاف ١٨٩/٢، مجمع البيان ٢٨/٥).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى
ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى
ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا
غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ
فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ
يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ
وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ
وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا
وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾
لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ۚ
وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ
لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ
وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، نزلت في المؤمنين، وذلك أن النبى ﷺ أمر الناس بالسير إلى غزوة تبوك فى حر شديد، ﴿ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾، فتثاقلوا عنها، ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [آية: ٣٨]، يعنى إلا ساعة من ساعات الدنيا.

ثم خوفهم: ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ﴾ فى غزاة تبوك إلى عدوكم، ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، يعنى وجيعًا، ﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أمثل منكم، وأطوع لله منكم، ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا﴾، يعنى ولا تنقصوا من ملكه شيئًا بمعصيتكم إياه، إنما تنقصون أنفسكم، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ أراده ﴿قَدِيرٌ﴾ [آية: ٣٩]، إن شاء عذبكم واستبدل بكم قومًا غيركم.

ثم قال للمؤمنين: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ﴾(١)، يعنى النبى ﷺ، ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾، هذه أول آية نزلت من براءة، وكانت تسمى الفاضحة، لما ذكر الله فيها من عيوب

---

(١) انظر: (تفسير الماوردى ٢/١٢٨، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٤٣٩، تفسير القرطبى ٨/١٤٣).

المنافقين، ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بتوحيد الله من مكة، ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾[(١)]، فهو النبى ﷺ وأبو بكر، ﴿إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ﴾، وذلك أن النبى ﷺ قال لأبى بكر: ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ فى الدفع عنا، وذلك حين خاف القافة حول الغار، فقال أبو بكر: أتينا يا نبى الله، وحزن أبو بكر، فقال: إنما أنا رجل واحد، وإن قتلت أنت تهلك هذه الأمة، فقال النبى ﷺ: ﴿لَا تَحْزَنْ﴾.

ثم قال النبى ﷺ: «اللهم اعم أبصارهم عنا»، ففعل الله ذلك بهم، ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ﴾، يعنى النبى ﷺ، ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾، يعنى الملائكة يوم بدر، ويوم الأحزاب، ويوم خيبر، ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، يعنى دعوة الشرك، ﴿ٱلسُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ﴾، يعنى دعوة الإخلاص، ﴿هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾، يعنى العالية، ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ فى ملكه، ﴿حَكِيمٌ﴾ [آية: ٤٠]، حكم إطفاء دعوة المشركين، وإظهار التوحيد.

﴿ٱنفِرُواْ﴾ إلى غزاة تبوك ﴿خِفَافًا وَثِقَالًا﴾[(٢)]، يعنى نشاطًا وغير نشاط، ﴿وَجَٰهِدُواْ﴾ العدو ﴿بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، يعنى الجهاد، ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من القعود، ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٤١].

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا﴾[(٣)]، يعنى غنيمة قريبة، ﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾، يعنى هينًا، ﴿لَّٱتَّبَعُوكَ﴾ فى غزاتك، ﴿وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا﴾[(٤)]، يعنى لو وجدنا سعة فى المال، ﴿لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ فى غزاتكم، ﴿يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [آية: ٤٢] بأن لهم سعة فى الخروج، ولكنهم لم يريدوا الخروج، منهم: جد بن قيس، ومعتب بن قشير، وهما من الأنصار.

(١) انظر: (البحر المحيط ٤٣/٥، الجامع لأحكام القرآن ١٤٤/٨، الكشاف ١٩٠/٢، إعراب القرآن للعكبرى ٩/٢، تفسير الآلوسى ٩٦/١٠).

(٢) انظر: (معانى القرآن للفراء ٤٣٩/١، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٨٧، تفسير الطبرى ٩٧/١٠، تفسير الماوردى ١٣٩/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤٤٢/٢، تفسير القرطبى ١٥٠/٨).

(٣) انظر: (تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٨٧، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤٤٣/٣، تفسير القرطبى ١٥٤/٨).

(٤) انظر: (إعراب القرآن ٩/٢، البحر المحيط ٤٦/٥، الكشاف ١٩/٢، مجمع البيان ٣٢/٥).

ثم قال للنبى ﷺ: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ﴾ [(١)] فى القعود، يعنى فى التخلف، ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ فى قولهم، يعنى أهل العذر، منهم: المقداد ابن الأسود الكندى، وكان سمينًا، ﴿وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [آية: ٤٣] فى قولهم، يعنى من لا قدر لهم.

﴿ لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ مِن قَبۡلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡۖ وَإِن تُصِبۡكَ مُصِيبَةٞ يَقُولُواْ قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا مِن قَبۡلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

﴿لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ﴾ فى القعود ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾، يعنى الذين يصدقون بتوحيد الله، وبالبعث الذى فيه جزاء الأعمال أنه كائن، ﴿أَن يُجَٰهِدُواْ﴾ العدو من غير عذر، ﴿بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۗ﴾ كراهية الجهاد، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [آية: ٤٤] الشرك.

ثم ذكر المنافقين، فقال: ﴿إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ﴾ فى الجهاد وبعد الشقة، ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾، لا يصدقون بالله، ولا باليوم الآخر، يعنى لا يصدقون بالله، ولا بتوحيده، ولا بالبعث الذى فيه جزاء الأعمال، ﴿وَٱرۡتَابَتۡ﴾، يعنى شكت ﴿قُلُوبُهُمۡ﴾ فى الدين، ﴿فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ﴾، يعنى فى شكهم، ﴿يَتَرَدَّدُونَ﴾ [آية: ٤٥]، وهم تسعة وثلاثون رجلاً.

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١٠/٩٩، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٤٤٤، تفسير القرطبى ٨/١٥٤، لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى ١١٧).

ثم أخبر عن المنافقين، فقال: ﴿۞ وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ﴾ إلى العدو، ﴿لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً﴾[١]، يعنى به النية، ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾، يعنى خروجهم، ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾ عن غزاة تبوك، ﴿وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ﴾، وحيًا إلى قلوبهم، ﴿مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ [آية: ٤٦] ألهموا ذلك، يعنى مع المتخلفين.

﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم﴾، يعنى معكم إلى العدو، ﴿مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾[٢]، يعنى عيًا، ﴿وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ﴾[٣]، يتخلل الراكب الرجلين حتى يدخل بينهما، فيقول ما لا ينبغى، ﴿يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ﴾، يعنى الكفر، ﴿وَفِيكُمْ﴾ معشر المؤمنين، ﴿سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ من غير المنافقين، اتخذهم المنافقون عيونًا لهم يحدثونهم، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ٤٧]، منهم: عبد الله بن أبى، وعبد الله بن نبيل، وجد بن قيس، ورفاعة بن التابوت، وأوليس بن قيظى.

ثم أخبر عن المنافقين، فقال: ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ﴾، يعنى الكفر فى غزوة تبوك، ﴿وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ﴾ ظهرًا لبطن كيف يصنعون، ﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾، يعنى الإسلام، ﴿وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾، يعنى دين الإسلام، ﴿وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ [آية: ٤٨] للإسلام.

﴿وَمِنْهُم﴾، يعنى من المنافقين، ﴿مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ﴾، وذلك أن النبى ﷺ أمر الناس بالجهاد إلى غزاة تبوك، وذكر بنات الأصفر لقوم، وقال: «لعلكم تصيبون منهن»، قال ذلك ليرغبهم فى الغزو، وكان الأصفر رجلاً من الحبش، فقضى الله له أن ملك الروم، فاتخذ من نسائهم لنفسه، وولدن له نساء كن مثلاً فى الحسن، فقال جد بن قيس الأنمارى، من بنى سلمة بن جشم: يا رسول الله، قد علمت الأنصار حرصى على النساء وإعجابى بهن، وإنى أخاف أن أفتتن بهن، فأذن لى ولا تفتنى ببنات الأصفر، وإنما اعتل بذلك كراهية الغزو، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمِنْهُم﴾، يعنى من المنافقين، ﴿مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ﴾[٤]، يقول الله: ﴿أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ

---

(١) انظر: (البحر المحيط ٤٨/٥، الكشاف ١٩٣/٢، تفسير الآلوسى ١١١/١٠).

(٢) انظر: (معانى القرآن للفراء ٤٤٠/١، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤٤٧/٣، تفسير القرطبى ١٥٧/٨).

(٣) انظر: (مختصر شواذ القراءات ٥٣، الكشاف ١٩٤/٢، تفسير الآلوسى ١٩٢/١٠).

(٤) انظر: (معانى القرآن للفراء ٤٤٤/١، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٨٩، تفسير الطبرى=

﴿سَقَطُواْ﴾، يقول: ألا فى الكفر وقعوا، ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آية: ٤٩].

ثم أخبر عنهم وعن المتخلفين بغير عذر، فقال: ﴿إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡۖ﴾ (١)، يعنى الغنيمة فى غزاتك يوم بدر تسوءهم، ﴿وَإِن تُصِبۡكَ مُصِيبَةٞ﴾ بلاء من العدو يوم أُحُد، وهزيمة وشدة، ﴿يَقُولُواْ قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا﴾ فى القعود ﴿مِن قَبۡلُ﴾ أن تصبك مصيبة، ﴿وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمۡ فَرِحُونَ﴾ [آية: ٥٠] لما أصابك من شدة.

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٥١ قُلۡ هَلۡ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ وَنَحۡنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمۡ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٖ مِّنۡ عِندِهِۦٓ أَوۡ بِأَيۡدِينَاۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ٥٢ قُلۡ أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمۡ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ٥٣ وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ٥٤ فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ٥٥ وَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمۡ لَمِنكُمۡ وَمَا هُم مِّنكُمۡ وَلَٰكِنَّهُمۡ قَوۡمٞ يَفۡرَقُونَ ٥٦ لَوۡ يَجِدُونَ مَلۡجَـًٔا أَوۡ مَغَٰرَٰتٍ أَوۡ مُدَّخَلٗا لَّوَلَّوۡاْ إِلَيۡهِ وَهُمۡ يَجۡمَحُونَ ٥٧ وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ ٥٨ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ٥٩﴾

يقول الله لنبيه ﷺ: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ (٢) من شدة أو رخاء، ﴿هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ﴾، يعنى ولينا، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [آية: ٥١]،

= ١٠/١٢٦، تفسير الماوردى ٢/١٤٨، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٤٦٠، تفسير القرطبى ٨/١٩٢).

(١) انظر: (معانى القرآن للزجاج ٢/٥٠٠، تفسير الطبرى ١٠/١٠٥، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٤٤٩، تفسير القرطبى ٨/١٥٩).

(٢) انظر: (الكشاف ٢/١٩٥، البحر المحيط ٥/١، إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٣، الجامع لأحكام القرآن ٨/١٦٠).

يعنى وبالله فليثق الواثقون.

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾، إما الفتح والغنيمة فى الدنيا، وإما شهادة فيها الجنة فى الآخرة والرزق، ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ﴾ العذاب والقتل، ﴿أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ﴾ عذاب ﴿بِأَيْدِينَا﴾ فنقتلكم، ﴿فَتَرَبَّصُوٓا۟﴾ بنا الشر، ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ [آية: ٥٢] بكم العذاب.

﴿قُلْ﴾ يا محمد للمنافقين: ﴿أَنفِقُوا۟ طَوْعًا﴾ من قبل أنفسكم، ﴿أَوْ كَرْهًا﴾ مخافة القتل، ﴿لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾ النفقة، ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ [آية: ٥٣]، يعنى عصاة.

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ بالتوحيد ﴿وَ﴾ كفروا ﴿وَبِرَسُولِهِۦ﴾ بمحمد ﷺ أنه ليس برسول، ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾، يعنى متثاقلين ولا يرونها واجبة عليهم، ﴿وَلَا يُنفِقُونَ﴾، يعنى المنافقين الأموال، ﴿إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ [آية: ٥٤] غير محتسبين.

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ﴾ يا محمد ﴿أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ﴾، يعنى المنافقين، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بما يلقون فى جمعها من المشقة، وفيها من المصائب، ﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ﴾، يعنى ويريد أن تذهب أنفسهم على الكفر فيميتهم كفارًا، فذلك قوله: ﴿وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [آية: ٥٥] بتوحيد الله ومصيرهم إلى النار.

﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ﴾ يعنيهم، ﴿إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾ معشر المؤمنين على دينكم، يقول الله: ﴿وَمَا هُم مِّنكُمْ﴾ على دينكم، ﴿وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ [آية: ٥٦] القتل، فيظهرون الإيمان.

ثم أخبر عنهم، فقال: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا﴾ (١)، يعنى حرزًا يلجأون إليه، ﴿أَوْ مَغَٰرَٰتٍ﴾ (٢)، يعنى الغيران فى الجبال، ﴿أَوْ مُدَّخَلًا﴾، يعنى سربًا فى الأرض، ﴿لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ﴾ وتركوك يا محمد، ﴿وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ (٣) [آية: ٥٧]، يعنى يستبقون إلى الحرز.

---

(١) انظر: (تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٨٨، معانى القرآن للزجاج ٥٠٢/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤٥٣، تفسير القرطبى ١٦٦/٨٥).

(٢) انظر: (معانى القرآن للأخفش ٣٣٢/٢، الكشاف ١٩٦/٢، البحر المحيط ٥٥/٥).

(٣) انظر: (الكشاف ١٩٦/٢، تحبير التيسير ١١٨، البحر المحيط ٥٥/٥، مجمع البيان ٣٩/٥، تفسير الفخر الرازى ٩٦/١٦).

﴿وَمِنْهُم﴾، يعنى المنافقين، ﴿مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [(١)]، يعنى يطعن عليك، نظيرها: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١]، وذلك أن النبى ﷺ قسم الصدقة، وأعطى بعض المنافقين، ومنع بعضًا، وتعرض له أبو الخواص، فلم يعطه شيئًا، فقال أبو الخواص: ألا ترون إلى صاحبكم، إنما يقسم صدقاتكم فى رعاء الغنم، وهو يزعم أنه يعدل، فقال النبى ﷺ: «لا أبا لك، أما كان موسى راعيًا، أما كان داود راعيًا»، فذهب أبو الخواص، فقال النبى ﷺ: «احذروا هذا وأصحابه، فإنهم منافقون»، فأنزل الله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى الصَّدَقَاتِ﴾، يعنى يطعن عليك بأنك لم تعدل فى القسمة، ﴿فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [آية: ٥٨].

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ﴾ [(٢)]، يعنى ما أعطاهم، ﴿ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ﴾، يعنى سيغنينا الله، ﴿مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ﴾، فيها تقديم، ﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ [آية: ٥٩].

﴿۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾

ثم أخبر عن أبى الخواص، أن غير أبى الخواص أحق منه بالصدقة، وبين أهلها، فقال:

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١٠/١٠٨، تفسير الماوردى ٢/١٤٥، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٤٥٤، تفسير القرطبى ٨/١٦٦).

(٢) انظر: (زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٤٥٥، تفسير القرطبى ٨/١٦٧).

﴿۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ﴾ [1] الذين لا يسألون الناس، ﴿وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ الذين يسألون الناس، ﴿وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا﴾ يعطون مما جبوا من الصدقات على قدر ما جبوا من الصدقات، وعلى قدر ما شغلوا به أنفسهم عن حاجتهم، ﴿وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ﴾ يتألفهم بالصدقة، يعطيهم منها، منهم: أبو سفيان، وعيينة بن حصن، وسهل بن عمرو، وقد انقطع حتى المؤلفة اليوم، إلا أن ينزل قوم منزلة أولئك، فإن أسلموا أعطوا من الصدقات، تتألفهم بذلك ليكونوا دعاة إلى الدين، ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾، يعنى وفى فك الرقاب، يعنى أعطوا المكاتبين، ﴿وَٱلۡغَٰرِمِينَ﴾، وهو الرجل يصيبه غرم فى ماله من غير فساد ولا معصية، ﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، يعنى فى الجهاد، يعطى على قدر ما يبلغه فى غزاته، ﴿وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ﴾، يعنى المسافر المجتاز وبه حاجة، يقول: ﴿فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾ هم هذه القسمة؛ لأنهم أهلها، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأهلها، ﴿حَكِيمٞ﴾ [آية: ٦٠] حكم قسمتها.

وقال النبى ﷺ: «لا تحل الصدقة لمحمد، ولا لأهله، ولا تحل الصدقة لغنى، ولا لذى مرة سوى»، يعنى القوى الصحيح، وكان المؤلفة قلوبهم ثلاثة عشر رجلاً، منهم: أبو سفيان بن حرب بن أمية، والأقرع بن حابس المجاشعى، وعيينة بن حصن الفزارى، وحويطب بن عبد العزى القرشى، من بنى عامر بن لؤى، والحارث بن هشام المخزومى، وحكيم بن حزام، من بنى أسد بن عبد العزى، ومالك بن عوف النضرى، وصفوان بن أمية القرشى، وعبد الرحمن بن يربوع، وقيس بن عدى السهمى، وعمرو بن مرداس، والعلاء بن الحارث الثقفى، أعطى كل رجل منهم مائة من الإبل ليرغبهم فى الإسلام ويناصحون الله ورسوله، غير أنه أعطى عبد الرحمن بن يربوع خمسين من الإبل، وأعطى حويطب بن عبد العزى القرشى خمسين من الإبل، وكان أعطى حكيم بن حزام سبعين من الإبل، فقال: يا نبى الله، ما كنت أرى أن أحدًا من المسلمين أحق بعطائك منى، فزاده النبى ﷺ، فكره، ثم زاده عشرة، فكره، فأتمها له مائة من الإبل، فقال حكيم: يا رسول الله، عطيتك الأولى التى رغبت عنها، أهى خير أم التى قنعت بها؟ فقال النبى ﷺ: «الإبل التى رغبت عنها»، فقال: والله لا آخذ غيرها، فأخذ السبعين، فمات وهو أكثر قريش مالاً، فشق على النبى ﷺ تلك العطايا، فقال النبى ﷺ: «إنى لأعطى رجلاً

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١٠/١٠٩، تفسير الماوردى ٢/١٤٦، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٤٥٥، تفسير القرطبى ٨/١٦٧، تفسير ابن كثير ٢/٣٦٤).

وأترك آخر، وإن الذى أترك أحب إلىَّ من الذى أعطى، ولكن أتألف بالعطية، وأوكل المؤمن إلى إيمانه».

﴿وَمِنْهُمُ﴾، يعنى من المنافقين، ﴿الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ ﷺ، منهم: الجلاس بن سويد، وشماس بن قيس، والمخش بن حمير، وسماك بن يزيد، وعبيد بن الحارث، ورفاعة بن زيد، ورفاعة بن عبد المنذر، قالوا ما لا ينبغى، فقال رجل منهم: لا تفعلوا، فإنا نخاف أن يبلغ محمدًا فيقع بنا، فقال الجلاس: نقول ما شئنا، فإنما محمد أذن سامعة، فنأتيه بما نقول، فنزلت فى الجلاس: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾(١)، يعنى النبى ﷺ، ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، يعنى يصدق بالله، ويصدق المؤمنين، ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ﴾، يقول: محمد رحمة للمؤمنين، كقوله: ﴿رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، يعنى للمصدقين بتوحيد الله، ﴿رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آية: ٦١]، يعنى وجيع.

﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ﴾ بعد اليوم، منهم: عبد الله بن أبى، حلف ألا نتخلف عنك، ولنكونن معك على عدوك، ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾، فيها تقديم، ﴿إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ٦٢]، يعنى مصدقين بتوحيد الله عز وجل.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا﴾، يعنى المنافقين، ﴿أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، يعنى يعادى الله ورسوله، ﴿فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا﴾ لا يموت، ﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب ﴿الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾ [آية: ٦٣].

قوله: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ﴾(٢)، نزلت فى الجلاس بن سويد، وسماك بن عمرو، ووداعة بن ثابت، والمخش بن حمير الأشجعى، وذلك أن المخش قال لهم: والله لا أدرى إنى أشر خليقة الله، والله لوددت أنى جلدت مائة جلدة، وأنه لا ينزل فينا ما يفضحنا، فنزل: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ﴾ ﴿أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ﴾، يعنى براءة، ﴿تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من النفاق، وكانت تسمى الفاضحة، ﴿قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ﴾ مبين

---

(١) انظر: (معانى القرآن للفراء ١/٤٤٤، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٨٩، تفسير الطبرى ١٠/١٢٦، تفسير الماوردى ٢/١٤٨، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٤١٠، تفسير القرطبى ٨/١٩٢).

(٢) انظر: (تفسير الماوردى ٢/١٤٩، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٤٦٣، تفسير القرطبى ٨/١٩٥).

﴿مَا تَحۡذَرُونَ﴾ [آية: ٦٤].

﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ﴾[1]، وذلك حين انصرف النبى ﷺ من غزاة تبوك إلى المدينة، وبين يديه هؤلاء النفر الأربعة يسيرون، ويقولون: إن محمدًا يقول إنه نزل فى إخواننا الذين تخلفوا فى المدينة كذا وكذا، وهم يضحكون ويستهزءون، فأتاه جبريل، فأخبره بقولهم، فبعث النبى ﷺ عمار بن ياسر، وأخبر النبى ﷺ عمارًا أنهم يستهزءون ويضحكون من كتاب الله ورسوله ﷺ، وإنك إذا سألتهم ليقولن لك: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ﴾ فيما يخوض فيه الركب إذا ساروا، قال: فأدركهم قبل أن يحترقوا فأدركهم، فقال: ما تقولون؟ قالوا: فيما يخوض فيه الركب إذا ساروا، قال عمار: صدق الله ورسوله، وبلغ الرسول، عليه السلام، عليكم غضب الله، هلكتم أهلككم الله.

ثم انصرف إلى النبى ﷺ، فجاء القوم إلى النبى ﷺ يعتذرون إليه، فقال المخش: كنت أسايرهم والذى أنزل عليك الكتاب ما تكلمت بشىء مما قالوا، فقال النبى ﷺ، ولم ينههم عن شىء مما قالوا، وقبل العذر، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ﴾، يعنى ونتلهى، ﴿قُلۡ﴾ يا محمد: ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [آية: ٦٥]، استهزءوا بالله لأنهما من الله عز وجل.

﴿لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ﴾[2]، يعنى المخش الذى لم يخض معهم، ﴿نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ﴾، يعنى الثلاثة الذين خاضوا واستهزءوا،

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١١/١١٨، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٤٦٤، تفسير القرطبى ٨/١٩٦، تفسير ابن كثير ٢/٣٦٧، لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى ١١٩).

(٢) قراءة مجاهد كما روى عنه: «إن تُعْفَ عن طائفةٍ منكم»، بالتاءِ المضمومة «تُعَذَّبْ طائفة». انظر: (مختصر شواذ القراءات ٥٣، الكشاف ٢/٢٠٠، البحر المحيط ٥/٦٧، تفسير الفخر الرازى ١٦/١٢٤).

وقرأ «تُعَذَّبْ طائفة»، مع قراءة: «يُعْفَ، وتُعْفَ» حمزة، والكسائى، وابن عامر، وأبى عمرو، وابن كثير، ونافع، وأبى جعفر، وخلف، ويعقوب، ومجاهد. انظر: (معانى القرآن للفراء ١/٤٤٥، السبعة ٣١٦، غيث النفع ٢٣٨، تحبير التيسير ٢٢٨، البحر المحيط ٥/٦٧، التبيان ٥/٢٥٢، الحجة المنسوب لابن خالويه ١٧٦، الحجة لأبى زرعة ٣٢٠، التيسير ١١٨، ١١٩، مجمع البيان ٥/٤٥، إتحاف فضلاء البشر ٢٤٣، تفسير الفخر الرازى ١٦/١٢٤، النشر ٢/٢٨٠، تفسير الآلوسى ١٠/١٣٢).

﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [آية: ٦٦]، فقال المخش للنبى ﷺ: وكيف لا أكون منافقًا واسمى وأسمائى أخبث الأسماء، فقال له النبى ﷺ: «ما اسمك؟»، قال: المخش بن حمير الأشجعى حليف الأنصار لبنى سلمة بن جشم، فقال النبى ﷺ: «أنت عبد الله بن عبد الرحمن»، فقتل يوم اليمامة.

﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾

ثم أخبر عن المنافقين، فقال: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾، يعنى أولياء بعض فى النفاق، ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ﴾، يعنى بالتكذيب بمحمد ﷺ، ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾، يعنى الإيمان بمحمد ﷺ وبما جاء به، ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾، يعنى يمسكون عن النفقة فى خير، ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾، يقول: تركوا العمل بأمر الله، فتركهم الله عز وجل من ذكره، ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [آية: ٦٧].

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ﴾، يعنى مشركى العرب، ﴿نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ لا يموتون، ﴿هِىَ حَسْبُهُمْ﴾، يقول: حسبهم بجهنم شدة العذاب، ﴿وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [آية: ٦٨]، يعنى دائم.

هؤلاء المنافقون والكفار، ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾، يعنى من الأمم الخالية، ﴿كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً﴾، يعنى بطشًا، ﴿وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ﴾، يعنى بنصيبهم من الدنيا، ﴿فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ﴾ (١)، يعنى بنصيبكم من الدنيا، كقوله: ﴿لَا خَلَاقَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ٧٧]، يعنى لا نصيب لهم، ثم قال: ﴿كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم﴾ من الأمم الخالية، ﴿بِخَلَٰقِهِمْ﴾، يعنى

---

(١) انظر: (معانى القرآن للفراء ١/٤٤٦، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٩٠، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٤٦٧).

بنصيبهم، ﴿وَخُضْتُمْ﴾ أنتم فى الباطل والتكذيب، ﴿كَالَّذِى خَاضُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾، يعنى بطلت أعمالهم، فلا ثواب لهم ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَ﴾ ولا فى ﴿وَٱلْأَخِرَةِ﴾؛ لأنها كانت فى غير إيمان، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [آية: ٦٩].

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾

ثم خوفهم، فقال: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ﴾، يعنى حديث ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، يعنى عذاب ﴿قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ﴾[1]، يعنى قوم شعيب، ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ﴾[2]، يعنى المكذبات، يعنى قوم لوط القرى الأربعة، ﴿أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ تخبرهم أن العذاب نازل بهم فى الدنيا، فكذبوهم فأهلكوا، ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾، يعنى أن يعذبهم على غير ذنب، ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آية: ٧٠].

ثم ذكر المؤمنين وتقاهم، فقال: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾، يعنى المصدقين بتوحيد الله، ﴿وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾، يعنى المصدقات بالتوحيد، يعنى أصحاب رسول الله ﷺ، منهم على بن أبى طالب، رضى الله عنه، ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ فى الدين، ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾، يعنى الإيمان بمحمد ﷺ، ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، يعنى ويتمون الصلوات الخمس، ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، يعنى ويعطون الزكاة، ﴿وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ فى ملكه، ﴿حَكِيمٌ﴾ [آية: ٧١] فى أمره.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ

---

(١) انظر: (زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٤٦٨، تفسير القرطبى ٨/٢٠٢، تفسير ابن كثير ٢/٣٦٨).

(٢) انظر: (زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٤٦٨، معانى القرآن للفراء ١/٤٦٨، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٩٠).

﴿٧٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ
ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ
إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن
يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى
ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾

قولـــه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ﴾، يعنى قصور الياقوت والدر، فتهب ريح طيبة من تحت العرش بكثبان المسك الأبيض، نظيرها فى ﴿هَلْ أَتَى﴾: ﴿نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ٢٠]، عاليهم كثبان المسك الأبيض، ثم قال: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾، يعنى ورضوان الله عنهم، ﴿أَكْبَرُ ۚ﴾، يعنى أعظم مما أعطوا فى الجنة من الخير، ﴿ذَٰلِكَ﴾ الثواب ﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [آية: ٧٢]، وفى ذلك أن الملك من الملائكة يأتى باب ولى الله، فلا يدخل عليه إلا بإذنه، والقصة فى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ﴾.

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ (١)، يعنى كفار العرب بالسيف، ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ على المنافقين باللسان، ثم ذكر مستقرهم فى الآخرة، فقال: ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ﴾، يعنى مصيرهم جهنم، يعنى كلا الفريقين، ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آية: ٧٣]، يعنى حين يصيرون إليها.

﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟﴾، وذلك أن النبى ﷺ أقام فى غزاة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن، ويعيب المنافقين المتخلفين، جعلهم رجسًا، فسمع من غزا مع النبى ﷺ من المنافقين، فغضبوا لإخوانهم المتخلفين، فقال جلاس بن سويد بن الصامت، وقد سمع عامر بن قيس الأنصارى، من بنى عمرو بن عوف، الجلاس يقول: والله لئن كان ما يقول محمد حقًا لإخواننا الذين خلفناهم وهم سراتنا وأشرافنا، لنحن أشر من الحمير، فقال عامر بن قيس للجلاس: أجل والله، إن محمدًا لصادق مصدق، ولأنت أشر من الحمار.

فلما قدم النبى ﷺ المدينة، أخبر عاصم بن عدى الأنصارى عن قول عامر بما قال الجلاس، فأرسل النبى ﷺ إلى عامر والجلاس، فذكر النبى ﷺ للجلاس ما قال، فحلف

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١٠/١٢٦، تفسير الماوردى ٢/١٥٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٤٦٩، تفسير القرطبى ٨/٢٠٤، تفسير ابن كثير ٢/٣٧١، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٣/٢٥٨).

الجلاس بالله ما قال ذلك، فقال عامر: لقد قاله وأعظم منه، فقال النبى ﷺ: «ما هو؟»، قال: أرادوا قتلك، فنفر الجلاس من ذلك، فقال النبى ﷺ: «قوما فاحلفا»، فقاما عند المنبر، فحلف الجلاس ما قال ذلك، وأن عامرًا كذب، ثم حلف عامر بالله إنه لصادق، ولقد سمع قوله، ثم رفع عامر بيده، فقال: اللهم أنزل على عبدك ونبيك تكذيب الكاذب وصدق الصادق، فقال النبى ﷺ: «آمين»، فأنزل فى الجلاس: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾.

﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾[1]، يعنى بعد إقرارهم بالإيمان، ﴿وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾ من قتل النبى ﷺ بالعقبة، ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ﴾، فقال الجلاس: فقد عرض الله علىَّ التوبة، أجل والله لقد قلته، فصدق عامرًا، وتاب الجلاس وحسنت توبته، ثم قال: ﴿وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾ من قتل النبى ﷺ، يعنى المنافقين أصحاب العقبة ليلة هموا بقتل النبى ﷺ بالعقبة بغزوة تبوك، منهم عبد الله بن أبى، رأس المنافقين، وعبد الله بن سعد بن أبى سرح، وطعمة بن أبيرق، والجلاس بن سويد، ومجمع بن حارثة، وأبو عامر بن النعمان، وأبو الخواص، ومرارة بن ربيعة، وعامر بن الطفيل، وعبد الله بن عتيبة، ومليح التميمى، وحصن بن نمير، ورجل آخر، هؤلاء اثنا عشر رجلاً، وتاب أبو لبابة عن عبد المنذر، وهلال بن أمية، وكعب بن مالك الشاعر، وكانوا خمسة عشر رجلاً. ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ﴾ ﴿وَإِنْ يَتَوَلَّوْا﴾ عن التوبة، ﴿يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، يعنى شديدًا، ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يمنعهم ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ [آية: ٧٤]، يعنى مانع من العذاب.

﴿۞ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ
الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾
فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا
يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ
الْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ
وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾
اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١٠/١٢٧، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٤٧١، تفسير القرطبى ٨/٢٠٦، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٣/٢٥٨).

بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾ فَرِحَ
الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا
قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ
فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ
بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ
عَلَىٰ قَبْرِهِۦ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ
وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ
كَافِرُونَ ﴿٨٥﴾

﴿وَمِنْهُمْ﴾، يعنى من المنافقين، ﴿مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ [1] ولنصلن رحمى، ﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آية: ٧٥]، يعنى من المؤمنين بتوحيد الله؛ لأن المنافقين لا يخلصون بتوحيد الله عز وجل، فأتاه الله برزقه، وذلك أن مولى لعمر بن الخطاب قتل رجلاً من المنافقين خطأ، وكان حميمًا لحاطب، فدفع النبى ﷺ دينه إلى ثعلبة بن حاطب، فبخل ومنع حق الله، وكان المقتول قرابة بن ثعلبة بن حاطب.

يقول الله: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِۦ﴾، يعنى أعطاهم من فضله، ﴿بَخِلُوا بِهِۦ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [آية: ٧٦].

﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ﴾، يعنى إلى يوم القيامة، ﴿بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [آية: ٧٧]، لقوله: لئن آتانا الله، يعنى أعطانى الله، لأصدقن ولأفعلن، ثم لم يفعل.

ثم ذكر أصحاب العقبة، فقال: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾، يعنى الذى أجمعوا عليه من قتل النبى ﷺ، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [آية: ٧٨].

ثم نعت المنافقين، فقال: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١٠/١٣٠، تفسير الماوردى ٢/١٥٣، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٤٧٢، تفسير القرطبى ٨/٢٠٩، تفسير ابن كثير ٢/٣٧٣، لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى ١٢١، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٣/٢٦٠).

ﵟٱلصَّدَقَٰتِﵞ، وذلك أن النبى ﷺ أمر الناس بالصدقة وهو يريد غزاة تبوك، وهى غزاة العسرة، فجاء عبد الرحمن بن عوف الزهرى بأربعة آلاف درهم، كل درهم مثقال، فقال النبى ﷺ: «أكثرت يا عبد الرحمن بن عوف، هل تركت لأهلك شيئًا؟»، قال: يا رسول الله، ما لى ثمانية آلاف، أما أربعة آلاف فأقرضتها ربى، وأما أربعة آلاف الأخرى، فأمسكتها لنفسى، فقال له النبى ﷺ: «بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت»، فبارك الله فى مال عبد الرحمن، حتى أنه يوم مات بلغ ثمن ماله لامرأتيه ثمانين ومائة ألف، لكل امرأة تسعون ألفًا.

وجاء عاصم بن عدى الأنصارى، من بنى عمرو بن عوف بسبعين وسقًا من تمر، وهو حمل بعير، فنثره فى الصدقة، واعتذر إلى النبى ﷺ من قلته، وجاء أبو عقيل بن قيس الأنصارى، من بنى عمرو، بصاع فنثره فى الصدقة، فقال: يا نبى الله، بت ليلتى أعمل فى النخل أجر بالجرين على صاعين، فصاع أقرته ربى، وصاع تركته لأهلى، فأحببت أن يكون لى نصيب فى الصدقة، ونفر من المنافقين جلوس، فمن جاء بشىء كثير، قالوا: مراء، ومن جاء بقليل، قالوا: كان هذا أفقر إلى ماله، وقالوا لعبد الرحمن وعاصم: ما أنفقتم إلا رياء وسمعة، وقالوا لأبى عقيل: لقد كان الله ورسوله غنيين عن صاع أبى عقيل.

فسخروا وضحكوا منهم، فأنزل الله عز وجل: ﵟٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَﵞ، يعنى يطعنون، يعنى معتب بن قيس، وحكيم بن زيد، ﵟٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِﵞ(١)، يعنى عبد الرحمن بن عوف، وعاصم، ﵟوَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡﵞ، يعنى أبا عقيل، ﵟفَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡﵞ، يعنى من المؤمنين، ﵟسَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡﵞ، يعنى سخر الله من المنافقين فى الآخرة، ﵟوَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌﵞ [آية: ٧٩]، يعنى وجيع، نظيرها: ﵟ**إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ**ﵞ [هود: ٣٨]، يعنى سخر الله من المنافقين.

ﵟٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡﵞ، يعنى المنافقين، ﵟأَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَﵞ [آية:

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١٠/١٣٤، تفسير الماوردى ٢/١٥٤، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٤٧٦، تفسير القرطبى ٨/٢١٥، تفسير ابن كثير ٢/٣٧٥، لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى ١٢١، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٣/٢٦٣).

٨٠]، فقال عمر بن الخطاب: لا تستغفر لهم بعد ما نهاك الله عنه، فقال النبى ﷺ: «يا عمر، أفلا أستغفر لهم إحدى وسبعين مرة».

فأنزل الله عز وجل: ﴿**سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾ [المنافقون: ٦] من شدة غضبه عليهم، فصارت الآية التى فى براءة منسوخة، نسختها التى فى المنافقين: ﴿**أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ**﴾.

﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ﴾ [1] عن غزاة تبوك، ﴿خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ وهم بضع وثمانون رجلاً، منهم من اعتل بالعسرة، وبغير ذلك، ﴿وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ﴾ بعضهم لبعض: ﴿لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ﴾ مع محمد ﷺ إلى غزاة تبوك فى سبعة نفر، أبو لبابة وأصحابه، قالوا بأن الحر شديد والسفر بعيد، ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ﴾ [آية: ٨١]، فى قراءة ابن مسعود: لو كانوا يعلمون.

﴿فَلْيَضْحَكُواْ﴾ فى الدنيا ﴿قَلِيلًا﴾ [2]، يعنى بالقليل الاستهزاء، فإن ضحكهم ينقطع، ﴿وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا﴾ فى الآخرة فى النار ندامة، والكثير الذى لا ينقطع، ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [آية: ٨٢].

﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ﴾ من غزاة تبوك إلى المدينة، ﴿إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا﴾ فى غزاة، ﴿وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، يعنى من تخلف من المنافقين، وهى طائفة، وليس كل من تخلف عن غزاة تبوك منافق، ﴿فَٱقْعُدُواْ﴾ عن الغزو ﴿مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ﴾ [3] [آية: ٨٣]، منهم: عبد الله بن أبى، وجد بن قيس، ومعتب بن قشير.

وذلك أن عبد الله بن أبى رأس المنافقين توفى، فجاء ابنه إلى النبى ﷺ، فقال: أنشدك

---

(١) انظر: (زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤٧٨/٣، تفسير القرطبى ٢١٦/٨، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٢٦٥/٣).

(٢) انظر: (تفسير الماوردى ١٥٥/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤٧٩/٢، تفسير القرطبى ٢١٦/٨).

(٣) انظر: (البحر المحيط ٨١/٥ الكشاف ٢٠٦/٢، مختصر شواذ القراءات ٥٤، تفسير الآلوسى ١٥٣/١٠).

بالله أن تشمت بى الأعداء، فطلب إلى النبى ﷺ أن يصلى على أبيه، فأراد النبى ﷺ أن يفعل، فنزلت فيه: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم﴾، يعنى من المنافقين، ﴿مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ﴾، يعنى بتوحيد الله، ﴿وَ﴾ كفروا بـ ﴿وَرَسُولِهِۦ﴾ بأنه ليس برسول، ﴿وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [آية: ٨٤]، فانصرف النبى ﷺ فلم يصل عليه، وأمر أصحابه فصلوا عليه.

﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ﴾، يقول: وتذهب ﴿أَنفُسُهُمْ﴾ كفارًا، يعنى يموتون على الكفر، فذلك قوله: ﴿وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [آية: ٨٥].

﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾

﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾، يعنى براءة فيها ﴿أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ﴾، يعنى أن صدقوا بالله وبتوحيده، ﴿وَجَٰهِدُوا۟﴾ العدو ﴿مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ﴾ يا محمد ﴿أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾، يعنى أهل السعة من المال منهم، يعنى من المنافقين، ﴿وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ [آية: ٨٦]، يعنى مع المتخلفين عن الغزو، منهم: جد بن قيس، ومعتب بن قشير.

يقول الله: ﴿رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾، يعنى مع النساء، ﴿وَطُبِعَ﴾، يعنى وختم ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ بالكفر، ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [آية: ٨٧] التوحيد.

ثم نعت المؤمنين، فقال: ﴿لَـٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَـٰهَدُواْ﴾ العدو ﴿بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ فى سبيل الله، يعنى فى طاعة الله، ﴿وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (١) [آية: ٨٨].

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ فى الآخرة ﴿جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا﴾ لا يموتون، ﴿ذَٰلِكَ﴾ الثواب الذى ذكر هو ﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [آية: ٨٩].

﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ (٢) إلى النبى ﷺ ﴿لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ القعود، وهم خمسون رجلاً، منهم أبو الخواص الأعرابى، ﴿وَقَعَدَ﴾ عن الغزو ﴿ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ﴾، يعنى بتوحيد الله، ﴿وَ﴾ كذبوا بـ ﴿وَرَسُولَهُۥ﴾ أنه ليس برسول، ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ﴾، يعنى المنافقين، ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آية: ٩٠]، يعنى وجيع.

ثم رخص، فقال: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ﴾، يعنى الزمنى والشيخ الكبير، ﴿وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ﴾ فى القعود، ﴿إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لتخلفهم عن الغزو، ﴿رَّحِيمٌ﴾ [آية: ٩١] بهم، يعنى جهينة، ومزينة، وبنى عذرة.

﴿وَلَا﴾ حرج ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ﴾ لهم يا محمد: ﴿لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ﴾، يعنى انصرفوا عنك، ﴿وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾ [آية: ٩٢] فى غزاتهم، نزلت فى سبع نفر، منهم: عمرو بن عبسة من بنى عمرو بن يزيد بن عوف، وعلقمة بن يزيد، والحارث من بنى واقد، وعمرو بن حزام من بنى سلمة، وسالم بن عمير من عمرو بن عوف، وعبد الرحمن بن كعب من بنى النجار، هؤلاء الستة من الأنصار، وعبد الله بن معقل المزنى، ويكنى أبا ليلى عبد الله.

﴿۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى ٱللَّهُ

(١) انظر: (زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٢/٤٨٢، تفسير القرطبى ٨/٢٢٤).

(٢) انظر: (معانى القرآن للفراء ١/٤٤٧، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٩١، تفسير الطبرى ١٠/١٤٤، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٤٨٣، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٢/٢٦٦).

عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾

وذلك أنهم أتوا النبى ﷺ، فقالوا: احملنا، فإنا لا نجد ما نخرج عليه، فقال النبى ﷺ: ﴿ **لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا** ﴾، انصرفوا من عنده وأعينهم تفيض من الدمع حزنًا ألا يجدوا ما ينفقون، ثم عاب أهل السعة، فقال: ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ ﴾، يعنى مع النساء بالمدينة، وهم المنافقون، ﴿ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾، يعنى وختم على قلوبهم بالكفر، يعنى المنافقين، ﴿ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [آية: ٩٣].

ثم أخبر عنهم، فقال: ﴿ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ ﴾ من غزاتكم، يعنى عبد الله بن أبى، ﴿ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ ﴾، يعنى لن نصدقكم بما تعتذرون، ﴿ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ ﴾، يقول: قد أخبرنا الله عنكم وعن ما قلتم حين قال لنا: ﴿ **لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً** ﴾، يعنى إلا عيًا، ﴿ **وَلأَوْضَعُوا خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ** ﴾ [التوبة: ٤٧]، فهذا الذى نبأنا الله من أخباركم، ثم قال: ﴿ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ﴾ فيما تستأذنون، ﴿ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾، يعنى شهادة كل نجوى، ﴿ فَيُنَبِّئُكُم ﴾ فى الآخرة، ﴿ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [آية: ٩٤] فى الدنيا.

﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ ﴾، يعنى إذا رجعتم ﴿ إِلَيْهِمْ ﴾ إلى المدينة، ﴿ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ ﴾ فى التخلف، ﴿ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [آية: ٩٥]، فحلف منهم بضع وثمانون رجلاً، منهم: جد بن قيس، ومعتب بن قشير، وأبو لبابة، وأصحابه.

﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ ﴾، وذلك أن عبد الله بن أبى حلف للنبى ﷺ بالله الذى لا إله إلا هو، لا نتخلف عنك، ولنكونن معك على عدوك، وطلب إلى النبى ﷺ بأن يرضى عنه وأصحابه، يقول الله: ﴿ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ﴾، يعنى عن المنافقين المتخلفين، ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [آية: ٩٦]، يعنى العاصين.

﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ
وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ
عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ
وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ
لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ
مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ
لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾
وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ
نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟
بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿١٠٢﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ
وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ
ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾

وقال النبى ﷺ حين قدموا المدينة: «لا تجالسوهم، ولا تكلموهم»، ثم قال: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾(1)، يعنى سنن ما أنزل الله على رسوله فى كتابه، يقول: هم أقل فهمًا بالسنن من غيرهم، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [آية: ٩٧].

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾ فى سبيل الله ﴿مَغْرَمًا﴾ لا يحتسبها، كان نفقته غرم يغرمها، ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾، يعنى يتربص بمحمد الموت، يقول: يموت فنستريح منه ولا نعطيه أموالنا، ثم قال: ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بمقالتهم ﴿دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾، نزلت فى أعراب مزينة، ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لمقالتهم، ﴿عَلِيمٌ﴾ [آية: ٩٨] بها.

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾، يعنى يصدق بالله أنه واحد لا شريك له، ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾، يعنى يصدق بالتوحيد وبالبعث الذى فيه جزاء الأعمال، ﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾ فى سبيل الله ﴿قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ﴾،

---

(1) انظر: (معانى القرآن للفراء ٤٤٩/١، معانى القرآن للزجاج ٥١٥/٢، تفسير الطبرى ٤/١١، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤٨٨/٣، تفسير القرطبى ٢٣١/٨، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٢٦٨/٣).

يعنى واستغفار النبى ﷺ، ويتخذ النفقة والاستغفار قربات، يعنى زلفى عند الله، فيها تقديم، يقول: ﴿أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْۚ﴾ عند الله، ثم أخبر بثوابهم، فقال: ﴿سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ﴾، يعنى جنته، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لذنوبهم، ﴿رَّحِيمٌ﴾ [آية: ٩٩] بهم، نزلت فى مقرن المزنى.

ثم قال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾ إلى الإسلام، ﴿ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾[1] الذين صلوا إلى القبلتين، على بن أبى طالب، عليه السلام، وعشر نفر من أهل بدر، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم﴾ على دينهم الإسلام، ﴿بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بالطاعة، ﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ بالثواب، ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ﴾ فى الآخرة ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى﴾ من ﴿تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾، يعنى بساتين تجرى تحتها الأنهار، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ﴾ لا يموتون، ﴿ذَٰلِكَ﴾ الثواب ﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [آية: ١٠٠].

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ﴾[2]، يعنى جهينة، ومزينة، وأسلم، وغفار، وأشجع، كانت منازلهم حول المدينة وهم منافقون، ثم قال: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِۖ﴾ منافقون، ﴿مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾، يعنى حذقوا، منهم: عبد الله بن أبى، وجد بن قيس، والجلاس، ومعتب بن قشير، ووحوج بن الأسلت، وأبو عامر بن النعمان الراهب، الذى سماه النبى ﷺ الفاسق، وهو أبو حنظلة غسيل الملائكة، ﴿لَا تَعْلَمُهُمْۖ﴾ يا محمد، ﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْۚ﴾، يقول للنبى ﷺ: لا تعرف نفاقهم، نحن نعرف نفاقهم، ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ عند الموت تضرب الملائكة الوجوه والأدبار، وفى القبر منكر ونكير، ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [آية: ١٠١]، يعنى عذاب جهنم.

﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾، يعنى غزاة قبل غزاة تبوك مع النبى ﷺ، ﴿وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ تخلفهم عن غزاة تبوك، نزلت فى أبى لبابة، اسمه مروان بن عبد

---

(١) انظر: (مختصر شواذ القراءات ٥٤، إعراب القرآن للنحاس ٢/٣٧، إعراب القرآن للعكبرى ٢/١١، البحر المحيط ٥/٩٢، التبيان ٥/٢٨٧، تفسير الطبرى ١١/٧، الجامع لأحكام القرآن ٨/٢٣٥، الكشاف ٢/٢١٠، إتحاف فضلاء البشر ٢٤٤، تحبير التيسير ١١٨، مجمع البيان ٥/٦٤، معانى القرآن للفراء ٢/٣٣٦، معانى القرآن للأخفش ٢/٣٣٦، تفسير الفخر الرازى ١٦/١٧١، النشر ٢/٢٨٠، تفسير الآلوسى ١١/٨).

(٢) انظر: (معانى القرآن للفراء ١/٤٥٠، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٩٢، معانى القرآن للزجاج ٢/٥١٧، تفسير الطبرى ١١/٨، تفسير الماوردى ٢/١٦١، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٤٩٢، تفسير القرطبى ٨/٢٤١).

المنذر، وأوس بن حزام، ووديعة بن ثعلبة، كلهم من الأنصار، وذلك حين بلغهم أن النبى ﷺ قد أقبل راجعًا من غزاة تبوك، وبلغهم ما أنزل الله عز وجل فى المتخلفين، أوثقوا أنفسهم هؤلاء الثلاثة إلى سوارى المسجد، وكان النبى ﷺ إذا قدم من غزاة صلى فى المسجد ركعتين قبل أن يدخل إلى أهله، وإذا خرج إلى غزاة صلى ركعتين، فلما رآهم موثقين، سأل عنهم، قيل: هذا أبو لبابة وأصحابه، ندموا على التخلف، وأقسموا ألا يحلوا أنفسهم حتى يحلهم النبى ﷺ، فقال النبى ﷺ: «وأنا أحلف لا أطلق عنهم حتى أومر، ولا أعذرهم حتى يعذرهم الله عز وجل»، فأنزل الله فى أبى لبابة وأصحابه: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ (١)، يعنى غزوتهم قبل ذلك، ﴿وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾، يعنى تخلفهم بغير إذن، ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لتخلفهم، ﴿رَّحِيمٌ﴾ [آية: ١٠٢] بهم.

قال مقاتل: العسى من الله واجب، فلما نزلت هذه الآية حلهم النبى، عليه السلام، فرجعوا إلى منازلهم، ثم جاءوا بأموالهم إلى النبى ﷺ، فقالوا: هذه أموالنا التى تخلفنا من أجلها عنك، فتصدق بها، فكره النبى ﷺ أن يأخذها، فأنزل الله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾ (٢) من تخلفهم، ﴿وَتُزَكِّيهِم﴾، يعنى وتصلحهم ﴿بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾، يعنى واستغفر لهم، ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾، يعنى إن استغفارك لهم سكن لقلوبهم وطمأنينة لهم، ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لقولهم: خذ أموالنا فتصدق بها، ﴿عَلِيمٌ﴾ [آية: ١٠٣] بما قالوا.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ﴾، يعنى ويقبل ﴿ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [آية: ١٠٤]، فأخذ النبى ﷺ من أموالهم التى جاءوا بها الثلث، وترك الثلثين؛ لأن الله عز وجل، قال: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾، ولم يقل: خذ أموالهم، فلذلك لم يأخذها كلها، فتصدق بها عنهم.

﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١١/١٠، تفسير الماوردى ١٦٢/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤٩٣/٣، تفسير القرطبى ٢٤٢/٨، لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى ١٢٣، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٢٧٥/٣).

(٢) انظر: (الكشاف ٢١٢/٢، الجامع لأحكام القرآن ٢٤٩/٨، البحر المحيط ٩٥/٥، تفسير الطبرى ١٣/١١، تفسير الماوردى ١٦٣/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤٩٥/٣).

وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾

﴿وَقُلِ﴾ لهم يا محمد: ﴿ٱعْمَلُوا۟﴾ فيما تستأنفون، ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ١٠٥].

﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾، يعنى التوبة عن أمر الله، نظيرها: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ [الأعراف: ١١١]، يعنى أوقفه وأخاه حتى ننظر فى أمرهما، ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ﴾ (١)، يعنى موقوفون للتوبة عن أمر الله مرارة بن ربيعة من بنى زيد، وهلال بن أمية من الأنصار من أهل قباء من بنى واقب، وكعب بن مالك الشاعر من بنى سلمة، كلهم من الأنصار من أهل قباء، لم يفعلوا كفعل أبى لبابة، لم يذكروا بالتوبة ولا بالعقوبة، فذلك قوله: ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾، فيتجاوز عنهم، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [آية: ١٠٦] فى قراءة ابن مسعود: والله غفور رحيم.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ ﴾

ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾ (٢)، يعنى مسجد المنافقين، ﴿وَكُفْرًا﴾ فى قلوبهم، يعنى النفاق، ﴿وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، نزلت فى اثنى عشر رجلاً من المنافقين، وهم من الأنصار كلهم، من بنى عمرو بن عوف، منهم: حرج بن خشف، وحارثة بن عمرو، وابنه زيد بن حارثة، ونفيل بن الحرث، ووديعة بن ثابت، وحزام بن

(١) انظر: (تفسير الماوردى ٢/١٦٤، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٤٩٧، تفسير القرطبى ٨/٢٥٢).

(٢) انظر: (تفسير الطبرى ١١/١٧، معانى القرآن للزجاج ٢/٥١٩، تفسير الماوردى ٢/١٦٤، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٤٩٨، تفسير القرطبى ٨/٢٥٣، تفسير ابن كثير ٢/٣٨٧، لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى ١٢٤).

خالد، ومجمع بن حارثة، قالوا: نبنى مسجدًا نتحدث فيه ونخلوا فيه، فإذا رجع أبو عامر الراهب اليهودى من الشام أبو حنظلة غسيل الملائكة، قلنا له: بنيناه لتكون إمامنا فيه.

فذلك قوله: ﴿وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ﴾، يعنى أبا عامر الذى كان يسمى الراهب؛ لأنه كان يتعبد ويلتمس العلم، فمات كافرًا بقنسرين لدعوة النبى ﷺ، وأنهم أتوا النبى ﷺ، فقالوا: يبعد علينا المشى إلى الصلاة، فأذن لنا فى بناء مسجد، فأذن لهم، ففرغوا منه يوم الجمعة، فقالوا للنبى ﷺ: من يؤمهم؟ قال: «رجل منهم»، فأمر مجمع بن حارثة أن يؤمهم، فنزلت هذه الآية، وحلف مجمع: ما أردنا ببناء المسجد إلا الخير، فأنزل الله عز وجل فى مجمع: ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [آية: ١٠٧] فيما يحلفون.

﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾، يعنى فى مسجد المنافقين إلى الصلاة أبدًا، كان النبى ﷺ لا يصلى فيه، ولا يمر عليه، ويأخذ غير ذلك الطريق، وكان قبل ذلك يصلى فيه، ثم قال: ﴿لَّمَسْجِدٌ﴾، يعنى مسجد قباء، وهو أول مسجد بنى بالمدينة، ﴿أُسِّسَ﴾(١)، يعنى بنى، ﴿عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾، يعنى أول مرة، ﴿أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾ إلى الصلاة؛ لأنه كان بنى من قبل مسجد المنافقين، ثم قال: ﴿فِيهِ رِجَالٌ﴾، يعنى فى مسجد قباء، ﴿يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا﴾، من الأحداث والجنابة، ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [آية: ١٠٨]، نزلت فى الأنصار.

فلما نزلت هذه الآية، انطلق النبى ﷺ حتى قام على باب مسجد قباء، وفيه المهاجرون والأنصار، فقال النبى ﷺ لأهل المسجد: «أمؤمنون أنتم؟»، فسكتوا فلم يجيبوه، ثم قال ثانية: «أمؤمنون أنتم؟»، قال عمر بن الخطاب: نعم، فقال النبى ﷺ: «أتؤمنون بالقضاء؟»، قال عمر: نعم، فقال النبى ﷺ: «أتصبرون على البلاء؟»، قال عمر: نعم، فقال النبى ﷺ: «أتشكرون على الرخاء؟»، فقال عمر: نعم، فقال النبى ﷺ: «أنتم مؤمنون ورب الكعبة»، وقال النبى ﷺ للأنصار: «إن الله عز وجل قد أثنى عليكم فى أمر الطهور، فماذا تصنعون؟»، قالوا: نمر الماء على أثر البول والغائط، فقرأ النبى ﷺ هذه الآية: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾، ثم إن مجمع بن

---

(١) انظر: (تفسير الماوردى ١٦٦/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٥٠١/٣، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٢٧٨/٣، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٩٢، معانى القرآن للزجاج ٥٢١/٢، تفسير القرطبى ٢٦٤/٨).

حارثة حسن إسلامه، فبعثه عمر بن الخطاب إلى الكوفة يعلمهم القرآن، وهو علم عبد الله بن مسعود، لقنه القرآن.

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ﴾ (١)، يعني مسجد قباء، ﴿عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ﴾ (٢)، يقول: مما يراد فيه من الخير ورضى الرب، ﴿خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ﴾ أصل بنيانه ﴿عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ﴾، يعنى على حرف ليس له أصل، ﴿هَارٍ﴾، يعنى وقع، ﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ﴾ فجر به القواعد، ﴿فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾، يقول: صار البناء إلى نار جهنم، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [آية: ١٠٩].

فلما فرغ القوم من بناء المسجد استأذنوا النبى ﷺ فى القيام فى ذلك المسجد، وجاء أهل مسجد قباء، فقالوا: يا رسول الله، إنا نحب أن تأتى مسجدنا فتصلى فيه حتى نقتدى بصلاتك، فمشى رسول الله ﷺ فى نفر من أصحابه وهو يريد مسجد قباء، فبلغ ذلك المنافقون، فخرجوا يتلقونه، فلما بلغ المنتصف، نزل جبريل بهذه الآية: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ﴾، يعنى أهل مسجد قباء، ﴿أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ﴾، فلما قالها جرف نظر النبى ﷺ إلى المسجد، حتى تهور فى السابعة، فكاد يغشى على النبى ﷺ، وأسرع الرجوع إلى موضعه، وجاء المنافقون يعتذرون بعد ذلك، فقبل علانيتهم، ووكل سر أثرهم إلى الله عز وجل.

فقال الله: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ﴾، يعنى حسرة وحزازة فى قلوبهم؛ لأنهم ندموا على بنائه، ﴿إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾، يعنى حتى الممات، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [آية: ١١٠]، فبعث النبى ﷺ عمار بن ياسر، ووحشى مولى المطعم بن عدى، فحزفاه فخسف به فى نار جهنم، وأمر أن يتخذ كناسة ويلقى فيه الجيف، وكان مسجد قباء فى بنى سالم، وبنى بعد هجرة النبى ﷺ بأيام.

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ

---

(١) انظر: (مجمع البيان ٥/٧٠، مختصر شواذ القراءات ٥٥، معانى القرآن للفراء ١/٤٥٢. إعراب القرآن للعكبرى ٢/٤١، البحر المحيط ٥/١٠٠، الجامع لأحكام القرآن ٨/٢٦٤ الكشاف ٢/٢١٥).

(٢) انظر: (الكشاف ٢/٢١٥، مختصر شواذ القراءات ٥٥، البحر المحيط ٥/١٠٠، الجامع لأحكام القرآن ٨/٢٦٤، حاشية يس ٢/٣٨٤).

وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم
بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ
ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ
ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ
أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ
وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَمَا
كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ
شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾

ثم رغب الله فى الجهاد، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾، يعنى بقية آجالهم، ﴿وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ﴾ العدو، ﴿وَيُقْتَلُونَ﴾، ثم يقتلهم العدو، ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ حتى ينجز لهم ما وعدهم، يعنى ما ذكر من وعدهم فى هذه الآية، وذلك أن الله عهد إلى عباده أن من قتل فى سبيل الله فله الجنة، ثم قال: ﴿فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾، فليس أحدًا أوفى منه عهدًا، ثم قال: ﴿فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ﴾ الرب بإقراركم، ﴿وَذَٰلِكَ﴾ الثواب ﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [آية: ١١١]، يعنى النجاء العظيم، يعنى الجنة.

ثم نعت أعمالهم، فقال: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ من الذنوب، ﴿ٱلْعَٰبِدُونَ﴾(١)، يعنى الموحدين، ﴿ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾(٢)، يعنى الصائمين، ﴿ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ﴾ فى الصلاة المكتوبة، ﴿ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾، يعنى بالإيمان بتوحيد الله، ﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾، يعنى عن الشرك، ﴿وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾، يعنى ما ذكر فى هذه الآية لأهل الجهاد، ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ١١٢]، يعنى

---

(١) انظر: (إعراب القرآن للنحاس ٤٣/٢ إعراب القرآن للعكبرى ١٣/٢، مجمع البيان ٧٤/٥، الكشاف ٢١٦/٢، التبيان ٣٠٧/٥، البحر المحيط ١٠٤/٥، مختصر شواذ القراءات ٥٥، تفسير الفخر الرازى ٢٠٢/١٦، تفسير الآلوسى ٣٠/١١).

(٢) انظر: (تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٩٣، معانى القرآن للزجاج ٥٢٤/٢، تفسير الطبرى ٢٨/١١، تفسير الماوردى ١٦٩/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٥٠٦/٣، تفسير القرطبى ٢٦٩/٨).

الصادقين بهذا الشرط بالجنة.

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ﴾(١) إلى آخر الآية، وذلك أن النبى ﷺ سأل بعدما افتتح مكة: «أى أبويه أحدث به عهدًا؟»، قيل له: أمك آمنة بنت وهب بن عبد مناف، قال: «حتى أستغفر لها، فقد استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك»، فهم النبى ﷺ بذلك، فأنزل الله عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾، يعنى ما ينبغى للنبى ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ﴾ ﴿وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا﴾ كانوا كافرين فـ ﴿تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [آية: ١١٣] حين ماتوا على الكفر، نزلت فى محمد ﷺ، وعلى بن أبى طالب، عليه السلام.

فقد استغفر إبراهيم لأبيه وكان كافرًا، فبين الله كيف كانت هذه الآية، فقال: ﴿وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾(٢)، وذلك أنه كان وعد أباه أن يستغفر له، فلذلك استغفر له، ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ﴾ لإبراهيم ﴿أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ﴾ حين مات كافرًا، لم يستغفر له، و ﴿تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ﴾، يعنى لموقن بلغة الحبشة، ﴿حَلِيمٞ﴾ [آية: ١١٤]، يعنى تقى زكى.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ﴾(٣)، وذلك أن الله أنزل فرائض، فعمل بها المؤمنون، ثم أنزل بعدما نسخ به الأمر الأول فحولهم إليه، وقد غاب أناس لم يبلغهم ذلك، فيعملوا بالناسخ بعد النسخ، وذكروا ذلك للنبى ﷺ، فقالوا: يا نبى الله، كنا عندك والخمر حلال، والقبلة إلى بيت المقدس، ثم غبنا عنك، فحولت القبلة ولم نشعر بها، فصلينا إليها بعد التحويل والتحريم، وقالوا: ما ترى يا رسول الله، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ﴾ المعاصى، يقول: ما كان الله ليترك قومًا حتى يبين لهم ما يتقون حين رجعوا من الغيبة، وما يتقون من المعاصى، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [آية: ١١٥] من أمرهم بنسخ ما يشاء من القرآن، فيجعله منسوخًا ويقر ما يشاء فلا ينسخه.

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١١/٣٠، تفسير الماوردى ٢/١٧٠، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٥٠٧، تفسير القرطبى ٨/٢٧٢، تفسير ابن كثير ٢/٣٩٣، لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى ١٢٦، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٣/٢٨٢).

(٢) انظر: (الكشاف ٢/٢١٧، البحر المحيط ٥/١٠٥، تفسير الآلوسى ١١/٣٤، تفسير الماوردى ٢/١٧١، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٥٠٩، تفسير القرطبى ٨/٢٧٤).

(٣) انظر: (زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٥١٠، تفسير القرطبى ٨/٢٧٧).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۚ﴾، الأحياء، ﴿وَمَا لَكُم﴾ معشر الكفار ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ﴾، يعنى من قريب بنفسكم، ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ [آية: ١١٦]، يعنى ولا مانع لقول الكفار: إن القرآن ليس من عند الله، إنما يقوله محمد من تلقاء نفسه، نظيرها فى البقرة: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ...﴾ إلى آخر الآية، ﴿أَنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦].

﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ﴾، يعنى تجاوز الله عنهم، ﴿عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ ﷺ، ﴿وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾، ثم نعتهم، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾، يعنى غزاة تبوك، وأصاب المسلمين جهد وجوع شديد، فكان الرجلان والثلاثة يعتقبون بعيرًا سوى ما عليه من الزاد، وتكون التمرة بين الرجلين والثلاثة، يعمد أحدهما إلى التمرة فيلوكها، ثم يعطيها الآخر فيلوكها، ثم يراها آخر، فيناشده أن يجهدها، ثم يعطيها إياه، ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ﴾ (١)، يعنى تميل، ﴿قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾، يعنى طائفة منهم إلى المعصية، ألا ينفروا مع النبى ﷺ إلى غزاة تبوك، فهذا التجاوز الذى قال الله: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ (٢) ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ﴾، يعنى تجاوز عنهم، ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [آية: ١١٧]، يعنى يرق لهم، حين تاب عليهم، يعنى أبا لبابة وأصحابه.

﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾

ثم ذكر الذين خلفوا عن التوبة، فقال: ﴿وَ﴾ تاب الله، ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ

---

(١) انظر: (معانى القرآن للزجاج ٥٢٦/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٥١٢/٣).

(٢) انظر: (تفسير الطبرى ٣٩/١١، تفسير الماوردى ١٧٢/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٥١١/٣، تفسير القرطبى ٢٧٨/٨، تفسير ابن كثير ٣٩٦/٢، لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى ١٢٧).

خُلِّفُواْ﴾ عن التوبة بعد أبى لبابة وأصحابه، وهم ثلاثة: مرارة بن ربيعة، وهلال بن أمية، وكعب بن مالك، ولم يذكر توبتهم، ولا عقوبتهم، وذلك أنهم لم يفعلوا كفعل أبى لبابة وأصحابه، فلم ينزل فيهم شيء شهرًا، فكان الناس لا يكلمونهم، ولا يخالطونهم، ولا يبايعونهم، ولا يشترون منهم، ولا يكلمهم أهلهم، فضاقت عليهم الأرض، فأنزل الله عز وجل فيهم بعد شهور أو شهر: ﴿وَ﴾ تاب أيضًا ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾(١) عن التوبة، يعنى بعد أبا لبابة، وهم: مرارة بن ربيعة، وهلال بن أمية، وكعب بن مالك.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾، يقول: ضاقت الأرض بسعتها؛ لأنه لم يخالطهم أحد، ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ﴾، يعنى وأيقنوا ألا حرز من الله، ﴿إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ﴾، يعنى تجاوز عنهم لكى يتوبوا، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ على من تاب، ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [آية: ١١٨] بهم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ (١١٩) مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَـٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ (١٢٠) وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (١٢١)﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، يعنى صدقوا بتوحيد الله عز وجل، ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾، ولا تعصوه فى الهجرة، ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [آية: ١١٩] فى إيمانهم، وقد أخبر عن الصادقين، فقال: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾ [الحجرات: ١٥].

ثم ذكر المؤمنين الذين لم يتخلفوا عن غزاة تبوك، فقال: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ﴾، عن غزاة تبوك، ﴿وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾(٢)، يعنى عطشًا، ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾، يعنى

---

(١) انظر: (البحر المحيط ١١٠/٥، الكشاف ٢١٨/٢، مجمع البيان ٧٨/٥، الجامع لأحكام القرآن ٢٨١/٨، ٢٨٢، تفسير الفخر الرازى ٢١٧/١٦).

(٢) انظر: (زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٥١٥/٣، تفسير القرطبى ٣٩٠/٨، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٢٩٢/٣).

ولا مشقة فى أجسادهم، ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾[(١)]، يعنى الجوع والشدة، ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا﴾، من سهل، ولا جبل، ﴿يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ﴾ من عدوهم، ﴿نَّيْلًا﴾ من قتل فيهم، أو غارة عليهم، ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَـٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آية: ١٢٠]، يعنى جزاء المحسنين، ولكن يجزيهم بإحسانهم.

﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً﴾ فى سبيل الله، ﴿صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾، يعنى قليلاً ولا كثيرًا، ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾ من الأودية مقبلين ومدبرين، ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا﴾، يعنى الذى ﴿كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [آية: ١٢١].

﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِۦٓ إِيمَـٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾

﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً﴾، وذلك أن الله عاب فى القرآن من تخلف عن غزاة تبوك، فقالوا: لا يرانا الله أن نتخلف عن النبى ﷺ فى غزاته، ولا فى بعث سرية، فكان النبى ﷺ إذا بعث سرية، رغبوا فيها رغبة فى الأجر، فأنزل الله عز وجل: ﴿۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، يعنى ما ينبغى لهم أن ينفروا إلى عدوهم، ﴿كَآفَّةً﴾، يعنى جميعًا، ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ﴾[(٢)]، يعنى فهلا نفر، ﴿مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ﴾، يعنى من كل عصبة منهم، ﴿طَآئِفَةٌ﴾، وتقيم طائفة مع النبى ﷺ، فيتعلمون ما يحدث الله عز وجل على نبيه ﷺ، من أمر، أو نهى، أو سُنة، فإذا رجع هؤلاء الغيب، تعلموا من إخوانهم المقيمين.

فذلك قوله: ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ﴾، يعنى المقيمين، ﴿وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ﴾، يعنى وليحذروا إخوانهم ﴿إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾ من غزاتهم، ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [آية:

---

(١) انظر: (تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٩٣، معانى القرآن للزجاج ٢/٥٢٧، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٥١٥، تفسير القرطبى ٨/٢٩٠).

(٢) انظر: (معانى القرآن للزجاج ٢/٥٢٩، تفسير الطبرى ١١/٥٥، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٥٢٠، تفسير القرطبى ٨/٢٩٩).

١٢٢]، يعنى لكى يحذروا المعاصى التى عملوا بها قبل النهى.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾، يعنى صدقوا بالله عز وجل، ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ﴾، يعنى الأقرب فالأقرب، ﴿وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗ﴾، يعنى شدة عليهم بالقول، ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [آية: ١٢٣] فى النصر لهم على عدوهم.

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ﴾ على النبى ﷺ، ﴿فَمِنۡهُم﴾، من المنافقين، ﴿مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ﴾ السورة ﴿إِيمَٰنٗاۚ﴾، يعنى تصديقًا مع تصديقه بما أنزل الله عز وجل من القرآن من قبل هذه السورة، ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ [آية: ١٢٤] بنزولها.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ (١٢٥) أَوَلَا يَرَوۡنَ أَنَّهُمۡ يُفۡتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٖ مَّرَّةً أَوۡ مَرَّتَيۡنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمۡ يَذَّكَّرُونَ (١٢٦)﴾

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾، يعنى الشك فى القرآن، وهم المنافقون، ﴿فَزَادَتۡهُمۡ﴾ السورة ﴿رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ﴾، يعنى إثمًا إلى إثمهم، يعنى نفاقًا مع نفاقهم الذى هم عليه قبل ذلك، ﴿وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ [آية: ١٢٥].

ثم أخبر عن المنافقين، فقال: ﴿أَوَلَا يَرَوۡنَ أَنَّهُمۡ يُفۡتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٖ مَّرَّةً أَوۡ مَرَّتَيۡنِ﴾، وذلك أنهم كانوا إذا خلوا تكلموا فيما لا يحل لهم، وإذا أتوا النبى ﷺ أخبرهم بما تكلموا به فى الخلاء، فيعلمون أنه نبى رسول، ثم يأتيهم الشيطان، فيحدثهم أن محمدًا إنما أخبركم بما قلتم؛ لأنه بلغه عنكم، فيشكون فيه.

فذلك قوله: ﴿يُفۡتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٖ مَّرَّةً أَوۡ مَرَّتَيۡنِ﴾، فيعرفون أنه نبى، وينكرون أخرى، يقول الله: ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾ [آية: ١٢٦] فيما أخبرهم النبى ﷺ بما تكلموا به، فيعرفوا ولا يعتبروا.

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ (١٢٧)﴾

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ نَّظَرَ﴾ المنافقون ﴿بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ﴾ يسخرون بينهم، يعنى

يتغامزون، فقالوا: ﴿هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ (١)، يعنى أصحاب محمد ﷺ، ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟﴾ عن الإيمان بالسورة، يقول: أعرضوا عن الإيمان بها، ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ عن الإيمان بالقرآن، ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [آية: ١٢٧].

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ (٢) تعرفونه ولا تنكرونه، ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾، يقول: يعز عليه ما أثمتم فى دينكم، ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ بالرشد والهدى، ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [آية: ١٢٨]، يعنى يرق لهم، رحيم بهم، يعنى حين يودهم، كقوله: الرأفة، يعنى الرقة والرحمة، يعنى مودة بعضكم لبعض، كقوله: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، يعنى متوادين.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾

﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ عنك، يعنى فإن لم يتبعوك على الإيمان يا محمد، ﴿فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾، يعنى به واثق، ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [آية: ١٢٩]، يعنى بالعظيم العرش، فنزلت هاتان الآيتان بمكة، وسائرها بالمدينة.

* * *

---

(١) انظر: (تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٩٣، تفسير الطبرى ١١/٥٥، تفسير الماوردى ٢/١٧٧، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣/٥٢١، تفسير القرطبى ٨/٣٠٢).

(٢) انظر: (الكشاف ٢/٢٢٣، مجمع البيان ٥/٨٥ مختصر شواذ القراءات ٥٦، إتحاف فضلاء البشر ٢٤٦، البحر المحيط ١١٨، الجامع لأحكام القرآن ٨/٣٠١).

سُورَةُ يُونُسَ

سورة يونس كلها مكية، غير آيتين، وهما قوله تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ...﴾ إلى قوله: ﴿...فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آية: ٩٤، ٩٥]، فإنهما مدنيتان، وجملتها مائة وتسع آيات فى عدد الكوفى.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾﴾

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [(١)] [آية: ١]، يعنى المحكم، يقال: الألف واللام والراء، فهن آيات الكتاب، يعنى علامات الكتاب، يعنى القرآن الحكيم، يعنى المحكم من الباطل، ولا كذب فيه، ولا اختلاف.

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾ [(٢)]، يعنى بالناس كفار أهل مكة عجبًا، ﴿أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾، يعنى بالرجل محمدًا ﷺ يعرفونه ولا ينكرونه، ﴿أَنْ أَنذِرِ﴾، يعنى حذر ﴿ٱلنَّاسَ﴾ عقوبة الله عز وجل ونقمته إذا عصوه، ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾، يعنى صدقوا بمحمد ﷺ وبما فى القرآن من الثواب، ﴿أَنَّ لَهُمْ﴾ بأعمالهم التى قدموها بين أيديهم، ﴿قَدَمَ صِدْقٍ﴾، يعنى سلف خير ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾، يعنى ثواب صدق يقدمون عليه، وهو الجنة، ﴿قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ من أهل مكة، يعنى أبا جهل بن هشام، والوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل السهمى، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأهل مكة، ﴿قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ﴾، يعنى محمدًا ﷺ، ﴿مُّبِينٌ﴾ [آية: ٢]، يعنى بين قوله.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١١/٥٧، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٤، تفسير القرطبى ٨/٣٠٤، تفسير ابن كثير ٢/٤٠٥، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٣/٢٩٩).

(٢) انظر: (تفسير الماوردى ٢/١٨٠، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٦، تفسير القرطبى ٨/٣٠٦).

﴿٣﴾ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴿٤﴾ ﴾

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ يوم الأحد ويوم الاثنين، ﴿وَ﴾ خلق ﴿وَٱلۡأَرۡضَ﴾ يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء، وما بينهما يوم الخميس ويوم الجمعة، ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾، فيها تقديم، ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾، ثم خلق السموات والأرض، ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ﴾، يقضى القضاء وحده لا يدبره غيره، ﴿مَا مِن شَفِيعٍ﴾ من الملائكة لبنى آدم، ﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ﴾، يعنى لا يشفع أحد إلا بإذنه، ولا يشفع إلا لأهل التوحيد، فذلك قوله: ﴿**إلاَّ مِن بَعْدِ أن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاء وَيَرْضَى...**﴾ [النجم: ٢٦]، فرضى الله للملائكة أن يشفعوا للموحدين، ثم قال: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾، يعنى هكذا ﴿رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ﴾، يعنى فوحدوه ولا تشركوا به شيئًا، ﴿أَفَلَا﴾، يعنى فهلا ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ [آية: ٣] فى ربوبيته ووحدانيته.

ثم قال: ﴿إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗاۖ﴾ بعد الموت، ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾[1]، ولم يك شيئًا كذلك يعيده من بعد الموت، ﴿لِيَجۡزِيَ﴾، يعنى لكى يثيب فى البعث، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، يعنى صدقوا، ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، يعنى وأقاموا الفرائض ﴿بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾، يعنى بالحق وبالعدل وثوابهم الجنة، ﴿وَ﴾ يجزى ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بتوحيد الله، ﴿لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ﴾، وذلك الشراب قد أوقد عليه مذ يوم خلقها الله عز وجل إلى يوم يدخلها أهلها، فقد انتهى حرها، ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ﴾، يعنى وجيع، نظيرها فى الواقعة: ﴿**فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ**﴾ [الواقعة: ٩٣]، ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ﴾ [آية: ٤] بتوحيد الله عز وجل.

﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِي

---

(١) قراءة أبى جعفر والأعمش وسهل بن شعيب «وعْدُ اللهِ حَقٌّ أنه يَبْدأُ الخَلْق ثم يُعيده» وقراءة عبدالله بن مسعود، وابن أبى عبلة. انظر: (إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٤٩، إعراب القرآن للعكبرى ٢/ ١٣، تفسير الطبرى ١١/ ٦١، الكشاف ٢/ ٢٢٥، مجمع البيان ٥/ ٨٩، معانى القرآن للفراء ١/ ٤٥٧، تفسير الفخر الرازى ١٧/ ٣٠، النشر فى القراءات العشر ٢/ ٢٨٢، إتحاف فضلاء البشر ٢٤٧).

ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ
﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ
ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ
فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ
أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾

﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ﴾ بالنهار لأهل الأرض، يستضيئون بها، ﴿وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا﴾ بالليل، ﴿وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ﴾، يزيد وينقص، يعنى الشمس سراجًا والقمر نورًا، ﴿لِتَعۡلَمُواْ﴾ بالليل والنهار، ﴿عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ﴾، وقدره منازل لتعلموا بذلك عدد السنين، والحساب، ورمضان، والحج، والطلاق، وما يريدون بين العباد، ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ﴾، يعنى الشمس والقمر، ﴿إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ﴾، لم يخلقهما عبثًا، خلقهما لأمر هو كائن، ﴿يُفَصِّلُ﴾ يبين ﴿ٱلۡأٓيَٰتِ﴾، يعنى العلامات، ﴿لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [آية: ٥] بتوحيد الله عز وجل أن الله واحد لما يرون من صنعه.

ثم قال: ﴿إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ عليكم ﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ﴾ [آية: ٦] عقوبة الله عز وجل.

قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾، يعنى لا يخشون لقاءنا، يعنى البعث والحساب، ﴿وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا﴾، فعملوا لها، ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا﴾، يعنى ما أخبر فى أول هذه السورة، ﴿غَٰفِلُونَ﴾ [آية: ٧]، يعنى ما ذكر من صنيعه فى هؤلاء الآيات لمعرضون، فلا يؤمنون.

ثم أخبر بما أعد لهم فى الآخرة، فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾، يعنى مصيرهم النار، ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [آية: ٨] من الكفر والتكذيب.

ثم أخبر بما أعد للمؤمنين، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، يعنى صدقوا بالله، ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، وأقاموا فرائض الله، ﴿يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ﴾، يعنى بتصديقهم وتوحيدهم كما صدقوا ووحدوا، كذلك يهديهم ربهم إلى الفرائض، ويثيبهم الجنة، ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾، يعنى تحت قصورهم نور فى نور، قصور الدر والياقوت، وأنها تجرى من غرفهم، ﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [آية: ٩]، لا يكلفون فيها

عملاً أبدًا، ولا يصيبهم فيها مشقة أبدًا.

﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾، فهذا علم بين أهل الجنة وبين الخدم إذا أرادوا الطعام والشراب دعواهم أن يقولوا في الجنة: ﴿سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾، فإذا الموائد قد جاءت، فوضعت ميلاً في ميل، قوائمها اللؤلؤ، ودخل عليهم الخدم من أربعة آلاف باب معهم صحاف الذهب سبعون ألف صحفة، في كل صحفة لون من الطعام ليس في صاحبتها مثله، كلما شبع ألقى الله عليه ألف باب من الشهوة، كلما شبع أتى بشربة تهضم ما قبلها بمقدار أربعين عامًا، ويؤتون بألوان الثمار، وتجيء الطير أمثال البخت، مناقيرها لون، وأجنحتها لون، وظهورها لون، وبطونها لون، وقوائمها لون، تتلألأ نورًا، حتى تقف بين يديه في بيت طوله فرسخ في فرسخ، في غرفة فيها سرر موضونة، والوضن مشبك وسطه بقضبان الياقوت والزمرد الرطب، ألين من الحرير، قوائمها اللؤلؤ، حافتاه ذهب وفضة، عليه من الفرش مقدار سبعين غرفة في دار الدنيا، لو أن رجلاً وقع من تلك الغرف لم يبلغ قرار الأرض سبعين عامًا.

فيأكلون ويشربون، وتقوم الطير وتصطف بين يديه، وتقول: يا ولي الله، رعيت في روضة كذا وكذا، وشربت من عين كذا وكذا، فأيتهن أعجبه وصفها وقعت على مائدته نصفها قديد سبعون ألف لون من الطير الواحد، والنصف شواء، فيأكل منها ما أحب، ثم يطير فينطلق إلى الجنة؛ لأنه ليس في الجنة من يموت، ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾، وذلك أن يأتيه ملك من عند رب العزة، فلا يصل إليه حتى يستأذن له حاجب فيقوم بين يديه، فيقول: يا ولي الله، ربك يقرأ عليك السلام، وذلك قوله تعالى: ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾، من عند الرب تعالى، فإذا فرغوا من الطعام والشراب، قالوا: الحمد لله رب العالمين، وذلك قوله عز وجل: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ﴾، يعني قولهم حين فرغوا من الطعام والشراب ﴿أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (١) [آية: ١٠].

﴿۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن

---

(١) انظر: (إعراب القرآن للنحاس ٢/٥٢، إعراب القرآن العكبري ٢/١٤، البحر المحيط ٥/١٢٧، الجامع لأحكام القرآن ٨/٣١٣، مجمع البيان ٥/٩٢، إتحاف فضلاء البشر ٢٤٧).

قَبۡلِكُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴿١٤﴾

﴿وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ﴾ [١]، وذلك حين قال النضر بن الحارث: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاء أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢] فيصيبنا، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ﴾، إذا أرادوه فأصابوه، يقول الله: ولو استجيب لهم فى الشر، كما يحبون أن يستجاب لهم فى الخير، ﴿لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡ﴾ فى الدنيا بالهلاك إذًا، ﴿فَنَذَرُ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا﴾، فنذرهم لا يخرجون أبدًا، فذلك قوله: ﴿فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [آية: ١١]، يعنى فى ضلالتهم يترددون لا يخرجون منها إلا أن يخرجهم الله عز وجل.

وأيضًا ولو يعجل الله للناس، يقول: ابن آدم يدعو لنفسه بالخير، ويحب أن يعجل الله ذلك، ويدعو على نفسه بالشر، يقول: اللهم إن كنت صادقًا فافعل كذا وكذا، فلو يجعل الله ذلك لقضى إليهم أجلهم، يعنى العذاب ﴿فَنَذَرُ﴾، يعنى فنترك، ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾، يعنى لا يخشون لقاءنا، ﴿فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾، يعنى فى ضلالتهم يترددون لا يخرجون منها.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ﴾، يعنى المرض بلاء أو شدة، نزلت فى أبى حذيفة، اسمه هاشم بن المغيرة بن عبد الله المخزومى، ﴿دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ﴾ [٢]، يعنى لمضجعه فى مرضه، ﴿أَوۡ﴾ دعانا ﴿قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمًا﴾، كل ذلك لما كان، ﴿فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُ ضُرَّهُۥ﴾، وعوفى من مرضه، ﴿مَرَّ﴾، يعنى استمر، أى أعرض عن الدعاء، ﴿كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥۚ﴾، ولا يزال يدعونا ما احتاج إلى ربه، فإذا أعطى حاجته أمسك عن الدعاء، قال الله تعالى عند ذلك: استغنى عبدى، ﴿كَذَٰلِكَ﴾، يعنى هكذا ﴿زُيِّنَ لِلۡمُسۡرِفِينَ﴾، يعنى المشركين، ﴿مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [آية: ١٢] من أعمالهم السيئة، يعنى الدعاء فى الشدة.

﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ﴾ بالعذاب فى الدنيا، ﴿مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ يا أهل مكة، ﴿لَمَّا

(١) انظر: (معانى القرآن للفراء ٤٥٨/١، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٩٤، تفسير الطبرى ٦٥/١١، تفسير الماوردى ١٧٣/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ١١/٤).

(٢) انظر: (زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ١٢/٤، تفسير القرطبى ٣١٧/٨).

ظَلَمُوا۟﴾، يعنى حين أشركوا، يخوف كفار مكة بمثل عذاب الأمم الخالية لكى لا يكذبوا محمدًا ﷺ، ﴿وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾، يقول: أخبرتهم رسلهم بالعذاب أنه نازل بهم فى الدنيا، ثم قال: ﴿وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤۡمِنُوا۟ۚ﴾، يقول: ما كان كفار مكة ليصدقوا بنزول العذاب بهم فى الدنيا، ﴿كَذَٰلِكَ﴾، يعنى هكذا ﴿نَجۡزِى﴾ بالعذاب ﴿ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [آية: ١٣]، يعنى مشركى الأمم الخالية.

ثم قال لهذه الأمة: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ﴾ يا أمة محمد، ﴿خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلۡأَرۡضِ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ﴾(١) [آية: ١٤].

﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ قُلۡ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآئِ نَفۡسِىٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّى عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرًا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍۙ﴾، يعنى القرآن، ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾، يعنى لا يخسبون لقاءنا، يعنى البعث، ﴿ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ﴾ ليس فيه قتال، ﴿أَوۡ بَدِّلۡهُ﴾، فأنزل الله عز وجل: ﴿قُلۡ﴾ يا محمد: ﴿مَا يَكُونُ لِىٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآئِ نَفۡسِىٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّى عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾ [آية: ١٥].

وذلك أن الوليد بن المغيرة وأصحابه أربعين رجلاً أحدقوا بالنبى ﷺ ليلة حتى أصبح، فقالوا: يا محمد، اعبد اللات والعزى، ولا ترغب عن دين آبائك، فإن كنت فقيرًا جمعنا لك من أموالنا، وإن كنت خشيت أن تلومك العرب، فقل: إن الله أمرنى بذلك، فأنزل الله عز وجل: ﴿قُلۡ﴾ يا محمد: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّى أَعْبُدُ...﴾، إلى قوله: ﴿...بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ﴾، يعنى فوحد، ﴿وَكُن مِّنْ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٤ - ٦٦]، على الرسالة والنبوة.

---

(١) انظر: (البحر المحيط ٥/١٣١، إعراب القرآن للعكبرى ٢/١٤).

وأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾، يعنى محمد، فزعم أنى أمرته بعبادة اللات والعزى، ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾، يعنى بالحق، ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤ - ٤٦]، وهو الحبل المعلق به القلب، وأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّى أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأنعام: ١٥].

ثم قال لكفار مكة: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ﴾، يعنى ما قرأت هذا القرآن، ﴿عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾(١)، يقول: ولا أشعركم بهذا القرآن، ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا﴾ طويلاً أربعين سنة، ﴿مِّن قَبْلِهِۦٓ﴾، من قبل هذا القرآن، فهل سمعتمونى أقرأ شيئًا عليكم؟ ﴿أَفَلَا﴾، يعنى فهلا ﴿تَعْقِلُونَ﴾ [آية: ١٦] أنه ليس متقول منى، ولكنه وحى من الله إلىَّ.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾، يعنى فمن أشد ظلمًا لنفسه، ﴿مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾، فزعم أن مع الله آلهة أخرى، ﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾، يعنى بمحمد ﷺ وبدينه، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [آية: ١٧]، يعنى إنه لا ينجى الكافرون من عذاب الله عز وجل.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ﴾ إن تركوا عبادتهم، ﴿وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ إن عبدوها، وذلك أن أهل الطائف عبدوا اللات، وعبد أهل مكة العزى، ومناة، وهبل، وأساف، ونائلة، لقبائل قريش، وود لكلب بدومة الجندل، وسواع لهذيل، ويغوث لبنى غطيف من مراد بالجرف من سبأ، ويعوق لهمذان ببلخع، ونسر لذى الكلاع من حمير، قالوا: نعبدها لتشفع لنا يوم القيامة، فذلك قوله: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [آية: ١٨].

﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا

(١) قراءة ابن عباس والحسن وابن سيرين: «ولا أدرأتكم به». وقراءة أبى رجاء. انظر: (إعراب القرآن ٥٣/٢، البحر المحيط ١٣٣/٥، تفسير الطبرى ٣٢١/٨، معانى القرآن للفراء ٤٥٩/١، الكشاف ٢٢٩/٢).

يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ﴾ فى زمان آدم، عليه السلام، ﴿إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾، يعنى ملة واحدة مؤمنين لا يعرفون الأصنام والأوثان، ثم اتخذوها بعد ذلك، فذلك قوله: ﴿فَٱخْتَلَفُواْ﴾ بعد الإيمان، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ قبل الغضب، لأخذناهم عند كل ذنب، فذلك قوله: ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [آية: ١٩]، يعنى فى اختلافهم بعد الإيمان.

﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ﴾، يعنى هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ مما سألوا، يعنى فى بنى إسرائيل، ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا﴾ [الإسراء: ٩٠]، يعنى لن نصدقك حتى تخرج لنا نهرًا، فقد أعيينا من ميح الدلاء من زمزم، ومن رءوس الجبال، وإن أبيت هذا فلتكن لك خاصة، ﴿جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ...﴾ [الإسراء: ٩١]، إلى قوله: ﴿...كِسَفًا﴾ [الإسراء: ٩٢]، حين قال: ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاء﴾ [سبأ: ٩]، يعنى قطعًا، ﴿أَوْ تَأْتِىَ بِاللّهِ﴾ عيانًا فننظر إليه، ﴿وَالْمَلآئِكَةِ قَبِيلاً أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾، يعنى من ذهب، ﴿أَوْ تَرْقَى فِى السَّمَاء﴾، يعنى أو تضع سلمًا فتصعد إلى السماء، ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ﴾ [الإسراء: ٩٢، ٩٣]، يقول: ولسنا نصدقك، حتى تأتى بأربعة أملاك، يشهدون أن هذا الكتاب من رب العزة، وهذا قول عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة.

فأنزل الله فى قوله: ﴿أَوْ تَأْتِىَ بِاللّهِ﴾ عيانًا فننظر إليه: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِن قَبْلُ﴾ [البقرة: ١٠٨]، إذ قالوا: ﴿أَرِنَا اللّهِ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣]، وأنزل الله فيها: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَى صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ [المدثر: ٥٢]، لقوله: ﴿كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ﴾، وأنزل الله: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ﴾ [الإسراء: ٥٩]؛ لأنى إذا أرسلت إلى قوم آية، ثم كذبوا، لم

أناظرهم بالعذاب، وإن شئت يا محمد أعطيت قومك ما سألوا، ثم لم أناظرهم بالعذاب، قال: «يا رب لا»، رقة لقومه لعلهم يتقون.

ثم قال: ﴿فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ﴾، وهو قوله: ﴿**إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ**﴾ [هود: ٣٣]، ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ بى الموت، ﴿إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ [آية: ٢٠] بكم العذاب القتل ببدر.

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ﴾، يعنى آتينا الناس، يعنى كفار مكة، ﴿رَحْمَةً﴾، يعنى المطر، ﴿مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ﴾، يعنى القحط وذهاب الثمار، ﴿مَسَّتْهُمْ﴾، يعنى المجاعة سبع سنين، ﴿إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا﴾، يعنى تكذيبًا، يقول: إذ لهم قول فى التكذيب بالقرآن تكذيبًا واستهزاء، ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾، يعنى الله أشد إخزاء، ﴿إِنَّ رُسُلَنَا﴾ من الحفظة ﴿يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ [آية: ٢١]، يعنى ما تعلمون.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ﴾ على ظهور الدواب والإبل، ويهديكم لمسالك الطرق والسبل، ﴿وَ﴾ يحملكم فى ﴿وَٱلْبَحْرِ﴾ فى السفن فى الماء، ويدلكم فيه بالنجوم، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ (١)، يعنى فى السفن، ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم﴾، يعنى بأهلها، ﴿بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾، يعنى غير عاصف، ولا قاصف، ولا بطيئة، ﴿وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا﴾، يعنى السفينة، ﴿رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ قاصف، يعنى غير لين، يعنى ريحًا شديدة، ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾، يعنى من بين أيديهم، ومن خلفهم، ومن فوقهم، ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾، يعنى وأيقنوا ﴿أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾، يعنى أنهم مهلكون، يعنى مغرقون، ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾، وضلت عنهم آلهتهم التى يدعون من دون الله، فذلك قوله: ﴿**وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِى الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ**﴾ [الإسراء: ٦٧]، ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ﴾ المرة ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آية: ٢٢]، لا ندعو معك غيرك.

﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (٢)، يعنى يعبدون مع الله غيره، ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾، إذ عبدوا مع الله غيره، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ ضرره فى الآخرة، ﴿مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، تمتعون فيها قليلاً إلى منتهى آجالكم، ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾ فى الآخرة، ﴿فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٢٣].

---

(١) قراءة أم الدرداء «حتى إذا كنتم فى الفُلْكِيّ»، بكسر الكاف وتثبيت الياء. وقراءة أبى الدرداء. انظر: (الكشاف ٢/٢٣١، البحر المحيط ٥/١٣٨).

(٢) انظر: (تفسير الطبرى ١١/٧١، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٢٠).

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ السَّمَآءِ فَاخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاللَّهُ يَدْعُوٓا إِلَىٰ دَارِ السَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ السَّمَآءِ فَاخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَٰمُ﴾، يقول: مثل الدنيا كمثل النبت بينا هو أخضر، إذا هو قد يبس، فكذلك الدنيا إذا جاءت الآخرة، يقول: أنزل الماء من السماء، فأنبت به ألوان الثمار لبنى آدم، وألوان النبات للبهائم، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾، يعنى حسنها وزينتها، ﴿وَازَّيَّنَتْ﴾ (١) بالنبات وحسنت، ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَآ﴾، يعنى وأيقن أهلها ﴿أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ﴾ فى أنفسهم، ﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا﴾، يعنى عذابنا ﴿لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا﴾، يعنى ذاهبًا، ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ﴾ (٢)، يعنى تنعم بالأمس، ﴿كَذَٰلِكَ﴾، يعنى هكذا تجىء الآخرة، فتذهب الدنيا ونعيمها وتنقطع عن أهلها، ﴿نُفَصِّلُ الْأَيَٰتِ﴾، يعنى نبين العلامات ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [آية: ٢٤] فى عجائب الله وربوبيته.

﴿وَاللَّهُ يَدْعُوٓا إِلَىٰ دَارِ السَّلَٰمِ﴾، يعنى دار نفسه، وهى الجنة، والله هو السلام، ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾، يعنى من أهل التوحيد، ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آية: ٢٥]، يعنى دين الإسلام.

﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ الَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ

(١) قراءة الأعرج «وأزينت»، وهى أيضًا قراءة نصر بن عاصم وأبى العالية والحسن بخلاف وقتادة وأبى رجاء بخلاف والشعبى وعيسى الثقفى. وقرأ: «وازيأنت» أبو عثمان النَّهْدى. وقراءة سعد ابن أبى وقاص، وأبى العالية، وعبدالرحمن، وابن يعمر، وابن هرمز. انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ٢/٥٦، إعراب القرآن للنحاس ٢/١٥، البحر المحيط ٥/١٤٣، ١٤٤، تفسير الطبرى ١١/٧٢، الجامع لأحكام القرآن ٨/٣٢٧، الكشاف ٢/٢٣٣، مجمع البيان ٥/١٠٢، إتحاف فضلاء البشر ١٤٨).

(٢) انظر: (الكشاف ٢/٢٣٣، إعراب القرآن للعكبرى ٢/١٥، البحر المحيط ٥/١٤٤).

وَشُرَكَآؤُكُمْۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾، يعنى وحدوا الله، ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾(١)، يعنى الجنة، ﴿وَزِيَادَةٌۖ﴾، يعنى فضل على الجنة النظر إلى وجه الله الكريم، ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾، يعنى ولا يصيب وجوههم قتر، يعنى سواد، ويقال: كسوف، ويقال: هو السواد، ﴿وَلَا ذِلَّةٌۚ﴾، يعنى ولا مذلة فى أبدانهم عند معاينة النار، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ الذين هم بهذه المنزلة ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آية: ٢٦] لا يموتون.

﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾(٢)، يعنى عملوا الشرك، ﴿جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا﴾، يعنى جزاء الشرك جهنم، ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌۖ﴾، يعنى مذلة فى أبدانهم، ﴿مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍۖ﴾، يعنى مانع يمنعهم من العذاب، ﴿كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًاۚ﴾، يعنى سواد الليل، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آية: ٢٧] لا يموتون.

قوله: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾، يعنى الكفار وما عبدوا من دون الله، ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْۚ﴾(٣)، يعنى بهم الآلهة، ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْۖ﴾(٤)، يعنى فميزنا بين الجزاءين، ﴿وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم﴾، يعنى الآلهة وهم الأصنام: ﴿مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ [آية: ٢٨].

﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا﴾، يعنى لقد كنا، ﴿عَنْ عِبَادَتِكُمْ﴾ إيانا ﴿لَغَٰفِلِينَ﴾ [آية: ٢٩]، وقد عبدتمونا وما نشعر بكم.

ثم قال: ﴿هُنَالِكَ﴾، يعنى عند ذلك، ﴿تَبْلُوا۟﴾، يعنى تختبر ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَّآ

---

(١) انظر: (زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٢٤/٤، معانى القرآن للفراء ٤٦١/١، تفسير القرطبى ٣٣٠/٨، تفسير ابن كثير ٤١٤/٢، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٣٠٥/٣).

(٢) انظر: (السبعة لابن مجاهد ٣٢٥، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٩٦، تفسير الطبرى ٧٧/١١).

(٣) انظر: (زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٢٧/٤، تفسير القرطبى ٣٣٣/٨).

(٤) انظر: (معانى القرآن للفراء ٤٦٢/١، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٧٨/١١، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٢٧/٤، تفسير القرطبى ٣٣٣/٨).

﴿أَسْلَفَتْ﴾، يعنى ما قدمت، ﴿وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [آية: ٣٠]، يعنى يعبدون فى الدنيا من الآلهة.

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ
ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾
فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَـٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ
حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن
يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن
شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن
لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ
لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن
دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ
﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن
كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ
مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿قُلْ﴾ لكفار قريش: ﴿مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، يعنى المطر، ﴿وَ﴾ من ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾، يعنى النبات والثمار، ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ﴾، فيسمعها المواعظ، ﴿وَٱلْأَبْصَـٰرَ﴾، فيريها العظمة، ﴿وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾، يعنى النسمة الحية من النطفة، ﴿وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾، يعنى أمر الدنيا، يعنى القضاء وحده، ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾، فسيقول مشركو قريش: ﴿ٱللَّهُ﴾ يفعل ذلك، فإذا أقروا بذلك، ﴿فَقُلْ﴾ يا محمد: ﴿أَفَلَا﴾، يعنى أفهلا ﴿تَتَّقُونَ﴾ [آية: ٣١] الشرك، يعنى فهلا تحذرون العقوبة والنقمة.

﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَـٰلُ﴾، فماذا بعد عبادة الحق والإيمان إلا الباطل، ﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [آية: ٣٢].

﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ٣٣]، فأخبر بعلمه السابق فيهم أنهم لا يؤمنون.

ثم قال: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم﴾، يعنى الآلهة التى عبدوا من دون الله، ﴿مَّن يَبْدَؤُا۟

﴿ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾، يقول: هل من خالق غير الله يخلق خلقًا من النطفة على غير مثال ولا مشورة، أمن يعيد خلقًا من بعد الموت، ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ في ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ ﴿**لِلَّهِ**﴾ [المؤمنون: ٨٥]، ﴿قُلِ﴾ أنت يا محمد: ﴿ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ [آية: ٣٤]، يقول: فمن أين تكذبون بتوحيد الله إذا زعمتم أن مع الله إلهًا آخر.

﴿قُلۡ﴾ للكفار يا محمد: ﴿هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم﴾، يعني اللات، والعزى، ومناة، آلهتهم التي يعبدون، ﴿مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ﴾، يقول: هل منهم أحد إلى الحق يهدى، يعني إلى دين الإسلام، ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ يا محمد ﴿يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ﴾، وهو الإسلام، ﴿أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ﴾[1]، وهي الأصنام والأوثان، ﴿إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ﴾، وبيان ذلك في النحل: ﴿**وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ**﴾ [النحل: ٧٦]، ثم عابهم، فقال: ﴿فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ﴾ [آية: ٣٥]، يقول: ما لكم؟ كيف تقضون الجور؟ ونظيرها في ﴿**ن وَالْقَلَمِ**﴾، حين زعمتم أن معي شريكًا.

يقول: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ إِلَّا ظَنًّاۚ﴾، يعني الآلهة، يقول: إن هذه الآلهة تمنعهم من العذاب، يقول الله: ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي﴾ عنهم ﴿مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔاۚ﴾، يعني من العذاب شيئًا، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ﴾ [آية: ٣٦].

﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، وذلك لأن الوليد بن المغيرة وأصحابه، قالوا: يا محمد، هذا القرآن هو منك وليس هو من ربك، فأنزل الله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ هَـٰذَا الْقُرْآنُ أن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللَّهِ**﴾ ﴿وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾، يقول: القرآن يصدق التوراة، والزبور، والإنجيل، ﴿وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ﴾، يعني تفصيل الحلال والحرام لا شك فيه، ﴿مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ٣٧].

﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ﴾، يا محمد على الله، ﴿قُلۡ﴾ إن زعمتم أني افتريته وتقولته، ﴿فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ﴾[2] مثل هذا القرآن، ﴿وَٱدۡعُواْ﴾، يقول: استعينوا عليه ﴿مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، يعني الآلهة، ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [آية: ٣٨] أن الآلهة تمنعهم من العذاب.

---

(١) انظر: (السبعة لابن مجاهد ٣٢٦، معاني القرآن للفراء ١/ ٤٦٤، تفسير القرطبي ٨/ ٣٤١).

(٢) انظر: (الكشاف ٢/ ٢٣٧، البحر المحيط ٥/ ١٥٨).

يقول الله: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ﴾ إذ زعموا أن لا جنة، ولا نار، ولا بعث، ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾، يعنى بيانه، ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم الخالية، ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ٣٩]، يعنى المكذبين بالبعث.

﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾، يعنى لا يصدق بمحمد ﷺ ودينه، ثم أخبر الله أنه قد علم من يؤمن به ومن لا يؤمن به من قبل أن يخلقهم، فذلك قوله: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [آية: ٤٠].

﴿وَإِن كَذَّبُوكَ﴾ بالقرآن، وقالوا: إنه من تلقاء نفسك، ﴿فَقُل﴾ للمستهزئين من قريش عبد الله بن أبى أمية وأصحابه، ﴿لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ (١)، يقول: دين الله أنا عليه، ولكم دينكم الذى أنتم عليه، ﴿أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٤١]، يقول: أنتم بريئون من دينى، وأنا برىء من دينكم، يعنى من كفركم، مثلها فى هود: ﴿قَالَ إِنِّى أُشْهِدُ اللَّهِ وَاشْهَدُوا أَنِّى بَرِىءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ مِن دُونِهِ﴾ [هود: ٥٤، ٥٥].

﴿وَمِنْهُم﴾، يعنى مشركى قريش، ﴿مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾، يعنى يستمعون قولك، ﴿أَفَأَنتَ﴾ يا محمد ﴿تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ﴾، يقول: كما لا يسمع الصم، لا يسمع المواعظ من قد سبقت له الشقاوة فى علم الله تعالى، ﴿وَلَوْ﴾، يعنى إذ ﴿كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [آية: ٤٢] الإيمان.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾ يا محمد، ﴿أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ﴾، يعنى إذ ﴿كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [آية: ٤٣] الهدى.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آية: ٤٤]، يقول:

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١١/٨٣، تفسير القرطبى ٨/٣٤٦، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٣٤).

نصيبهم ينقصون بأعمالهم إذا حرموا أنفسهم ثواب المؤمنين.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ فى قبورهم إلى القيامة، ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾، يعنى يومًا واحدًا من أيام الدنيا، ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾، يعنى يعرفون بعضهم بعضًا، وتبيان ذلك فى الفصل فى ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ [المعارج: ١]، ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ [المعارج: ١١]، يعنى يعرفونهم، ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾، يعنى البعث، ﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ [آية: ٤٥].

﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ يوم بدر، ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل يوم بدر، ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ فى الآخرة، فأنتقم منهم، ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ [آية: ٤٦] من الكفر والتكذيب.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ۚ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾، يعنى بالحق، وهو العدل، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آية: ٤٧]، وذلك أن الله بعث الرسل إلى أممهم يدعون إلى عبادة الله وترك عبادة الأصنام والأوثان، فمن أجابهم إلى ذلك أثابه الله الجنة، ومن أبى جعل ثوابه النار.

فذلك قوله: ﴿قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، وذلك عند وقت العذاب، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، يعنى وهم لا ينقصون من محاسنهم، ولا يزادون على مساوئهم ما لم يعملوها، ﴿وَيَقُولُونَ﴾، يعنى الكفار لنبيهم: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آية: ٤٨]، وذلك قوله: ﴿ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٩].

﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا﴾، يعنى سوءًا، ﴿وَلَا نَفۡعًا﴾، يعنى فى الآخرة، ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ وقت، يقول: لكل أجل وقت؛ لأنه سبقت الرحمة الغضب، ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ﴾، يعنى وقت العذاب، ﴿فَلَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾ [آية: ٤٩]، يقول: لا يؤخر عنهم ساعة، ولا يصيبهم قبل الوقت.

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا﴾، يعنى صباحًا، ﴿أَوۡ نَهَارٗا مَّاذَا يَسۡتَعۡجِلُ مِنۡهُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ [آية: ٥٠].

﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ﴾، يعنى قول القرآن، ﴿ءَامَنتُم بِهِۦٓۚ ءَآلۡـَٰٔنَ﴾ حين لم تنفعكم، ﴿وَقَدۡ كُنتُم بِهِۦ﴾، يعنى بالعذاب، ﴿تَسۡتَعۡجِلُونَ﴾ [آية: ٥١].

﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾، يعنى كفروا: ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ﴾ [آية: ٥٢] من الشرك، يقول: جزاء الشرك جهنم.

﴿وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوۡ أَنَّ لِكُلِّ نَفۡسٖ ظَلَمَتۡ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لَٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۖ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٥٤﴾﴾

﴿وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ﴾، يقول: يسألونك: ﴿أَحَقٌّ هُوَۖ﴾؟ يعنى العذاب الذى تعدنا به، ويقال: القرآن الذى أنزل إليك، ﴿أَحَقٌّ هُوَۖ﴾؟ ﴿قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ﴾، يعنى نعم وإلهى، ﴿إِنَّهُۥ﴾، يعنى العذاب، ﴿لَحَقّٞۖ﴾، يعنى لكائن، ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾ [آية: ٥٣]، يعنى بسابقى بأعمالكم الخبيثة فى الدنيا قبل الآخرة.

قوله: ﴿وَلَوۡ أَنَّ لِكُلِّ نَفۡسٖ﴾ كافرة ﴿ظَلَمَتۡ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ ما لا ﴿لَٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ﴾ نفسها يوم القيامة من عذاب جهنم، ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۖ﴾، يعنى حين رأوا العذاب، ﴿وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِ﴾، يعنى بالعدل، وصاروا إلى جعنم بشركهم، وصار المؤمنون إلى الجنة بإيمانهم، ﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [آية: ٥٤].

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٥٦﴾﴾

قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾، يقول: هو رب من فيهما، ﴿أَلَآ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾، أن من وحده أثابه الجنة، ومن كفر به عاقبه بالنار، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا

يَعۡلَمُونَ﴾ [آية: ٥٥]، يعنى من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار، وواحد إلى الجنة.

ثم أخبر بصنيعه ليوحد، فقال: ﴿هُوَ يُحۡيِۦ﴾ من النطف، ﴿وَيُمِيتُ﴾ من بعد الحياة، فاعبدوا من يحيى ويميت، ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [آية: ٥٦] من بعد الموت، فيجزيكم فى الآخرة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨ قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزۡقٖ فَجَعَلۡتُم مِّنۡهُ حَرَامٗا وَحَلَٰلٗا قُلۡ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡۖ أَمۡ عَلَى ٱللَّهِ تَفۡتَرُونَ ٥٩ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ٦٠ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ٦١﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ﴾، يعنى بينة، ﴿مِّن رَّبِّكُمۡ﴾، وهو ما بين الله فى القرآن، ﴿وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ من الكفر والشرك، ﴿وَ﴾ هذا القرآن ﴿وَهُدٗى﴾ من الضلالة، ﴿وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [آية: ٥٧] لمن أحل حلاله، وحرم حرامه.

﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ (١)، يعنى القرآن، ﴿وَبِرَحۡمَتِهِۦ﴾ الإسلام، ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ﴾ (٢) معشر المسلمين، ﴿هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ [آية: ٥٨] من الأموال، فلما نزلت هذه الآية قرأها النبى ﷺ مرات.

﴿قُلۡ﴾ لكفار قريش، وخزاعة، وثقيف، وعامر بن صعصعة، وبنى مدلج، والحارث

---

(١) انظر: (تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٩٧، تفسير الطبرى ١١/٨٦، تفسير الماوردى ٢/١٩٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٤٠، تفسير القرطبى ٨/٣٥٣، الدر= =المنثور فى التفسير بالمأثور ٣/٣٠٨).

(٢) انظر: (مختصر شواذ القراءات ٥٧، الكشاف ٢/٢٤١، الطبرى ١١/٨٨، القرطبى ٨/٣٥٤، مجمع البيان ٥/١١٦، الفراء ١/٤٦٥، الأخفش ٢/٣٤٥، النشر ٢/٢٨٥، الإتحاف ٢٥٢، النحاس ٢/٦٥، الكشف ١/٥٢٠، الحجة لأبى زرعة ١٨٢، الحجة المنسوب لابن خالويه ١٨٢، التبيان ٥/٣٩٥، العكبرى ٢/١٦، همع الهوامع ٤/٣٠٨، مغنى اللبيب ١/١٨٦).

ابنى عبد مناة، قل لهم: ﴿أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ﴾، يعنى البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام، ﴿فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا﴾، يعنى حرمتم منه ما شئتم، ﴿وَحَلَٰلًا﴾، يعنى وحللتم منه ما شئتم، ﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [آية: ٥٩].

﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ﴾ فى الدنيا ﴿عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾، فزعموا أن له شريكًا، ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾، حين لا يؤاخذهم عند كل ذنب، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [آية: ٦٠] هذه النعم.

﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ (١)، يعنى إلا وقد علمته قبل أن تعملوه، ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾، وأنا شاهدكم، يعنى إذ تعملونه، ﴿وَمَا يَعْزُبُ﴾، يعنى وما يغيب ﴿عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾، يعنى وزن ذرة، ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [آية: ٦١]، يعنى اللوح المحفوظ.

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ لَهُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍ بِهَٰذَآ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ أن يدخلوا جهنم، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١١/٩٠، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٤٢، تفسير القرطبى ٨/٣٥٦).

[آية: ٦٢] أن يخرجوا من الجنة أبدًا.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، يعنى صدقوا، ﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [آية: ٦٣] الكبائر.

﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[1]، الرؤيا الصالحات، ﴿وَفِى ٱلْأَخِرَةِ﴾ إذا خرجوا من قبورهم، ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾، يعنى لوعد الله أن من اتقاه ثوابه الجنة، ومن عصاه عقابه النار، ﴿ذَٰلِكَ﴾ البشرى ﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [آية: ٦٤].

﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ يا محمد، يعنى إذاهم، ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ﴾، يعنى إن القوة لله، ﴿جَمِيعًا﴾ فى الدنيا والآخرة، ﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لقولهم، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ [آية: ٦٥] بهم.

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾، يقول: هو ربهم وهم عباده، ثم قال: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾، يعنى يعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ﴾، يعنى الملائكة، ﴿إِن يَتَّبِعُونَ﴾، يعنى ما يتبعون ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾، يعنى ما يستيقنون بذلك، ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [آية: ٦٦] الكذب.

ثم دل على نفسه بصنعه ليعتبروا فيوحدوه، فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ﴾، يعنى لتأووا فيه من نصب النهار، ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾، ضياء ونورًا لتتغلبوا فيه لمعايشكم، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾، يعنى فى هذا ﴿لَأَيَٰتٍ﴾، يعنى لعلامات ﴿لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [آية: ٦٧] المواعظ.

﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾، فنزه نفسه عن ذلك، فقال: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ أن يتخذ ولدًا، ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍ بِهَٰذَآ﴾، يقول: فعندكم حجة بما تزعمون أنه له ولد، ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٦٨].

﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [آية: ٦٩]، يعنى لا يفوزون إذا صاروا إلى النار.

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ٩٣/١١، تفسير الماوردى ١٩٣/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤٤/٤، تفسير القرطبى ٣٥٨/٨، تفسير ابن كثير ٤٢٣/٢، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٣١١/٣).

﴿مَتَٰعٌ فِي ٱلدُّنۡيَا﴾، يعنى بلاغ فى الحياة الدنيا، ﴿ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ﴾ فى الآخرة، ﴿ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ﴾ [آية: ٧٠]، بقولهم: إن الملائكة ولد الله.

﴿۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي
بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةً
ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى
ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ
وَجَعَلۡنَٰهُمۡ خَلَٰٓئِفَ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾
ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن
قَبۡلُۚ كَذَٰلِكَ نَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ
فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمًا مُّجۡرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا
قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحۡرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾﴾

﴿۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ﴾، يعنى واقرأ عليهم ﴿نَبَأَ نُوحٍ﴾، يعنى حديث نوح، ﴿إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم﴾، يعنى عظيم عليكم، ﴿مَّقَامِي﴾، يعنى طول مكثى فيكم، ﴿وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ (١)، يعنى تحذيرى إياكم عقوبة الله، ﴿فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ﴾، يعنى بالله احترزت، ﴿فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ﴾ (٢) وآلهتكم، ﴿ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةً﴾، يعنى سوءًا، ﴿ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ﴾ (٣)، يعنى ميلوا إلىّ، ﴿وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [آية: ٧١]، يعنى ولا تمهلون.

﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ﴾، يعنى عصيتم، ﴿فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍ﴾، يعنى من جعل، ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ﴾، يعنى ثوابى، ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [آية: ٧٢]، يعنى من الموحدين.

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ٩٨/١١، تفسير القرطبى ٣٦٢/٨).

(٢) انظر: (معانى القرآن للأخفش ٣٤٦/٢، السبعة ٣٢٨، الكشاف ٢٤٥/٢، إعراب القرآن للنحاس ٦٧/٢، إعراب القرآن للعكبرى ١٧/٢، البحر المحيط ١٧٩/٥، التبيان ٤٠٨/٥، الجامع لأحكام القرآن ٣٦٢/٨، الحجة المنسوبه لابن خالويه ١٨٣، النشر ٢٨٠/٢، مغنى اللبيب ٣٤/٢).

(٣) انظر: (البحر المحيط ١٨٠/٥، إعراب القرآن للعكبرى ١٧/٢، تفسير القرطبى ٣٦٤/٨ الكشاف ٢٤٦/٢، معانى القرآن للفراء ٤٧٤/١).

﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ﴾ من المؤمنين، ﴿فِى ٱلْفُلْكِ﴾، يعنى السفينة، ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ﴾ فى الأرض من بعد نوح، ﴿وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾، يعنى بنوح وما جاء به، ﴿فَٱنظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ [آية: ٧٣]، يعنى المحذرين.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾، يعنى من بعد نوح، ﴿رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾، ثم أخبر بعلمه فيهم، فقال: ﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟﴾، يعنى ليصدقوا ﴿بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ﴾، يعنى العذاب، ﴿مِن قَبْلُ﴾ نزول العذاب، ﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ﴾، يعنى هكذا نختم ﴿عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [آية: ٧٤]، يعنى الكافرين.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم﴾ من بعد الأمم، ﴿مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا﴾، يعنى بعلاماتنا اليد والعصا، ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾، يعنى فتكبروا عن الإيمان، ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [آية: ٧٥]، يعنى كافرين.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا﴾، يعنى موسى وما جاء به من الآيات، ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [آية: ٧٦]، يعنى بين.

﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ (٧٧) قَالُوٓا۟
أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا
بِمُؤْمِنِينَ (٧٨) وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ (٧٩) فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ
لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ (٨٠) فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ
ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ (٨١) وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ
كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ (٨٢) فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ
وَمَلَإِي۟هِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ (٨٣)﴾

﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ﴾ اليد والعصا، ﴿لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾ [آية: ٧٧] فى الدنيا والآخرة.

﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا﴾، يعنى لتصدنا، ﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا﴾، يعنى عما كانت آباؤنا تعبد، ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ﴾، يعنى موسى وهارون، الكبرياء يعنى الملك، ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ٧٨]، يعنى بمصدقين.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ﴾ [آية: ٧٩].

﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ﴾ [آية: ٨٠]، يعني الحبال والعصي.

﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟﴾ الحبال والعصي، سحروا أعين الناس، ﴿قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ﴾ [1]، يعني إن الله سيدحضه ويقهره، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [آية: ٨١]، يعني إن الله لا يعطي أهل الكفر والمعاصي الظفر.

﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾، يقول: يحق الله الدين بالتوحيد، والظفر لنبيه ﷺ، ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [آية: ٨٢].

﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ﴾، يعني فما صدق لموسى ﴿إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ﴾ [2]، يعني أهل بيت أمهاتهم من بني إسرائيل وآباؤهم من القبط، ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِمْ﴾ [3]، يعني ومن معه الأشراف من قومه الأبناء، ﴿أَن يَفْتِنَهُمْ﴾، يعني أن يقتلهم، ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾، يعني جبارًا في الأرض، ﴿وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [آية: ٨٣]، يعني المشركين.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ

(١) انظر: (السبعة لابن مجاهد ٣٢٨، معاني القرآن للفراء ١/٤٧٥، معاني القرآن للفراء ١/٤٧٥).

(٢) انظر: (تفسير الطبري ١١/١٠٣، تفسير الماوردي ٢/١٩٥، زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٤/٥٢، تفسير القرطبي ٨/٢٦٩).

(٣) انظر: (زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٤/٥٣، تفسير القرطبي ٨/٣٦٩).

عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ
ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟﴾، يعنى احترزوا، ﴿إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [آية: ٨٤]، يعنى إن كنتم مقرين بالتوحيد.

﴿فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ٨٥]، يعنى الذين كفروا، يقول: ولا تعذبهم من أجلنا، يقول: إن عذبتهم فلا تجعلنا لهم فتنة.

﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آية: ٨٦].

حدثنا عبيد الله، قال: سمعت أبى، عن الهذيل فى قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، قال: سمعت أبا صالح يقول: ربنا لا تظفرهم بنا، فيظنوا أنهم على حق وأنَّا على باطل. قال: سمعت مرة أخرى يقول: لا تختبرنا ببلاء، فيشمت بنا أعداؤنا من ذلك، وعافنا منه. قال: وسمعته مرة أخرى يقول: لا تبسط لهم فى الرزق وتفتنا بالفقر، فنحتاج إليهم، فيكون ذلك فتنة لنا ولهم.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا﴾ بنى إسرائيل، ﴿بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾، يعنى مساجد، ﴿وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ (١)، يقول: اجعلوا مساجدكم قبل المسجد الحرام، ﴿وَأَقِيمُوا۟﴾ فى تلك البيوت ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ لمواقيتها، ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ٨٧].

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً﴾، يعنى الملك، ﴿وَأَمْوَٰلًا﴾، يعنى أنواع الأموال، ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ﴾، يعنى إنما أعطيتهم ليشكروا ولا يكفروا بدينك، قال موسى: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ﴾، قال هارون: آمين، ﴿وَٱشْدُدْ﴾، يعنى اختم ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾، قال هارون: آمين، ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا۟﴾، يعنى فلا يصدقوا، ﴿حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [آية: ٨٨]، فإذا رأوا العذاب الأليم آمنوا، ولم يغن عنهم شيئًا.

---

(١) انظر: (معانى القرآن للفراء ٤٧٧/١، تفسير الطبرى ١٠٦/١١، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٥٤/٤، تفسير القرطبى ٣٧١/٨، تفسير ابن كثير ٤٢٨/٢، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٣١٤/٣).

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا﴾ [(١)] إلى الله، فصار الداعى والمؤمن شريكين، ﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ﴾، يعنى طريق ﴿الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٨٩] بأن الله وحده لا شريك له، يعنى أهل مصر.

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَآءِيلَ الْبَحْرَ﴾ بيان ذلك فى طه: **﴿فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى الْبَحْرِ يَبسًا لاَّ تَخَافُ دَرَكًا وَلاَ تَخْشَى﴾** [طه: ٧٧]، لا تخاف أن يدركك فرعون، ولا تخشى أن تغرق، ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا﴾ ظلمًا، ﴿وَعَدْوًا﴾، يعنى اعتداء، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ﴾، يعنى صدقت، وذلك حين غشيه الموت، ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِيٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَآءِيلَ﴾، يعنى بالذى صدقت به بنو إسرائيل من التوحيد، ﴿وَأَنَا۠ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [آية: ٩٠].

فأخبر جبريل، عليه السلام، كفًا من حصباء البحر، فجعلها فى فيه، فقال: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ﴾ عند الموت تؤمن، ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾، أى قبل نزول العذاب، ﴿وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [آية: ٩١]، يعنى من العاصين.

﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ [(٢)]، وذلك أنه لما غرق القوم، قالت بنو إسرائيل: إنهم لم يغرقوا، فأوحى الله إلى البحر فطفا بهم على وجهه، فنظروا إلى فرعون على الماء، فمنذ يومئذ إلى يوم القيامة تطفوا الغرقى على الماء، فذلك قوله: ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾، يعنى لمن بعدك إلى يوم القيامة آية، يعنى علمًا، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا﴾، يعنى عجائبنا وسلطاننا ﴿لَغَٰفِلُونَ﴾ [آية: ٩٢]، يعنى لاهون.

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَآءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ الطَّيِّبَٰتِ فَمَا اخْتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ

(١) انظر: (البحر المحيط ٥/١٨٧، تفسير القرطبى ٨/٣٧٦، الكشاف ٢/٢٥٠).

(٢) انظر: (مجمع البيان ٥/١٣٠، الكشاف ٢/٢٥٢، البحر المحيط ٥/١٨٩، تفسير الفخر الرازى ١٧/١٥٧).

حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ
يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ
عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا﴾، يعنى أنزلنا ﴿بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾[1]، منزل صدق، وهو بيت المقدس، ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾، يعنى المطر والنبت، ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟﴾، يعنى أهل التوراة والإنجيل فى نبوة محمد ﷺ، ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُۚ﴾، حتى بعثه الله عز وجل، فلما بعث كفروا به وحسدوه، ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [آية: ٩٣].

﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ﴾ يا محمد ﴿مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَۚ﴾، عبد الله بن سلام وأصحابه، فقال النبى ﷺ عند ذلك: «لا أشك، ولا أسأل بعد، أشهد أنه الحق من عند الله»، ﴿لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [آية: ٩٤]، يعنى من المشركين فى القرآن بأنه جاء من الله تعالى.

ثم حذر النبى ﷺ وأوعز إليه حين قالوا: إنما يلقنه الرى على لسانه، فقال: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾، يعنى القرآن كما كذب به كفار مكة، ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آية: ٩٥].

ثم قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾، يعنى وجبت عليهم كلمة العذاب، يقول: أى سبقت لهم الشقاوة من الله عز وجل فى علمه، ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ٩٦]، يعنى لا يصدقون.

﴿وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [آية: ٩٧] كما سألوا فى بنى إسرائيل ﴿**حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا...**﴾ [الإسراء: ٩٠ - ٩٣] إلى آخر الآيات، وكقوله: ﴿**فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ**﴾ [هود: ١١٦] قال: كل شىء فى القرآن فلولا: فهلا، إلا ما فى يونس وهود.

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ﴾[2] الإيمان عند نزول العذاب، ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟﴾، يعنى صدقوا وتابوا، وذلك أن قوم يونس، عليه السلام، لما نظروا إلى

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١١/١١٤، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٦٢، تفسير القرطبى ٨/٣٨١، تفسير ابن كثير ٢/٤٣١، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٣/٣١٦).

(٢) انظر: (معانى القرآن للفراء ١/٤٧٩، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٥/٦٤، تفسير القرطبى ٨/٣٨٣).

العذاب فوق رءوسهم على قدر ميل، وهم فى قرية تسمى نينوى من أرض الموصل تابوا، فلبس المسوح بعضهم، ونثروا الرماد على رءوسهم، وعزلوا الأمهات من الأولاد، والنساء من الزواج، ثم عجوا إلى الله، فكشف الله عنهم العذاب، ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [آية: ٩٨]، إلى منتهى آجالهم، فأخبرهم يا محمد أن التوبة لا تنفعهم عند نزول العذاب.

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ (١) [آية: ٩٩]، هذا منسوخ، نسختها آية السيف فى براءة.

ثم دل على نفسه بصنعه ليعتبروا فيوحدوه، فقال: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾، يعنى أن تصدق بتوحيد الله حتى يأذن الله فى ذلك، ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ﴾، يعنى الإثم، ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [آية: ١٠٠].

﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾

ثم وعظ كفار مكة، فقال: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، يعنى الشمس، والقمر، والنجوم، والسحاب، والمطر، ﴿وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ والجبال، والأشجار، والأنهار، والثمار، والعيون، ثم أخبر عن علمه فيهم، فقال: ﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْءَايَٰتُ﴾، يعنى العلامات ﴿وَٱلنُّذُرُ﴾، يعنى الرسل، ﴿عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ١٠١].

ثم خوفهم بمثل عذاب الأمم الخالية، فقال: ﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ﴾، يعنى قوم نوح، وعاد، وثمود، والقرون المعذبة، ﴿قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟﴾ الموت، ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ [آية: ١٠٢] بكم العذاب.

﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ﴾ معهم، ﴿كَذَٰلِكَ﴾، يعنى هكذا، ﴿حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ١٠٣] فى الآخرة من النار، وفى الدنيا بالظفر.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ

---

(١) انظر: (زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٦٥).

وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى﴾ الإسلام، ﴿فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، من الآلهة، ﴿وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ﴾، يعني أوحد الله، ﴿ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ١٠٤]، يعني المصدقين.

﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾، يعني مخلصًا، ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آية: ١٠٥] بالله.

﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾

﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، يعني ولا تعبد مع الله إلهًا غيره، ﴿مَا لَا يَنفَعُكَ﴾، يقول: ما إن احتجت إليه لم ينفعك، ﴿وَلَا يَضُرُّكَ﴾، يعني فإن تركت عبادته في الدنيا لا يضرك، وإن لم تعبده، ﴿فَإِن فَعَلْتَ﴾ فعبدت غير الله، ﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ١٠٦]، يعني من المشركين.

ثم خوفهم ليتمسك بدين الله: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾، يعني بمرض، ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ﴾ لذلك الضر، ﴿إِلَّا هُوَ﴾، يعني الرب نفسه، ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾ بعافية وفضل، ﴿فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾، يعني فلا دافع لقضائه، ﴿يُصِيبُ بِهِۦ﴾ بذلك الفضل ﴿مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [آية: ١٠٧].

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾، يعني القرآن، ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ﴾ عن إيمان بالقرآن، ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ [آية: ١٠٨] نسختها آية السيف.

﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾، يعني الحلال والحرام، ثم أوعز إلى نبيه، عليه السلام، ليصبر

على تكذيبهم إياه وعلى الأذى، فقال: ﴿وَٱصۡبِرۡ﴾ يـا محمـد علـى الأذى، ﴿حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ [آية: ١٠٩]، فحكم الله عليها بالسيف فقتلهم ببدر، وعجل الله أرواحهم إلى النار، فصارت منسوخة، نسختها آية السيف.

* * *

سُورَةُ هُودٍ

مكية كلها، غير هذه الآيات الثلاث، فإنهن نزلن بالمدينة، فالأولى قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ﴾ [آية: ١٢]، وقوله تعالى: ﴿أُوْلَـئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ...﴾ [آية: ١٧]، نزلت فى ابن سلام وأصحابه، وقوله: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ...﴾ [آية: ١١٤]، نزلت فى رهبان النصارى، والله أعلم، وهى مائة وثلاث وعشرون آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾﴾

﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ من الباطل، يعنى آيات القرآن، ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ [(١)]، يعنى بينت أمره، ونهيه، وحدوده، وأمر ما كان وما يكون، ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ﴾، يقول: من عند حكيم لأمره، ﴿خَبِيرٍ﴾ [آية: ١] بأعمال الخلائق.

﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ﴾، يعنى ألا توحدوا، ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾، يعنى كفار مكة، ﴿إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ﴾، يعنى من الله، ﴿نَذِيرٌ﴾ من عذابه، ﴿وَبَشِيرٌ﴾ [آية: ٢] بالجنة.

﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ﴾ من الشرك، ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ منه، ﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾، يعنى يعيشكم عيشًا حسنًا فى الدنيا فى عافية ولا يعاقبكم بالسنين ولا بغيرها، ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، يعنى إلى منتهى آجالكم، ﴿وَيُؤْتِ﴾ فى الآخرة، ﴿كُلَّ ذِى فَضْلٍ﴾ فى العمل فى الدنيا، ﴿فَضْلَهُۥ﴾ فى الدرجات، ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ﴾، يعنى تعرضوا عن الإيمان، ﴿فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [آية: ٣]، يعنى عظيم، فلم يتوبوا، فحبس الله عنهم المطر سبع سنين، حتى أكلوا العظام، والموتى، والكلاب، والجيف.

---

(١) انظر: (التبيان ٥/٤٤٦، الكشاف ٢/٢٥٨، تفسير القرطبى ٩/٣، البحر المحيط ٥/٢٠٠، إعراب القرآن للعكبرى ٢/١٩، تفسير الفخر الرازى ١٧/١٧٩، تفسير الطبرى ١١/١٢٥، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٣/٣٢٠).

﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ فى الآخرة لا يغادر منكم أحد، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من البعث وغيره، ﴿قَدِيرٌ﴾ [آية: ٤].

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ (١)، يعنى يلوون، وذلك أن كفار مكة كانوا إذا سمعوا القرآن نكسوا رءوسهم على صدورهم كراهية استماع القرآن، ﴿لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ﴾، يعنى من النبى ﷺ، فالله قد علم ذلك منهم، ثم قال: ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ (٢)، يعنى يعلم ذلك، ﴿يَعْلَمُ﴾ الله حين يغطون رءوسهم بالثياب، ﴿مَا يُسِرُّونَ﴾ فى قلوبهم، وذلك الخفى، ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ بألسنتهم، ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آية: ٥]، يعنى بما فى القلوب من الكفر وغيره.

﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ حيثما توجهت، ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾ بالليل، ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ حيث تموت، ﴿كُلٌّ﴾ نفس كل المستقر والمستودع، ﴿فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [آية: ٦]، يقول: هو بين فى اللوح المحفوظ.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ وما بينهما، ﴿فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾، ثم استوى على العرش، يعنى استقر على العرش، ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ قبل خلق السموات والأرض، وقبل أن يخلق شيئًا، ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾، يعنى خلقهما لأمر هو كائن، خلقهما وما فيهما من الآيات ليختبركم، ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ لربه، ﴿وَلَئِن قُلْتَ﴾ يا محمد لكفار مكة: ﴿إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾

---

(١) انظر: (البحر المحيط ٥/٢٠٢، معانى القرآن للفراء ٢/٣، معانى القرآن للأخفش ٢/٣٥٠، تفسير الطبرى ١١/١٢٦، تفسير القرطبى ٩/٥، إعراب القرآن للنحاس ٢/٧٩، مختصر شواذ القراءات ٥٩، تفسير الآلوسى ١١/٢١٠).

(٢) انظر: (تفسير الطبرى ١١/١٢٥، تفسير الماوردى ٢/٤٠٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٧٨، تفسير القرطبى ٩/٦، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٣/٣٢١).

من أهل مكة: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾ [آية: ٧]، يقول: ما هذا الذى يقول محمد ﷺ إلا سحر بين، حين يخبرنا أنه يكون البعث بعد الموت.

﴿وَلَئِنۡ أَخَّرۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٖ مَّعۡدُودَةٖ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحۡبِسُهُۥٓۗ أَلَا يَوۡمَ يَأۡتِيهِمۡ لَيۡسَ مَصۡرُوفًا عَنۡهُمۡ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٨﴾ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ ﴿٩﴾ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ نَعۡمَآءَ بَعۡدَ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١١﴾﴾

﴿وَلَئِنۡ أَخَّرۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ﴾، يعنى كفار مكة، ﴿إِلَىٰٓ أُمَّةٖ مَّعۡدُودَةٖ﴾، يعنى إلى سنين معلومة، نظيرها فى يوسف: ﴿وَادَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: ٤٥]، يعنى بعد سنين، يعنى القتل ببدر، ﴿لَّيَقُولُنَّ﴾ يا محمد ﴿مَا يَحۡبِسُهُۥٓ﴾ عنا، يعنون العذاب تكذيبًا، يقول الله: ﴿أَلَا يَوۡمَ يَأۡتِيهِمۡ﴾ العذاب ﴿لَيۡسَ مَصۡرُوفًا عَنۡهُمۡ﴾، يقول: ليس أحد يصرف العذاب عنهم، ﴿وَحَاقَ﴾، يعنى ودار ﴿بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ﴾، يعنى بالعذاب ﴿يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [آية: ٨] بأنه ليس بنازل بهم.

﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ﴾، يعنى آتينا الإنسان، ﴿مِنَّا رَحۡمَةٗ﴾، يعنى نعمة، يقول: أعطينا الإنسان خيرًا وعافية، ﴿ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ﴾ عند الشدة من الخير، ﴿كَفُورٞ﴾ [آية: ٩] لله فى نعمة الرخاء.

﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ نَعۡمَآءَ﴾، يقول: ولئن آتيناه خيرًا وعافية، ﴿بَعۡدَ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ﴾، يقول: بعد شدة وبلاء أصابه، يعنى الكافر، ﴿لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ﴾ الضراء الذى كان نزل به، ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ﴾، يعنى لبطر فى حال الرخاء والعافية، ثم قال: ﴿فَخُورٌ﴾ [آية: ١٠] فى نعم الله عز وجل، إذ لا يأخذها بالشكر.

ثم استثنى، فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ على الضر، ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ ليسوا كذلك، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾ لذنوبهم، ﴿وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾ [آية: ١١]، يعنى وأجر عظيم فى الجنة.

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ

إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾، وذلك أن كفار قريش قالوا للنبى ﷺ فى يونس: ﴿ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَـٰذَا﴾، ليس فيه ترك عبادة آلهتنا ولا عيبها، ﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾ [يونس: ١٥] أنت من تلقاء نفسك، فهم النبى ﷺ أن لا يسمعهم عيبها رجاء أن يتبعوه، فأنزل الله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾، يعنى ترك ما أنزل إليك من أمر الآلهة، ﴿وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ﴾ فى البلاغ، أراد أن يحرضه على البلاغ، ﴿أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ﴾، يعنى هلا، ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ﴾، يعنى المال من السماء فيقسمه بيننا، ﴿أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ﴾ يعينه ويصدقه بقوله: إن كان محمد صادقًا فى أنه رسول، ثم رجع إلى أول هذه الآية، فقال: بلغ يا محمد، ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [آية: ١٢]، يعنى شهيد بأنك رسول الله تعالى.

﴿أَمْ﴾، يعنى بل، ﴿يَقُولُونَ﴾ إن محمدًا ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾، قالوا: إنما يقول محمد هذا القرآن من تلقاء نفسه، ﴿قُلْ﴾ لكفار مكة: ﴿فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾، يعنى مختلفات مثله، يعنى مثل القرآن، ﴿وَٱدْعُوا۟﴾، يعنى واستعينوا عليه، ﴿مَنِ ٱسْتَطَعْتُم﴾ من الآلهة التى تعبدون، ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آية: ١٣] بأن محمدًا تقوله من تلقاء نفسه.

قال فى هذه السورة: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾، فلم يأتوا، ثم قال فى سورة يونس: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ [يونس: ٣٨] واحدة، وفى البقرة أيضًا: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣]، فقال الله فى التقديم: ولن تفعلوا البتة أن تجيئوا بسورة: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ﴾ [البقرة: ٢٤]، يعنى فإذا لم تفعلوا، فاتقوا النار التى أعدت للكافرين، ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ﴾، يعنى النبى ﷺ وحده، يقول: فإن لم تفعلوا ذلك يا محمد، فقل لهم: يا معشر كفار مكة: ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ﴾ هذا القرآن ﴿بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾، يعنى بإذن الله، وقراءة ابن مسعود: أنما أنزل بإذن الله، ﴿وَ﴾ اعلموا ﴿وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ بأنه ليس له شريك، إن لم يجيئوا بمثل هذا القرآن قل لهم: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آية: ١٤]، يعنى مخلصين بالتوحيد.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ

﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

﴿مَن كَانَ﴾ من الفجار، ﴿يُرِيدُ﴾ بعمله الحسن ﴿ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا﴾ لا يريد وجه الله، ﴿نُوَفِّ﴾، يعنى نوفى ﴿إِلَيۡهِمۡ﴾ ثواب ﴿أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا﴾، يعنى فى الدنيا من الخير والرزق، نظيرها فى حم عسق، ثم قال: ﴿وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ﴾ [آية: ١٥] نسختها الآية التى فى بنى إسرائيل: ﴿عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ﴾ [الإسراء: ١٨]، يقول: وهم فى الدنيا لا ينقصون من ثواب أعمالهم.

ثم أخبر بمنزلتهم فى الآخرة، فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا﴾، يقول: بطل فى الآخرة ما عملوا فى الدنيا، ﴿وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ (١) [آية: ١٦]، فلم يقبل منهم أعمالهم؛ لأنهم عملوها للدنيا، فلم تنفعهم.

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٞ مِّنۡهُ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةًۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥۚ فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُۚ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتۡلُوهُ﴾، يعنى القرآن، ﴿شَاهِدٞ مِّنۡهُ﴾، يقول: يقرؤه جبريل، عليه السلام، على محمد ﷺ، وهو شاهد لمحمد أن الذى يتلوه محمد من القرآن أنه جاء من الله تعالى.

ثم قال: ﴿وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾، يقول: ومن قبل كتابك يا محمد، قد تلاه

---

(١) انظر: (مجمع البيان ٥/١٤٨، الكشاف ٢/٢٦٢، البحر المحيط ٥/٢١٠، إعراب القرآن للعكبرى ٢/٢٠، إعراب القرآن للنحاس ٢/٨٢).

جبريل على موسى، يعنى التوراة، ﴿إِمَامًا﴾ يقتدى به، يعنى التوراة، ﴿وَرَحۡمَةً﴾ لهم من العذاب، لمن آمن به، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۚ﴾، يعنى أهل التوراة يصدقون بالقرآن كقوله فى الرعد: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ﴾ [الرعد: ٣٦]، يعنى بقرآن محمد ﷺ أنه من الله عز وجل.

﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ﴾ بالقرآن ﴿مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾، يعنى ابن أمية، وابن المغيرة، وابن عبد الله المخزومى، وآل أبى طلحة بن عبد العزى، ﴿فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥۚ﴾، يقول: ليس الذى عمل على بيان من ربه كالكافر بالقرآن موعده النار ليسوا بسواء، ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُۚ﴾، وذلك أن كفار قريش قالوا: ليس القرآن من الله، إنما تقوله محمد، وإنما يلقيه الرى، وهو شيطان يقال له: الرى، على لسان محمد ﷺ، فأنزل الله: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُۚ﴾، يقول: فى شك من القرآن، ﴿إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾، إنه من الله عز وجل، وأن القرآن حق من ربك، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [آية: ١٧]، يعنى ولكن أكثر أهل مكة لا يصدقون بالقرآن أنه من عند الله تعالى.

ثم ذكرهم، فقال: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ﴾، يقول: فلا أحد أظلم ﴿مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ﴾، يعنى تقول ﴿عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ﴾ بأن معه شريكًا، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الكذبة ﴿يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾، يعنى الأنبياء، ويقال: الحفظة، ويقال: الناس، مثل قول الرجل: على رءوس الأشهاد، ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ﴾، يعنى بالأشهاد، يعنى الأنبياء، فإذا عرضوا على ربهم، قالت الأنبياء: نحن نشهد عليكم أنا شهدنا بالحق فكذبونا، ونشهد أنهم كذبوا على ربهم، وقالوا: إن مع الله شريكًا، ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ١٨]، يعنى المشركين، نظيرها فى الأعراف: ﴿أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٤].

ثم أخبر عنهم، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، يعنى دين الإسلام، ﴿وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًا﴾، يقول: ويريدون بملة الإسلام زيفًا، ﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾، يعنى بالبعث الذى فيه جزاء الأعمال، ﴿هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ [آية: ١٩]، يعنى بأنه ليس بكائن.

ثم نعتهم، فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ﴾، يعنى بسابقى الله ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ هربًا حتى يجزيهم بأعمالهم الخبيثة، ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَۘ﴾، يعنى أقرباء يمنعونهم من الله، ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ﴾، يعنى ما كانوا على

سمع إيمان بالقرآن، ﴿وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ﴾ [آية: ٢٠] الإيمان بالقرآن؛ لأن الله جعل فى آذانهم وقرًا، وعلى أبصارهم غشاوة.

ثم نعتهم، فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾، يعنى غبنوا أنفسهم، ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ [آية: ٢١].

﴿لَا جَرَمَ﴾ حقًا، ﴿أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ [آية: ٢٢].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ
فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ هَلْ
يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

ثم أخبر عن المؤمنين وما أعد لهم، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾، يعنى وأخلصوا إلى ربهم، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آية: ٢٣] لا يموتون.

ثم ضرب مثلاً للمؤمنين والكافرين، فقال: ﴿۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾ المؤمن والكافر، ﴿كَٱلْأَعْمَىٰ﴾ عن الإيمان لا يبصر، ﴿وَٱلْأَصَمِّ﴾ عن الإيمان، فلا يسمعه، يعنى الكافر، ثم ذكر المؤمن، فقال: ﴿وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ﴾ للإيمان، ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾، يقول: هل يستويان فى الشبه، فقالوا: لا، فقال: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [آية: ٢٤] أنهما لا يستويان فتعتبروا.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ
إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا
نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ
لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ
مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾
وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّهُم
مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن
طَرَدتُّهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ
إِنِّي مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْ
إِنِّيٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ

إن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ
﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ
رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجۡرَامِي وَأَنَا۠
بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُجۡرِمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

ولما كذب كفار مكة محمدًا بالرسالة، أخبر الله محمدًا، عليه السلام، أنه أرسله رسولاً كما أرسل نوحًا، وهودًا، وصالحًا، ولوطًا، وشعيبًا، فى هذه السورة، فقال: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ﴾، فقال لهم: ﴿إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ﴾ من العذاب فى الدنيا، ﴿مُّبِينٌ﴾ [آية: ٢٥]، يعنى بين، نظيرها فى سورة نوح.

ثم قال: ﴿أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ﴾ فى الدنيا، ﴿عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ﴾ [آية: ٢٦]، يعنى وجيع.

﴿فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ﴾ الأشراف ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا﴾، يعنى إلا آدميًا مثلنا لا تفضلنا بشىء، ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا﴾، يعنى الرذالة من الناس السفلة، ﴿بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ﴾، يعنى بدا لنا أنهم سفلتنا، ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ﴾ فى ملك ولا مال ولا شىء فنتبعك، يعنون نوحًا، ﴿بَلۡ نَظُنُّكُمۡ﴾، يعنى نحسبك من الـ﴿كَٰذِبِينَ﴾ [آية: ٢٧] حين تزعم أنك رسول نبى.

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي﴾، يعنى بيان من ربى، ﴿وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ﴾، يعنى وأعطانى نعمة، ﴿مِّنۡ عِندِهِۦ﴾، وهو الهدى، ﴿فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ﴾، يعنى فخفيت عليكم الرحمة، ﴿أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا﴾، يعنى الرحمة، وهى النعمة والهدى، ﴿كَٰرِهُونَ﴾ [آية: ٢٨].

﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ﴾، يعنى جُعلاً على الإيمان، ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ﴾، يعنى ما جزائى، ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ فى الآخرة، ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ﴾، يعنى وما أنا بالذى لا أقبل الإيمان من السفلة عندكم، ثم قال: ﴿إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ﴾، فيجزئهم بإيمانهم، كقوله: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلاَّ عَلَى رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ [الشعراء: ١١٣]، يعنى لو تعلمون إذا لقوه، ﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ﴾ [آية: ٢٩] ما آمركم به، وما جئت به.

﴿وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي﴾ يمنعنى ﴿مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ﴾، يعنى إن لم أقبل منهم الإيمان،

أى من السفلة، ﴿أَفَلَا﴾، يعنى أفهلا ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ [آية: ٣٠] أنه لا مانع لأحد من الله.

﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾، يعنى مفاتيح الله بأنه يهدى السفلة دونكم، ﴿وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾، يقول: ولا أقول لكم عندى غيب ذلك إن الله يهديهم، وذلك قول نوح فى الشعراء: ﴿وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١٢]، ثم قال لهم نوح: ﴿وَلَآ أَقُولُ﴾ لكم ﴿إِنِّى مَلَكٌ﴾ من الملائكة، إنما أنا بشر، لقولهم: ﴿مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا...﴾ [هود: ٢٧] إلى آخر الآية.

﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ﴾، يعنى السفلة، ﴿لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا﴾، يعنى إيمانًا، وإن كانوا عندكم سفلة، ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾، يعنى بما فى قلوبهم، يعنى السفلة من الإيمان، قال نوح: ﴿إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ٣١] إن لم أقبل منهم الإيمان.

﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا﴾، يعنى ماريتنا، ﴿فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا﴾ (١)، يعنى مراءنا، ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ من العذاب، ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [آية: ٣٢] بأن العذاب نازل بنا، لقوله فى هذه الآية الأولى: ﴿إِنِّىَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [هود: ٢٦].

وذلك أن الله أمر نوحًا أن ينذرهم العذاب فى سورة نوح فكذبوه، فقالوا: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾، بأن العذاب نازل بنا، فرد عليهم نوح: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ﴾، وليس ذلك بيدى، ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [آية: ٣٣]، يعنى بسابقى الله بأعمالكم الخبيثة حتى يجزيكم بها.

﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ﴾ فيما أحذركم من العذاب، ﴿إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾، يعنى يضلكم عن الهدى، فـ﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾، ليس له شريك، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [آية: ٣٤] بعد الموت، فيجزيكم بأعمالكم.

ثم ذكر الله تعالى كفار أمة محمد ﷺ من أهل مكة، فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾، نظيرها فى حم الزخرف: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ﴾، يعنى بل أنا خير ﴿مِّنْ هَذَا

---

(١) انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ٢/٢١، إعراب القرآن للنحاس ٢/٨٨، البحر المحيط ٥/٢١٨، الجامع لأحكام القرآن ٩/٢٨، الكشاف ٢/٢٦٧، معانى القرآن للأخفش ٢/٣٥٢).

﴿ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ﴾ [الزخرف: ٥٢].

﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾، قالوا: محمد يقول هذا القرآن من تلقاء نفسه، وليس من الله، ﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ﴾، يعنى تقولته من تلقاء نفسى، ﴿فَعَلَىَّ إِجْرَامِى﴾، فعلى خطيئتى بافترائى على الله، ﴿وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾ [آية: ٣٥]، يعنى برىء من خطاياكم، يعنى كفركم بالله عز وجل.

﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾

ثم ذكر نوحًا، فقال: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَوَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾، يعنى إلا من صدق بتوحيد الله، ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾، يعنى فلا تحزن، ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [آية: ٣٦]، يعنى بكفرهم بالله عز وجل.

﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ﴾، يعنى السفينة واعمل فيها، ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾، يعنى بعلمنا، ﴿وَوَحْيِنَا﴾ كما نأمرك، فعملها نوح فى أربعمائة سنة، وكانت السفينة من ساج، ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِى﴾، يقول: ولا تراجعنى ﴿فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾، يعنى الذين أشركوا، وهو ابنه كنعان بن نوح، فإنه من الذين ظلموا، ﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ [آية: ٣٧] لقول نوح: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [آية: ٤٥].

﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ﴾، يعنى يعمل فيها، ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ﴾، يعنى كلما أتى عليه ﴿مَلَأٌ﴾، يعنى أشراف ﴿مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ﴾ حين يزعم أنه يصنع بيتًا يسير على الماء، ولم يكونوا رأوا سفينة قط، ﴿قَالَ﴾ لهم نوح: ﴿إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا﴾ لصنعنا السفينة، ﴿فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ﴾ إذا نزل بكم الغرق، ﴿كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [آية: ٣٨].

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ هذا وعيد ﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾، يعنى يذله، يعنى الغرق،

﴿وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ﴾، ويجب عليه ﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [آية: ٣٩]، يعنى فى الآخرة دائمًا لا يزول عن أهله.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾، يعنى قولنا فى نزول العذاب بهم، ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾[1]، فار الماء من التنور الذى يخبز فيه، وكان بأقصى دار نوح بالشام بعين وردة، ﴿قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾، يعنى صنفين اثنين ذكرًا وأنثى، فهو زوجان، ولولا أنه قال: اثنين، لكان الزوجان أربعة، ﴿وَ﴾ احمل ﴿وَأَهۡلَكَ﴾ واسمها والغة، واسم امرأة لوط والهة، فى السفينة، ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ﴾[2]، يعنى العذاب فى اللوح المحفوظ من أهلك، يعنى كنعان بن نوح، فلا تحملهم معك، فاستثنى من أهله ابنه وامرأته، ﴿وَمَنۡ ءَامَنَۚ﴾، يعنى ومن صدق بتوحيد الله، فاحمله فى السفينة، يقول الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ﴾ مع نوح، ﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [آية: ٤٠]، يقال: بأنهم أربعون رجلاً وأربعون امرأة عددهم ثمانون نفسًا، واسم القرية اليوم قرية الثمانين، وهى بالجزيرة قريبة من الموصل، وهى بافردى.

﴿۞وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٍ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٍ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٨﴾ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١٢/٢٤، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/١٠٥، تفسير القرطبى ٩/٣٣، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٣/٣٢٨).

(٢) انظر: (تفسير الطبرى ١٢/٢٦، تفسير الماوردى ٢/٢١٦، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/١٠٤، تفسير القرطبى ٩/٣٥).

كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾

﴿۞وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا﴾ فى السفينة ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ إذا ركبتموها، فقولوا: بسم الله ﴿مَجۡرٜىٰهَا﴾ حين تجرى، ﴿وَمُرۡسَىٰهَآۚ﴾ [١] حين تحبس، ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ﴾ للذنوب، ﴿رَّحِيمٞ﴾ [آية: ٤١] بنا حين نجانا من العذاب.

﴿وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ﴾ [٢] كنعان سبع مرات، وكان ابنه من صلبه، ﴿وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ﴾ كان معتزلاً عنه، ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آية: ٤٢] فتغرق معهم.

﴿قَالَ﴾ ابنه ﴿سَـَٔاوِيٓ﴾، يعنى سأنضم، ﴿إِلَىٰ جَبَلٖ﴾ أصعده ﴿يَعۡصِمُنِي﴾، يعنى يمنعنى ﴿مِنَ﴾ غرق ﴿ٱلۡمَآءِۚ قَالَ﴾ نوح: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ﴾، يعنى لا مانع اليوم ﴿مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾، يعنى به الغرق، ثم استثنى، فقال: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَۚ﴾ ربى، يقول: من عصم من المؤمنين فركب معى فى السفينة، فإنه لن يغرق، يقول الله تعالى: ﴿وَحَالَ﴾، يعنى وحجز ﴿بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ﴾، يعنى بين نوح وابنه كنعان، ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ﴾ [آية: ٤٣]، وغضب الله على كنعان حين ظن أن الجبل يمنعه من الله فلا يغرق.

﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ﴾ بعدما غرقتهم أجمعين، فابتلعت الأرض ما خرج منها من الماء، ﴿وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي﴾، يعنى أمسكى، قال: فلم تقع قطرة، ﴿وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ﴾، يعنى ونقص الماء وطهرت الجبال، ﴿وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾، يعنى العذاب بالغرق على الكافرين فغرقوا، ﴿وَٱسۡتَوَتۡ﴾ السفينة ﴿عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ﴾ [٣] شهرًا، وهو جبل قريب من الموصل؛ لأن الجبال تطاولت وتواضع الجودى، ﴿وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ٤٤]، يعنى المشركين، يعنى بالبعد الهلاك.

---

(١) انظر: (السبعة لابن مجاهد ٣٣٣، معانى القرآن للفراء ١٤/٢، تفسير الطبرى ٢٧/١٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ١٠٨/٤).

(٢) انظر: (التبيان ٤٩٥/٥، الجامع لأحكام القرآن ٣٨/٩، الكشاف ٢٧٠/٢، مجمع البيان ١٦٠/٥، تفسير الفخر الرازى ٢٣١/١٧، إعراب القرآن للعكبرى ٢١/٢، إعراب القرآن للنحاس ٩٢/٢، مختصر شواذ القراءات ٦٠).

(٣) انظر: (معانى القرآن للفراء ١٦/٢، إتحاف فضلاء البشر ٢٥٦، إعراب القرآن للعكبرى ٢٢/٢، البحر المحيط ٢٢٩/٥).

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ﴾ ، يعنى دعا نوح ربه، فيها تقديم، ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾ الذين وعدتنى أن تنجيهم من الغرق، ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ﴾ ، يعنى الصدق، ولا خلاف له فى النجاة، ﴿وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [آية: ٤٥]، يعنى خير الحاكمين لا تجور فى القضاء.

﴿قَالَ﴾ الله تعالى: ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ الذين وعدتك أن أنجيهم، ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ ، يعنى عمل شركا، ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ﴾ ، يعنى أؤدبك ﴿أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [آية: ٤٦] لسؤالك إياى.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ﴾ بعد النهى ﴿مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى﴾ ذنبى، يعنى مقالى، ﴿وَتَرْحَمْنِىٓ﴾ فلا تعذبنى، ﴿أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آية: ٤٧] فى العقوبة.

﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ﴾ من السفينة ﴿بِسَلَٰمٍ مِّنَّا﴾ ، فسلمه الله ومن معه من الغرق، ثم قال: ﴿وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ فى السفينة، يعنى بالبركة أنهم توالدوا وكثروا بعدما خرجوا من السفينة، ثم قال: ﴿وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ فى الدنيا إلى آجالهم، ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا﴾ يقول: يصيبهم منا ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آية: ٤٨]، يعنى وجيع، يعنى بالأمم قوم هود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وشعيب، الذين أهلكهم الله فى الدنيا بالعذاب بعد قوم نوح.

ثم قال: ﴿تِلْكَ﴾ القصة ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ﴾ ، يعنى من أحاديث ﴿ٱلْغَيْبِ﴾ غاب عنك، لم تشهدها يا محمد، ولم تعلمها إلا بوحينا، ﴿نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ﴾ يا محمد ﴿وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾ القرآن حتى أعلمناك أمرهم فى القرآن، يعنى الأمم الخالية قوم نوح، وهود، وصالح، وغيرهم، ﴿فَٱصْبِرْ﴾ على تكذيب كفار مكة، وعلى أذاهم ﴿إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ﴾ ، يعنى الجنة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آية: ٤٩] الشرك.

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ

إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ
﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا
مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم
مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔاۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ
عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌۖ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ
عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْۗ أَلَا بُعْدًا
لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ﴾ أرسلنا ﴿أَخَاهُمْ هُودًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾، يعنى وحدوا الله ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓۖ﴾، يعنى ليس لكم رب غيره، ﴿إِنْ أَنتُمْ﴾، يعنى ما أنتم ﴿إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ [آية: ٥٠] الكذب حين تقولون إن لله شريكًا، وذلك أنهم قالوا لأنبيائهم: تريدون أن تملكوا علينا فى أموالنا، فذلك قول الأنبياء لهم: ﴿**يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا**﴾ [الشعراء: ١٢٧]، يعنى ما جزائى إلا على الله.

وذلك قول قوم هود: ﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ أَجْرِيَ﴾، يعنى ما جزائى ﴿إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ﴾، يعنى خلقنى، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [آية: ٥١] أنه ليس مع الله شريك.

﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ﴾ من الشرك، ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾، يعنى المطر متتابعًا، وقد كان الله تعالى حبس عنهم المطر ثلاث سنين، وحبس عنهم الولد، فمن ثم قال: ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾، يعنى عددًا إلى عددكم وتتوالدون وتكثرون، ثم قال لهم هود: ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ﴾ [آية: ٥٢]، يقول: ولا تعرضوا عن التوحيد مشركين.

﴿قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾، يعنى ببيان أنك رسول إلينا من الله، ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ﴾، يعنون عبادة الأوثان، ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ٥٣]، يعنى بمصدقين بأنك رسول.

﴿إِن﴾، يعنى ما ﴿نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ﴾، يعنون جنونًا أصابك به، ﴿بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍۗ﴾، يعنون أنه يعتريك من آلهتنا الأوثان بجنون أو بخبل، ولا نحب أن يصيبك أو

يعتريك ذلك فاجتنبها سالمًا.

قال عبد الله: قال الفراء: الخبل مُسكَّنَةُ الباء العلة المانعة من الحركة المعطلة للبدن، والخبل: الجنون محركة الباء، فرد عليهم هود: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾ [آية: ٥٤].

﴿مِن دُونِهِۦۖ﴾ من الآلهة، ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعٗا﴾ أنتم والآلهة، ﴿ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ [آية: ٥٥]، يعنى ثم لا تناظرون، يعنى لا تمهلون.

﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ﴾، يعنى وثقت بالله، ﴿رَبِّي وَرَبِّكُمۚ﴾ حين خوفوه آلهتهم أنها تصيبه، ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ﴾، يعنى ما من شيء، ﴿إِلَّا﴾ و ﴿هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ﴾، يقول: إلا الله يميتها، ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [آية: ٥٦]، يعنى على الحق المستقيم.

﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾، يعنى فإن تعرضوا عن الإيمان، ﴿فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ﴾ من نزول العذاب بكم فى الدنيا، ﴿وَيَسۡتَخۡلِفُ رَبِّي﴾ بعد هلاككم ﴿قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ﴾ أمثل وأطوع لله منكم، ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيۡـًٔاۚ﴾ يقول: ولا تنقصونه من ملكه شيئًا، إنما تنقصون أنفسكم، ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ﴾ من أعمالكم ﴿حَفِيظٞ﴾ [آية: ٥٧].

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾، يعنى قولنا فى نزول العذاب، ﴿نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ من العذاب ﴿بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا﴾، يعنى بنعمة منا عليهم، ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ﴾ [آية: ٥٨]، يعنى شديد، وهى الريح الباردة لم تفتر عنهم حتى أهلكتهم.

﴿وَتِلۡكَ عَادٞۖ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾، يعنى كفروا بعذاب الله بأنه غير نازل بهم فى الدنيا، ﴿وَعَصَوۡاْ رُسُلَهُۥ﴾، يعنى هودًا وحده، ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ﴾ [آية: ٥٩]، يعنى متعظمًا عن التوحيد، فهم الأتباع، اتبعوا قول الكبراء فى تكذيب هود، ﴿عَنِيدٖ﴾، يعنى معرضًا عن الحق، وكان هذا القول من الكبراء للسفلة فى سورة المؤمنين ﴿**مَا هَٰذَا**﴾، يعنى هودًا ﴿**إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ**﴾ [المؤمنون: ٣٣] من الشراب.

وقال للأتباع: ﴿**وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ**﴾ [المؤمنون: ٣٤]، يعنى لعجزة، فهذا قول الكبراء للسفلة، فاتبعوهم على قولهم، ﴿وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ﴾، يعنى العذاب، وهى الريح التى أهلكتهم، ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾، يعنى عذاب النار،

﴿أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ﴾، يعنى بتوحيد ربهم، ﴿أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ [آية: ٦٠] فى الهلاك.

﴿۞وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿۞وَإِلَىٰ ثَمُودَ﴾ أرسلنا ﴿أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ﴾ ليس بأخيهم فى الدين، ولكنه أخوهم فى النسب، وهو صالح بن آسف، ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾، يعنى وحدوا الله، ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾، يعنى هو خلقكم من الأرض، ﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾، يعنى وعمركم فى الأرض، ﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ من الشرك ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ﴾ منه ﴿إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ﴾ منكم فى الاستجابة ﴿مُّجِيبٌ﴾ [آية: ٦١] الدعاء، كقوله: ﴿**فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**﴾ [البقرة: ١٨٦].

﴿قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآۖ﴾، يعنى مأمولاً قبل هذا كنا نرجو أن ترجع إلى ديننا، فما هذا الذى تدعونا إليه؟ ﴿أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ من الآلهة، ﴿وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾ من التوحيد ﴿مُرِيبٍ﴾ [آية: ٦٢]، يعنى بالمريب أنهم لا يعرفون شكهم.

﴿قَالَ﴾ صالح ﴿يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾، يعنى على بيان من ربى، ﴿وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً﴾، يقول: أعطانى نعمة من عنده، وهو الهدى، ﴿فَمَن يَنصُرُنِى﴾، يعنى فمن يمنعنى ﴿مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥۖ﴾، يعنى إن رجعت إلى دينكم،

لقولهم صالح قد كنت فينا مرجو قبل هذا الذى تدعونا إليه، ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ [آية: ٦٣]، يقول: فما تزيدوننى إلا خسارًا. قال عبد الله: قال الفراء: المعنى كلما دعوتكم زدتمونى تباعدًا منى، فأنتم بذلك تخسرون، يعنى تهلكون.

﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾، يعنى عبرة، ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾، لا تكلفكم مؤنة، ولا علفًا، ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾، يقول: ولا تصيبوها بعقر، ﴿فَيَأْخُذَكُمْ﴾ فى الدنيا، ﴿عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ [آية: ٦٤] منكم، لا تمهلون حتى تعذبوا.

﴿فَعَقَرُوهَا﴾ ليلة الأربعاء بالسيف فماتت، ﴿فَقَالَ﴾ لهم صالح: ﴿تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ﴾، يعنى محلتكم فى الدنيا، ﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ﴾ العذاب ﴿وَعْدٌ﴾ من الله ﴿غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [آية: ٦٥] ليس فيه كذب بأن العذاب نازل بهم بعد ثلاثة الأيام، فأهلكهم الله صبيحة يوم الرابع يوم السبت.

فذلك قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾، يعنى قولنا فى العذاب، ﴿نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾، يعنى بنعمة عليهم منا، ﴿وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ﴾، يعنى ونجيناهم من عذاب يومئذ، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ﴾ فى نصر أوليائه، ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ [آية: ٦٦]، يعنى المنيع فى ملكه وسلطانه حين أهلكهم.

﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾، يعنى الذين أشركوا ﴿ٱلصَّيْحَةُ﴾، صيحة جبريل، عليه السلام، ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [آية: ٦٧]، يعنى فى منازلهم خامدين.

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ﴾، يقول: كأنهم لم يكونوا فى الدنيا قط، ﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟﴾ بتوحيد ﴿رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾ [آية: ٦٨] فى الهلاك.

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ
بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟
لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ
وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ
هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ
ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى
قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ إِنَّهُۥ قَدْ
جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ

وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ
كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى
ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ
لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُواْ يَٰلُوطُ
إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ
إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا
جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾
مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ﴾

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ﴾ ، وهو جبريل ومعه ملكان وهما ملك الموت وميكائيل، ﴿إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ فى الدنيا الولد بإسحاق ويعقوب، ﴿قَالُواْ سَلَٰمًا﴾ ، قالوا: تحية لإبراهيم، فسلموا على إبراهيم، فرد إبراهيم عليهم، فـ﴿قَالَ سَلَٰمٌ﴾ ، يقول: رد إبراهيم خيرًا، وهو يرى أنهم من البشر، ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ﴾ إبراهيم ﴿بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [آية: ٦٩]، يعنى الحنيذ النضيج؛ لأنه كان البقر أكثر أموالهم، والحنيذ الشواء الذى أنضج بحر النار من غير أن تمسه النار بالحجارة تحمى وتجعل فى سرب فتشوى.

﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾ ، أى إلى العجل، ﴿نَكِرَهُمْ﴾ ، يعنى أنكرهم وخاف شرهم، ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ ، يقول: فوقع عليه الخوف منهم فرعد، ﴿قَالُواْ﴾ ، أى قالت الملائكة: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ [آية: ٧٠] بهلاكهم، ولوط بن حازان، وامرأة سارة بنت حازان أخت لوط، وإبراهيم عم لوط وختنه على أخته.

﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ﴾ ، وهى سارة، ﴿قَآئِمَةٌ﴾ وإبراهيم جالس، ﴿فَضَحِكَتْ﴾ من خوف إبراهيم ورعدته من ثلاثة نفر، وإبراهيم فى حشمه وخدمه، فقال جبريل، عليه السلام، لسارة: إنك ستلدين غلامًا، فذلك قوله: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [آية: ٧١].

﴿قَالَتْ﴾ سارة: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا﴾ [1]، وهو ابن سبعين

(١) انظر: (إعراب القرآن للعكبرى ٢٣/٢، إعراب القرآن للنحاس ١٠٢/٢، إتحاف ٢٥٩، تفسير القرطبى ٧٠/٩، مجمع البيان ١٧٥/٥، معانى القرآن للأخفش ٣٥٦/٢، معانى القرآن للفراء ٢٣/٢، مغنى اللبيب ١٤٢/٢، ١٤٣، البحر المحيط ٢٤٤/٥ مختصر شواذ القراءات ٦٠، الكشاف ٢٨١/٢، مجمع البيان ١٧٥/٥).

سنة، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [آية: ٧٢]، يعنى لأمر عجيب أن يكون الولد من الشيخين الكبيرين.

﴿قَالُوٓاْ﴾، قال جبريل لهما: ﴿أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ أن يخلق ولدًا من الشيخين، ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ﴾، يعنى نعمة الله وبركاته، ﴿عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾، يعنى بالبركة ما جعل الله منهم من الذرية، ﴿إِنَّهُۥ حَمِيدٌ﴾ فى خلقه، ﴿مَّجِيدٌ﴾ [آية: ٧٣]، يعنى كريم.

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ﴾، يعنى الخوف، ﴿وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ فى الولد ﴿يُجَٰدِلُنَا﴾، يعنى يخاصمنا إبراهيم ﴿فِى قَوْمِ لُوطٍ﴾ [آية: ٧٤]، كقوله فى الرعد: ﴿**يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ**﴾ [الرعد: ١٣]، ومثل قوله: ﴿**قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا**﴾ [هود: ٣٢].

وخصومة إبراهيم، عليه السلام، أنه قال: يا رب، أتهلكهم إن كان فى قوم لوط خمسون رجلاً مؤمنين؟ قال جبريل، عليه السلام: لا، فما زال إبراهيم، عليه السلام، ينقص خمسة خمسة، حتى انتهى إلى خمسة أبيات، قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾، يعنى لعليم، ﴿أَوَّٰهٌ﴾، يعنى موقن، ﴿مُّنِيبٌ﴾ [آية: ٧٥] مخلص.

وقال جبريل لإبراهيم: ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ﴾ الجدال حين قال: أتهلكهم إن كان فيهم كذا وكذا، ثم قال جبريل، عليه السلام: ﴿إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾، يعنى قول ربك فى نزول العذاب بهم، ﴿وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ [آية: ٧٦]، يعنى غير مدفوع عنهم، يعنى الخسف والحصب بالحجارة.

قوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا﴾ جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت، ﴿لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ﴾، يعنى كرههم لصنيع قومه بالرجال مخافة أن يفضحوهم، ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ﴾ جبريل ﴿هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ [آية: ٧٧]، يعنى فظيع فاش شره عليه.

﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾، يعنى يسرعون إليه مشاة إلى لوط، ﴿وَمِن قَبْلُ﴾ أن نبعث لوطًا، ﴿كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾، يعنى نكاح الرجال، و﴿قَالَ﴾ لوط: ﴿يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى﴾ ريثا وزعوثا، فتزوجوهما ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾(1)، يعنى أحل

---

(١) انظر: (معانى القرآن للأخفش ٣٥٦/٢، الكشاف ٢٨٣/٢، مجمع البيان ١٨١/٥، التبيان ٤٠/٦، الطبرى ٥٢/١٢، القرطبى ٧٦/٩، إعراب القرآن للعكبرى ٢٤/٢، إعراب القرآن للنحاس ١٠٤/٢، مغنى اللبيب ١٠٤/٢، همع الهوامع ٢٣٨/١).

لكم من إتيان الرجال، ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في معصيته، ﴿وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ﴾ [آية: ٧٨]، يقول: ما منكم رجل مرشد.

﴿قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ﴾، يعنون من حاجة، ﴿وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ [آية: ٧٩] أنهم يريدون الأضياف.

﴿قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً﴾، يعني بطشًا، ﴿أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ﴾ (١) [آية: ٨٠]، يعني منيع، يعني رهط، يعني عشيرة لمنعتكم مما تريدون.

﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ﴾، قال جبريل للوط: ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ﴾ بسوء؛ لأنهم قالوا للوط: إنَّا نرى معك رجالاً سحروا أبصارنا، فستعلم غدًا ما تلقى أنت في أهلك، فقال جبريل، عليه السلام: ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ﴾ ﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ﴾، يعني امرأته وابنتيه، ﴿بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾، يعني ببعض الليل، ﴿وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ﴾ البتة ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ﴾ فإنها تلتفت، يقول: لا ينظر منكم أحد وراءه، ثم استثنى: ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ﴾ تلتفت، ﴿إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا﴾ من العذاب ﴿مَآ أَصَابَهُمۡۚ﴾، يعني قوم لوط، فالتفتت فأصابها حجر فقتلها، ثم قال: ﴿إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ﴾، ثم يهلكون، قال لوط لجبريل: عجل عليَّ بهلاكهم الآن، فرد عليه جبريل: ﴿أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ﴾؟ [آية: ٨١].

يقول الله: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾، يعني قولنا في نزول العذاب، ﴿جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾، يعني الخسف، ﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا﴾، يعني على أهلها من كان خارجًا من المدائن الأربع، ﴿حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ﴾، يعني حجارة خالطها الطين، ﴿مَّنضُودٖ﴾ [آية: ٨٢]، يعني ملزق الحجر بالطين.

﴿مُّسَوَّمَةً﴾، يعني معلمة، ﴿عِندَ رَبِّكَۖ﴾، يعني جاءت من عند الله عز وجل، ثم قال: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ﴾ [آية: ٨٣]؛ لأنها قريب من الظالمين، يعني من مشركي مكة، فإنها تكون قريبًا، يخوفهم منها، وسيكون ذلك في آخر الزمان، يعني ما هي ببعيد؛ لأنها قريب منهم، والبعيد ما ليس بكائن، فذلك قوله: ﴿**إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا**﴾ [المعارج: ٦، ٧]، يعني كائنًا.

---

(١) انظر: (البحر المحيط ٥/٢٤٧، الكشاف ٢/٢٨٣، إعراب القرآن للعكبري ٢/٢٤، مجمع البيان ٥/١٨١).

﴿ ۞ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ وَلَا
تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۖ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ
مُّحِيطٖ (٨٤) وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ
أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ (٨٥) بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم
مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ (٨٦) قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا
يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ (٨٧)
قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ
أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ
عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ (٨٨) وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ
قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ (٨٩) وَٱسۡتَغۡفِرُواْ
رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ (٩٠) ﴾

قوله: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ ﴾، وهو ابن إبراهيم خليل الرحمن، وشعيب بن نويب بن مدين بن إبراهيم، ﴿ ۞ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ ﴾، يعنى أرسلنا، ﴿ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ ﴾، وليس بأخيهم فى الدين، ولكن فى النسب، ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾، يعنى وحدوا الله، ﴿ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ ﴾، يقول: ليس لكم رب غيره، ﴿ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۖ ﴾ إذا كلتم ووزنتم، ﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ ﴾، يعنى موسرين فى نعمة، ﴿ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ ﴾، فى الدنيا، ﴿ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ﴾ [آية: ٨٤]، يعنى أحاط بهم العذاب، فلم ينج منهم أحد.

﴿ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ ﴾، يعنى بالعدل، ﴿ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ ﴾، يعنى ولا تنقصوا الناس حقوقهم، ﴿ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴾ [آية: ٨٥]، يقول: لا تعملوا فيها المعاصى، يعنى بالفساد نقصان الكيل والميزان.

﴿ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ ﴾، يعنى ثواب الله فى الآخرة ﴿ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ ﴾، يعنى لو كنتم مؤمنين بالله عز وجل، لكان ثوابه خير لكم من نقصان الكيل والميزان، كقوله: ﴿ **مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ** ﴾ [النحل: ٩٦]، يعنى ثوابه باق، ﴿ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم ﴾، يعنى على أعمالكم ﴿ بِحَفِيظٖ ﴾ [آية: ٨٦]، يعنى برقيب، والله الحافظ لأعمالكم.

﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ﴾، يعنى أن نعتزل ﴿مَا﴾ كان ﴿يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾، وكانوا يعبدون الأوثان، ﴿أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ﴾، يعنون إن شئنا نقصنا الكيل والميزان، وإن شئنا وفينا، ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ﴾، يعنون السفيه، ﴿ٱلرَّشِيدُ﴾ [آية: ٨٧]، يعنون الضال، قالوا ذلك لشعيب استهزاء.

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ﴾، يعنى الإيمان، وهو الهدى، ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ﴾، يعنى وما أريد أن أنهاكم عن أمر، ثم أركبه، لقولهم لشعيب فى الأعراف: ﴿**أوْ لَتعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا**﴾ [الأعراف: ٨٨].

ثم قال: ﴿إِنۡ أُرِيدُ﴾، يعنى ما أريد ﴿إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ﴾ فى الإصلاح بالخير ﴿إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ﴾، يقول: به وثقت، لقولهم: ﴿**لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا**﴾ [الأعراف: ٨٨]، ﴿وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [آية: ٨٨]، وإليه المرجع بعد الموت.

﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ﴾(١)، يقول: لا تحملنكم عداوتى ﴿أَن يُصِيبَكُم﴾ من العذاب فى الدنيا ﴿مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ﴾ من الغرق، ﴿أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ﴾ من الريح، ﴿أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ﴾ من الصيحة، ﴿وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ﴾، أى ما أصابهم من الخسف والحصب ﴿مِّنكُم بِبَعِيدٖ﴾ [آية: ٨٩]، كان عذاب قوم لوط أقرب العذاب إلى قوم شعيب من غيرهم.

﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ﴾ من الشرك، ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ﴾ منها ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ﴾ لمن تاب وأطاعه، ﴿وَدُودٞ﴾ [آية: ٩٠]، يعنى مجيب.

﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ

---

(١) انظر: (إعراب القرآن للنحاس ٢/١٠٨، إعراب القرآن للعكبرى ٢/٢٤، القرطبى ٩/٩٠، النشر ٢/٢٤٦، إتحاف فضلاء البشر ٢٦٠، البحر المحيط ٥/٢٥٥).

بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمۡ
يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّمَدۡيَنَ كَمَا بَعِدَتۡ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ
مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ ﴿٩٧﴾
يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتۡبِعُواْ فِي
هَٰذِهِۦ لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ بِئۡسَ ٱلرِّفۡدُ ٱلۡمَرۡفُودُ ﴿٩٩﴾

﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ﴾، يعنى ما نعقل، ﴿كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ﴾ لنا من التوحيد، ومن وفاء الكيل والميزان، ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ﴾، يعنى ذليلاً لا قوة لك ولا حيلة، ﴿وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ﴾، يعنى عشيرتك وأقرباءك لقتلناك، ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا﴾، يعنى عندنا ﴿بِعَزِيزٖ﴾ [آية: ٩١]، يعنى بعظيم، مثل قول السحرة: ﴿بِعِزَّةِ فِرۡعَوۡنَ﴾ [الشعراء: ٤٤]، يعنون بعظمة فرعون، يقولون: أنت علينا هين.

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾، يعنى أعظم عندكم من الله عز وجل، ﴿وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ﴾، يقول: أطعتم قومكم ونبذتم الله وراء ظهوركم، فلم تعظموه، فمن لم يوحده لم يعظمه، ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾ [آية: ٩٢]، يعنى من نقصان الكيل والميزان، يعنى أحاط علمه بأعمالكم.

﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾ هذا وعيد، يعنى على جديلتكم التى أنتم عليها، ﴿إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾، هذا وعيد، ﴿مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ﴾، يعنى يذله، ﴿وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ﴾ بنزول العذاب بكم أنا أو أنتم، لقولهم: ليس بنازل بنا، ﴿وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ﴾ [آية: ٩٣]، يعنى انتظروا العذاب، فإنى منتظر بكم العذاب فى الدنيا.

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾، يعنى قولنا فى العذاب، ﴿نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا﴾، يعنى بنعمة منا عليهم، ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ﴾، يعنى صيحة جبريل، عليه السلام، ﴿فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾ [آية: ٩٤]، يعنى فى منازلهم موتى.

﴿كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ﴾، يعنى كأن لم يكونوا فى الدنيا قط، ﴿أَلَا بُعۡدٗا لِّمَدۡيَنَ﴾ فى الهلاك، ﴿كَمَا بَعِدَتۡ ثَمُودُ﴾ (١) [آية: ٩٥]، يعنى كما هلكت ثمود؛ لأن كل واحدة

---

(١) انظر: (البحر المحيط ٥/٢٥٧، القرطبى ٩/٩٢، الكشاف ٢/٢٩١، مجمع البيان ٥/١٨٦، إعراب القرآن للنحاس ٢/١٠٩، إعراب القرآن للعكبرى ٢/٢٥).

منهما هلكت بالصيحة، فمن ثم اختص ذكر ثمود من بين الأمم.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾، يعنى اليد والعصى، ﴿وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [آية: ٩٦].

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ﴾، يعنى أشراف قومه، ﴿فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾ فى المؤمن حين قال: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى﴾ [غافر: ٢٩]، فأطاعوا فرعون فى قوله، يقول الله عز وجل: ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ [آية: ٩٧] لهم، يعنى بهدى.

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ﴾ القبط ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، يعنى فرعون قائدهم إلى النار، ويتبعونه كما يتبعونه فى الدنيا، ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ فأدخلهم، ﴿وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ [آية: ٩٨] المدخل المدخول.

﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ لَعْنَةً﴾، يعنى العذاب، وهو الغرق، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ لعنة أخرى فى النار، ﴿بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ [آية: ٩٩]، فكأن اللعنتين أردفت إحداهما الأخرى.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾، يعنى هذا الخبر الذى أخبرت، ﴿مِنْ أَنبَاءِ﴾، يعنى من حديث، ﴿الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ﴾، فحذر قومك مثل عذاب الأمم الخالية، ﴿مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ [آية: ١٠٠]، يقول: من القرى ما ينظر إليها ظاهرة، ومنها خامدة قد ذهبت ودرست.

﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ فنعذبهم على غير ذنب، ﴿وَلَٰكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾، يعنى التى يعبدون من دون الله ﴿مِن شَيْءٍ﴾ حين عذبوا، ﴿لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾، يعنى حينما جاء قول ربك فى العذاب، ﴿وَمَا زَادُوهُمْ﴾، يعنى الآلهة ﴿غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ [آية: ١٠١]، يعنى غير تخسير، حيث لم ينفعوهم عند الله. قال عبد الله: قال الفراء: نحن أعز من أن نظلم، ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ نحن أعدل من أن نظلم.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ﴾ ، أى مشـــــركة، ﴿إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ﴾ ، يعنى بطشه، ﴿أَلِيمٞ﴾ ، يعنى وجيع، ﴿شَدِيدٌ﴾ [آية: ١٠٢].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ﴾ ، يعنى إن فى هلاك القرى لعبرة، ﴿لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ﴾ [آية: ١٠٣]، شهد الرب والملائكة لعرض الخلائق وحسابهم.

﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٖ مَّعۡدُودٖ﴾ [آية: ١٠٤]، يعنى وما نؤخر يوم القيامة إلا لأجل موقوت.

﴿يَوۡمَ يَأۡتِ﴾ ذلك اليوم، ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ بإذن الله تعالى، ﴿فَمِنۡهُمۡ﴾ ، يقول الله تعالى: فمن الناس ﴿شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ﴾ [آية: ١٠٥].

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ ١٠٦ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ١٠٧﴾

ثم بين ثوابهم، فقال: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا﴾ فى الخلود، ﴿زَفِيرٞ﴾ ، يعنى آخر نهيق الحمار، قال: ﴿وَشَهِيقٌ﴾ [آية: ١٠٦] فى الصدور، يعنى أول نهيق الحمار. قال أبو محمد، يعنى عبد الله بن ثابت: قال أبو العباس ثعلب: الزفير من البدن كله، والشهيق من الصدر.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ لا يموتون ﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ﴾ ، يقول: كما تدوم السموات والأرض لأهل الدنيا، ولا يخرجون منها، فكذلك يدوم الأشقياء فى النار، ثم قال: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ﴾ ، فاستثنى الموحدين الذين يخرجون من النار لا يخلدون، يعنى الموحدين، ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [آية: ١٠٧]. قال عبد الله بن ثابت: قال الفراء: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ﴾ ، يعنى سوى ما شاء ربك من زيادة الخلق فى النار.

﴿۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ١٠٨﴾

﴿۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ كما تدومان لأهل الدنيا، ثم لا يخرجون منها، وكذلك السعداء فى الجنة، ثم استثنى، فقال: ﴿إِلَّا مَا

﴿شَآءَ رَبُّكَ﴾، يعنى الموحدين الذين يخرجون من النار، ثم قال: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [آية: ١٠٨]، يعنى غير مقطوع عنهم أبدًا.

﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾﴾

﴿فَلَا تَكُ﴾ يا محمد ﴿فِى مِرْيَةٍ﴾، يعنى فى شك، ﴿مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾، يعنى كفار مكة أنها ضلال، ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم﴾ الأولون ﴿مِّن قَبْلُ﴾، يعنى من قبلهم، ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾، يقول: إنّا لموفون لهم حظهم من العذاب، ﴿غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ [آية: ١٠٩] عنهم.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾، يعنى أعطينا موسى التوراة، ﴿فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾، يعنى من بعد موسى، يقول: آمن بالتوراة بعضهم وكفر بها بعضهم، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ يا محمد فى تأخير العذاب عنهم إلى وقت، ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ فى الدنيا بالهلاك حين اختلفوا فى الدين، ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾، يعنى من الكتاب الذى أوتوه، ﴿مُرِيبٍ﴾ [آية: ١١٠]، يعنى بالمريب الذين لا يعرفون شكهم.

ثم رجع إلى أول الآية، فقال: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾[(١)]، ولما هاهنا صلة، يقول: يوفر لهم ربك جزاء أعمالهم، ﴿إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آية: ١١١].

﴿فَٱسْتَقِمْ﴾، يعنى فامض يا محمد بالتوحيد ﴿كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ من الشرك، فليستقيموا معك، فامضوا على التوحيد، ﴿وَلَا تَطْغَوْا۟﴾ فيه، يقول: ولا تعصوا الله فى التوحيد، ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آية: ١١٢].

---

(١) انظر: (إعراب القرآن للنحاس ١١٤/٢، البحر المحيط ٢٦٦/٥، الطبرى ٧٤/١٢، ٧٥، مجمع البيان ١٩٦/٥، معانى القرآن للفراء ٣٠/٢، التبيان ٧٥/٦، الحجة لأبى زرعة ٣٥١، القرطبى ١٠٥/٩، الكشاف ٢٩٥/٢).

﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾[(١)]، يعني ولا تميلوا إلى أهل الشرك، يقول: ولا تلحقوا بهم، ﴿فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾، يعني فتصيبكم النار، ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ﴾، يعني من أقرباء يمنعونكم، يقول: لا يمنعونكم من النار، ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [آية: ١١٣].

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ﴿١١٧﴾ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، يعني وأتم الصلاة، يعني ركوعها وسجودها، ﴿طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾، يعني صلاة الغداة، وصلاة الأولى، والعصر، ثم قال: ﴿وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ﴾[(٢)]، يعني صلاة المغرب والعشاء، ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ﴾، يعني الصلوات الخمس ﴿يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾، يعني يكفرن الذنوب ما اجتنبت الكبائر، نزلت في أبي مقبل، واسمه عامر بن قيس الأنصاري، من بني النجار، أتته امرأة تشتري منه تمرًا فراودها، ثم أتى النبي ﷺ، فقال: إني خلوت بامرأة، فما شيء يفعل بالمرأة إلا وفعلته بها، إلا أني لم أجامعها، فنزلت: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ ...﴾ إلى آخر الآية.

ثم عمد الرجل، فصلى المكتوبة وراء النبي ﷺ، فلما انصرف النبي ﷺ، قال له: «أليس قد توضأت وصليت معنا؟»، قال: بلى، قال: «فإنها كفارة لما صنعت»، ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي ذكره من الصلاة طرفي النهار وزلفى من الليل من الصلاة، ﴿ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [آية: ١١٤]، كقوله لموسى: ﴿**وأقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي**﴾ [طه: ١٤].

---

(١) انظر: (إعراب القرآن للعكبري ٢/٢٦، إعراب القرآن للنحاس ٢/١١٦، الكشاف ٢/٢٩٦، القرطبي ٩/١٠٨).

(٢) انظر: (إتحاف ٢٦١، إعراب القرآن للنحاس ٢/١١٧، إعراب القرآن للعكبري ٢/٢٦، البحر المحيط ٥/٢٧٠، التبيان ٦/٧٨، الطبري ١٢/٧٧، القرطبي ٩/١٠٨، مجمع البيان ٥/١٩٩، معاني القرآن للفراء ٢/٣٠، النشر ٢/٢٩٢).

﴿وَٱصۡبِرۡ﴾ يا محمد على الصلاة، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آية: ١١٥]، يعنى جزاء المخلصين.

﴿فَلَوۡلَا كَانَ﴾، يعنى لم يكن ﴿مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ﴾، يعنى الشرك، ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، يقول: لم يكن من القرون من ينهى عن المعاصى فى الأرض بعد الشرك، ثم استثنى، فقال: ﴿إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡۗ﴾، يعنى مع الرسل من العذاب مع الأنبياء، فهم الذين كانوا ينهون عن الفساد فى الأرض، ﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ (١)، يقول: وآثر الذين ظلموا دنياهم، ﴿مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ﴾، يعنى ما أعطوا فيه من دنياهم على آخرتهم، ﴿وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ﴾ [آية: ١١٦]، يعنى الأمم الذين كذبوا فى الدنيا.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ﴾، يعنى ليعذب فى الدنيا، ﴿ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ﴾، يعنى على غير ذنب، يعنى القرى التى ذكر الله تعالى فى هذه السورة الذين عذبهم الله، وهم: قوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم إبراهيم، وقوم لوط، وقوم شعيب، ثم قال: ﴿وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ﴾ [آية: ١١٧]، يعنى مؤمنون، يقول: لو كانوا مؤمنين ما عذبوا.

﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ﴾، يعنى على ملة الإسلام وحدها، ثم قال: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ﴾ [آية: ١١٨]، يقول: لا يزال أهل الأديان مختلفين فى الدين، غير دين الإسلام.

ثم استثنى بعضهم: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ﴾، أهل التوحيد لا يختلفون فى الدين، ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ﴾، يعنى للرحمة خلقهم، يعنى الإسلام، ﴿وَتَمَّتۡ﴾، يقول: وحقت ﴿كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ العذاب على المختلفين، والكلمة التى تمت قوله: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ [آية: ١١٩]، يعنى الفريقين جميعًا.

﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ١٢٠﴾

﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ﴾ وأممهم، وما يذكر فى هذه السورة، ﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ﴾، يعنى قلبك أنه حق، فذلك قوله: ﴿وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ﴾ السورة ﴿ٱلۡحَقُّ﴾ مما ذكر من أمر الرسل وأمر قومهم، ﴿وَمَوۡعِظَةٞ﴾، يعنى ما عذب الله به الأمم الخالية،

---

(١) انظر: (الكشاف ٢/٢٩٨، إعراب القرآن للعكبرى ٢/٢٦).

وما ذكر فى هذه السورة فهو موعظة، يعنى مأدبة لهذه الأمة، ﴿وَذِكْرَىٰ﴾، يعنى وتذكرة ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ١٢٠]، يعنى للمصدقين بتوحيد الله.

﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَـٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، يعنى لا يصدقون بما فى القرآن: ﴿ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾، هذا وعيد، يقول: اعملوا على جديلتكم التى أنتم عليها، ﴿إِنَّا عَـٰمِلُونَ﴾ [آية: ١٢١] على جديلتنا التى نحن عليها.

﴿وَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ العذاب ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [آية: ١٢٢] بكم العذاب، يعنى القتل ببدر، وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم، وتعجيل أرواحهم إلى النار.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، يقول: ولله غيب نزول العذاب، وغيب ما فى الأرض، ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾، يعنى أمر العباد يرجع إلى الله يوم القيامة، وذلك قوله: ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ [البقرة: ٢١٠]، يعنى أمور العباد، ﴿فَٱعْبُدْهُ﴾، يعنى وحده، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾، يقول: وثق بالله، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ١٢٣]، هذا وعيد.

* * *

سورة يوسف

مكية كلها، وهى مائة وإحدى عشرة آية كوفى

وحسبنا الله ونعم الوكيل

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ
تَعۡقِلُونَ ﴿٢﴾﴾

﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ [آية: ١]، يعنى بين ما فيه. ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ﴾، يعنى لكى، ﴿تَعۡقِلُونَ﴾ [آية: ٢] ما فيه لو كان القرآن غير عربى ما فهموه ولا عقلوه.

﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن
قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا
وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ
فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ
وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ
أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٦﴾ ۞لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ
ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا
لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ
بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ
يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ
وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾
قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ
﴿١٣﴾ قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُواْ
بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا
يَشۡعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ

وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ
﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ
وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ قَالَ
يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ
بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ
لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى
ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا
يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾، يعنى القرآن، ﴿بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾، بالذى أوحينا إليك، نظيرها فى يس: ﴿بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى﴾ [يس: ٢٧]، ﴿هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ﴾، يعنى من قبل نزول القرآن عليك، ﴿لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [آية: ٣] عنه.

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾ يعقوب: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ﴾ فى المنام ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ هبطوا إلى الأرض من السماء، فـ﴿رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ﴾ [آية: ٤]، فالكواكب الأحد عشر إخوته، والشمس أم يوسف، وهى راحيل بنت لاتان، ولاتان هو خال يعقوب، والقمر أبوه يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وقد علم تعبير ما رأى يوسف.

﴿قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ﴾ فيحسدوك إضمار، ﴿فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا﴾، فيعملوا بك شرًا، ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [آية: ٥]، يعنى بين.

وقال يعقوب ليوسف: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾، يقول: وهكذا يستخلصك ربك بالسجود، ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾، يعنى ويعلمك تعبير الرؤيا، ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾، يعنى بآل يعقوب هو وامرأته وإخوته الأحد عشر، بالسجود لك، ﴿كَمَآ أَتَمَّهَا﴾، يعنى النعمة، ﴿عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ﴾، يعنى بأبويه ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ حين رأى فى المنام أنه يذبح ابنه إسحاق، وألقى إبراهيم فى النار، فنجاه الله تعالى منها، وأراد ذبح ابنه، فخلصه الله بالسجود، ﴿وَإِسْحَٰقَ﴾ فى رؤيا إبراهيم فى ذبح إسحاق، ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾ بتمامها، ﴿حَكِيمٌ﴾ [آية: ٦]، يعنى القاضى لها.

﴿۞ لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ﴾، يعني علامات، ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [آية: ٧]، وذلك أن اليهود لما سمعوا ذكر يوسف، عليه السلام، من النبي ﷺ، منهم كعب بن الأشرف، وحيي، وجدي ابنا أخطب، والنعمان بن أوفى، وعمرو، وبحيرا، وغزال بن السموأل، ومالك بن الضيف، فلم يرمن بالنبي ﷺ منهم غير جبر غلام بن الحضرمي، ويسار أبو فكيهه، وعداس، فكان ما سمعوا من النبي ﷺ من ذكر يوسف وأمره ﴿ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ﴾، وذلك أن اليهود سألوا النبي ﷺ عن أمر يوسف، فكان ما سمعوا علامة لهم وهم السائلون عن أمر يوسف، عليه السلام، وكان يوسف قد فضل في زمانه بحسنه على الناس كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب.

﴿إِذۡ قَالُواْ﴾ إخوة يوسف، وهو: روبيل أكبرهم سنًا، ويهوذا أكبرهم في العقل، وهو الذي قال الله: ﴿قَالَ كَبِيرُهُمۡ﴾ [آية: ٨٠] في العقل، ولم يكن كبيرهم في السن، وشمعون، ولاوى، ونفتولن، وربولن، وآشر، واستاخر، وجاب ودان، ويوسف، وبنيامين، بعضهم لبعض: ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾ [1]، وهو بنيامين ﴿أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ﴾، يعني عشرة، ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ [آية: ٨]، يعني خسران مبين، يعني في شقاء بين، نظيرها في سورة القمر: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ﴾ [القمر: ٤٧]، يعني في شقاء، من حب يعقوب لابنه يوسف وذكره.

ثم قال بعضهم لبعض: ﴿ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا﴾ [2] بعيدة، ﴿يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ﴾، فيقبل عليكم بوجهه، ﴿وَتَكُونُواْ﴾، يعني وتصيروا ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ﴾ [آية: ٩]، يعني يصلح أمركم وحالكم عند أبيكم.

﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ﴾ [3]، وهو يهوذا بن يعقوب: ﴿لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ﴾ فإن قتله عظيم، ﴿وَ﴾ لكن ﴿وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ﴾ على طريق الناس، فيأخذونه فيكفونكم أمره، يعني الزائغة من البئر ما يتوراى عن العين ولا يراه أحد، فهو غيابت الجب، ﴿يَلۡتَقِطۡهُ

(١) انظر: (تفسير الطبري ١٢/٩٣، تفسير الماوردي ٢/٢٤٧، زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٤/١٨٣، تفسير القرطبي ٩/١٣٠، تفسير ابن كثير ٢/٤٦٩، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٤/٤).
(٢) انظر: (تفسير القرطبي ٩/١٣١، زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٤/١٨٤).
(٣) انظر: (تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢١٣، تفسير الماوردي ٢/٢٤٨، زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٤/١٨٥، تفسير القرطبي ٩/١٣٢).

﴿بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾، فيذهبوا به فيكفونكم أمره، ﴿إِن كُنتُمۡ﴾ لابد ﴿فَٰعِلِينَ﴾ [آية: ١٠] من الشر الذى تريدون به.

فأتوا يعقوب، فـ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ﴾ [آية: ١١].

﴿أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ﴾، يعنى ينشط ويفرح، والعرب تقول: رتعت لك، يعنى فرحت لك، ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [آية: ١٢] من الضيعة، قال يعقوب لهم: إنى أخاف عليه، فقالوا لأبيهم: ﴿مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ﴾ فى الحفظ له.

﴿قَالَ﴾ أبوهم: ﴿إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ﴾ [آية: ١٣]، لا تشعرون به، وكانت أرضًا مذئبة، فمن ثم قال يعقوب: إنى أخاف أن يأكله الذئب.

﴿قَالُواْ﴾، أى العشرة: ﴿لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ﴾، يعنى ونحن جماعة، ﴿إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ﴾ [آية: ١٤]، يعنى لعجزة.

﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ﴾، بيوسف، ﴿وَأَجۡمَعُوٓاْ﴾ أمرهم ﴿أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ﴾ على رأس ثلاثة فراسخ، فألقوه فى الجب، والماء يومئذ كدر غليظ، فعذب الماء وصفا حين ألقى فيه، وقام على صخرة فى قاصية البئر، فوكل الله به ملكًا يحرسه فى الجب ويطعمه، ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [آية: ١٥]، وذلك أن الله أوحى إلى يوسف، عليه السلام، بعدما انصرف إخوته: إنك ستخبر إخوتك بأمرهم هذا الذى ركبوا منك، ثم قال: ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ أنك يوسف حين تخبرهم، فأنبأهم يوسف بعد ذلك حين قال لهم وضرب الإناء، فقال: إن الإناء ليخبرنى بما فعلتم بيوسف من الشر ونزع الثياب.

قال أبو محمد عبد الله بن ثابت: وسمعت أبى يحدثنى عن الهذيل، عن مقاتل فى قوله: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾، قال: لا يشعرون أنك يوسف.

قال: وذلك أن يوسف لما استخرج الصاع من وعاء أخيه بنيامين، قطع بالقوم وتحيروا، فأحضرهم وأخذ بنيامين مكان سرقته، ثم تقدم إلى أمينه، فقال له: أحضر

الصاع إذا حضروا وانقره ثلاث نقرات، واستمع طنين كل نقرة حتى تسكن، ثم قل فى النقرة الأولى كذا، وفى الثانية كذا، وفى الثالثة كذا، وأوهمهم أنك إنما تخبرنى عن شىء تفهمه من طنين الصاع، قال: فأمر بهم فجمعوا، ثم قال يوسف للذى استخرج الصاع، وهو أمينه: أحضر الصاع الذى سرقوه، وتقدم إليه ألا يكتمنا من أخبارهم شيئًا، فإنه غضبان عليهم ويوشك أن يصدق عنهم، قال: فأحضره والقوم، وقال له الأمين: أيها الصاع، إن الملك يأمرك أن تبين له أمر هؤلاء القوم ولا تكتمه شيئًا من أمرهم، ثم نقره نقرة شديد، وأصغى إليه يسمعه، كأنه يستمع منه شيئًا، فقال: أيها الملك، إن الصاع يقول لك: إنهم أخبروك أنهم لأم واحدة، وأنهم لأمهات شتى، وذلك وقع بينهم ما يقع بين الأولاد العتاة.

قال: قل له لا يكتمنا من أخبارهم شيئًا، ثم نقره الثانية وأصغى إليه يسمعه، فلما سكن، قال: أيها الملك، إنهم أخبروك أن لهم أخًا مفقودًا، ولن تنصرم الأيام والليالى حتى يأتى ذلك الغلام فيتبين الناس أخبارهم.

قال: مره ألا يكتمنا من أخبارهم شيئًا، قال: فطن الثالثة، فلما سكن قال: أيها الملك، إنه ما دخل على أبيهم غم ولا هم ولا حزن إلا بسببهم وجرائرهم، قال: أوعز إليه ألا يكتمنا من أخبارهم شيئًا.

قال: فنظر بعضهم إلى بعض، وخافوا أن يظهر عليهم ما كتموه من أمر يوسف، عليه السلام، فقاموا إليه بجمعهم يقبلون رأسه وعينيه، ويقولون: بالذى أشبهك بالنبيين، وفضلك على العالمين، ألا أقلت العثرة، وسترت العورة، وحفظتنا فى أبينا يعقوب، فرق لهم، وقال: لولا حفاظى لكم فى أبيكم لنكلت بكم ولألحقتكم بالسراق واللصوص، أغربوا عنى، فلا حاجة لى فيكم.

قال: فلما قدموا على أبيهم أخبروه بأخبارهم، قال: فردهم بالبضاعة المزجاة، وكتب معهم كتابًا إليه، فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، من يعقوب إسرائيل الله ابن إسحاق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله، إلى عزيز مصر، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإنى ما سرقت، ولا ولدت سارقًا، ولكن أهل بيت البلاء موكل بنا، أما جدى، فألقى فى النار، فجعلها الله عليه بردًا وسلامًا، وأما أبى، فأضجع للذبح، ففداه الله بذبح عظيم، وأما أنا، فبليت بفقد حبيبى وقرة عينى يوسف.

قال: فلما وصلوا إليه أوصلوا كتابه، فلما قرأ كتابه انتحب، فقيل له: كأنك صاحب الكتاب، قال: أجل، فذلك قوله: ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَـٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، ثم تعرف إليهم فعرفوه.

﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ﴾ يعقوب ﴿عِشَآءً يَبْكُونَ﴾ [آية: ١٦] صلاة العتمة.

﴿قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾، يعنى نتصيد، ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَـٰعِنَا﴾ ليحفظه، ﴿فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾، يعنى بمصدق لنا، ﴿وَلَوْ كُنَّا صَـٰدِقِينَ﴾ [آية: ١٧] بما نقول.

﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ﴾، يعنى على قميص يوسف، ﴿بِدَمٍ كَذِبٍ﴾[1]، وذلك أنهم حين ألقوه فى البئر انتزعوا ثيابه، وهو قميصه، ثم عمدوا إلى سخلة فذبحوها على القميص ليروا أباهم يعقوب، فلما رأى أباهم القميص صحيحًا اتهمهم، وكان لبيبًا عاقلاً، فقال: ما أحلم هذا السبع حين خلع القميص كراهية أن يتمزق، ثم بكى، فـ ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ﴾، يقول: بل زينت ﴿لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾، وكان الذى أردتم هو منكم، ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾، يعنى صبرى صبرًا حسنًا لا جزع فيه، ﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [آية: ١٨]، يقول: بالله أستعين على ما تقولون حين تزعمون أن الذئب أكله، فبكى عليه يعقوب، عليه السلام، حتى امتنع عن النوم ومن أهل بيته، فكان يبكى ويئود، فمن هناك تئود اليهود إذا قرأوا التوراة.

﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ﴾، وهى العير، وقالوا: رفقة من العرب، فنزلوا على البئر يريدون مصر، ﴿فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ﴾، فبعثوا رجلين: مالك بن دعر، وعود بن عامر، إلى الماء، ﴿فَأَدْلَىٰ﴾ أحدهم ﴿دَلْوَهُۥ﴾، واسمه مالك بن دعر بن مدين بن إبراهيم خليل الرحمن، فتعلق يوسف بالدلو، فصاح مالك ﴿قَالَ﴾، فقال: يا عود، للذى يسقى، وهو عود بن عامر بن الدرة بن حزام، ﴿يَـٰبُشْرَىٰ﴾، يقول: يا مالك أبشر، ﴿هَـٰذَا غُلَـٰمٌ﴾ والجب بواد فى أرض الأردن يسمى ادنان.

فبكى يوسف، عليه السلام، وبكى الجب لبكائه، وبكى مد صوته من الشجر والمدر

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ٩٧/١٢، تفسير الماوردى ٢٥٠/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ١٩٢/٤، تفسير القرطبى ١٤٩/٩، تفسير ابن كثير ٤٧١/٢، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ١٠/٤).

والحجارة، وكان إخوته لما دلوه فى البئر، تعلق يوسف فى شفة البئر، فعمدوا إليه فخلصوا قميصه وأوثقوا يده، فقال: يا إخوتاه، ردوا علىَّ القميص أتوارى به فى البئر، فقالوا له: ادع الأحد عشر كوكبًا والشمس والقمر يؤنسونك، فلما انتصف فى الجب ألقوه، حتى وقع فى البئر، فأدلوه فى قعرها، فأراد أن يموت، فدفع الله عنه، ودعا يوسف ربه حين أخرجه مالك أن يهب لمالك ولدًا، فولد له أربعة وعشرون ولدًا.

قوله: ﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً﴾ (١)، يعنى أخفوه من أصحابهم الذين مروا على الماء فى الرفقة، وقالوا: هو بضاعة لأهل الماء نبيعه لهم بمصر؛ لأنهم لو قالا: إنا وجدناه أو اشتريناه، سألوهما الشركة فيه، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [آية: ١٩]، يعنى بما يقولون من الكذب.

يقول الله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ﴾ (٢)، يعنى وباعوه ﴿بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ﴾ بثمن حرام لا يحل لهم بيعه؛ لأنه حر، وثمن الحر حرام وبيعه حرام، ﴿دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾، وهى عشرون درهمًا، وكانت العرب تبايع بالأقل، فإذا كانت أربعين فهى أوقية، وما كان دون الأربعين، فهى دراهم معدودة، ﴿وَكَانُوا۟ فِيهِ﴾، يعنى الذين باعوه كانوا فى يوسف ﴿مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ [آية: ٢٠] حين باعوه، ولم يعلموا منزلة يوسف عند الله، ومَن أبوه، ولو علموا ذلك ما باعوه.

فانطلق القوم حتى أتوا به مصر، فبينا هو قريب منها، إذ مر براكب منها يقال له: مالك بن دعر اللخمى، قال له يوسف: أين تريد أيها الراكب؟ قال: أريد أرض كنعان، قال: إذا أتيت كنعان، فأت الشيخ يعقوب فأقرئه السلام، وصفنى له، وقل له: إنى لقيت غلامًا بأرض مصر، ووصفه له، وهو يقرئك السلام، فبكى يعقوب، عليه السلام، ثم قال: هل لك إلى الله حاجة؟ قال: نعم، عندى امرأة، وهى من أحب الخلائق إلىَّ، لم تلد منى ولدًا قط، فوقع يعقوب ساجدًا، فدعا الله، فولد له أربعة وعشرون ذكرًا، وكان يوسف، عليه السلام، بأرض مصر، فأنزل الله عليهم البركة، ثم باعه المشترى من قطفير بن ميشا، فقال يوسف: من يشترى ويبشر، فاشتراه قطفير بن ميشا بعشرين دينارًا

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١٢/١٠٠، تفسير الماوردى ٢/٢٥١، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/١٩٥، تفسير القرطبى ٩/١٥٤، تفسير ابن كثير ٢/٤٧٢).

(٢) انظر: (تفسير الطبرى ١٢/١٠١، تفسير الماوردى ٢/٢٥١، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/١٩٦، تفسير القرطبى ٩/١٥٥، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٤/١١).

وزيادة حلة ونعلين، وأخذ البائع قيمة الدنانير دراهم.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ﴾ (١)، وهو قطفير بن ميشا ﴿لِٱمْرَأَتِهِۦٓ﴾ زليخا بنت يمليخا: ﴿أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ﴾، يعنى أحسنى منزلته وولايته، ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ أو نصيب منه خيرًا، ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الملك والسلطان فى أرض مصر، ﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ﴾، يعنى من تعبير الرؤيا، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾، يعنى والله متم ليوسف أمره الذى هو كائن مما لا يعلمه الناس، فذلك قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٢١] ذلك.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى
هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ
أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا
بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ
﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ
مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ
وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ
﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا
قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ
عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى
ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ
﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا
وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا
مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن
لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا
يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ
لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟
ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾﴾

---

(١) انظر: (تفسير الماوردى ٢/٢٥٤، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/١٩٨، تفسير القرطبى ٩/١٥٩، تفسير ابن كثير ٢/٤٧٣، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٤/١١).

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾، يعنى ثمانى عشرة سنة، ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا﴾، يقول: أعطيناه فهمًا، ﴿وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آية: ٢٢]، يعنى وهكذا نجزى المخلصين بالفهم والعلم.

﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ﴾ (١) على نفسها وعلى يوسف فى أمر الجماع، ﴿وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ﴾، يعنى هلم لك نفسى، تريد المرأة الجماع، فغلبته بالكلام، ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ﴾، يعنى أعوذ بالله، ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾، يقول: إنه سيدى، يعنى زوجها، أكرم مثواى، يعنى منزلتى، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ﴾، يعنى لا يفوز ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [آية: ٢٣] إن ظلمته فى أهله، وألقى عليها شهوة أربعين إنسانًا.

﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ﴾، يقول: همت المرأة بيوسف حتى استلقت للجماع، ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ يوسف حين حل سراويله وجلس بين رجليها، ﴿لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ﴾، يعنى آية ربه لواقعها، والبرهان مثل له يعقوب عاض على إصبعه، فلما رأى ذلك، ولى دبرًا واتبعته المرأة، ﴿كَذَٰلِكَ﴾، يعنى هكذا، ﴿لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ﴾، يعنى الإثم، ﴿وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ﴾، يعنى المعاصى، ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [آية: ٢٤] بالنبوة والرسالة، نظيرها: ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّار﴾ [ص: ٤٦]، يعنى بالنبوة.

﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ﴾، يوسف أمامها هارب منها، وهى ورائه تتبعه لتحبسه على نفسها، فأدركته قبل أن ينتهى إلى الباب، ﴿وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ﴾، يقول: فمزقت قميصه من ورائه حتى سقط القميص عن يوسف، ﴿وَأَلۡفَيَا﴾، يقول: وجدا، كقوله: ﴿أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا﴾ [البقرة: ١٧٠]، يعنى وجدا ﴿سَيِّدَهَا﴾، يعنى زوجها، ﴿لَدَا ٱلۡبَابِۚ﴾، يعنى عند الباب ومعه ابن عمها يملخا بن أزليخا، ﴿قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا﴾، يعنى الزنا، ﴿إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ﴾ حبسًا فى نصب، ﴿أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [آية: ٢٥]، يعنى ضربًا وجيعًا.

﴿قَالَ﴾ يوسف للزوج: ﴿هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ﴾ (٢)،

---

(١) انظر: (السبعة لابن مجاهد ٣٤٧، معانى القرآن للفراء ٢/٤٠، تفسير الطبرى ١٢/١٠٩، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٢٠١، تفسير القرطبى ٩/١٦٣).

(٢) انظر: (معانى القرآن للفراء ٢/٤١، تفسير الطبرى ١٢/١١٥، تفسير الماوردى ٢/٢٦١، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٢١١، تفسير القرطبى ٩/١٧٢، تفسير ابن كثير ٢/٤٧٥، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٤/١٥).

وهو يمليخا ابن عم المرأة، فتكلم بعقل ولب، قال: ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آية: ٢٦]، أى إن كان يوسف هو الذى راودها، فقدت، يعنى فمزقت قميصه من قُبل، يعنى من قدامه، فصدقت على يوسف، ويوسف من الكاذبين فى قوله.

﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [آية: ٢٧]، أى وإن كان يوسف هو الهارب منها، فأدركته فقدت قميصه من دبر، فكذبت على يوسف، ويوسف من الصادقين فى قوله، وقد سمعا جلبتهما وتمزيق القميص من وراء الباب.

﴿فَلَمَّا رَءَا﴾ الزوج ﴿قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ﴾، يقول: مزق من ورائه، ﴿قَالَ﴾ لها: ﴿إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ﴾، يقول: تمزيق القميص من فعلكن، يعنى امرأته، ثم قال: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ﴾، يعنى فعلكن ﴿عَظِيمٌ﴾ [آية: ٢٨]؛ لأن المرأة لا تزال بالرجل حتى يقع فى الخطيئة العظيمة.

ثم قال الشاهد ليوسف: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾ الأمر الذى فعلت بك، ولا تذكره لأحد، ثم أقبل الشاهد على المرأة، فقال: ﴿وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ﴾، يعنى واعتذرى إلى زوجك واستعفيه ألا يعاقبك، ﴿إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾ [آية: ٢٩].

﴿۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾، وهن خمس نسوة: امرأة الخباز، وامرأة الساقى، وامرأة صاحب السجن، وامرأة صاحب الدواب، وامرأة صاحب الإذن، قلن: ﴿ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا﴾ العبرانى، يعنى عبدها الكنعانى، ﴿عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾[1]، يعنى غلبها حبًا شديدًا هلكت عليه، ﴿إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آية: ٣٠]، يعنى فى خسران بين، يعنى شقاء من حب يوسف، عليه السلام، حتى فشا عليها.

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ﴾ زليخا ﴿بِمَكْرِهِنَّ﴾، يعنى بقولهن لها، ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾ فجئنها، ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا﴾[2]، وهو الأترج، وكل شىء يحز بالسكين فهو متكأ، ﴿وَءَاتَتْ﴾، يعنى وأعطت ﴿كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا﴾، وأمرت يوسف، عليه السلام، فتزين وترجل،

---

(١) انظر: (معانى القرآن للفراء ٤١/٢، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢١٥، تفسير الطبرى ١١٧/١٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٢١٤/٤).

(٢) انظر: (معانى القرآن للفراء ٤٢/٢، تفسير الطبرى ١١٩/١٢، تفسير القرطبى ١٧٨/٩، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٢١٦/٤).

وكان أُعطى يوسف فى زمانه ثلث الحسن، وآتاه الحسن من قِبل جده إسحاق من قبل أمه سارة، وورثت سارة حسنها من قِبل حواء امرأة آدم، عليه السلام، وحسن حواء من آدم؛ لأنها خلقت منه.

وقال مقاتل: كل ذكر أحسن من الأنثى من الأشياء كلها، وفضل يوسف فى زمانه بحسنه على الناس، كفضل القمر ليلة البدر على الكواكب.

﴿وَقَالَتِ﴾، أى ثم قال: يا يوسف: ﴿ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾ من البيت، ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ﴾، يعنى أعظمته، ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾، يعنى وحززن أصابعهن بالسكين حين نظرن إليه، ﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾، يعنى معاذ الله، ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ إنسانًا، ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [آية: ٣١]، يعنى حسن، فأعجبها ما صنعن وما قلن.

﴿قَالَتْ﴾ زليخا: ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾ الذى افتتنتن به، ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾، يعنى فامتنع عن الجماع، ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [آية: ٣٢]، يعنى المذلين.

قالت النسوة: يا يوسف، ما يمنعك أن تقضى لها حاجتها؟ فدعى يوسف ربه، ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ﴾ من الزنا، حين قلن ليوسف: ما يحملك على ألا تقضى لها حاجتها، ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾، يقول: أفضى إليهن، ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [آية: ٣٣]، يعنى من المذنبين.

﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾، يعنى مكرهن وشرهن، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لدعاء يوسف، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ [آية: ٣٤] به.

﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم﴾، يعنى ثم بدا للزوج ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ﴾، يعنى من بعد ما رأوا العلامات فى تمزيق القميص من دبر أنه برىء، ﴿لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [آية: ٣٥]، وذلك أنها قالت لزوجها حين لم يطاوعها يوسف: احبس يوسف فى السجن لا يلج علىَّ، فصدقها فحبسته، فقال له صاحب السجن: من أنت؟ قال: و لم تسألنى من أنا؟ قال: لأنى أحبك، قال: أعوذ بالله من حبك، أحبنى والدى، فلقيت من إخوتى ما لقيت، وأحبتنى امرأة العزيز، فلقيت من حبها ما لقيت، فلا حاجة لى فى حب أحد إلا فى إلهى الذى فى السماء، قال: أخبرنى من أنت؟ قال: أنا يوسف نبى الله، ابن يعقوب صفى الله، ابن إسحاق ذبيح الله، ابن إبراهيم خليل الله، وكان يوسف فى السجن يؤنس الحزين، ويطمئن الخائف، ويقوم على المريض، ويعبر لهم الرؤيا.

۞وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ وَقَالَ ٱلْـَٔاخَرُ إِنِّيٓ
أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ
﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا
عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾
وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍۚ
ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾
يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن
دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ
إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُۥ خَمْرًاۖ وَأَمَّا ٱلْـَٔاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ
ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ
مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ
بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ
وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا
تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ
ٱلَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا
ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ
وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا
حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ
يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ
ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ
رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا
خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍۚ قَالَتِ
ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾
ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۞وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ
إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي
بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ

خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

ورقى إلى الملك أن غلامه الخباز يريد أن يجعل فى طعامه سمًا، ورقى إليه فى غلامه الساقى مثل ذلك، فذلك قوله: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ﴾، الخباز والساقى، اسم أحدهما شرهم أقم، وهو الساقى، واسم الخباز شرهم أشم، ﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ﴾ فى المنام كأنى ﴿أَعْصِرُ خَمْرًاۖ﴾، يعنى عنبًا، قال: كأنى دخلت البستان، فإذا فيه أصل كرم، وعليه ثلاث عناقيد، فكأنى أعصرهن وأسقى الملك، ﴿وَقَالَ ٱلْآخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ﴾، رأيت فى المنام كأنى ﴿أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا﴾، ثلاث سلال، وأعلاهن جفنة من خبز فوق رأسى، مثل قوله: ﴿**فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ**﴾ [الأنفال: ١٢]، ومثل قوله: ﴿**اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ**﴾ [إبراهيم: ٢٦]، يعنى أعلا الأرض، ﴿تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ﴾، يقول: أخبرنا بتفسير ما رأينا فى المنام، ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آية: ٣٦]، وكان إحسانه فى السجن أنه كان يعود مرضاهم ويداويهم، ويعزى مكروبهم، ورآه متعبدًا لربه، فهذا إحسانه.

﴿قَالَ﴾ يوسف: ألا أخبركما بأعجب من الرؤيا التى رأيتما، قال: ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ﴾[1]، إلا أخبرتكما بألوانه ﴿قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَاۚ﴾ الطعام، فقالوا ليوسف: إنما يعلم هذا الكهنة والسحرة، وأنت لست فى هيئة ذلك، فقال يوسف لهما: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ﴾ أولئك الكهنة والسحرة، يعنى أهل مصر، ﴿لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾، يعنى لا يصدقون بتوحيد الله، ولا بالبعث الذى فيه جزاء الأعمال، ﴿وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [آية: ٣٧].

﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [آية: ٣٨].

ثم دعاهما إلى الإسلام وهما كافران، فقال: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ﴾، يعنى الخباز والساقى، ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ﴾، آلهة شتى تعبدون خير، يعنى أفضل، ﴿أَمِ ٱللَّهُ

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١٢/١٢٨، تفسير الماوردى ٢/٢٦٩، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٢٢٤، تفسير القرطبى ٩/١٩١).

﴿ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [آية: ٣٩] لخلقه؛ لأن الآلهة مقهورة، كقوله فى النمل: ﴿آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩] من الآلهة.

ثم قال يوسف، عليه السلام: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ من الآلهة ﴿إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ أنها آلهة، ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ﴾، يعنى القضاء، ﴿إِلَّا لِلَّهِ﴾ فى التوحيد، ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾، يقول: أمر الله أن يوحد، ويعبد وحده، له التوحيد، ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾، يعنى المستقيم، وغيره من الأديان ليس بمستقيم، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾، يعنى أهل مصر، ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٤٠] بتوحيد ربهم.

﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا﴾[(١)]، وهو الساقى، قال له يوسف: تكون فى السجن ثلاثة أيام، ثم تخرج فتكون على عملك، فتسقى سيدك خمرًا، ﴿وَأَمَّا ٱلْأَخَرُ﴾، وهو الخباز، ﴿فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ﴾، واسمه شرهم أشم، قال له يوسف: تكون فى السجن ثلاثة أيام، ثم تخرج فتصلب، فتأكل الطير من رأسك، فكره الخباز تعبير رؤياه، فقال: ما رأيت شيئًا، إنما كنت ألعب، فقال له يوسف: ﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [آية: ٤١]، رأيتما أو لم تريا، فقد وقع بكما ما عبرت لكما.

﴿وَقَالَ﴾ يوسف ﴿لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾ من القتل إضمار، وهو الساقى: ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾، يعنى سيدك، فإنه يسرنى أن يخرجنى من السجن، يقول الله: ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾[(٢)]، يعنى يوسف دعاء ربه، فلم يدع يوسف ربه الذى فى السماء ليخرجه من السجن، واستغاث بعبد مثله، يعنى الملك، فأقره الله فى السجن عقوبة حين رجا أن يخرجه غير الله عز وجل، فذلك قوله: ﴿فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [آية: ٤٢]، يعنى خمس سنين حتى رأى الملك الرؤيا، وكان فى السجن قبل ذلك سبع سنين، وعوقب ببضع سنين، يعنى خمس سنين، فكان فى السجن اثنتا عشرة سنة، فذلك قوله: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾ [يوسف: ٣٥].

---

(١) انظر: (معانى القرآن للفراء ٢/٤٦، تفسير الطبرى ٢/١٣١، تفسير الماوردى ٢/٢٧٠، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٢٢٦).

(٢) انظر: (تفسير الطبرى ١٢/١٣٢، تفسير الماوردى ٢/٢٧١، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٢٢٧، تفسير القرطبى ٩/١٩٥، تفسير ابن كثير ٢/٤٧٩).

وقال النبى ﷺ: «لو أن يوسف ذكر ربه، ولم يستغث بالملك، لم يلبث فى السجن بضع سنين، ولخرج من يومه ذاك»، قال: وأتى جبريل يوسف حين استغاث بالملك وترك دعاء ربه، فقال له: إن الله يقول لك: يا ابن يعقوب، من حببك إلى أبيك وأنت أصغرهم؟ قال: أنت يا إلهى، قال: إن الله يقول: من عصمك من الخطيئة وقد هممت بها؟ قال: أنت يا إلهى، قال: فكيف تركتنى واستغثت بعبد مثلك؟ فلما سمع يوسف ذكر الخطيئة، قال: يا إلهى، إن كان خلق وجهى عندك من أجل خطيئتى، فأسألك بوجه أبى وجدى أن تغفر لى خطيئتى.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ﴾، وهو الريان بن الوليد، للملأ من قومه: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ﴾، أى بقرات، ﴿عِجَافٌ وَ﴾ رأيت ﴿وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ﴾، ثم قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ﴾، وهم علماء أهل الأرض، وكان أهل مصر من أمهر الكهنة والعرافين، ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [آية: ٤٣]، ولم يعلموا تأويل رؤياه.

فـ﴿قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾ (١)، يعنى أحلام مختلطة كاذبة، ثم علموا أن لها تعبيرًا، وأنها ليست من الأحلام المختلطة، فمن ثم قالوا: ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾ [آية: ٤٤]، وجاءه جبريل، عليه السلام، فأخبره أنه يخرج من السجن غدًا، وأن الملك قد رأى رؤيا، فلما نظر يوسف إلى جبريل عليه البياض مكلل باللؤلؤ. قال مقاتل: قال له: أيها الملك الحسن وجهه، الطيب ريحه، الطاهر ثيابه، الكريم على ربه، أى رسل ربى أنت؟ قال: أنا جبريل، قال: ما أتى بك؟ قال: أبشرك بخروجك، قال: ألك علم بيعقوب أبى ما فعل؟ قال: نعم، ذهب بصره من الحزن عليك.

قال: أيها الملك الحسن وجهه، الطيب ريحه، الطاهر ثيابه، الكريم على ربه، ما بلغ من حزنه؟ قال: بلغ حزنه حزن سبعين مثكلة بولدها، قال: أيها الملك الحسن وجهه، الطيب ريحه، الطاهر ثيابه، الكريم على ربه، فما له من الأجر؟ قال: أجر مائة شهيد، وألف مثكلة موجعة، قال: أيها الملك الحسن وجهه، الطيب ريحه، الطاهر ثيابه، الكريم على ربه، هل رأيت يعقوب؟ قال: نعم، قال: أيها الملك، من ضم إليه بعدى؟ قال: أخاك

---

(١) انظر: (معانى القرآن للفراء ٤٦/٢، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢١٧، تفسير الطبرى ١٣٣/١٢، تفسير الماوردى ٢٧١/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٢٢٨/٤، تفسير القرطبى ١٩٧/٩).

بنيامين، قال يوسف: يا ليت السباع تقسمت لحمى ولم يلق يعقوب فى سبيلى ما لقى.

فلما سمع الساقى رؤيا الملك، ذكر تصديق عبارة يوسف، عليه السلام، فى نفسه، وفى الخباز، فذلك قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا﴾ من القتل ﴿وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [١]، يعنى وذكر بعد حين: ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ﴾، يعنى بتعبيره، ﴿فَأَرْسِلُونِ﴾ [آية: ٤٥] إلى يوسف.

فلما أتى يوسف، قال له الساقى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾، يعنى أيها الصادق فيما عبرت لى ولصاحبى، ﴿أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ﴾، قال: أما البقرات السبع السمان، والسنبلات الخضر، فهن سبع سنين مخصبات، وأما البقرات العجاف السبع، والسنبلات السبع الأخر اليابسات، فهن المجدبات، ثم قال الساقى: ﴿لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ﴾، يعنى أهل مصر، ﴿لَعَلَّهُمْ﴾، يعنى لكى ﴿يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٤٦] تعبيرها، يعنى تعبير هذه الرؤيا.

ثم علمهم كيف يصنعون، ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾، يعنى دائبين فى الزرع، ثم علمهم يوسف ما يصنعون، فقال: ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ﴾ من حب، ﴿فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ﴾، فإنه أبقى له لئلا يأكله السوس، ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ [آية: ٤٧]، فتشقونه.

﴿ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾، يعنى من بعد السنين المخصبات، ﴿سَبْعٌ شِدَادٌ﴾، يعنى مجدبات، ﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾، يعنى ما ذخرتم لهن فى هذه السنين الماضية، ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾ [٢] [آية: ٤٨]، يعنى مما تدخرون فتحرزونه.

﴿ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾، يعنى من بعد السنين المجدبات، ﴿عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ﴾، يعنى أهل مصر بالمطر، ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [آية: ٤٩] العنب، والزيت من الخصب، هذا من قول يوسف، وليس من رؤيا الملك، فرجع الرسول فأخبره فعجب.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ﴾ واسمه الريان بن الوليد: ﴿ٱئْتُونِى بِهِۦ﴾، يعنى بيوسف، ﴿فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ﴾، يعنى رسول الملك، وهو الساقى، ﴿قَالَ﴾ له: ﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾، يعنى

---

(١) انظر: (معانى القرآن للفراء ٢/٤٧، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢١٨، تفسير الماوردى ٢/٢٧٣، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٢٣١).

(٢) انظر: (تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢١٨، تفسير الماوردى ٢/٢٧٥، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٢٣٣، تفسير القرطبى ٩/٢٠٤).

سديك، ﴿فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ﴾ الخمس ﴿ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾، يعنى حززن أصابعهن بالسكين، ﴿إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ﴾، يعنى بقولهن ﴿عَلِيمٌ﴾ [آية: ٥٠] حين قلن: ما يمنعك أن تقضى لها حاجتها؟ وأراد يوسف، عليه السلام، أن يستبين عذره عند الملك قبل أن يخرج من السجن، ولو خرج يوسف حين أرسل إليه الملك قبل أن يبرئ نفسه، لم يزل متهمًا فى نفس الملك، فمن ثم قال: ﴿**قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ**﴾، فيشهدن أن امرأة العزيز قالت: ﴿**وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسَتَعْصَمَ**﴾ [يوسف: ٣٢].

فلما سألهن الملك، ﴿قَالَ﴾ لهن: ﴿مَا خَطْبُكُنَّ﴾، يعنى ما أمركن، كقوله: ﴿**فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ**﴾ [الحجر: ٥٧]، يعنى ما أمركم، ﴿إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ﴾، وذلك أنهن قلن حين خرج عليهن يوسف من البيت: ما عليك أن تقضى لها حاجتها؟ فأبى عليهن، فرددن على الملك، ﴿قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾، يعنى معاذ الله، ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ﴾، يعنى الزنا، فلما سمعت زليخا قول النسوة، ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ﴾ عند ذلك، ﴿ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ﴾، يعنى الآن تبين ﴿ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ﴾ يوسف ﴿لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [آية: ٥١] فى قوله.

فأتاه الروسل فى السجن، فأخبره بقول النسوة عند الملك، قال يوسف: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ﴾، يقول: هذا ليعلم سيده ﴿أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾ فى أهله، ولم أخالفه فيهن، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [آية: ٥٢]، يعنى لا يصلح عمل الزناة، يقول: يخذلهم، فلا يعصمهم من الزنا، فأتاه الملك، وهو جبريل، بالبرهان الذى رأى، فقال ليوسف: أين ما هممت به أولاً حين حللت سراويلك وجلست بين رجليها؟.

فلما ذكر الملك ذلك، قال عند ذلك: ﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ﴾[1]، يعنى قلبى من الهم، لقد هممت بها، ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ﴾، يعنى القلب ﴿لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ للجسد، يعنى بالإثم، ثم استثنى، فقال: ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ﴾، يعنى إلا ما عصم ربى، فلا تأمر بالسوء، ﴿إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ﴾ لما هم به من المعصية، ﴿رَّحِيمٌ﴾ [آية: ٥٣] به حين عصمه.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى﴾، يعنى أتخذه، ﴿فَلَمَّا﴾ أتاه يوسف

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١٣/٢، تفسير الماوردى ٢٧٩/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٢٤١/٤، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٢٣/٤).

و ﴿كَلَّمَهُۥ﴾، أى كلم الملك، ﴿قَالَ﴾ ليوسف: ﴿إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ﴾، يقول: عندنا وجيه، ﴿أَمِينٌ﴾ [آية: ٥٤] على ما وكلت به، كقوله: ﴿**عِندَ ذِى ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٍ**﴾ [التكوير: ٢٠].

ثم ﴿قَالَ﴾ يوسف للملك: ﴿ٱجۡعَلۡنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِ﴾ بمصر، ﴿إِنِّى حَفِيظٌ﴾ لما وكلتنى به، ﴿عَلِيمٌ﴾ [آية: ٥٥]، يعنى عالم بلغة الناس كلها. قال مقاتل: قال النبى ﷺ: «لو قال: إنى حفظ عليم إن شاء الله، لملك من يومه ذلك»، وقال ابن عباس: لبث بعد ذلك سنة ونصفًا، ثم ملك أرض مصر. وقال مقاتل: قال النبى ﷺ: «عجبت من صبر يوسف وكرمه، والله يغفر له، لو كنت أنا لبادرت الباب حين بعث إليه الملك يدعوه».

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾، يعنى وهكذا مكنا ليوسف الملك ﴿فِى ٱلۡأَرۡضِ﴾، فى أرض مصر، لـ ﴿يَتَبَوَّأُ﴾، يقول: ينزل ﴿مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا﴾، يعنى سعتنا، ﴿مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آية: ٥٦]، يعنى نوفيه جزاءه، فجزاه الله بالصبر على البلاء، والصبر على المعصية بأن ملكه على مصر.

ثم قال: ﴿وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٌ﴾، يعنى أكبر، يعنى جزاء الآخرة أفضل مما أعطى فى الدنيا من الملك، ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، يعنى صدقوا بالتوحيد، ﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [آية: ٥٧] الشرك مثل الذى اتقى يوسف، عليه السلام.

﴿وَجَآءَ إِخۡوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم
بِجَهَازِهِمۡ قَالَ ٱئۡتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلۡكَيۡلَ وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ
﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِى وَلَا تَقۡرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ
أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِى رِحَالِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا
ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا
ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ
إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظًاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾
وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ رُدَّتۡ إِلَيۡهِمۡۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِىۖ هَٰذِهِۦ
بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا وَنَحۡفَظُ أَخَانَا وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٍۖ ذَٰلِكَ كَيۡلٌ يَسِيرٌ
﴿٦٥﴾ قَالَ لَنۡ أُرۡسِلَهُۥ مَعَكُمۡ حَتَّىٰ تُؤۡتُونِ مَوۡثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأۡتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ

فَلَمَّآ ءَاتَوۡهُ مَوۡثِقَهُمۡ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ
وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ
تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم مَّا
كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ إِلَّا حَاجَةٗ فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَاۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو
عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ
ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا
جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحۡلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ إِنَّكُمۡ
لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ وَأَقۡبَلُواْ عَلَيۡهِم مَّاذَا تَفۡقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُواْ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ
وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ ﴿٧٢﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا
لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ
﴿٧٤﴾ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾
فَبَدَأَ بِأَوۡعِيَتِهِمۡ قَبۡلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسۡتَخۡرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ
مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ
كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ﴿٧٦﴾ ۞قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ
فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا
تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا
نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ
إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ قَالَ كَبِيرُهُمۡ أَلَمۡ
تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ فَلَنۡ
أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ
أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ
حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ ﴾

﴿وَجَآءَ إِخۡوَةُ يُوسُفَ﴾ من أرض كنعان، ﴿فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ﴾، أى على يوسف بمصر، ﴿فَعَرَفَهُمۡ﴾ يوسف، ﴿وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [آية: ٥٨]، يقول: وهم لا يعرفون يوسف، فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن بنو يعقوب، نحن من أهل كنعان، قال: كم أنتم؟ قالوا: نحن أحد عشر، قال: ما لى لا أرى الأحد عشر؟ قالوا: واحد منا عند أبينا، قال: ولم ذلك؟ قالوا: إن أخاه لأمه أكله الذئب، فلذلك تركناه عند أبينا، فهو يستريح إليه.

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم﴾ يوسف ﴿بِجَهَازِهِمْ﴾، يعنى فى أمر الطعام، ﴿قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾، يعنى بنيامين، وكان أخاهم من أبيهم، وكان أخا يوسف لأبيه وأمه، ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي﴾، يعنى أوفى لكم ﴿ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ [آية: ٥٩]، وأنا أفضل من يضيف بمصر.

﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ﴾، يعنى فلا بيع لكم ﴿عِندِى﴾ من الطعام، ﴿وَلَا تَقْرَبُونِ﴾ [آية: ٦٠] بلادى.

﴿قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾ يعقوب، ﴿وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ﴾ [آية: ٦١] ذلك بأبيه.

﴿وَقَالَ﴾ يوسف ﴿لِفِتْيَٰنِهِ﴾، يعنى لخدامه وهم يكيلون لهم الطعام: ﴿ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ﴾، يعنى دراهمهم ﴿فِي رِحَالِهِمْ﴾، يعنى فى أوعيتهم، ﴿لَعَلَّهُمْ﴾، يعنى لكى ﴿يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ﴾، يعنى لكى ﴿يَرْجِعُونَ﴾ [آية: ٦٢] إلينا فلا يحبسهم عنا حبس الدراهم إذا ردت إليهم؛ لأنهم كانوا أهل ماشية.

﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ﴾، يعنى منع كيل الطعام، فيه إضمار فيما يستأنف، ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا﴾ بنيامين ﴿نَكْتَلْ﴾ الطعام بثمن، ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [آية: ٦٣] من الضيعة.

﴿قَالَ﴾ أبوهم: ﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾ فى قراءة ابن مسعود: هل تحفظونه إلا كما حفظتم أخاه يوسف من قبل بنيامين، ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا﴾، يعنى فالله خير حافظًا منكم، ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [آية: ٦٤]، يعنى أفضل الراحمين.

﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ﴾، يعنى حلوا أوعيتهم، ﴿وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ﴾، يعنى دراهمهم، فيها إضمار، ﴿رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى﴾ بعد ﴿هَٰذِهِۦ﴾ إضمار، فإنهم قد ردوا علينا الدراهم، هذه ﴿بِضَٰعَتُنَا﴾، يعنى دراهمنا ﴿رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ الطعام، ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾ بنيامين من الضيعة، ﴿وَنَزْدَادُ﴾ من أجله ﴿كَيْلَ بَعِيرٍ﴾، وكان أهل مصر يبيعون الطعام على عدة الرجال، ولا يبيعون على عدة الدواب، وكان الطعام عزيزًا، فذلك قوله: ﴿كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ من أجله، ﴿ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ [آية: ٦٥] سريع لا حبس فيه.

﴿قَالَ﴾ أبوهم: ﴿لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾، يعنى تعطونى

عهدًا من الله، ﴿لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ﴾، يعنى بنيامين ولا تضيعوه كما ضيعتم أخاه يوسف، ﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ﴾، يعنى يحيط بكم الهلاك فتهلكوا جميعًا، ﴿فَلَمَّآ ءَاتَوۡهُ مَوۡثِقَهُمۡ﴾، يعنى عهدهم، ﴿قَالَ﴾ يعقوب: ﴿ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ﴾ [آية: ٦٦]، يعنى شهيدًا بينى وبينكم، نظيرها فى القصص: ﴿**وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ**﴾ [القصص: ٢٨].

فلما سرح بنيامين معهم، خشى عليهم العين، وكان بنوه لهم جمال وحسن، ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ﴾ مصر ﴿مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ﴾[1]، يعنى من طريق واحد، ﴿وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ﴾، من طرق شتى، ثم قال: ﴿وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم﴾ إذا جاء قضاء الله، ﴿مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ﴾، يعنى ما القضاء إلا لله، ﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ﴾، يقول: به أثق، ﴿وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ [آية: ٦٧]، يعنى به فليثق الواثقون.

﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ﴾ مصر ﴿مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم﴾ من طرق شتى، أخذ كل واحد منهم فى طريق على حدة، يقول الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ﴾ يعقوب ﴿يُغۡنِي عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ إِلَّا حَاجَةٗ فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَاۚ﴾، كقوله: ﴿**وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً**﴾ [الحشر: ٩]، وهذا من كلام العرب، يعنى إلا أمر شجر فى نفس يعقوب، ﴿وَإِنَّهُۥ﴾، يعنى أباهم ﴿لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ﴾؛ لأن الله تعالى علمه أنه لا يصيب بنيه إلا ما قضى الله عليهم، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [آية: ٦٨].

﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ﴾، يعنى ضم إليه أخاه، ﴿قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [آية: ٦٩]، يقول: فلا تحزن بما سرقوك وجاءوا بالدراهم التى كانت فى أوعيتهم فردوها إلى يوسف، عليه السلام.

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ﴾، يقول: فلما قضى فى أمر الطعام حاجتهم، ﴿جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ﴾، وهى الإناء الذى يشرب به الملك، ﴿فِي رَحۡلِ أَخِيهِ﴾ بنيامين، ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾، يعنى نادى مناد، اسمه بعرايم بن بربرى، من فتيان يوسف: ﴿أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ﴾، يعنى الرفقة، ﴿إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ﴾ [آية: ٧٠]، فانقطعت ظهورهم وساء ظنهم.

فـ﴿قَالُواْ وَأَقۡبَلُواْ عَلَيۡهِم﴾، فيها تقديم وأقبلوا على المنادى، ثم قالوا: ﴿مَّاذَا تَفۡقِدُونَ﴾ [آية: ٧١].

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ٩/١٣، تفسير الماوردى ٢/٢٨٨، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٢٥٣، تفسير القرطبى ٩/٢٢٦، تفسير ابن كثير ٢/٤٨٤، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٤/٢٦).

﴿قَالُواْ﴾ المنادى ومن معه لإخوة يوسف: ﴿نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ﴾، يعنى إناء الملك، وكان يكال به كفعل أهل العساكر، ﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ﴾، يعنى وقر بعير، ﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ﴾ [1] [آية: ٧٢]، يعنى به كفيل.

فرد الإخوة القول على المنادى، ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، يعنى أرض مصر بالمعاصى، ﴿وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾ [آية: ٧٣]، وقد رددنا عليكم الدراهم التى كانت فى أوعيتنا، ولو كنا سارقين ما رددناها عليكم.

﴿قَالُواْ﴾، أى المنادى ومن معه: ﴿فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ﴾ [2]، أى السارق، ﴿إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ﴾ [آية: ٧٤].

﴿قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ﴾، يعنى فى وعائه، يعنى المتاع، ﴿فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ﴾، يعنى هو مكان سرقته، ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ٧٥]، يعنى هكذا نجزى السارقين، كقوله فى المائدة: ﴿**فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ**﴾ [المائدة: ٣٩]، يعنى بعد سرقته، وكان الحكم بأرض مصر أن يغرم السارق عبدًا يستخدم على قدر ضعف ما سرق ويترك، وكان الحكم بأرض كنعان أن يتخذ السارق عبدًا يستخدم على قدر سرقته، ثم يخلى سبيله، فيذهب حيث شاء، فحكموا بأرض مصر بقضاء أرضهم.

﴿فَبَدَأَ﴾ المنادى ﴿بِأَوۡعِيَتِهِمۡ﴾، فنظر فيها، فلم ير شيئًا، ﴿قَبۡلَ وِعَآءِ أَخِيهِ﴾، ثم انصرف ولم ينظر فى وعاء بنيامين، فقال: ما كان هذا الغلام ليأخذ الإناء، قال إخوته: لا ندعك حتى تنظر فى وعائه، فيكون أطيب لنفسك، فنظر، فإذا هو بالإناء، ﴿ثُمَّ ٱسۡتَخۡرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ﴾، يعنى من متاع أخيه، وهو أخو يوسف لأبيه وأمه، ﴿كَذَٰلِكَ كِدۡنَا﴾، يعنى هكذا صنعنا ﴿لِيُوسُفَ﴾ [3] أن يأخذ أخاه خادمًا بسرقته فى دين الملك، يعنى فى سلطان الملك، فذلك قوله: ﴿مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ﴾، يعنى ليحبس أخاه، ﴿فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ﴾، يعنى حكم الملك؛ لأن حكم الملك أن يغرم السارق

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١٣/١٤، تفسير الماوردى ٢/٢٩١، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٢٥٩، تفسير القرطبى ٩/٢٣١).

(٢) انظر: (تفسير الطبرى ١٣/١٥، تفسير الماوردى ٢/٢٩١، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٢٦٠، تفسير القرطبى ٩/٢٢٣٤).

(٣) انظر: (تفسير الطبرى ١٣/١٧، تفسير الماوردى ٢/٢٩١، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٢٦١، تفسير القرطبى ٩/٢٣٨).

ضعف ما سرق ثم يترك، ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ ذلك ليوسف، ﴿نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ﴾، يعنى فضائل يوسف حين أخذ أخاه، ثم قال: ﴿وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ﴾ [آية: ٧٦]، يقول الرب تعالى عالم، ﴿وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ﴾، يقول: يوسف أعلم إخوته.

ثم قال إخوة يوسف: ﴿۞قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ﴾ بنيامين، ﴿فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ﴾ بنيامين يعنون يوسف، عليه السلام، وذلك أن جد يوسف أبا أمه كان اسمه لاتان، كان يعبد الأصنام، فقالت راحيل لابنها يوسف، عليه السلام: خذ الصنم ففر به من البيت، لعله يترك عبادة الأوثان، وكان من ذهب، ففعل ذلك يوسف، عليه السلام، فتلك سرقة يوسف التى قالوا، فلما سمع يوسف مقالتهم، ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ﴾، ولم يظهرها لهم، ﴿قَالَ﴾ فى نفسه: ﴿أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ﴾، ولم يسمعهم، قال: أنتم أسوأ صنعًا فيما صنعتم بيوسف، ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ [آية: ٧٧]، يعنى بما تقولون من الكذب أن يوسف سرق.

فعندها قالوا: ما لقينا من ابنى راحيل يوسف وأخيه؟ فقال بنيامين: ما لقى ابنا راحيل منكم؟ أما يوسف، فقد فعلتم به ما فعلتم، وأما أنا فسرقتمونى، قالوا: فمن جعل الإناء فى متاعك؟ قال: جعله فى متاعى الذى جعل الدراهم فى أمتعتكم، فلما ذكر الدراهم شتموه، وقالوا: لا تذكر الدراهم، مخافة أن يؤخذوا بها.

﴿قَالُواْ﴾، أى إخوة يوسف ليوسف: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ﴾، وذلك أن أرض مصر صارت إليه، وهو خازن الملك، ﴿إِنَّ لَهُۥٓ﴾، يعنى بنيامين، ﴿أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا﴾، حزينًا على ابن مفقود، ﴿فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آية: ٧٨] إلينا إن فعلت بنا ذلك.

﴿قَالَ﴾ يوسف: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾، يقول: نعوذ بالله ﴿أَن نَّأۡخُذَ﴾، يعنى أن نحبس بالسرقة ﴿إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ﴾ [آية: ٧٩] أن نأخذ البرئ مكان السقيم.

﴿فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ﴾، يقول: يئسوا من بنيامين، ﴿خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ﴾، يعنى خلوا يتناجون بينهم على حدة، وقال بعضهم لبعض: ﴿قَالَ كَبِيرُهُمۡ﴾، يعنى عظيمهم فى أنفسهم وأعلمهم، وهو يهوذا، ولم يكن أكبرهم فى السن: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ

أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾، يعنى فى أمر بنيامين لتأتينه به، ﴿وَمِن قَبْلُ﴾ بنيامين ﴿مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ﴾، يعنى ضيعتم، ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ﴾، يعنى أرض مصر، ﴿حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ﴾ فى الرجعة، ﴿أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى﴾ فيرد علىَّ بنيامين، ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [آية: ٨٠]، يعنى أفضل القاضين.

﴿ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ﴾، يعنى بنيامين، ﴿وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾، يعنى رأينا الصواع حين أخرج من متاعه، ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ﴾ [آية: ٨١]، يعنى وما كنا نرى أنه يسرق، ولو علمنا ما ذهبنا به معنا.

﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾
قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ
هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ
مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ
حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ
وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ
وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا
دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ
وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ
وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ
أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ
﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا
تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذْهَبُوا۟
بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ
﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ
﴿٩٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ
وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟
يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ
هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾

﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾، يعنى مصر، ﴿ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا﴾ أنه سرق، ﴿وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا

﴿فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [آية: ٨٢] فيما نقول، قال لهم يعقوب: كلما ذهبتم نقص منكم واحد، وكان يوسف، عليه السلام، حبس بنيامين، وأقام شمعون ويهوذا، فاتهمهم يعقوب، عليه السلام.

فـ ﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ﴾، يعنى ولكن زينت لكم ﴿أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ﴾، كان هو منكم هذا، ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ﴾، يعنى صبرًا حسنًا لا جزع فيه، ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ﴾، يعنى بنيه الأربعة، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ﴾ بخلقه، ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ [آية: ٨٣]، يعنى الحاكم فيهم، ولم يخبر الله يعقوب بأمر يوسف ليختبر صبره.

﴿وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ﴾، يعنى وأعرض يعقوب عن بنيه، ثم أقبل على نفسه، ﴿وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ﴾، يعنى يا حزناه ﴿عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ﴾ ست سنين لم يبصر بهما، ﴿مِنَ ٱلۡحُزۡنِ﴾ على يوسف، ﴿فَهُوَ كَظِيمٞ﴾ [آية: ٨٤]، يعنى مكروب يتردد الحزن فى قلبه.

﴿قَالُواْ﴾، أى قال بنوه يعيرونه: ﴿تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ﴾، يعنى والله ما تزال ﴿تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾، يعنى الدنف، ﴿أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ﴾ [آية: ٨٥]، يعنى الميتين.

﴿قَالَ﴾ لهم أبوهم: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي﴾، يعنى ما بثه فى الناس، ﴿وَحُزۡنِيٓ﴾، يعنى ما بطن، ﴿إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ﴾، يعنى من تحقيق رؤيا يوسف أنه كائن، ﴿مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [آية: ٨٦].

﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن﴾، يعنى فابحثوا عن ﴿يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ بنيامين، ﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ﴾، يعنى من رحمة الله، ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ﴾، يعنى من رحمة الله، ﴿إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [آية: ٨٧]، وذلك أن يعقوب، عليه السلام، رأى ملك الموت فى المنام، فقال له: هل قبضت روح يوسف؟ قال: لا، وبشره، فلما أصبح، قال: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن﴾.

﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ﴾ يوسف، ﴿قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ﴾، يعنى الشدة والبلاء من الجوع، ﴿وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ﴾، يعنى دراهم نفاية فجوزها عنا، ﴿فَأَوۡفِ﴾، يعنى فوفو ﴿لَنَا ٱلۡكَيۡلَ﴾ بسعر الجياد، ﴿وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ﴾، يقول: تكون هذه صدقة منك، يعنون معروفًا أن تأخذ النفاية وتكيل لنا الطعام بسعر الجياد، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ

يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ﴾ [آية: ٨٨] لمن كان على ديننا إضمار، ولو علموا أنه مسلم لقالوا: إن الله يجزيك بصدقتك.

فلما سمع ما ذكروا من الضر، ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾، يعنى بى وبأخى بنيامين، ﴿إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ﴾ [آية: ٨٩]، يعنى مذنبين.

﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ﴾، يقول: قد أنعم الله علينا، ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ﴾ الزنا، ﴿وَيَصۡبِرۡ﴾ على الأذى، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آية: ٩٠]، يعنى جزاء من أحسن حتى يوفيه جزاءه.

﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ﴾، يعنى والله، ﴿لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا﴾، يعنى اختارك، كقوله فى طه: ﴿لَن نُّؤۡثِرَكَ﴾ [طه: ٧٢]، يعنى لن نختارك علينا عند يعقوب، وأعطاك وملكك الملك، ﴿وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾ [آية: ٩١] فى أمرك، فأقروا بخطيئتهم.

﴿قَالَ﴾ يوسف: ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾، يقول: لا تعيير عليكم، لم يثرب عليهم بفعلهم القبيح، ﴿يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ﴾ ما فعلتم، ﴿وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [آية: ٩٢] من غيره.

﴿ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا﴾ (١) بعد البياض، ﴿وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [آية: ٩٣]، فلا يبقى منكم أحد.

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ﴾ من مصر إلى كنعان ثمانين فرسخًا، ﴿قَالَ أَبُوهُمۡ﴾ يعقوب لبنى بنيه: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ [آية: ٩٤]، يعنى لولا أن تجهلون.

﴿قَالُواْ﴾ بنو بنيه: ﴿تَٱللَّهِ﴾ والله، ﴿إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ﴾ [آية: ٩٥]، مثل قوله: ﴿إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ [القمر: ٢٤]، يقول: فى شقاء وعناء، يعنى فى شقاء من حب يوسف وذكره، فما تنساه وقد أتى عليه أربعون سنة.

﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ﴾، فلما أتاه البشير، وهو الذى ذهب بالقميص الأول الذى كان عليه الدم، وألقى القميص على وجه يعقوب، ﴿فَٱرۡتَدَّ﴾،

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١٣/٣٨، تفسير الماوردى ٢/٣٠٣، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٢٨٤، تفسير القرطبى ٩/٢٥٨، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٤/٣٤).

يعنى فرجع ﴿بَصِيرًا﴾ بعد البياض، ﴿قَالَ﴾ يعقوب: يا بنى، ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٩٦]، وذلك أن يعقوب قال لهم: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّى وَحُزْنِى إِلَى اللّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٨٦]، من تحقيق رؤيا يوسف.

﴿قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ﴾ [آية: ٩٧] فى أمر يوسف.

﴿قَالَ﴾ أبوهم: إنى ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾ سحرًا من الليل، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ للذنوب، ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [آية: ٩٨] بالمؤمنين.

﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ (٩٩) وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا وَقَالَ يَـٰٓأَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَـٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ (١٠٠)﴾

﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ﴾، يعنى يعقوب وأهله أرض مصر، ﴿عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ﴾، يعنى ضم ﴿إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ﴾ لهم: ﴿ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [آية: ٩٩] من الخوف، فدخل منهم اثنان وسبعون إنسانًا من ذكر وأنثى.

﴿وَرَفَعَ﴾ يوسف ﴿أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، يعنى على السرير، وجعل أحدهما عن يمينه، والآخر عن يساره، وكانت أمه راحيل قد ماتت، وخالته تحت يعقوب، عليه السلام، وهى التى رفعها على السرير، ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا﴾[1]، أبوه وخالته وإخوته قبل أن يرفعهما على السرير فى التقديم. قال أبو صالح: هذه سجدة التحية، لا سجدة العبادة، ﴿وَقَالَ﴾ يوسف: ﴿يَـٰٓأَبَتِ هَـٰذَا﴾ السجود ﴿تَأْوِيلُ﴾، يعنى تحقيق ﴿رُءْيَـٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا﴾، يعنى صدقًا، وكان بين رؤيا يوسف وبين تصديقها أربعون سنة، ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾، كانوا أهل عمود مواشى، ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ﴾، يعنى أزاغ ﴿ٱلشَّيْطَـٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾، حين أخرجه من السجن ومن البئر، وجمع بينه وبين أهل بيته بعد التفريق، فنزع

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١٣/٤٤، تفسير الماوردى ٢/٣٠٨، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٢٩٠، تفسير القرطبى ٩/٧٦٤، تفسير ابن كثير ٢/٤٩١).

من قلبه نزع الشيطان على إخوته بلطفه، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آية: ١٠٠].

مات يعقوب قبل يوسف بسنتين، ودفن يعقوب والعيص بن إسحاق فى قبر واحد، وخرجا من بطن واحد، فى ساعة واحدة، فلما جمع الله ليوسف شمله، فأقر بعينه، وهو مغموس فى الملك والنعمة، اشتاق إلى الله وإلى آياته، فتمنى الموت.

﴿۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾﴾

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، قال: سمعت أبا صالح، قال: قال مقاتل، عن الضحاك، عن ابن عباس، قال: لم يتمن الموت نبى قط غير يوسف، عليه السلام، قال: ﴿۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى﴾، يعنى قد أعطيتنى ﴿مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾ على أهل مصر ثمانين سنة، ﴿وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾، من هاهنا صلة، يعنى تعبير الرؤيا، ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، يعنى خالق السموات والأرض، كن ﴿أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا﴾، يعنى مخلصًا بتوحيدك، ﴿وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آية: ١٠١]، يعنى أباه يعقوب، وإسحاق، وإبراهيم.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الخبر ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ﴾، يعنى من أحاديث ﴿ٱلْغَيْبِ﴾، غاب يا محمد أمر يوسف ويعقوب وبنيه عنك حتى أعلمناك، ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾، لم تشهده و لم تعلمه، ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾، يعنى عند إخوة يوسف، ﴿إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ [آية: ١٠٢] بيوسف، عليه السلام.

﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ﴾، يعنى كفار مكة، ﴿وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ١٠٣]، يعنى بمصدقين، فيها تقديم.

﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾، يعنى على الإيمان من جُعل، ﴿إِنْ هُوَ﴾، يعنى القرآن، ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ١٠٤].

﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ

﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ
عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى
ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾

﴿وَكَأَيِّن﴾، يعنى وكم، ﴿مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الشمس، والقمر، والنجوم، والسحاب، والرياح، والمطر، ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ الجبال، والبحور، والشجر، والنبات، عامًا بعد عام، ﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾، يعنى يرونها، ﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [آية: ١٠٥]، أفلا يتفكرون فيما يرون من صنع الله فيوحدونه.

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم﴾، أى أكثر أهل مكة، ﴿بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [آية: ١٠٦] فى إيمانهم، فإذا سئلوا: من خلقهم وخلق الأشياء كلها؟ قالوا: الله، وهم فى ذلك يعبدون الأصنام.

فخوفهم، فقال: ﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ﴾، يعنى أن تغشاهم عقوبة، ﴿مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ﴾ فى الدنيا، ﴿أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً﴾، يعنى فجأة، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [آية: ١٠٧] بإتيانها، هذا وعيد.

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ﴾ ملة الإسلام، ﴿سَبِيلِيٓ﴾، يعنى سنتى، ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾، يعنى إلى معرفة الله، وهو التوحيد، ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾، يعنى على بيان، ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ على دينى، ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾، نزه الرب نفسه عن شركهم، ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آية: ١٠٨].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓۗ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي
ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۗ وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ
ٱتَّقَوْاْۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ
نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓۗ﴾؛ لأن أهل الريف أعقل وأعلم من أهل العمود، وذلك حين قال كفار مكة بألا بعث الله ملكًا رسولاً، ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۗ﴾، يعنى من قبل أهل مكة، كان عاقبتهم الهلاك فى الدنيا، يعنى قوم عاد، وثمود، والأمم الخالية، ﴿وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ﴾، يعنى أفضل من الدنيا ﴿لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْۗ﴾ الشرك، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

[آية: ١٠٩] أن الآخرة أفضل من الدنيا.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾ من إيمان قومهم، أوعدتهم رسلهم العذاب فى الدنيا بأنه نازل بهم، ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ﴾ حسب قوم الرسل قد كذبوهم العذاب فى الدنيا بأنه نازل بهم، يقول: ﴿جَآءَهُمۡ﴾، يعنى الرسل، ﴿نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ﴾ من المؤمنين من العذاب مع رسلهم، فهذه مشيئته، ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا﴾، يقول: لا يقدر أحد أن يرد عذابنا، ﴿عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [آية: ١١٠].

﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١١١﴾

﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ﴾، يعنى فى خبرهم، يعنى نصر الرسل، وهلاك قومهم حين خبر الله عنهم فى كتابه فى طسم الشعراء، وفى اقتربت الساعة، وفى سورة هود، وفى الأعراف، ماذا لقوا من الهلاك، ﴿عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ﴾، يعنى لأهل اللب والعقل، ﴿مَا كَانَ﴾ هذا القرآن ﴿حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ﴾، يعنى يتقول لقول كفار مكة: إن محمدًا تقوله من تلقاء نفسه، ﴿وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ﴾ الكتاب ﴿ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾، يقول: يصدق القرآن الذى أنزل على محمد الكتب التى قبله كلها أنها من الله، ﴿وَتَفۡصِيلَ﴾، يقول: فيه بيان ﴿كُلِّ شَيۡءٖ وَ﴾ هو ﴿وَهُدٗى﴾ من الضلالة، ﴿وَرَحۡمَةٗ﴾ من العذاب، ﴿لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [آية: ١١١]، يعنى يصدقون بالقرآن أنه من الله عز وجل.

* * *

سُورَةُ الرَّعْدِ

مكية، ويقال: مدنية، وهى ثلاث وأربعون آية كوفية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾

﴿الٓمٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾[1]، لقول كفار مكة: إن محمدًا تقول القرآن من تلقاء نفسه، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾، يعنى أكثر كفار، ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ١] بالقرآن أنه من الله.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَاۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَاۖ﴾، فيها تقديم، ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ﴾ قبل خلقهما، ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ﴾، يعنى إلى يوم القيامة، ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾، يقضى القضاء، ﴿يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾، يعنى يبين صنعه الذى ذكره فى هذه الآية، ﴿لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [آية: ٢] بالبعث إذا رأيتم صنعه فى الدنيا، فتعتبروا فى البعث.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ﴾، يعنى بسط الأرض من تحت الكعبة، فبسطها بعد الكعبة بقدر ألفى سنة، فجعل طولها مسيرة خمسمائة عام، وعشرها مسيرة خمسمائة عام، ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾، يعنى الجبال أثبت بهن الأرض؛ لئلا تزول بمن عليها، ﴿وَأَنْهَٰرًاۖ

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١٣/٦١، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٣٠٠، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٤/٤٢).

وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا ﴾ من كل ﴿زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ﴾، يعنى ظلمة الليل وضوء النهار، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ﴾، يعنى فيما ذكر من صنعه عبرة، ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [آية: ٣] فى صنع الله فيوحدونه.

﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ ﴾، يعنى بالقطع الأرض السبخة، والأرض العذبة، ﴿مُّتَجَٰوِرَٰتٌ ﴾، يعنى قريب بعضها من بعض، ﴿وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ ﴾، يعنى الكرم، ﴿وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ ﴾، يعنى النخيل التى رءوسها متفرقة وأصلها فى الأرض واحد، ﴿وَغَيْرُ صِنْوَانٍ ﴾، وهى النخلة أصلها وفرعها واحد، ﴿يُسْقَىٰ ﴾ هذا كله ﴿بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ﴾، يعنى فى الحمل، فبعضها أكبر حملاً من بعض، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ﴾، يعنى ما ذكر من صنعه لعبرة، ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [آية: ٤] فيوحدون ربهم.

﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ ﴾

﴿وَإِن تَعْجَبْ ﴾ يا محمد بما أوحينا إليك من القرآن، كقوله فى الصافات: ﴿**بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ**﴾ [الصافات: ١٢]، ثم قال: ﴿فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ ﴾، يعنى كفار مكة، يقول: لقولهم عجب، فعجبه من قولهم، يعنى ومن تكذيبهم بالبعث حين قالوا: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾، تكذيبًا بالبعث، ثم نعتهم، فقال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [آية: ٥] لا يموتون.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ ﴾، وذلك أن النضر بن الحارث قال: ﴿**اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ [الأنفال: ٣٢]، فقال الله عز وجل: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ ﴾، يعنى النضر بن الحارث، ﴿بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ﴾[(١)]، يعنى بالعذاب قبل العافية، كقول صالح لقومه: ﴿**لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ**

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١٣/٧٠، تفسير الماوردى ٢/٣١٨، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٣٠٥، تفسير القرطبى ٩/٢٨٤).

﴿بِالسَّيِّئَةِ﴾، يعنى بالعذاب ﴿قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ [النمل: ٤٦]، يعنى العافية، ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ﴾، يعنى أهل مكة، ﴿الْمَثُلَاتُ﴾، يعنى العقوبات فى كفار الأمم الخالية، فسينزل بهم ما نزل بأوائلهم.

ثم قال: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾، يعنى ذو تجاوز، ﴿لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾، يعنى على شركهم بالله فى تأخير العذاب عنهم إلى وقت، يعنى الكفار، فإذا جاء الوقت عذبناهم بالنار، فذلك قوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [آية: ٦] إذا عذب وجاء الوقت، نظيرها فى حم السجدة.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بتوحيد الله: ﴿لَوْلَا﴾، يعنى هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾، على محمد، ﴿آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ محمد، يقول الله: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ﴾ يا محمد هذه الأمة، وليست الآية بيدك، ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [آية: ٧]، يعنى لكل قوم فيما خلا داع مثلك يدعو إلى دين الله، يعنى الأنبياء.

﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾

﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾ من ذكر وأنثى، كقوله فى لقمان: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ [لقمان: ٣٤] سويًا أو غير سوى، ذكرًا أو أنثى، ثم قال: ﴿وَمَا تَغِيضُ﴾، يعنى وما تنقص ﴿الْأَرْحَامُ﴾، كقوله: ﴿وَغِيضَ الْمَاءُ﴾ [هود: ٤٤]، يعنى ونقص الماء، يعنى وما تنقص الأرحام من الأشهر التسعة، ﴿وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ﴾ من تمام الولد والزيادة فى بطن أمه، ﴿عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [آية: ٨]، يعنى قدر خروج الولد من بطن أمه، وقدر مكثه فى بطنها إلى خروجه، فإنه يعلم ذلك كله.

ثم قال: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾، يعنى غيب الولد فى بطن أمه، ويعلم غيب كل شىء، ﴿وَالشَّهَادَةِ﴾، يعنى شاهد الولد وغيره، يقول الله: إذا علمت هذا، فأنا ﴿الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [آية: ٩]، يعنى العظيم، لا أعظم منه، الرفيع فوق خلقه.

﴿سَوَاءٌ مِّنكُم﴾ عند الله، ﴿مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ﴾، يعنى بالقول، ﴿وَمَنْ

هُوَ مُسْتَخْفٍ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ [آية: ١٠]، يقول: من هو مستخف بالمعصية في ظلمة الليل، ومنتشر بتلك المعصية بالنهار معلن بها، فعلم ذلك كله عند الله تعالى سواء.

ثم قال لهذا الإنسان المستخفي بالليل، السارب بالنهار مع علمي بعمله ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ﴾ (١) من الملائكة، ﴿مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾، يعني بأمر الله من الإنس والجن مما لم يقدر أن يصيبه حتى تسلمه المقادير، فإذا أراد الله أن يغير ما به لم تغن عنه المعقبات شيئًا، ثم قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾ من النعمة، ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾، يعني كفار مكة، نظيرها من الأنفال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ...﴾ [الأنفال: ٥٣] إلى آخر الآية.

والنعمة أنه بعث فيهم رسولاً من أنفسهم، وأطعمهم من جوع، وآمنهم من خوف، فغيروا هذه النعمة، فغير الله ما بهم، فذلك قوله: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا﴾، يعني بالسوء العذاب، ﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [آية: ١١]، يعني ولي يرد عنهم العذاب.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾﴾

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا﴾، للمسافر من الصواعق، ﴿وَطَمَعًا﴾ للمزارع المقيم في رحمته، يعني المطر، ﴿وَيُنشِئُ﴾، يعني ويخلق، مثل قوله: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ﴾ [الرحمن: ٢٤]، يعني المخلوقات، ﴿ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾ [آية: ١٢] من الماء.

﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾، يقول: ويذكر الرعد بأمره بحمده، والرعد ملك من الملائكة اسمه الرعد، وهو موكل بالسحاب، صوته تسبيحه، يزجر السحاب ويؤلف

---

(١) انظر: (معاني القرآن للفراء ٢/٦٠، تفسير الطبري ١٣/٧٦، تفسير الماوردي ٢/٣٢٠، زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٤/٣١٠، تفسير القرطبي ٩/٢٩١، تفسير ابن كثير ٢/٥٠٣، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٤/٤٦).

بعضه إلى بعض، ويسوقه بتسبيحه إلى الأرض التى أمر الله تعالى أن تمطر فيها، ثم قال: ﴿وَ﴾ تسبح ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ بزجرته ﴿مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾، يعنى من مخافة الله تعالى، فميز بين الملائكة وبين الرعد، وهما سواء، كما ميز بين جبريل وميكائيل فى البقرة، وكما ميز بين الفاكهة، وبين النخل والرمان وهما سواء.

ثم قال: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ﴾، هذا أنزل فى أمر عامر، والأربد بن قيس، حين أراد قتل النبى ﷺ، وذلك أن عامر بن الطفيل العامرى دخل على رسول الله ﷺ، فقال: أسلم على أن لك المدر ولى الوبر؟ فقال له النبى ﷺ: «إنما أنت امرؤ من المسلمين، لك ما لهم، وعليك ما عليهم»، قال: فلك الوبر ولى المدر، فقال له النبى ﷺ مثل ذلك، قال: فلى الأمرين من بعدك، قال له النبى ﷺ مثل قوله الأول: «لك ما لهم، وعليك ما عليهم»، فغضب عامر، فقال: لأملأنها عليك خيلاً، ورجالاً، ألف أشقر، عليها ألف أمرد.

ثم خرج مغضبًا، فلقى ابن عمه أربد بن قيس العامرى، فقال عامر لأربد: ادخل بنا على محمد، فألهيه فى الكلام، وأنا أقتله، وإن شئت ألهيته بالكلام وقتلته أنت، قال أربد: أله أنت وأنا أقتله، فدخلا على النبى ﷺ، فأقبل عامر إلى النبى ﷺ يحدثه وهو ينظر إلى أربد متى يحمل عليه فيقتله، ثم طال مجلسه، فقام عامر وأربد فخرجا، فقال عامر لأربد: ما منعك من قتله؟ قال: كلما أردت قتله وجدتك تحول بينى وبينه، وأتى جبريل النبى ﷺ، فأخبره بما أرادا، فدعا النبى ﷺ عليهما، فقال: «اللهم اكفنى عامرًا وأربدا، واهد بنى عامر»، فأما أربد، فأصابته صاعقة فمات، فذلك قوله تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ﴾ ﴿فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾، يعنى أربد بن قيس، ﴿وَهُمْ يُجَـٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ﴾، يعنى يخاصمون فى الله.

وذلك أن عامرًا قال للنبى ﷺ: أخبرنى عن ربك، أهو من ذهب، أو من فضة، أو من نحاس، أو من حديد، أو ما هو؟ فهذا القول خصومته، فأنزل الله تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾ [سورة الإخلاص]، يقول: ليس هو من نحاس ولا من غيره، وسلط الله عليه الطاعون فى بيت امرأة من بنى سلول، فجعل يقول: عامر قتيل بغير سلاح، غدة كغدة البعير، وموت فى بيت سلولية، أبرز يا ملك الموت حتى أقاتلك، فذلك قوله: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾[1] [آية: ١٣]، يعنى الرب

(١) انظر: (تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٢٦، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣١٦/٤، تفسير القرطبى ٢٩٩/٩).

تعالى نفسه، يعنى شديد الأخذ إذا أخذ، نزلت فى عامر بن الطفيل، وأربد بن قيس.

﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾، يعنى كلمة الإخلاص، ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾، يعنى والذين يعبدون من دون الله من الآلهة، وهى الأصنام، ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ﴾، يقول: لا تجيب الآلهة من يعبدها ولا تنفعهم، كما لا ينفع العطشان الماء يبسط يده إلى الماء وهو على شفير بئر، يدعوه أن يرتفع إلى فيه، ﴿لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ﴾، حتى يموت من العطش، فكذلك لا تجيب الأصنام، ثم قال: فادعوا، يعنى فادعوا الأصنام، ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، يعنى وما عبادة الكافرين، ﴿إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [آية: ١٤]، يعنى خسران وباطل.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، يعنى الملائكة، ﴿وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا﴾، يعنى المؤمنين، ثم قال: ﴿وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم﴾، يعنى ظل الكافر كرهًا يسجد لله، وهو ﴿بِٱلْغُدُوِّ﴾ حين تطلع الشمس، ﴿وَٱلْءَاصَالِ ۩﴾ [آية: ١٥]، يعنى بالعشى إذا زالت الشمس يسجد ظل الكافر لله، وإن كرهوا.

﴿قُلْ﴾ يا محمد لكفار مكة: ﴿مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ﴾، فى قراءة أُبى بن كعب، وابن مسعود: قالوا الله، ﴿قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ﴾ الله ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ تعبدونهم، يعنى الأصنام، ﴿لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ﴾، يعنى الأصنام لا يقدرون لأنفسهم ﴿نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ﴾ عن الهدى، ﴿وَٱلْبَصِيرُ﴾ بالهدى، يعنى الكافر والمؤمن، ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ﴾، يعنى الشرك، ﴿وَٱلنُّورُ ۗ﴾، يعنى الإيمان، ولا يستوى من كان فى ظلمة كمن كان فى النور، ثم قال يعنيهم: ﴿أَمْ جَعَلُوا۟﴾، يعنى وصفوا ﴿لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ من الآلهة، ﴿خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ﴾، يقول: خلقوا كما خلق الله، ﴿فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ﴾، يقول: فتشابه ما خلقت الآلهة والأصنام وما خلق الله عليهم، فإنهم لا يقدرون أن يخلقوا، فكيف يعبدون ما لا يخلق شيئًا، ولا يملك، ولا يفعل كفعل الله عز وجل، ﴿قُلِ﴾ لهم يا محمد: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ﴾، لا شريك له، ﴿ٱلْقَهَّٰرُ﴾ [آية: ١٦] والآلهة مقهورة وذليلة.

﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدًا رَّابِيًاۖ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ (١٧) لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ (١٨)﴾

ثم ضرب الله تعالى مثل الكفر والإيمان، ومثل الحق والباطل، فقال: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا﴾، وهذا مثل القرآن الذى علمه المؤمنون، وتركه الكفار، فسال الوادى الكبير على قدر كبره، منهم من حمل منهم كبيرًا، والوادى الصغير على قدره، ﴿فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ﴾، يعنى سيل الماء، ﴿زَبَدًا رَّابِيًاۖ﴾، يعنى عاليًا، ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ﴾ أيضًا، ﴿ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ﴾، يعنى الذهب، والفضة.

ثم قال: ﴿أَوۡ مَتَٰعٖ﴾، يعنى المشبه، والصفر، والحديد، والرصاص، له أيضًا ﴿زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥ﴾، فالسيل زبد لا ينتفع به، والحلى والمتاع له أيضًا زبد، إذا أدخل النار أخرج خبثه، ولا ينتفع به، والذهب والفضة والمتاع ينتفع به، ومثل الماء مثل القرآن، وهو الحق، ومثل الأودية مثل القلوب، ومثل السيل مثل الأهواء، فمثل الماء والحلى والمتاع الذى ينتفع به مثل الحق الذى فى القرآن، ومثل زبد الماء، وحيث المتاع الذى لا ينتفع به مثل الباطل، فكما ينتفع بالماء، وما خلص من الحلى، والمتاع الذى ينتفع به أهله فى الدنيا، فكذلك الحق ينتفع به أهله فى الآخرة، وكما لا ينتفع بالزبد وخبث الحلى والمتاع أهله فى الدنيا، فكذلك الباطل لا ينتفع أهله فى الآخرة، ﴿كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ﴾، يعنى يابسًا لا ينتفع به الناس كما لا ينتفع بالسيل، ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾، فيستقون ويزرعون عليه وينتفعون به، يقول: ﴿كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ [آية: ١٧]، يعنى الأشباه، فهذه الثلاثة الأمثال ضربها الله فى مثل واحد.

﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾، لهم فى الآخرة، وهى الجنة، ﴿وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ﴾ بالإيمان وهم الكفار، ﴿لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ﴾، فقدروا على أن يفتدوا به أنفسهم من العذاب، ﴿لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ﴾ (١)، يعنى شدة الحساب حين لا يتجاوز عن شىء من ذنوبهم، ﴿وَمَأۡوَىٰهُمۡ﴾،

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١٣/٩٤، تفسير الماوردى ٢/٣٢٨، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤٣٢٣، تفسير القرطبى ٩/٣٠٧، تفسير ابن كثير ٢/٥٠٩).

يعنى مصيرهم ﴿جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [آية: ١٨]، يعنى بئس ما مهدوا لأنفسهم.

﴿۞أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ
﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن
يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ
ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ
﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم
مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾

ثم ضرب مثلاً آخر، فقال: ﴿۞أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾، يعنى القرآن نزل فى عمار بن ياسر، ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ عن القرآن لا يؤمن بما أنزل من القرآن، فهو أبو حذيفة بن المغيرة المخزومى لا يستويان هذان، وليسا بسواء، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾ فى هذا الأمر ﴿أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آية: ١٩]، يعنى عمار بن ياسر، يعنى أهل اللب والعقل، نظيرها فى الزمر: ﴿**هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾ [الزمر: ٩]، نزلت فى عمار، وأبى حذيفة بن المغيرة الاثنين جميعًا.

ثم نعت الله أهل اللب، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ فى التوحيد، ﴿وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾ [آية: ٢٠] الذى أخذ الله عليهم على عهد آدم، عليه السلام، ويقال: هم مؤمنوا أهل الكتاب.

﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾، من إيمان بمحمد ﷺ والنبيين والكتب كلها، ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ فى ترك الصلة، ﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ [آية: ٢١]، يعنى شدة الحساب حين لا يتجاوز عن شىء من ذنوبهم.

﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ على ما أمر الله، نزلت فى المهاجرين والأنصار، ﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ من الأموال، ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ﴾، يعنى ويدفعون، ﴿بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ إذا أذاهم كفار مكة، فيردون عليهم معروفًا، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [آية: ٢٢]، يعنى عاقبة الدار.

فقال: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ﴾، يعنى ومن آمن بالتوحيد بعد هؤلاء، ﴿مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ يدخلون عليهم أيضًا، معهم جنات عدن، نظيرها فى حم المؤمن، ثم قال: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ [آية: ٢٣] على مقدار أيام الدنيا

ثلاث عشرة مرة، معهم التحف من الله تعالى، من جنة عدن ما ليس فى جناتهم، من كل باب.

فقالوا لهم: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ﴾ فى الدنيا على أمر الله، ﴿فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [آية: ٢٤]، يثنى الله على الجنة عقبى الدار، عاقبة حسناهم دار الجنة.

﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾﴾

ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ﴾، يعنى كفار أهل الكتاب، ﴿مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾، يعنى من بعد إقرارهم بالتوحيد يوم آدم، عليه السلام، ﴿وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾، من الإيمان بالنبيين، وبالتوحيد، وبالكتاب، ﴿وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ هؤلاء، يعنى يعملون فيها المعاص، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [آية: ٢٥]، يعنى شر الدار جهنم.

﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ﴾، يعنى يوسع الرزق على من يشاء، ﴿وَيَقۡدِرُۚ﴾، يعنى ويقتر على من يشاء، ﴿وَفَرِحُواْ﴾، يعنى ورضوا ﴿بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ﴾ [آية: ٢٦]، يعنى إلا قليل.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من أهل مكة، وهم القادة، ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ﴾، يعنى هلا أنزل، ﴿عَلَيۡهِ﴾، يعنى النبى ﷺ، ﴿ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ عن الهدى، ﴿وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ﴾ إلى دينه ﴿مَنۡ أَنَابَ﴾ [آية: ٢٧]، يعنى من راجع التوبة.

ثم نعتهم، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ﴾، يقول: وتسكن قلوبهم بالقرآن، يعنى بما فى القرآن من الثواب والعقاب، يقول الله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [آية: ٢٨]، يقول: ألا بالقرآن تسكن القلوب.

ثم أخبر بثوابهم، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ﴾، يعنى

حسنى لهم، وهى بلغة العرب، ﴿وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ [آية: ٢٩]، يعنى وحسن مرجع، وطوبى شجرة فى الجنة، لو أن رجلاً ركب فرسًا أو نجيبة، وطاف على ساقها، لم يبلغ المكان الذى ركب منه حتى يقتله الهرم، ولو أن طائرًا طار من ساقها، لم يبلغ فرعها حتى يقتله الهرم، كل ورقة منها تظل أمة من الأمم، على كل ورقة منها ملك يذكر الله تعالى، ولو أن ورقة منها وضعت فى الأرض لأضاءت الأرض نورًا كما تضيء الشمس، تحمل هذه الشجرة لهم ما يشاءون من ألوان الحلى والثمار، غير الشراب.

﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِيٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾﴾

﴿كَذَٰلِكَ﴾، يعنى هكذا ﴿أَرْسَلْنَاكَ فِيٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ﴾، يعنى قد مضت قبل أهل مكة، يعنى الأمم الخالية، ﴿لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾، يعنى لتقرأ عليهم القرآن، ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾، نزلت يوم الحديبية، حين صالح النبى ﷺ أهل مكة، فكتبوا بينهم كتابًا، وولى الكتاب على بن أبى طالب، فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل بن عمرو القرشى: ما نعرف الرحمن إلا مسيلمة، ولكن اكتب: باسمك اللهم، فأمره النبى ﷺ أن يكتب: باسمك اللهم، ثم قال له النبى ﷺ: «اكتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ﷺ أهل مكة»، فقالوا: ما نعرف أنك رسول الله، لقد ظلمناك إذًا إن كنت رسول الله، ثم نمنعك عن دخول المسجد الحرام، ولكن اكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله.

فغضب أصحاب النبى ﷺ، وقالوا للنبى ﷺ: دعنا نقاتلهم، فقال: «لا»، ثم قال لعلى: «اكتب الذى يريدون، أما أن لك يومًا مثله»، وقال النبى ﷺ: «أنا محمد بن عبد الله، وأشهد أنى رسول الله»، فكتب: هذا صالح محمد بن عبد الله أهل مكة، على أن ينصرف محمد من عامه هذا، فإذا كان القابل دخل مكة، فقضى عمرته وخلى أهل مكة بينه وبين مكة ثلاث ليال، فأنزل الله تعالى فى قول سهيل وصاحبيه مكرز بن حفص بن الأحنف، وحويطب بن عبد العزى، كلهم من قريش حين قالوا: ما نعرف الرحمن، إلا مسيلمة، فقال تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾.

﴿قُلْ هُوَ رَبِّي﴾ يا محمد قول: الرحمن الذى يكفرون به هو ربى، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾، يقول: به أثق، ﴿وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [آية: ٣٠]، يعنى التوبة، نظيرها فى

الفرقان: ﴿فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ [الفرقان: ٧١].

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾﴾

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾، وذلك أن أبا جهل بن هشام المخزومى، قال لمحمد ﷺ: سير لنا بقرآنك هذا الجبل عن مكة، فإنها أرض ضيقة، فتتسع فيها، ونتخذ فيها المزارع والمصانع، كما سخرت لداود، عليه السلام، إن كنت نبيًا كما تزعم، قال النبى ﷺ: «لا أطيق ذلك»، قال أبو جهل: فلا عليك، فسخر لنا هذه الريح، فنركبها إلى الشام، فنقضى ميرتنا، ثم نرجع من يومنا، فقد شق علينا طول السفر، كما سخرت لسليمان كما زعمت، فلست بأهون على الله من سليمان، إن كنت نبيًا كما تزعم، وكان يركبها سليمان وقومه غدوة، فيسير مسيرة شهر، قال النبى ﷺ: «لا أطيق ذلك».

قال أبو جهل: فلا عليك، ابعث لنا رجلين أو ثلاثة ممن مات من آبائنا، منهم قصى بن كلاب، فإنه كان شيخًا صدوقًا، فنسأله عما أمامنا مما تخبرنا أنه كائن بعد الموت أحق ما تقول أم باطل؟ فقد كان عيسى يفعل ذلك بقومه كما زعمت، فلست بأهون على الله من عيسى إن كنت نبيًا كما تزعم، قال النبى ﷺ: «ليس إلى ذلك»، قال أبو جهل: فإن كنت غير فاعل، فلا ألفينك تذكر آلهتنا بسوء، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾(١) ﴿أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾، يقول: لو أن قرآنًا فعل ذلك به قبل هذا القرآن، لفعلناه بقرآن محمد، عليه السلام، ولكنه شيء أعطيه رسلى.

فذلك قوله: ﴿بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾، يقول: بل جميع ذلك الأمر كان من الله ليس من قبل القرآن، ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من أهل مكة، ﴿تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ﴾، يقول: تصيبهم بما كفروا بالله بائقة، وذلك أن النبى ﷺ كان لا يزال يبعث سراياه. فيغيرون حول مكة، فيصيبون

---

(١) انظر: (معانى القرآن للفراء ٦٣/١، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٢٧، تفسير القرطبى ٣١٩/٩).

من أنفسهم، ومواشيهم، وأنعامهم، فيها تقديم، ثم قال: ﴿أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾، يقول: أو تنزل يا محمد بحضرتهم يوم الحديبية قريبين، ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾ في فتح مكة، وكان الله تعالى وعد النبى ﷺ أن يفتح عليه مكة، فذلك قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آية: ٣١].

﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ من الرسل قبل محمد ﷺ، أخبروا قومهم بنزول العذاب عليهم فى الدنيا، فكذبوهم واستهزءوا منهم بأن العذاب ليس بنازل بهم، فلما أخبر النبى ﷺ كفار مكة استهزءوا منه، فأنزل الله تعالى يعزى نبيه، عليه السلام، ليصبر على تكذيبهم إياه بالعذاب، ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ ﴿فَأَمْلَيْتُ﴾، يعنى فأمهلت ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾، فلم أعجل عليهم بالعقوبة، ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ بالعذاب، ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [آية: ٣٢]، يعنى عذاب، أليس وجدوه حقًا؟.

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ من خير وشر، يقول: الله قائم على كل بر وفاجر، على الله رزقهم وطعامهم، ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾، يعنى وصنعوا لله شبهًا، وهو أحق أن يعبد من غيره، ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد: ﴿سَمُّوهُمْ﴾، يقول: ما أسماء هؤلاء الشركاء، وأين مستقرهم، يعنى الملائكة؛ لأنهم عبدوهم، ويقال: الأوثان، ولو سموهم لكذبوا.

ثم قال: ﴿أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ﴾ بأن معه شريكًا، ﴿أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ﴾، يقول: بل بأمر باطل كذب، كقوله فى الزخرف: ﴿**أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي**﴾ [الزخرف: ٥٢]، يقول: أنا خير، ثم قال: ﴿بَلْ﴾، يعنى لكن، ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة ﴿مَكْرُهُمْ﴾، يعنى قول الشرك، ﴿وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾، يعنى وصدوا الناس عن السبيل، يعنى دين الله الإسلام، ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ﴾، يقول: ومن يضله الله، ﴿فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [آية: ٣٣] إلى دينه.

﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، يعنى القتل ببدر، ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَشَقُّ﴾ مما أصابهم من القتل ببدر، وضرب الملائكة الوجوه والأدبار، وتعجيل أرواحهم إلى النار، ﴿وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ [آية: ٣٤]، يعنى يقى العذاب عنهم.

﴿۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾

﴿۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾(١)، يعنى شبه الجنة فى الفضل والخير، كشبه النار فى شدة العذاب، ثم نعت الجنة، فقال: ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾، يعنى طعامها لا يزول ولا ينقطع، وهكذا ﴿وَظِلُّهَا﴾، ثم قال: ﴿تِلْكَ﴾ الجنة ﴿عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا﴾، عاقبة حسناهم الجنة، ﴿وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾ [آية: ٣٥]، يعنى وعاقبة الذين كفروا بتوحيد الله النار.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾، يقول: أعطيناهم التوراة، وهم عبد الله بن سلام وأصحابه، مؤمنو أهل التوراة، ﴿يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ من القرآن، ثم قال: ﴿وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾، يعنى ابن أمية، وابن المغيرة، وآل أبى طلحة بن عبد العزى بن قصى، ﴿مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ﴾، أنكروا الرحمن، والبعث، ومحمدًا، عليه السلام، ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ﴾، يعنى أوحد الله، ﴿وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ﴾ شيئًا، ﴿إِلَيْهِ أَدْعُوا﴾، يعنى إلى معرفته، وهو التوحيد، أدعو، ﴿وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ﴾ [آية: ٣٦]، يعنى وإليه المرجع.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾، يعنى حين دعى إلى ملة آبائه، ﴿بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾، يعنى من البيان، ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ﴾، يعنى قريبًا ينفعك، ﴿وَلَا وَاقٍ﴾ [آية: ٣٧]، يعنى يقى العذاب عنك.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ

---

(١) انظر: (معانى القرآن للفراء ٦٥/٢، تفسير الماوردى ٣٣٣/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣٣٤/٤، تفسير القرطبى ٣٢٤/٩).

ٱلۡكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ ﴿٤٠﴾ ﴾

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ﴾، يعنى الأنبياء قبلك، ﴿وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَذُرِّيَّةٗ﴾، يعنى النساء والأولاد، ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ﴾، وذلك أن كفار مكة سألوا النبى ﷺ أن يأتيهم بآية، فقال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ﴾، إلى قومه، ﴿إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ﴾، يعنى إلا بأمر الله، ﴿لِكُلِّ أَجَلٖ كِتَابٞ﴾ [آية: ٣٨]، يقول: لا ينزل من السماء كتاب إلا بأجل.

﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾، يقول: ينسخ الله ما يشاء من القرآن، ﴿وَيُثۡبِتُۖ﴾، يقول: ويقر من حكم الناسخ ما يشاء، فلا ينسخه، ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ (١) [آية: ٣٩]، يعنى أصل الكتاي، يقول: الناسخ من الكتاب، والمنسوخ فهو فى أم الكتاب، يعنى بأم الكتاب اللوح المحفوظ.

﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ﴾، يعنى وإن نرينك يا محمد فى حياتك، ﴿بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ﴾ من العذاب فى الدنيا، يعنى القتل ببدر وسائر بهم العذاب بعد الموت، ثم قال: ﴿أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾، يقول: أو نميتك يا محمد قبل أن نعذبهم فى الدنيا، يعنى كفار مكة، ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ﴾ يا محمد ﴿ٱلۡبَلَٰغُ﴾ (٢) من الله إلى عباده، ﴿وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ﴾ [آية: ٤٠]، يقول: وعلينا الجزاء الأوفى فى الآخرة، كقوله عز وجل فى الشعراء: ﴿**إِنْ حِسَابُهُمْ إِلاَّ عَلَى رَبِّى**﴾ [الشعراء: ١١٣]، يعنى ما جزاءهم إلا على ربى.

﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَاۚ وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٤١﴾ ﴾

﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾، يعنى كفار مكة، ﴿أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ﴾، يعنى أرض مكة، ﴿نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَاۚ﴾، يعنى ما حولها، يقول: لا يزال النبى ﷺ والمؤمنون يغلبون على ما حول مكة من الأرض، فكيف لا يعتبرون بما يرون أنه ينقص من أهل الكفر ويزداد فى المسلمين،

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١١١/١٣، تفسير الماوردى ٣٣٥/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣٣٨/٤، تفسير القرطبى ٣٢٩/٩).

(٢) انظر: (معانى القرآن للفراء ٦٦/٢، تفسير الطبرى ١١٦/١٣، تفسير الماوردى ٣٣٥/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣٣٩/٤، تفسير القرطبى ٣٣٣/٩).

﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦۚ﴾، يقول: والله يقضى لا راد لقضائه فى نقصان ما حول مكة ونصر محمد ﷺ، ﴿وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [آية: ٤١]، يقول: كأنه قد جاء فحاسبهم.

﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًاۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًاۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، يعنى قبل كفار مكة من الأمم الخالية، يعنى قوم صالح، عليه السلام، حين أرادوا قتل صالح، عليه السلام، فهكذا كفار مكة حين أجمع أمرهم على قتل محمد ﷺ فى دار الندوة، يقول الله عز وجل: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًاۖ﴾، يقول: جميع ما يمكرون بإذن الله عز وجل، والله ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍۗ﴾، يعنى ما تعمل كل نفس، بر وفاجر، من خير أو شر، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ﴾ كفار مكة فى الآخرة، ﴿لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [آية: ٤٢]، يعنى دار الجنة، ألهم أم للمؤمنين؟.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، يقول: قالت اليهود: ﴿لَسْتَ مُرْسَلًاۚ﴾ يا محمد، لم يبعثك الله رسولاً، فأنزل الله عز وجل، ﴿قُلْ﴾ لليهود: ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا﴾(١)، فلا شاهد أفضل من الله عز وجل، ﴿بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ بأنى نبى رسول، ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آية: ٤٣]، يقول: ويشهد من عنده التوراة، عبد الله بن سلام، فهو يشهد أنى نبى رسول مكتوب فى التوراة.

* * *

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١١٨/١٣، تفسير الماوردى ٣٣٦/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣٤١/٤، تفسير القرطبى ٣٣٥/٩، تفسير ابن كثير ٥٢١/٢٥).

سُورَةُ إبْرَاهِيمَ

عليه السلام

مكية كلها، غير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا...﴾ [آية: ٢٨، ٢٩] الآيتين مدنيتين، وهى اثنتان وخمسون آية كوفية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾

﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﷺ، ﴿لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾، يعنى من الشرك إلى الإيمان، ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾، يعنى بأمر ربهم، ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ﴾، يعنى إلى دين، ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ فى ملكه، ﴿ٱلْحَمِيدِ﴾ [آية: ١] فى أمره عند خلقه.

﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾﴾

ثم دل على نفسه تعالى ذكره، فقال: ﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾، من أهل مكة، بتوحيد الله، ﴿مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [آية: ٢].

ثم أخبر عنهم، فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ الفانية، ﴿عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ الباقية، ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، يعنى عن دين الإسلام، ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾، يعنى سبيل الله عوجًا، يقول: ويريدون بملة الإسلام زيغًا، وهو الميل، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ [آية: ٣]، يعنى فى خسران طويل، وذلك أن رءوس كفار مكة كانوا ينهون الناس عن اتباع محمد ﷺ، وعن اتباع دينه.

ثم قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾، يعنى بلغة قومه ليفهموا قول رسول الله ﷺ، فذلك قوله سبحانه: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ﴾ على ألسنة الرسل عن دينه الهدى، ﴿وَيَهۡدِي﴾ إلى دينه، الهدى على ألسنة الرسل، ﴿مَن يَشَآءُۚ﴾، ثم رد تعالى ذكره المشيئة إلى نفسه، فقال: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ فى ملكه، ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ [آية: ٤]، حكم الضلالة والهدى لمن يشاء.

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ۝٥ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ أَنجَىٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ۝٦ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ۝٧ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝٨﴾

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾، اليد والعصا، ﴿أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ﴾، يعنى أن ادع قومك بنى إسرائيل، ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾، يعنى من الشرك إلى الإيمان، ﴿وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ﴾ (١)، يقول: عظهم وخوفهم بمثل عذاب الأمم الخالية، فيحذروا فيؤمنوا، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾، يقول: إن فى هلاك الأمم الخالية، ﴿لَأٓيَٰتٖ﴾، يعنى لعبرة ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ﴾ [آية: ٥]، يعنى المؤمن صبور على أمر الله عز وجل عند البلاء الشديد، شكور لله تعالى فى نعمه.

﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ﴾، بنى إسرائيل: ﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ أَنجَىٰكُم﴾، يعنى أنقذكم، ﴿مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ﴾، يعنى أهل مصر، ﴿يَسُومُونَكُمۡ﴾، يعنى يعذبونكم، ﴿سُوٓءَ﴾، يعنى شدة، ﴿ٱلۡعَذَابِ﴾، ثم بين العذاب، فقال: ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ﴾، فى حجور أمهاتهم، ﴿وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ﴾، يعنى قتل البنين وترك البنات، قتل فرعون منهم ثمانية عشر طفلاً، ﴿وَفِي ذَٰلِكُم﴾، يعنى فيما أخبركم من قتل الأبناء وترك البنات، ﴿بَلَآءٞ﴾، يعنى نقمة، ﴿مِّن رَّبِّكُمۡ

---

(١) انظر: (معانى القرآن للفراء ٦٨/٢، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٣٠، تفسير الطبرى ١٢٢/١٣، تفسير الماوردى ٣٣٨/٢، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٣٤٦/٤، تفسير القرطبى ٣٤١/٩).

عَظِيمٌ﴾ [آية: ٦]، كقوله سبحانه: ﴿**إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاَءُ الْمُبِينُ**﴾ [الصافات: ١٠٦]، يعنى النعمة البينة، وكقوله: ﴿**وَآتَيْنَاهُم مِّنَ الآيَاتِ مَا فِيهِ بَلاَءٌ مُّبِينٌ**﴾ [الدخان: ٣٣]، يعنى نعمة بينة.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾، نظيرها فى الأعراف: ﴿**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**﴾ [الأعراف: ١٦٧]، وإذ قال ربكم: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾، يعنى لئن وحدتم الله عز وجل، كقوله سبحانه: ﴿**وَسَيَجْزِى اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**﴾ [آل عمران: ١٤٤]، يعنى الموحدين، لأزيدنكم خيرًا فى الدنيا، ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾ بتوحيد الله، ﴿إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ [آية: ٧] لمن كفر بالله عز وجل فى الآخرة.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ﴾، عن عبادة خلقه، ﴿حَمِيدٌ﴾ [آية: ٨]، عن خلقه فى سلطانه.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ
بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ
وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ (٩)
۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن
ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن
تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ (١٠) قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ
إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن
نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ (١١) وَمَا لَنَآ أَلَّا
نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
ٱلْمُتَوَكِّلُونَ (١٢)﴾

ثم خوف كفار مكة بمثل عذاب الأمم الخالية لئلا يكذبوا بمحمد ﷺ، فقال سبحانه: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ﴾، يعنى حديث، ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ من الأمم حديث ﴿قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ من الأمم التى عذبت، عاد، وثمود، وقوم إبراهيم، وقوم لوط، وغيرهم، ﴿لَا يَعْلَمُهُمْ﴾، يعنى لا يعلم عدتهم أحد، ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ عز وجل، ﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾، يعنى أخبرت الرسل قومهم بنزول العذاب بهم، نظيرها فى الروم: ﴿**وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ**﴾ [الروم: ٩]، يعنى بنزول العذاب بهم فى الدنيا.

﴿فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ (١)، يقول: وضع الكفار أيديهم فى أفواههم، ثم قالوا للرسل: اسكتوا، فإنكم كذبة، يعنون الرسل، وأن العذاب ليس بنازل بنا فى الدنيا، ﴿وَقَالُوٓاْ﴾ للرسل: ﴿إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ﴾، يعنى بالتوحيد، ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ﴾ [آية: ٩]، يعنى بالريبة أنهم لا يعرفون شكهم.

﴿۞ قَالَتۡ﴾ لهم ﴿رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ﴾، يقول: أفى التوحيد لله شك؟ ﴿فَاطِرِ﴾، يعنى خالق، ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَدۡعُوكُمۡ﴾ إلى معرفته، ﴿لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾، والمن هاهنا صلة، كقوله سبحانه: ﴿**شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّين**﴾ [الشورى: ١٣]، ﴿وَيُؤَخِّرَكُمۡ﴾ فى عافية، ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ﴾، يقول: إلى منتهى آجالكم، فلا يعاقبكم بالسنين، فردوا على الرسل، ﴿قَالُوٓاْ﴾ لهم: ﴿إِنۡ أَنتُمۡ﴾، يعنى ما أنتم، ﴿إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾، لا تفضلونا فى شىء، ﴿تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا﴾، يعنى تمنعونا، ﴿عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾، يعنى دين آبائهم، ﴿فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾ [آية: ١٠]، يعنى بحجة بينة، قالوا للرسل: ائتونا من عند الله بكتاب فيه حجة بأنكم رسله، فإن أتيتمونا كان لكم حجة بأنكم رسله.

﴿قَالَتۡ لَهُمۡ رُسُلُهُمۡ إِن نَّحۡنُ﴾، يعنى ما نحن، ﴿إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ﴾، يعنى ينعم، ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ﴾، فيخصه بالنبوة والرسالة، ﴿وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأۡتِيَكُم بِسُلۡطَٰنٍ﴾، يعنى بكتاب من الله بالرسالة، ﴿إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾، يعنى إلا بأمر الله، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ﴾، يقول: وبالله فليثق، ﴿ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [آية: ١١]، لقولهم للرسل لنخرجنكم من أرضنا.

ثم قال سبحانه: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ﴾، يعنى وما لنا ألا نثق بالله، ﴿وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ﴾، يعنى لديننا، ﴿وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ [آية: ١٢]، يعنى وبالله فليثق الواثقون.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ

---

(١) انظر: (معانى القرآن للفراء ٢/٦٩، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٣٠، تفسير الطبرى ١٣/١٢٦، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٣٤٨، تفسير القرطبى ٩/٣٤٥).

﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾

وكان أذاهم للرسل أن قالوا: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾، يعنى دينهم الكفر، فهذا الأذى الذى صبروا عليه، ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ﴾، يعنى إلى الرسل، ﴿لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [آية: ١٣]، يعنى المشركين فى الدنيا ولننصرنكم.

يعنى ﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾، يعنى هلاكهم، ﴿ذَٰلِكَ﴾ الإنسان فى الدنيا، ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامِى﴾، يعنى مقام ربه عز وجل فى الآخرة، ﴿وَ﴾ لمن ﴿وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [آية: ١٤] فى الآخرة.

﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟﴾، يعنى دعوا ربهم واستنصروا، وذلك أن الرسل أنذروا قومهم العذاب فى الدنيا، فردوا عليهم: أنكم كذبة، ثم قالوا: اللهم إن كانت رسلنا صادقين فعذبنا، فذلك قوله تعالى: ﴿**فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**﴾ [الأعراف: ٧٠]، فذلك قوله سبحانه: ﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟﴾، يعنى مشركى مكة، وفيهم أبو جهل، يعنى ودعوا ربهم، يقول الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [آية: ١٥]، يعنى وخسر عند نزول العذاب كل متكبر عن توحيد الله عز وجل، نزلت فى أبى جهل، ﴿عَنِيدٍ﴾، يعنى معرض عن الإيمان مجانبًا له.

ثم قال لهذا الجبار وهو فى الدنيا: ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ﴾ (١)، من بعدهم، يعنى من بعد موته، ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾ [آية: ١٦]، يعنى خليطة القيح والدم الذى يخرج من أجداف الكفار يسقى الأشقياء.

﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾ تجرعًا، ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ البتة، نظيرها: ﴿**إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا**﴾ [النور: ٤٠]، يقول: لا يراها البتة، ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ﴾ فى النار، ﴿مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ﴾ هذا، يعنى ومن بعد إحدى وعشرين ألف سنة يفتح عليهم باب يقال له: الهيهات، فتأكل ناره نار جهنم وأهلها، كما تأكل

---

(١) انظر: (تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٣١، تفسير الطبرى ١٣/١٣٠، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٣٥٢، تفسير القرطبى ٩/٣٥٠).

نار الدنيا القطن المندوف، ويأتيه الموت فى النار من كل مكان، وما هو بميت، ﴿وَمِن وَرَآئِهِۦ﴾ ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [آية: ١٧]، يعنى شديد لا يفتر عنهم.

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَىْءٍۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ﴾، يعنى بتوحيد ربهم، مثل ﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾ الخبيثة فى غير إيمان، ﴿كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍۖ﴾(١) فى يوم شديد الريح، فلم ير منه شىء، فكذلك أعمال الكفار، ﴿لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَىْءٍۚ﴾، يقول: لا يقدرون على ثواب شىء مما عملوا فى الدنيا، ولا تنفعهم أعمالهم؛ لأنها لم تكن فى إيمان، ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ﴾ الكفر، ﴿هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ [آية: ١٨]، يعنى الطويل.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۚ﴾، لم يخلقهما باطلاً لغير شىء، ولكن خلقهما لأمر هو كائن، ثم قال سبحانه لكفار هذه الأمة: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ بالهلاك إن عصيتموه، ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [آية: ١٩]، يعنى بخلق غيركم أمثل وأطوع لله منكم.

﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [آية: ٢٠]، يقول: هذا على الله هين يسير، ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾، نظيرها فى الملائكة.

﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍۚ قَالُواْ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾

ثم قال سبحانه: ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾، يقول: وخرجوا من قبورهم إلى الله جميعًا، يعنى بالجميع أنه لم يغادر منهم أحد إلا بعث بعد موته، ﴿فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ﴾، وهم

---

(١) انظر: (معانى القرآن للفراء ٢/٧٢، تفسير الطبرى ١٣/١٣١، تفسير الماوردى ٢/٢٤٣، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٣٥٥، تفسير القرطبى ٩/٣٥٣).

الأتباع من كفار بنى آدم، ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ﴾، يعنى للذين تكبروا عن الإيمان بالله عز وجل، وهو التوحيد، وهم الكبراء فى الشرف والغنى القادة، ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا﴾ لدينكم فى الدنيا، ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا﴾ معشر الكبراء، ﴿مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ﴾، باتباعنا إياكم.

﴿قَالُواْ﴾، يعنى قالت الكبراء للضعفاء: ﴿لَوۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيۡنَٰكُمۡۖ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ﴾، ذلك أن أهل النار قال بعضهم لبعض: تعالوا نجزع من العذاب، لعل ربنا يرحمنا، فجزعوا مقدار خمسمائة عام، فلم يغن عنهم الجزع شيئًا، ثم قالوا: تعالوا نصبر لعل الله يرحمنا، فصبروا مقدار خمسمائة عام، فلم يغن عنهم الصبر شيئًا، فقالوا عند ذلك: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ﴾ ﴿أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ﴾ [آية: ٢١]، من مهرب عنها.

﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾، يعنى إبليس، ﴿لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾، يعنى حين قضى العذاب، وذلك أن إبليس لما دخل هو ومن معه على أثره النار، قام خطيبًا فى النار، فقال: يا أهل النار: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ﴾ على ألسنة الرسل، ﴿وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ﴾، يعنى وعد الصدق أن هذا اليوم كائن، ﴿وَوَعَدتُّكُمۡ﴾ أنه ليس بكائن، ﴿فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ﴾ الوعد، ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ﴾، يعنى من ملك فى الشرك، فأكرهكم على متابعتى، يعنى على دينى، إلا فى الدعاء.

فذلك قوله عز وجل: ﴿إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ﴾، يعنى إلا أن زينت لكم، ﴿فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ﴾ بالطاعة وتركتم طاعة ربكم، ﴿فَلَا تَلُومُونِي﴾ باتباعكم إياى، ﴿وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ﴾ بترككم أمر ربكم، ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ﴾[1]، يقول: ما أنا بمغيثكم وما أنتم بمغيثى، ﴿إِنِّي كَفَرۡتُ﴾، يقول: تبرأت اليوم ﴿بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ﴾ مع الله فى الطاعة، ﴿مِن قَبۡلُۗ﴾ فى الدنيا، ﴿إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، يعنى إن المشركين، ﴿لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [آية: ٢٢]، يعنى وجيع.

﴿وَأُدۡخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡۖ تَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١٣/١٣٥، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٣٥٧، تفسير القرطبى ٩/٣٥٧).

﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ
رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ
كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، يعنى صدقوا بتوحيد الله عز وجل، ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، وأدوا الفرائض، ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، يعنى تجرى العيون من تحت بساتينها، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ لا يموتون، ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾، يعنى بأمر ربهم ادخلوا الجنة، ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ [آية: ٢٣]، يقول: تسلم الملائكة عليهم فى الجنة.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾، يعنى حسنة، يعنى كلمة الإخلاص، وهى التوحيد، ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾، يعنى بالطيبة الحسنة، كما أنه ليس فى الكلام شىء أحسن ولا أطيب من الإخلاص، قول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فكذلك ليس فى الثمار شىء أحلى ولا أطيب من الرطبة، وهى النخلة، ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ فى الأرض، ﴿وَفَرْعُهَا﴾، يعنى رأسها، ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ [آية: ٢٤]، يقول: هكذا الإخلاص ينبت فى قلب المؤمن، كما تنبت النخلة فى الأرض، إذا تكلم بها المؤمن، فإنها تصعد إلى السماء، كما أن النخلة رأسها فى السماء، كما أن النخلة لها فضل على الشجر فى الطول، والطيب، والحلاوة، فكذلك كلمة الإخلاص لها فضل على سائر الكلام.

﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾، يقول: إن النخلة تؤتى ثمرها كل ستة أشهر، ﴿بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾، يعنى بأمر ربها، فهكذا المؤمن يتكلم بالتوحيد، ويعمل الخير ليلاً ونهارًا، غدوة وعشيًا، بمنزلة النخلة، وهذا مثل المؤمن، ثم قال سبحانه: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾، يعنى ويصف الله الأشياء للناس، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [آية: ٢٥]، أى يتفكرون فى أمثال الله تعالى، فيوحدونه.

ثم ضرب مثلاً آخر للكافرين، فقال سبحانه: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾، يعنى دعوة الشرك، ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ فى المرارة، يعنى الحنظل، ﴿اجْتُثَّتْ﴾، يعنى انتزعت، ﴿مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ [آية: ٢٦]، يقول: ما لها من أصل، فهكذا كلمة الكافر ليس لها أصل، كما أن الحنظل أخبث الطعام، فكذلك كلمة الكفر أخبث الدعوة، وكما أن الحنظل ليس فيه ثمر، وليس لها بركة ولا منفعة، فكذلك الكافر لا خير فيه، ولا فرع له فى السماء يصعد فيه عمله، ولا أصل له فى الأرض، بمنزلة الحنظلة، يذهب بها

الريح، وكذلك الكافر، فذلك قوله سبحانه: ﴿كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ﴾ [إبراهيم: ١٨]، هاجت يمينًا وشمالاً، مرة هاهنا ومرة هاهنا.

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَاۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦۗ قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾﴾

ثم ذكر المؤمنين بالتوحيد فى حياتهم وبعد موتهم، فقال سبحانه: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾، وهو التوحيد، ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، ثم قال: ﴿وَ﴾ يثبتهم ﴿وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ﴾، يعنى فى قبره فى أمر منكر ونكير بالتوحيد، وذلك أن المؤمن يدخل عليه ملكان أحدهما منكر والآخر نكير، فيجلسانه فى القبر، فيسألانه: من ربك؟ وما دينك؟ ومن رسولك؟ فيقول: ربى الله عز وجل، ودينى الإسلام، ومحمد ﷺ رسولى، فيقولان له: وقيت وهديت، ثم يقولان: اللهم إن عبدك أرضاك فأرضه، فذلك قوله سبحانه: ﴿وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ﴾، أى يثبت الله قول الذين آمنوا.

ثم ذكر الكافر فى قبره حين يدخل عليه منكر ونكير، يطآن فى أشعارهما، ويحفران الأرض بأنيابهما، وينالان الأرض بأيديهما، أعينهما كالبرق الخاطف، وأصواتهما كالرعد القاصف، ومعهما مرزبة من حديد، لو اجتمع عليها أهل منى أن يقلوها ما أقلوها، فيقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول: لا أدرى، فيقولان له: لا دريت ولا تليت، ثم يقولان: اللهم إن عبدك قد أسخطك فاسخط عليه.

فيضربانه بتلك المرزبة ضربة ينهشم كل عضو فى جسده، ويلتهب قبره نارًا، ويصيح صيحة يسمعها كل شىء غير الثقلين، فيلعنونه، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩]، حتى إن شاة القصاب والشفرة على حلقها لا يهمها ما بها، فتقول: لعن الله هذا، كان يحبس عنا الرزق بسببه، هذا لمن يضله الله عز وجل عن التوحيد، فذلك قوله: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ﴾، يعنى المشركين، حيث لا يوفق لهم ذلك حين يسأل فى قبره: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [آية: ٢٧] فيهما، فمشيئته أن يثيب المؤمنين ويضل الكافرين.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾، هذه مدنية إلى آخر الآيتين، وبقية

السورة مكية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾، وهم بنو أمية، وبنو المغيرة المخزومى، وكانت النعمة أن الله أطعمهم من جوع، وآمنهم من خوف، يعنى القتل والسبى، ثم بعث فيهم رسولاً يدعوهم إلى معرفة رب هذه النعمة عز وجل، فكفروا بهذه النعمة وبدلوها، ثم قال الله عز وجل: ﴿وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ [آية: ٢٨]، يعنى دار الهلاك بلغة عمان، فأهلكوا قومهم ببدر.

ثم يصيرون بعد القتل إلى جهنم يوم القيامة، فذلك قوله عز وجل: ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ [آية: ٢٩]، يعنى وبئس المستقر.

ثم ذكر كفار قريش، فقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟﴾، يعنى ووصفوا ﴿لِلَّهِ أَندَادًا﴾، يعنى شركاء، ﴿لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ﴾، يعنى ليستنزلوا عن دينه الإسلام، ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا۟﴾ فى داركم قليلا، ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [آية: ٣٠].

﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾

﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ من الأموال، ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾، يعنى لا فداء، ﴿وَلَا خِلَٰلٌ﴾ [آية: ٣١]، يعنى ولا خلة؛ لأن الرجل إذا نزل به ما يكره فى الدنيا قبل موته، قبل منه الفداء، أو يشفع له خليله، والخليل المحب، وليس فى الآخرة من ذلك شىء، وإنما هى أعمالهم يثابون عليها.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾، يعنى المطر، ﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ﴾، يعنى بالمطر، ﴿مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ﴾، يعنى السفن، ﴿لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ﴾ [آية: ٣٢].

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ﴾ إلى يوم القيامة، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ [آية: ٣٣]، فى هذه منفعة لبنى آدم.

﴿وَءَاتَىٰكُم﴾، يقول: وأعطاكم ﴿مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾، يعنى ما لم تسألوه ولا طلبتموه، ولكن أعطيتكم من رحمتى، يعنى ما ذكر مما سخر للناس فى هؤلاء الآيات، فهذا كله من النعم، ثم قال سبحانه: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ﴾ لنفسه فى خطيئته، ﴿كَفَّارٌ﴾ [آية: ٣٤]، يعنى كافر فى نعمته التى ذكر، فلم يعبده.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، قال: سمعت أبا صالح فى قوله عز وجل: ﴿**مِّن كُلٍّ مَا سَأَلْتُمُوهُ**﴾، قال: أعطاكم ما لم تسألوه، ومن قراءة: كل ما سألتموه، بدون من يقول: استجاب لكم، فأعطاكم ما سألتموه، والله أعلم.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ
(٣٥) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ (٣٦) رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا
لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ
يَشْكُرُونَ (٣٧) رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ
وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ (٣٨) ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبِّى
لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ (٣٩) رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ
(٤٠) رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ (٤١)﴾

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾، يعنى مكة، فكان أمنًا لهم فى الجاهلية، ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ﴾، يعنى وولدى، ﴿أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [آية: ٣٥]، وقد علم أن ذريته مختلفون فى التوحيد.

قال: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ﴾، يعنى الأصنام، ﴿كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾، يعنى أضللن بعبادتهن كثيرًا من الناس، ﴿فَمَن تَبِعَنِى﴾ على دينى، ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾ على ملتى، ﴿وَمَنْ عَصَانِى﴾، فكفر، ﴿فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آية: ٣٦]، أن تتوب عليه، فتهديه إلى التوحيد، نظيرها فى الأحزاب: ﴿**وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاء أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٢٤].

﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى﴾، يعنى إسماعيل ابنى خاصة، ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ﴾، يعنى لا حرث فيها، ولا ماء، يعنى مكة، ﴿عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾، حرمه لئلا يستحل فيه

ما لا يحل، فيها تقديم، ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، يعنى اجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام، لكى يصلوا لك عند بيتك المحرم، ويعبدونك، ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾، يقول: اجعل قومًا من الناس تهوى إليهم، يعنى إلى إسماعيل وذريته، ﴿وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [آية: ٣٧]، ولو قال: اجعل أفئدة الناس تهوى إليهم، لازدحم عليهم الحرز والديلم، ولكنه قال: ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾.

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي﴾، يعنى ما نسر من أمر إسماعيل فى نفسى من الجزع عليه أنه فى غير معيشة، ولا ماء فى أرض غربة، ثم قال: ﴿وَمَا نُعۡلِنُۗ﴾، يعنى من قوله: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾، يعنى مكة، فهذى الذى أعلن، ﴿وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [آية: ٣٨].

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ﴾ بالأرض المقدسة بعدما هاجر إليها، ﴿إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ﴾، ووهب لى إسماعيل من هاجر جاريته وإبراهيم يومئذ ابن ستين سنة، ووهب له إسحاق، وهو ابن سبعين سنة، فالأنبياء كلهم من إسحاق غير نبينا محمد ﷺ، فإنه من ذرية إسماعيل، ثم قال إبراهيم: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [آية: ٣٩].

﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ﴾، فاجعلهم أيضًا مقيمين الصلاة، ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ﴾ [آية: ٤٠]، يقول: ربنا واستجب دعائى فى إقامة الصلاة لنفسه ولذريته.

﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾(١)، يعنى أبويه، ﴿وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ﴾ [آية: ٤١].

﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهۡطِعِينَ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ﴾ يا محمد، ﴿غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ﴾، يعنى مشركى مكة، ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ﴾ عن العذاب فى الدنيا، ﴿لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [آية: ٤٢]، يعنى فاتحة شاخصة أعينهم، وذلك أنهم إذا عاينوا النار، فيها تقديم، فى الآخرة،

(١) انظر: (تفسير الماوردى ٢/٣٥١، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٣٦٩، تفسير القرطبى ٩/٣٧٥).

شخصت أبصارهم فى يطرفون، فيها تقديم. وذلك قوله سبحانه: ﴿**لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ**﴾، يعنى لا يطرفون.

ثم قال: ﴿مُهْطِعِينَ﴾، يعنى مقبلين إلى النار، ينظرون إليها، ينظرون فى غير طرف، ﴿مُقْنِعِي﴾، يعنى رافعى ﴿رُءُوسِهِمْ﴾ إليها، ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ (1) [آية: ٤٣].

وذلك أن الكفار إذا عاينوا النار شهقوا شهقة زالت منها قلوبهم عن أماكنها، فتنشب فى حلوقهم، فصارت قلوبهم: ﴿هَوَآءٌ﴾ بين الصدور والحناجر، فلا تخرج من أفواههم، ولا ترجع إلى أماكنها، فذلك قوله سبحانه فى حم المؤمن: ﴿**إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ**﴾ [غافر: ١٨]، يعنى مكروبين، فلما بلغت القلوب الحناجر، ونشبت فى حلوقهم، انقطعت أصواتهم وغصت ألسنتهم.

﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾﴾

﴿وَأَنذِرِ﴾ يا محمد ﷺ ﴿ٱلنَّاسَ﴾، يعنى كفار مكة، ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ﴾ فى الآخرة، ﴿فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾، يعنى مشركى مكة، فيسألون الرجعة إلى الدنيا، فيقولون فى الآخرة: ﴿رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾؛ لأن الخروج من الدنيا إلى قريب، ﴿نُّجِبْ دَعْوَتَكَ﴾ إلى التوحيد، ﴿وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ﴾، يعنى النبى ﷺ، فقال لهم: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم﴾، يعنى حلفتم، ﴿مِّن قَبْلُ﴾ فى الدنيا إذا متم، ﴿مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ [آية: ٤٤] إلى البعث بعد الموت، وذلك قوله سبحانه فى النحل: ﴿**وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لاَ يَبْعَثُ اللّهُ مَن يَمُوتُ**﴾ [النحل: ٣٨].

﴿وَسَكَنتُمْ فِى مَسَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾، يعنى ضروا بأنفسهم، يعنى الأمم

(١) انظر: (تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٢٣، تفسير الطبرى ١٣/١٥٨، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٢٧١، تفسير القرطبى ٩/٣٧٧).

الخالية، الذين عذبوا فى الدنيا، يعنى قوم هود وغيرهم، ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾، يقول: كيف عذبناهم، ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ﴾ [آية: ٤٥]، يعنى ووصفنا لكم الأشياء، يقول: وبينا لكم العذاب لتوحدوا ربكم عز وجل، يخوف كفار مكة بمثل عذاب الأمم الخالية؛ لئلا يكذبوا بمحمد ﷺ.

ثم أخبر عن فعل نمروذ بن كنعان الجبار، فقال: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ﴾، يقول: فعلهم، يعنى التابوت فيها الرجلان اللذان كانا فى التابوت، والنسور الأربعة، ﴿وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾، يقول: عند الله مكرهم، يعنى فعلهم، ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ [آية: ٤٦]، نظيرها فى بنى إسرائيل: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾ [الإسراء: ٧٣]، يعنى وقد كادوا، وقد كان نمروذ بن كنعان الذى حاج إبراهيم فى ربه، وهو أول من ملك الأرض كلها، وذلك أنه بنى صرحًا ببابل زعم ليتناول إله السماء، فخر عليهم السقف، وهو البناء من فوقهم.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، عن مقاتل، عن ابن إسحاق، عن عبد الرحمن بن دانيال، عن على بن أبى طالب، رضى الله عنه، فى قوله سبحانه: ﴿**وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ**﴾، قال: أمر نمروذ بن كنعان عدو الله، فنحت التابوت، وجعل له بابًا من أعلاه، وبابًا من أسفله، ثم صعد إلى أربع نسور، ثم أوثق كل نسر بقائمة التابوت، ثم جعل فى أعلى التابوت لحمًا شديد الحمرة، فى أربعة نواحى التابوت حيال النسور، ثم جعل رجلين فى التابوت، فنهضت النسور تريد اللحم، فارتفع التابوت إلى السماء، فلما ارتفع ما شاء الله، قال أحد الرجلين لصاحبه: فاتح باب التابوت الأصفل فانظر كيف ترى الأرض؟ ففتح فنظر، قال: أراها كالعروة البيضاء.

ثم قال له: افتح الباب الأعلى، فانظر إلى السماء، هل ازددنا منها قربًا؟ قال: ففتح الباب الأعلى، فإذا هى كهيئتها، وارتفعت النسور تريد اللحم، فلما ارتفعا جدًا، لم تدعهما الريح أن يصعدا، فقال أحدهما لصاحبه: افتح الباب الأسفل فانظر كيف ترى الأرض؟ قال: ففتح، قال: إنها سوداء نظلمة، ولا أرى منها شيئًا، قال: اردد الباب الأسفل، وافتح الباب الأعلى، فانظر إلى السماء، هل ازددنا منها قربًا؟ ففتح الباب الأعلى، فقال: أراها كهيئتها.

قال لصاحبه: نكس التابوت، فنكسه، فتصوب اللحم، وصارت النسور فوق التابوت

واللحم أسفل، ثم هوت النسور منصبة تريد اللحم، فسمعت الجبال حفيف التابوت وحفيف أجنحة النسور، ففزعت وظنت أنه أمر نزل من السماء، فكادت أن تزول من أماكنها من مخافة الله عز وجل، فذلك قوله: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾.

ثم خوف كفار مكة، فقال سبحانه: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ﴾ يا محمد، ﴿مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾ فى نزول العذاب بكفار مكة فى الدنيا، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾، يعنى منيع فى مكة، ﴿ذُو انْتِقَامٍ﴾ [آية: ٤٧] من أهل معصيته.

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (٤٨) وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٤٩) سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ (٥٠)﴾

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾، يقول: تبدل صورة الأرض التى عليها بنو آدم بيضاء نقية، لم يسفك عليها دم، ولم يعمل عليها معصية، وهى أرض الصراط، وعمق الصراط خمسمائة عام، ﴿وَ﴾ تبدل ﴿وَالسَّمَاوَاتُ﴾[1]، فلا تكون شيئًا، ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ﴾، يقول: وخرجوا من قبورهم، ولا يستترون من الله بشىء، فى أرض مستوية مثل الأدم، ممدودة، ليس عليها جبل، ولا بناء، ولا نبت، ولا شىء، ﴿الْوَاحِدِ﴾ لا شريك له، ﴿الْقَهَّارِ﴾ [آية: ٤٨]، يعنى القاهر لخلقه.

﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ﴾، يعنى كفار مكة، ﴿يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ [آية: ٤٩]، يعنى موثقين فى السلاسل والأغلال، صفدت أيديهم إلى أعناقهم فى الحديد.

﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ﴾، يعنى قمصهم من نحاس ذائب، ﴿وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ [آية: ٥٠]؛ لأنهم يتقون النار بوجوههم.

﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٥١) هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٥٢)﴾

﴿لِيَجْزِيَ﴾، أى ليجزئهم ﴿اللَّهُ﴾، فيها تقديم، يقول: وبرزوا من قبورهم، لكى

---

(١) انظر: (تفسير الطبرى ١٣/١٦٣، تفسير الماوردى ٢/٣٥٤، زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ٤/٣٧٥، تفسير القرطبى ٩/٣٨٣، تفسير ابن كثير ٢/٥٤٣، الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ٤/٩٠).

يجزى الله ﴿كُلَّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡۚ﴾ ، يقول: كل نفس، بر وفاجر ما كسبت، يعنى ما عملت من خير أو شر، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [آية: ٥١]، يقول: كأنه قد جاء الحساب يخوفهم، فإذا أخذ الله عز وجل فى حسابهم، فرغ من حساب الخلائق على مقدار نصف يوم من أيام الدنيا.

﴿هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ﴾ ، يعنى كفار مكة، ﴿وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ﴾ ، يعنى لينذروا بما فى القرآن، ﴿وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ لا شريك له، ﴿وَلِيَذَّكَّرَ﴾ فيما يسمع من مواعظ القرآن، ﴿أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [آية: ٥٢]، يعنى أهل اللب والعقل.

* * *

سُورَةُ الحِجْرِ

مكية كلها، وهى تسع وتسعون آية باتفاق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾ [آية: ١]، يعنى بين ما فيه.

﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من أهل مكة فى الآخرة، ﴿لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾ [آية: ٢]، يعنى مخلصين فى الدنيا بالتوحيد.

وذلك قوله سبحانه: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ﴾، يقول: خل يا محمد ﷺ عن كفار مكة إذا كذبوك يأكلوا، ﴿وَيَتَمَتَّعُواْ﴾ فى دنياهم، ﴿وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ﴾، يعنى طول الأمل عن الآخرة، ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٣]، هذا وعيد.

﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾

ثم خوف كفار مكة بمثل عذاب الأمم الخالية، فقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾، يقول: وما عذبنا من قرية، ﴿إِلَّا وَلَهَا﴾ بهلاكها ﴿كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ [آية: ٤]، يعنى موقوت فى اللوح المحفوظ إلى أجل، وكذلك كفار مكة عذابهم إلى أجل معلوم، يعنى القتل ببدر.

﴿مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ﴾ عذبت ﴿أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ [آية: ٥]، يقول: ما يتقدمون من أجلهم، ولا يتأخرون عنه.

﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾، يعنى القرآن، ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [آية: ٦]،

يعني النبي ﷺ، نزلت في عبد الله بن أمية بن المغيرة المخزومي، والنضر بن الحارث، هو ابن علقمة، من بني عبد الدار بن قصي، ونوفل بن خويلد بن أسد بن عبد العزى، كلهم من قريش، والوليد بن المغيرة، قالوا للنبي ﷺ: إنك لمجنون.

وقالوا له: ﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا﴾، يعني أفلا تجيئنا ﴿بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ﴾، فتخبرنا بأنك نبي مرسل، ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [آية: ٧] بأنك نبي مرسل، ولو نزلت الملائكة لنزلت إليهم بالعذاب.

﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ﴾ [آية: ٨]، يقول: لو نزلت الملائكة بالعذاب، إذًا لم يناظروا حتى يعذبوا، يعني كفار مكة.

يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾، يعني القرآن على محمد ﷺ، ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [آية: ٩]؛ لأن الشياطين لا يصلون إليه؛ لقولهم للنبي ﷺ: إنك لمجنون يعلمك الرى.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَـٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ يا محمد ﷺ الرسل، ﴿فِى شِيَعِ﴾، يعني في فرق، ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [آية: ١٠]، يعني الأمم الخالية.

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ﴾، ينذرهم بالعذاب في الدنيا، ﴿إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [آية: ١١] بأن العذاب ليس بنازل بهم.

﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ﴾، يعني هكذا نجعله، يعني الكفر بالعذاب، ﴿فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [آية: ١٢]، يعني كفار مكة.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾، يعني بالعذاب، ثم قال سبحانه: ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [آية: ١٣] بالتكذيب لرسلهم بالعذاب، يعني الأمم الخالية الذين أهلكوا بالعذاب في الدنيا.

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم﴾، يعني على كفار مكة، ﴿بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، فينظرون إلى الملائكة عيانًا كيف يصعدون إلى السماء، ﴿فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ [آية: ١٤]، يقول:

فمالوا فى الباب يصعدون.

ولو عاينوا ذلك، ﴿لَقَالُوٓاْ﴾ من كفرهم: ﴿إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَـٰرُنَا﴾ مخففة، يعنى سدت، ولقالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ (١) [آية: ١٥].

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنى الهذيل، قال: حدثنا مقاتل، عن عبد الكريم، عن حسان، عن جابر، عن النبى ﷺ، أنه سُئل عن: ﴿**السَّمَاء ذَاتِ الْبُرُوجِ**﴾ [البروج: ١]، فقال: «الكواكب»، وسُئل عن: ﴿**الَّذِى جَعَلَ فِى السَّمَاء بُرُوجًا**﴾ [الفرقان: ٦١]، قال: «الكواكب»، مثل البروج مشيدة، قال: «القصور».

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَـٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾، قال: الكواكب، ﴿وَزَيَّنَّـٰهَا﴾، يعنى السماء بالكواكب، ﴿لِلنَّـٰظِرِينَ﴾ [آية: ١٦] إليها، يعنى أهل الأرض.

﴿وَحَفِظْنَـٰهَا﴾، يعنى السماء بالكواكب، ﴿مِن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ [آية: ١٧]، يعنى ملعون؛ لئلا يستمعوا إلى كلام الملائكة.

ثم استثنى من الشياطين، فقال سبحانه: ﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ﴾، يعنى من اختطف السمع من كلام الملائكة، ﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ [آية: ١٨]، يعنى الكوكب المضىء، وهو الثاقب، ونظيرها فى الصافات: ﴿**فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ**﴾ [الصافات: ١٠]، ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا﴾، يعنى بسطناها، يعنى مسيرة خمسمائة عام طولها وعرضها وغلظها مثله، فبسطها من تحت الكعبة.

ثم قال عز وجل: ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾، يعنى الجبال الراسيات فى الأرض الطوال، ﴿**أن تَمِيدَ بِكُمْ**﴾ [النحل: ١٥]، يقول: لئلا تزول بكم الأرض، وتمور بمن عليها، ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ [آية: ١٩]، يقول: وأخرجنا من الأرض كل

(١) انظر: (تفسير القرطبى ١٠/٨، مختصر شواذ القراءات ٧٠، التبيان ٦/٣٢٤، الكشاف ٢/٣٨٩، البحر المحيط ٥/٤٤٨).

شيء موزون، يعنى من كل ألوان النبات معلوم.

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا﴾، يعنى فى الأرض، ﴿مَعَايِشَ﴾، مما عليها من النبات، ثم قال سبحانه: ﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ [آية: ٢٠]، يقول: لستم أنتم ترزقونهم، ولكن أنا أرزقهم، يعنى الدواب، والطير، معايشهم مما فى الأرض من رزق.

ثم قال سبحانه: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ﴾، يقول: ما من شيء من الرزق إلا عندنا مفاتيحه، وهو بأيدينا ليس بأيديكم، ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُ﴾، يعنى الرزق، وهو المطر وحده، ﴿إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [آية: ٢١]، يعنى موقوت.

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾، وذلك أن الله يرسل الريح، فتأخذ الماء بكيل معلوم من سماء الدنيا، ثم تثير الرياح والسحاب، فتلقى الريح السحاب بالماء الذى فيها من ماء النبت، ثم تسوق تلك الرياح السحاب إلى الأرض التى أمر الرعد أن يمطرها، فذلك قوله سبحانه: ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾، يعنى المطر، ﴿فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ﴾، يعنى يا بنى آدم، ﴿لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ [آية: ٢٢]، يقول: لستم أنتم بخازنيها، فتكون مفاتيحها بأيديكم ولكنها بيدى.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ﴾، يقول الله تعالى: أنا أحى الموتى، وأميت الأحياء، ﴿وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ [آية: ٢٣]، يعنى ونميت الخلق ويبقى الرب تعالى ويرثهم.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ﴾، يعنى من بنى آدم من مات منكم، ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ [آية: ٢٤]، يقول: من بقى منكم فلم يمت، ونظيرها فى ق والقرآن: ﴿**قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ**﴾ [ق: ٤].

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾ يا محمد ﷺ، ﴿هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾، يعنى من تقدم منهم ومن تأخر، يقول: وهو يجمعهم فى الآخرة، ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ﴾ حكم البعث، ثم قال: ﴿عَلِيمٌ﴾ [آية: ٢٥] ببعثهم.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ

ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ
﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ ﴾

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾، يعنى آدم، ﴿مِن صَلْصَٰلٍ﴾. حدثنا عبيد الله، حدثنى أبى، حدثنى الهذيل، عن مقاتل، والضحاك، عن ابن عباس: الصلصال الطين الجيد، يعنى الجر إذا ذهب عنه الماء تشقق، فإذا حرك تقعقع، ﴿مِّنْ حَمَإٍ﴾، يعنى الأسود، ﴿مَّسْنُونٍ﴾ [آية: ٢٦]، يعنى المنتن، فكان التراب مبتلاً، فصار أسود منتنًا.

ثم قال: ﴿وَٱلْجَآنَّ﴾، يعنى إبليس، ﴿خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ﴾ آدم، ﴿مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ [آية: ٢٧]، يعنى صافى ليس فيه دخان، وهو المارج من نار، يعنى الجان، وإنما سمى إبليس الجان؛ لأنه من حى من الملائكة، يقال لهم: الجن، والجن جماعة، والجان واحد.

﴿وَإِذْ قَالَ﴾، يعنى وقد قال: ﴿رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ الذين فى الأرض، منهم إبليس، قال لهم: قبل أن يخلق آدم، عليه السلام: ﴿إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا﴾، يعنى آدم، ﴿مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ﴾، يعنى أسود، ﴿مَّسْنُونٍ﴾ [آية: ٢٨]، يعنى منتن.

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾، يعنى سويت خلقه، ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ﴾، يعنى آدم، ﴿مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [آية: ٢٩]، يقول: فاسجدوا لآدم.

﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ الذين هم فى الأرض، ﴿كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [آية: ٣٠].

ثم استثنى من الملائكة إبليس، فقال سبحانه: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [آية: ٣١] لآدم، عليه السلام.

﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ
خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ
عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ
مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ
فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا
صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ
ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ

جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾

﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ﴾ فى السجود، ﴿مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [آية: ٣٢]، يعنى الملائكة الذين سجدوا لآدم، عليه السلام.

﴿قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ﴾، يعنى آدم، ﴿خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ﴾، يعنى الطين، ﴿مِّنْ حَمَإٍ﴾، يعنى أسود، ﴿مَّسْنُونٍ﴾ [آية: ٣٣]، يعنى منتن، فأول ما خلق من آدم، عليه السلام، عجب الذنب، ثم ركب فيه سائر خلقه، وآخر ما خلق من آدم، عليه السلام، أظفاره، وتأكل الأرض عظام الميت كلها، غير عجب الذنب، غير عظام الأنبياء، عليهم السلام، فإنها لا تأكلها الأرض، وفى العجب يركب بنو آدم يوم القيامة.

ثم ﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا﴾، يعنى من ملكوت السماء، ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [آية: ٣٤]، يعنى ملعون، وهو إبليس. ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [آية: ٣٥].

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [آية: ٣٦]، يعنى يبعث الناس بعد الموت، يقول: أجلنى إلى يوم النفخة الثانية، كقوله سبحانه: ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠]، يعنى فأجله إلى ميسرة. ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾ [آية: ٣٧] لا تموت.

﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾ [آية: ٣٨]، يعنى إلى أجل موقوت، وهى النفخة الأولى، وإنما أراد عدو الله الأجل إلى يوم يبعثون؛ لئلا يذوق الموت؛ لأنه قد علم أنه لا يموت بعد البعث.

﴿قَالَ﴾ إبليس: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾، يقول: أما إذا أضللتنى، ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [آية: ٣٩]، يعنى ولأضلنهم عن الهدى أجمعين.

ثم استثنى عدو الله إبليس، فقال: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [آية: ٤٠]، يعنى أهل التوحيد، وقد علم إبليس أن الله استخلص عبادًا لدينه، ليس له عليهم سلطان، فذلك قوله سبحانه: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾، يعنى ما لك أن تضلهم عن الهدى، ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً﴾ [الإسراء: ٦٥]، يعنى حرزًا ومانعًا لعباده.

﴿قَالَ﴾ الله تعالى: ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ﴾، يقول: هذا طريق الحق الهدى إلى،

﴿مُسۡتَقِيمٌ﴾[1] [آية: ٤١]، يعنى الحق، كقوله: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]، يعنى للناس، نظيرها فى هود، قوله: ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦]، يعنى المستقيم الحق المبين.

ثم قال سبحانه: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ﴾ [آية: ٤٢]، يعنى من المضلين.

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [آية: ٤٣]، يعنى كفار الجن والإنس، وإبليس وذريته.

﴿لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٍ﴾، يعضها أسفل من بعض، كل باب أشد حرًا من الذى فوقه بسبعين جزءًا، بين كل بابين سبعين سنة، أولها جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم الجحيم، ثم الهاوية، ثم سقر، ﴿لِّكُلِّ بَابٍ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٌ مَّقۡسُومٌ﴾[2] [آية: ٤٤]، يعنى عدد معلوم من كفار الجن والإنس، يعنى البا الثانى يضعف على الباب الأعلى فى شدة العذاب سبعين ضعفًا.

﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ الشرك، ﴿فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [آية: ٤٥]، يعنى بساتين وأنهار جارية.

﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ﴾، سلم الله عز وجل لهم أمرهم، وتجاوز عنهم، نظيرها فى الواقعة، ثم قال: ﴿ءَامِنِينَ﴾ [آية: ٤٦] من الخوف.

﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ﴾، يقول: أخرجنا ما فى قلوبهم من الغش الذى كان فى الدنيا بعضهم لبعض، فصاروا متحابين، ﴿إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [آية: ٤٧] فى الزيارة، يرى بعضهم بعضًا، متقابلين على الأسرة يتحدثون.

ثم أخبر عنهم سبحانه، فقال: ﴿لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٌ﴾، يقول: لا تصيبهم فيها مشقة فى أجسادهم، كما كان فى الدنيا، ﴿وَمَا هُم مِّنۡهَا﴾، من الجنة، ﴿بِمُخۡرَجِينَ﴾ [آية: ٤٨] أبدًا، ولا بميتين أبدًا.

---

(١) انظر: (القرطبى ٢٨/١٠، الإتحاف ٢٧٤، الطبرى ٢٣/١٤، الفراء ٨٩/٢، النشر ٣٠١/٢٢، التبيان ٣٣٧/٦، البحر المحيط ٤٥٤/٥، مجمع البيان ٢٨/١٠، الكشاف ٣٩١/٢ تحبير التيسير ١٣٠).

(٢) انظر: (النشر ٤٠٦/١، الإتحاف ٢٧٥، الكشاف ٣٩٢/٢، البحر المحيط ٤٥٥/٥، الرازى ١٩/١٩).

﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾

قال الله تعالى للنبى ﷺ: ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ﴾، يقول: أخبر عبادى، ﴿أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ﴾ لذنوب المؤمنين، ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [آية: ٤٩] لمن تاب منهم.

﴿وَ﴾ أخبرهم، ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [آية: ٥٠]، يعنى الوجيع لمن عصانى.

﴿وَنَبِّئْهُمْ﴾، يعنى وأخبرهم ﴿عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [آية: ٥١]، ملكان أحدهما جبريل، والآخر ميكائيل.

﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ﴾ على إبراهيم، ﴿فَقَالُواْ سَلَٰمًا﴾، فسلموا عليه وسلم عليهما، ﴿قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾ [آية: ٥٢]، يعنى خائفين، وذلك أن إبراهيم، عليه السلام، قرب إليهم العجل، فلم يأكلوا منه، فخاف إبراهيم، عليه السلام، وكان فى زمان إبراهيم، عليه السلام، إذا أكل الرجل عند الرجل طعامًا، أمن من شره، فلما رأى إبراهيم، عليه السلام، أيديهم لا تصل إلى العجل، خاف شرهم.

﴿قَالُواْ﴾، قال له جبريل، عليه السلام: ﴿لَا تَوْجَلْ﴾، يقول: لا تخف، ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ (١) [آية: ٥٣]، وهو إسحاق، عليه السلام.

﴿قَالَ﴾ لهم إبراهيم، عليه السلام: ﴿أَبَشَّرْتُمُونِي﴾ بالولد، ﴿عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾، على كبر سنى، ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ [آية: ٥٤]، قال ذلك إبراهيم، عليه السلام، تعجبًا لكبره وكبر امرأته.

﴿قَالُواْ﴾، قال جبريل، عليه السلام: ﴿بَشَّرْنَٰكَ﴾، يعنى نبشرك، ﴿بِٱلْحَقِّ﴾، يعنى بالصدق أن الولد لكائن، ﴿فَلَا تَكُن﴾ يا إبراهيم ﴿مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ﴾ (٢) [آية: ٥٥]،

---

(١) انظر: (الإتحاف ٢٧٥، الرازى ١٩، ١٩٦، الكشاف ٢/٣٩٢، القرطبى ١٠/٣٥، البحر المحيط ٥/٤٥٨).

(٢) انظر: (مختصر الإتحاف ٢٧٥، الكشاف ٢/٣٩٢، القرطبى ١٠/٣٦، البحر المحيط ٥/٤٥٩،

يعنى لا تيأس.

﴿قَالَ﴾ إبراهيم، عليه السلام: ﴿وَمَن يَقْنَطُ﴾[(١)]، يعنى ومن ييئس ﴿مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [آية: ٥٦]، يعنى المشركين.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾
إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ
﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا۟ بَلْ
جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ
بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾
وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ
يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ
﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ
﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا
عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ
﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿قَالَ﴾ إبراهيم: ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ﴾، يعنى فما أمركم، ﴿أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [آية: ٥٧].

﴿قَالُوٓا۟﴾، أى قال جبريل، عليه السلام: ﴿إِنَّآ أُرْسِلْنَآ﴾ بالعذاب ﴿إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ [آية: ٥٨].

﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [آية: ٥٩].

ثم استثنى جبريل، عليه السلام، امرأة لوط، فقال: ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [آية: ٦٠]، يعنى الباقين فى العذاب، فخرجوا من عند إبراهيم، عليه السلام، بالأرض المقدسة، فأتوا لوطًا بأرض سدوم من ساعتهم، فلم يعرفهم لوط، عليه السلام، وظن أنهم رجال.

فذلك قوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [آية: ٦١]، فيها تقديم،

النحاس ١٩٨/٢، الطبرى ٢٨/١٤، لسان العرب (قنط).

(١) انظر: (القرطبى ٣٦/١٠، الكشاف ٣٩٣/٢، البحر المحيط ٤٥٩/٥، النحاس ١٩٨/٢).

يقول: جاء المرسلون إلى لوط.

﴿قَالَ﴾ لهم لوط: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ [آية: ٦٢] أنكرهم، ولم يعلم أنهم ملائكة؛ لأنهم كانوا فى صورة الرجال.

﴿قَالُواْ بَلْ﴾، قال جبريل، عليه السلام: قد ﴿جِئْنَاكَ﴾ يا لوط ﴿بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [آية: ٦٣]، يعنى بما كان قومك بالعذاب يمترون، يعنى يشكون فى العذاب أنه ليس بنازل بهم فى الدنيا.

﴿وَأَتَيْنَاكَ بِٱلْحَقِّ﴾، جئناك بالصدق، ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [آية: ٦٤] بما تقول إنا جئناهم بالعذاب.

فقالوا للوط: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾، يعنى امرأته وابنته ريثا وزعوثا، ﴿بِقِطْعٍ﴾، يعنى ببعض، وهو السحر، ﴿مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ﴾، يعنى سر من وراء أهلك تسوقهم، ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ البتة، يقول: ولا ينظر أحد منكم وراءه، ﴿وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ [آية: ٦٥] إلى الشام.

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ﴾، يقول: وعهدنا إلى لوط، ﴿ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾، يعنى أمر العذاب، ﴿أَنَّ دَابِرَ﴾، يعنى أصل ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ القوم ﴿مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾ [آية: ٦٦]، يقول: إذا أصبحوا نزل بهم العذاب.

﴿وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [آية: ٦٧] بدخول الرجال منزل لوط.

ثم ﴿قَالَ﴾ لهم لوط: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ﴾ [آية: ٦٨] فيهم، ولوط، عليه السلام، يرى أنهم رجال.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾ [آية: ٦٩] فيهم.

﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ٧٠]، أن تضيف منهم أحدًا؛ لأن لوطًا كان يحذرهم لئلا يؤتون فى أدبارهم، فعرض عليهم ابنتيه من الحياء تزويجًا، واسم إحداهما ريثا، والأخرى زعوثا.

فذلك قوله: ﴿قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ [آية: ٧١] لابد فتزوجوهن.

يقول الله عز وجل: ﴿لَعَمْرُكَ﴾، كلمة من كلام العرب، ﴿إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾

[آية: ٧٢]، يعنى لفى ضلالتنهم يترددون.

﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ﴾، يعنى صيحة جبريل، عليه السلام، ﴿مُشۡرِقِينَ﴾ [آية: ٧٣]، يعنى حين طلعت الشمس.

﴿فَجَعَلۡنَا﴾ المدائن الأربع ﴿عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ﴾ سدوم، ودامورا، وعاموا، وصابورا، وأمطرنا على من كان خارجًا من المدينة، ﴿حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ﴾ [آية: ٧٤]، ولعل الرجل منهم يكون فى قرية أخرى، فيأتيه الحجر فيقتله، ﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾، يعنى الحجارة خلطها الطين.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ﴾، يقول: إن هلاك قوم لوط لعبرة، ﴿لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ﴾ [آية: ٧٥]، يقول: للناظرين من بعدهم، فيحذرون مثل عقوبتهم.

﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٖ مُّقِيمٍ﴾ [آية: ٧٦]، يعنى قرى لوط التى أهلكت بطريق مستقيم، يعنى واضح مقيم يمر عليها أهل مكة وغيرهم، وهى بين مكة والشام.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ﴾، يعنى إن فى هلاك قوم لوط لعبرة، ﴿لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [آية: ٧٧]، يعنى للمصدقين بتوحيد الله عز وجل لمن بعدهم، فيحذرون عقوبتهم، يخوف كفار مكة بمثل عذاب الأمم الخالية.

﴿وَإِن كَانَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدۡ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡحِجۡرِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُمۡ ءَايَٰتِنَا فَكَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُواْ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُصۡبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٤﴾﴾

﴿وَإِن كَانَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ لَظَٰلِمِينَ﴾ [آية: ٧٨]، يعنى لمشركين، فهم قوم شعيب، عليه السلام، والأيكة الغيضة من الشجر، وكان أكثر الشجر الدوم، وهو المقل.

﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾ بالعذاب، ﴿وَإِنَّهُمَا﴾، يعنى قوم لوط، وقوم شعيب، ﴿لَبِإِمَامٖ﴾، يعنى طريق، ﴿مُّبِينٖ﴾ [آية: ٧٩]، يعنى مستقيم، وكان عذاب قوم شعيب، عليه السلام، أن الله عز وجل حبس عنهم الرياح، فأصابهم حر شديد لم ينفعهم من الحر شىء وهم فى منازلهم، فلما أصابهم ذلك الحر، خرجوا من منازلهم إلى الغيضة ليستظلوا بها من الحر، فأصابهم من الحر أشد مما أصابهم فى منازلهم، ثم بعث الله عز وجل لهم

سحابة فيها عذاب، فنادى بعضهم بعضًا ليخرجوا من الغيضة، فيستظلون تحت السحابة لشدة حر الشمس يلتمسون بها الروح، فلما لجئوا إليها أهلكهم الله عز وجل فيها حرًا وغمًا تحت السحابة.

قال: حدثنا عبيد الله، سمعت أبى، قال: سمعت أبا صالح يقول: غلت أدمغتهم فى رءوسهم، كما يغلى المار فى المرجل على النار، من شدة الحر تحت السحابة، فذلك قوله سبحانه: ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٨٩].

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [آية: ٨٠]، يعنى قوم صالح، واسم القرية الحجر، وهو بوادى القرى، يعنى بالمرسلين صالحًا وحده، عليه السلام، يقول: كذبوا صالحًا.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا﴾، يعنى الناقة آية لهم، فكانت ترويهم من اللبن فى يوم شربها من غير أن يكلفوا مؤنة، ﴿فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [آية: ٨١]، حين لم يتفكروا فى أمر الناقة وابنها فيعتبروا.

فأخبر عنهم، فقال سبحانه: ﴿وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ﴾ (١) [آية: ٨٢]، من أن تقع عليهم الجبال إذا نحتوها وجوفوها.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾، يعنى صيحة جبريل، عليه السلام، ﴿مُصْبِحِينَ﴾ [آية: ٨٣] يوم السبت، فخمدوا أجمعون.

يقول الله عز وجل: ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم﴾ من العذاب الذى نزل بهم، ﴿مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [آية: ٨٤]، من الكفر والتكذيب، فعقروا الناقة يوم الأربعاء، فأهلكهم الله يوم السبت.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ

(١) انظر: (الإتحاف ٢٧٦، البحر المحيط ٥/٤٦٤، النحاس ٢/٢٠٢).

﴿أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾، يقول: لم يخلقهما الله عز وجل باطلاً، خلقهما لأمر هو كائن، ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ﴾، يقول: القيامة كائنة، ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ [آية: ٨٥]، يقول للنبي ﷺ: فأعرض عن كفار مكة الإعراض الحسن، فنسخ السيف الإعراض والصفح.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ﴾[1] لخلقه في الآخرة بعد الموت، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ [آية: ٨٦] ببعثهم.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي﴾، يعني ولقد أعطيناك فاتحة الكتاب، وهي سبع آيات، ﴿وَٱلْقُرْءَانَ﴾ كله مثاني، ثم قال: ﴿ٱلْعَظِيمَ﴾ [آية: ٨٧]، يعني سائر القرآن كله.

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾، يعني أصنافًا منهم من المال، ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾، إن تولوا عنك، ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ٨٨]، يقول: لين جناحك للمؤمنين، فلا تغلظ لهم.

﴿وَقُلْ﴾ لكفار مكة: ﴿إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ﴾ [آية: ٨٩] من العذاب.

قال سبحانه: ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾ [آية: ٩٠]، فيها تقديم، يقول: أنزلنا المثاني والقرآن العظيم، كما أنزلنا التوراة والإنجيل على النصارى واليهود، فهم المقتسمون، فاقتسموا الكتاب، فآمنت اليهود بالتوراة، وكفروا بالإنجيل والقرآن، وآمنت النصارى بالإنجيل، وكفروا بالقرآن والتوراة، هذا الذي اقتسموا، آمنوا ببعض ما أنزل إليهم من الكتاب، وكفروا ببعض.

ثم نعت اليهود والنصارى، فقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ [آية: ٩١]، جعلوا القرآن أعضاء، كأعضاء الجزور، فرقوا الكتاب ولم يجتمعوا على الإيمان بالكتب كلها، فأقسم الله تعالى بنفسه للنبي ﷺ.

قال سبحانه: ﴿فَوَرَبِّكَ﴾ يا محمد ﷺ، ﴿لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [آية: ٩٢]. ﴿عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٩٣] من الكفر والتكذيب.

﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾

(١) انظر: (الكشاف ٢/٣٨٧، البحر المحيط ٥/٤٦٥، الإتحاف ٢٧٦).

ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾

﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾، وذلك أن النبى ﷺ أسر النبوة وكتمها سنتين، فقال الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾، يقول: امض لما تؤمر من تبليغ الرسالة، فلما بلغ عن ربه عز وجل استقبله كفار مكة بالأذى والتكذيب فى وجهه، فقال تعالى: ﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [آية: ٩٤]، يعنى عن أذى المشركين إياك، فأمره الله عز وجل بالإعراض والصبر على الأذى، ثم نسختها آية السيف.

ثم قال سبحانه: ﴿إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ﴾ [آية: ٩٥]، وذلك أن الوليد بن المغيرة المخزومى حين حضر الموسم، قال: يا معشر قريش، إن محمدًا قد علا أمره فى البلاد، وما أرى الناس براجعين حتى يلقونه، وهو رجل حلو الكلام، إذا كلم الرجل ذهب بعقله، وإنى لا آمن أن يصدقه بعضهم، فابعثوا رهطًا من ذوى الحجى والرأى، فليجلسوا على طريق مكة مسيرة ليلة أو ليلتين، فمن سأل عن محمد، فليقل بعضهم: إنه ساحر يفرق بين الاثنين، ويقول بعضهم: إنه كاهن يخبر بما يكون فى غد لئلا تروه خير من أن تروه، فبعثوا فى كل طريق بأربعة من قريش، وأقام الوليد بن المغيرة بمكة، فمن دخل مكة فى غير طريق سالك يريد النبى ﷺ تلقاهم الوليد، فيقول: هو ساحر كذا، ومن دخل من طريق لقيه الستة عشر، فقالوا: هو شاعر، وكذاب، ومجنون.

ففعلوا ذلك، وانصدع الناس عن قولهم، فشق ذلك على النبى ﷺ، وكان يرجو أن يلقاه الناس، فيعرض عليهم أمره، فمنعه هؤلاء المستهزءون من قريش، ففرحت قريش حين تفرق الناس عن قولهم، وقالوا: ما عند صاحبكم إلا غرورًا، يعنون النبى ﷺ، فقالت قريش: هذا دأبنا ودأبك، فذلك قوله سبحانه: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ**﴾ [النحل: ٢٤].

وكان منهم من يقول: بئس وافد القوم أنا إن انصرفت قبل أن ألقى صاحبى، فيدخل مكة فيلقى المؤمنين، فيقول: ما هذا الأمر؟ فيقولون: خيرًا أنزل الله عز وجل كتابًا، وبعث رسولاً، فذلك قوله سبحانه: ﴿**مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا**﴾ [النحل: ٣٠]، فنزل جبريل، عليه السلام، والنبى ﷺ عند الكعبة، فمر به الوليد بن المغيرة بن عبد الله، فقال جبريل، عليه السلام، للنبى ﷺ: كيف تجد هذا؟ فقال النبى ﷺ: «بئس عبد الله هذا»، فأهوى جبريل بيده إلى فوق كعبه، فقال: قد كفيتك.

فمر الوليد فى حائط فيه نبل لبنى المصطلق، وهى حى من خزاعة يتبختر فيهما، فتعلق السهم بردائه قبل أن يبلغ منزله، فنفض السهم وهو يمشى برجله، فأصاب السهم أكحله فقطعه، فلما بات تلك الليلة انتفضت به جراحته، ومر به العاص بن وائل، فقال جبريل: كيف تجد هذا؟ قال: «بئس عبد الله هذا»، فأهوى جبريل بيده إلى باطن قدمه، فقال: قد كفيتك، وركب العاص حمارًا من مكة يريد الطائف، فاضطجع الحمار به على شبرقة ذات شوك، فدخلت شوكة فى باطن قدمه فانتفخت، فقتله الله عز وجل تلك الليلة.

ومر به الحارث بن قيس بن عمرو بن ربيعة بن سهم، فقال جبريل، عليه السلام: كيف تجد هذا؟ فقال النبى ﷺ: «بئس عبد الله هذا»، فأهوى جبريل، عليه السلام، إلى رأسه، فانتفخ رأسه، فمات منها، ومر به الأسود بن عبد العزى بن وهب بن عبد مناف بن زهرة، فقال جبريل، عليه السلام: كيف تجد هذا؟ فقال النبى ﷺ: «بئس عبد الله هذا، إلا أنه ابن خالى»، فأهوى جبريل، عليه السلام، بيده إلى بطنه، فقال: قد كفيتك، فعطش، فلم يروا من الشراب حتى مات.

ومر الأسود بن عبد المطلب بن المنذر بن عبد العزى بن قصى، فقال جبريل: كيف تجد هذا؟ قال النبى ﷺ: «بئس عبد الله هذا»، قال: قد كفيتك أمره، ثم ضرب ضربة بحبل من تراب، رمى فى وجهه فعمى، فمات منها، وأما بعكك وأحرم، فهما أخوان ابنا الحجاج بن السياق بن عبد الدار بن قصى، فأما أحدهما فأخذته الدبيلة، وأما الآخر، فذات الجنب، فماتا كلاهما، فأنزل الله عز وجل: ﴿**إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ**﴾ ، يعنى هؤلاء السبعة من قريش.

ثم نعتهم، فقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٩٦]، هذا وعيد لهم بعد القتل.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [آية: ٩٧]، حين قالوا: إنك ساحر، ومجنون، وكاهن، وحين قالوا: هذا دأبنا ودأبك.

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ ، يقول: فصل بأمر ربك، ﴿وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [آية: ٩٨]، يعنى المصلين.

﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [آية: ٩٩]، فإن عند الموت يعاين الخير والشر.

* * *

سُورَةُ النَّحْلِ

مكية كلها

غير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ...﴾ [آية: ١٢٦ - ١٢٨] إلى آخر السورة.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا...﴾ [آية: ١١٠] الآية.

وقوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ...﴾ [الآية: ١٠٦] الآية.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا...﴾ [آية: ٤١] الآية.

وقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً...﴾ [الآية: ١١٢] الآية.

فإن هذه الآيات مدنيات، وهى مائة وثمان وعشرون آية كوفية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١) يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ (٢)﴾

﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾، وذلك أن كفار مكة لما أخبرهم النبى ﷺ الساعة، فخوفهم بها أنها كائنة، فقالوا: متى تكون؟ تكذيبًا بها، فأنزل الله عز وجل: يا عبادى، ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾، أى فلا تستعجلوا وعيدى، أنزل الله عز وجل أيضًا فى قولهم: حم عسق: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ [الشورى: ١٨]، فلما سمع النبى ﷺ من جبريل، عليه السلام: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾، وثب قائمًا، وكان جالسًا، مخافة الساعة، فقال جبريل، عليه السلام: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾، فاطمأن النبى ﷺ عند ذلك، ثم قال: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾، نزه الرب تعالى نفسه عن شرك أهل مكة، ثم عظم نفسه جل جلاله، فقال: ﴿وَتَعَٰلَىٰ﴾، يعنى وارتفع، ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [آية: ١].

﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾، يعنى جبريل، عليه السلام، ﴿بِٱلرُّوحِ﴾، يقول: بالوحى، ﴿مِنْ أَمْرِهِۦ﴾، يعنى بأمره، ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ من الأنبياء، عليهم السلام، ثم أمرهم الله عز وجل أن ينذروا الناس، فقال: ﴿أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ [آية: ٢]، يعنى فاعبدون.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ
ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ
وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ
﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ
لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾﴾

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾، يقول: لم يخلقهما باطلاً لغير شيء، ولكن خلقهما لأمر هو كائن، ﴿تَعَٰلَىٰ﴾، يعنى ارتفع، ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [آية: ٣] به.

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾، يعنى أبى بن خلف الجمحى، قتله النبى ﷺ يوم أحُد، ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [آية: ٤]، قال للنبى ﷺ: كيف يبعث الله هذه العظام، وجعل يفتها ويذريها فى الريح، نظيرها فى آخر يس: ﴿**قَالَ مَنْ يُحْيِى الْعِظَامَ وَهِىَ رَمِيمٌ**﴾ [يس: ٧٨].

ثم قال تعالى: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ﴾، يعنى الإبل، والبقر، والغنم، ﴿خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾[1]، يعنى ما تستدفئون به من أصوافها، وأوبارها، وأشعارها أثاثًا، ﴿وَمَنَٰفِعُ﴾ فى ظهورها، وألبانها، ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [آية: ٥]، يعنى من لحم الغنم.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا﴾، يعنى فى الأنعام، ﴿جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ﴾، يعنى حين تروح من مراعيها إليكم عند المساء، ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [آية: ٦]، من عندكم بكرة إلى الرعى.

﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾، يعنى الإبل، والبقر، ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ﴾[2]، يعنى بجهد الأنفس، ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ﴾، يعنى لرفيق، ﴿رَّحِيمٌ﴾ [آية: ٧] بكم فيما جعل لكم من الأنعام من المنافع.

﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ
قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ

(١) انظر: (الكشاف ٢/٤٠١، الرازى ١٩/٢٢٧، البحر المحيط ٥/٤٧٥، العكبرى ٢/٤٣).

(٢) وانظر: (القرطبى ١٠/٧٢، البحر المحيط ٥/٤٧٦، الفراء ٢/٩٧، النشر ٢/٣٠٢ الطبرى ١٤/٥٦، الكشاف ٢/٤٠١، الإتحاف ٢٧٧، العكبرى ٢/٤٣، التبيان ٦/٣٦٢، مجمع البيان ٦/٣٤٩).

وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾

ثم ذكرهم النعم: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ﴾[1]، يقول: لكم فى ركوبها جمال وزينة، يعنى الشارة الحسنة، ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٨] من الخلق، كقوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ﴾ [القصص: ٧٩]، يعنى فى شارته.

قال سبحانه: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾، يعنى بيان الهدى، ﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ﴾، يقول: ومن السبيل ما تكون جائرة على الهدى، ﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [آية: ٩] إلى دينه.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ﴾، يعنى المطر لكم منه شراب، ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ [آية: ١٠]، يعنى وفيه ترعون أنعامكم.

﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ﴾ بالمطر، ﴿ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾، فيما ذكر لكم من النبات لعبرة، ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [آية: ١١]، فى توحيد الله عز وجل.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ﴾، يقول: فيما سخر لكم فى هذه الآيات لعبرة، ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [آية: ١٢] فى توحيد الله عز وجل.

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ﴾، يعنى وما خلق لكم، ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من الدواب، والطير، والشجر، ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾، يعنى فيما ذكر من الخلق فى الأرض، ﴿لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [آية: ١٣]، فى توحيد الله عز وجل، وما ترون من صنعه وعجائبه.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ

---

(١) انظر: (الكشاف ٢/٤٠٢، البحر المحيط ٥/٤٧٦، النحاس ٢/٢٠٦، العكبرى ٢/٤٣).

تَشۡكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَأَنۡهَٰرٗا وَسُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ
تَهۡتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٨﴾
وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿١٩﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا﴾، وهو السمك ما أصيد، أو ألقاه الماء وهو حى، ﴿وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَا﴾، يعنى اللؤلؤ، ﴿وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ﴾، يعنى السفن، ﴿مَوَاخِرَ فِيهِ﴾، يعنى فى البحر مقبلة ومدبرة بريح واحد، ﴿وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾، يعنى سخر لكم الفلك لتبتغوا من فضله، ﴿وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [آية: ١٤] ربكم فى نعمه عز وجل.

﴿وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ﴾، يعنى الجبال، ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمۡ﴾، يعنى لئلا تزول بكم الأرض فتميل بمن عليها، ﴿وَأَنۡهَٰرٗا﴾ تجرى، ﴿وَسُبُلٗا﴾، يعنى وطرقًا، ﴿لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [آية: ١٥]، يعنى تعرفون طرقها.

﴿وَعَلَٰمَٰتٖۚ﴾، يعنى الجبال، كقوله سبحانه: ﴿**كَالأَعْلَامِ**﴾ [الرحمن: ٢٤]، يعنى الجبال، ﴿وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾[(١)] [آية: ١٦].

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، قال مقاتل: هى بنات نعش، والجدى، والفرقدان، والقطب، قال: بعينها لأنهن لا يزلن عن أماكنهن شتاء ولا صيفًا، يعنى بالجبال، والكواكب، وبها يعرفون الطرق فى البر والبحر، كقوله سبحانه: ﴿**لَا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً**﴾ [النساء: ٩٨]، يعنى لا يعرفون.

ثم قال عز وجل: ﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ﴾ هذه الأشياء من أول السورة إلى هذه الآية، ﴿كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ﴾ شيئًا من الآلهة: اللات، والعزى، ومناة، وهبل، التى تعبد من دون الله عز وجل، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [آية: ١٧]، يعنى أفلا تعتبرون فى صنعه فتوحدونه عز وجل.

﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ﴾ فى تأخير العذاب عنهم، ﴿رَّحِيمٞ﴾ [آية: ١٨] بهم حين لا يعجل عليهم بالعقوبة.

---

(١) انظر: (القرطبى ١٠/٩٢، مختصر شواذ القراءات ٧٢، الإتحاف ٢٧٧، الرازى ٢٠/١٠، البحر المحيط ٥/٤٨١، الكشاف ٢/٤٠٥، العكبرى ٢/٤٤ مجمع البيان ٦/٣٥٣).

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ﴾ فى قلوبكم، يعنى الخراصين الذى أسروا الكيد بالبعثة فى طريق مكة ممن يصد الناس عن النبى ﷺ بالموسم، ﴿وَ﴾ يعلم ﴿وَمَا تُعۡلِنُونَ﴾ [آية: ١٩]، يعنى يعلم ما تظهرون بألسنتكم، حين قالوا للنبى ﷺ: هذا دأبنا ودأبك.

﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ (٢٠) أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ (٢١) إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٞ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ (٢٢) لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ (٢٣)﴾

ثم ذكر الآلهة، فقال سبحانه لكفار مكة: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾، يعنى يعبدون، ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، يعنى اللات، والعزى، ومناة، وهبل، ﴿لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا﴾، ذبابًا ولا غيرها، ﴿وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ﴾ [آية: ٢٠]، وهم ينحتونها بأيدهم.

ثم وصفهم، فقال تعالى: ﴿أَمۡوَٰتٌ﴾، لا تتكلم، ولا تسمع، ولا تبصر، ولا تنفع، ولا تضر، ﴿غَيۡرُ أَحۡيَآءٖ﴾، لا روح فيها، ثم نعت كفار مكة، فقال: ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾[1] [آية: ٢١]، يعنى متى يبعثون، نظيرها فى سورة النمل: **﴿لاَّ يَعْلَمُ مَن فِى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إلاَّ اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾** [النمل: ٦٥]، وهم الخراصون.

ثم قال سبحانه: ﴿إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾، فلا تعبدوا غيره، ثم نعتهم تعالى، فقال: ﴿فَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾، يعنى لا يصدقون بالبعث الذى فيه جزاء الأعمال، ثم نعتهم، فقال سبحانه: ﴿قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٞ﴾ لتوحيد الله عز وجل أنه واحد، ﴿وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ﴾ [آية: ٢٢] عن التوحيد.

﴿لَا جَرَمَ﴾، قسمًا، ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ فى قلوبهم حين أسروا وبعثوا فى كل طريق من الطرق رهطًا؛ ليصدوا الناس عن النبى ﷺ، ﴿وَمَا يُعۡلِنُونَ﴾، حين أظهروا للنبى ﷺ، وقالوا: هذا دأبنا ودأبك، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ﴾ [آية: ٢٣]، يعنى المتكبرين عن التوحيد.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ (٢٤) لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ

---

(١) انظر: (الكشاف ٢/٤٠٦، النحاس ٢/٢٠٨، القرطبى ١٠/٩٤، البحر المحيط ٥/٤٨٢).

﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ ﴿٢٥﴾

ثم وصفهم، فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم﴾، يعنى الخراصين، ﴿مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [آية: ٢٤]، وذلك أن الوليد بن المغيرة المخزومى، قال لكفار قريش: إن محمدًا ﷺ حلو اللسان، إذا كلم الرجل ذهب بعقله، فابعثوا رهطًا من ذوى الرأى منكم والحجا فى طريق مكة، على مسيرة ليلة أو ليلتين، إنى لا آمن أن يصدقه بعضهم، فمن سأل عن محمد ﷺ، فليقل بعضهم: إنه ساحر، يفرق بين الاثنين، وليقل بعضهم: إنه لمجنون، يهذى فى جنونه، وليقل بعضهم: إنه شاعر، لم يضبط الروى، وليقل بعضهم: إنه كاهن، يخبر بما يكون فى غد، وإن لم تروه خيرًا من أن تروه، لم يتبعه على دينه إلا العبيد والسفهاء، يحدث عن حديث الأولين، وقد فارقه خيار قومه وشيوخهم.

فبعثوا ستة عشر رجلاً من قريش، فى أربع طرق، على كل طريق أربعة نفر، وأقام الوليد بن المغيرة بمكة على الطريق، فمن جاء يسأل عن النبى ﷺ، لقيه الوليد، فقال له مثل مقالة الآخرين، فيصدع الناس عن قولهم، وشق ذلك على النبى ﷺ، وكان يرجو أن يتلقاه الناس، فيعرض عليهم أمره، ففرحت قريش حين تفرق الناس عن قولهم، وهم يقولون: ما عند صاحبكم خير، يعنون النبى ﷺ، وما بلغنا عنه إلا الغرور، وفيهم المستهزءون من قريش، فأنزل الله عز وجل فيهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، يعنى حديث الأولين وكذبهم.

يقول الله تعالى: قالوا ذلك ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾، يعنى يحملوا خطيئتهم كاملة يوم القيامة، ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ﴾، يعنى من خطايا الذين ﴿يُضِلُّونَهُم﴾، يعنى يستنزلونهم، ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يعلمونه، فيها تقديم، قال عز وجل: ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [آية: ٢٥]، يعنى ألا بئس ما يحملون، يعنى يعملون.

ثم قال النبى ﷺ: ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ﴾، يعنى قد فعل الذين ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾، يعنى قبل كفار مكة، يعنى نمروذ بن كنعان الجبار الذى ملك الأرض، وبنى الصرح ببابل؛ ليتناول فيما زعم إله السماء، تبارك وتعالى، وهو الذى حاج إبراهيم فى ربه عز وجل، وهو أول من ملك الأرض كلها، وملك الأرض كلها ثلاثة نفر: نمروذ بن كنعان، وذو القرنين، واسمه الإسكندر قيصر، ثم تبع بن أبى ضراحيل الحميرى.

فلما بنى نمروذ الصرح طوله فى السماء فرسخين، فأتاه جبريل، عليه السلام، فى صورة شيخ كبير، فقال: ما تريد أن تصنع؟ قال: أريد أن أصعد إلى السماء، فأغلب أهلها كما غلبت أهل الأرض، فقال له جبريل، عليه السلام: إن بينك وبين السماء مسيرة خمسمائة عام، والتى تليها مثل ذلك، وغلظها مثل ذلك، وهى سبع سموات، ثم كل سماء كذلك، فأبى إلا أن يبنى، فصاح جبريل، عليه السلام، صيحة فطار رأس الصرح، فوقع فى البحر، ووقع البقية عليهم، فذلك قوله عز وجل: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾، يعنى من الأصل، ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ [1]، يعنى فوقع عليهم البناء الأعلى من فوق رءوسهم، ﴿وَأَتَىٰهُمُ﴾، يعنى وجاءهم ﴿ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [آية: ٢٦] من بعد ذلك، وبعدما اتخذ النسور، وهى الصيحة من جبريل، عليه السلام.

﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَـٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

ثم رجع إلى الخراصين فى التقديم، فقال سبحانه: ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُخْزِيهِمْ﴾، يعنى يعذبهم، كقوله سبحانه: ﴿يَوْمَ لاَ يُخْزِى اللَّهُ النَّبِىَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ [التحريم: ٨]، يعنى لا يعذب الله النبى المؤمنين، ﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَـٰٓقُّونَ فِيهِمْ﴾، يعنى تحاجون فيهم، ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾، وهم الحفظة من الملائكة: ﴿إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ﴾، يعنى الهوان، ﴿وَٱلسُّوٓءَ﴾، يعنى العذاب، ﴿عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [آية: ٢٧].

ثم نعتهم، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾، يعنى ملك الموت وأعوانه، ﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾، وهم ستة، وثلاثة يلون أرواح المؤمنين، وثلاثة يلون أرواح الكافرين، ﴿فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ﴾، يعنى الخضوع والاستسلام، ثم قالوا: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ﴾، يعنى من شرك؛ لقولهم فى الأنعام: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، فكذبهم الله عز وجل، فردت عليهم خزنة جهنم من الملائكة، فقالوا: ﴿بَلَىٰٓ﴾ قد عملتم السوء،

(١) انظر: (القرطبى ٩٧/١٠، البحر المحيط ٤٨٠/٥، مجمع البيان ٣٥٦/٦).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٢٨]، يعنى بما كنتم مشركين.

قالت الخزنة لهم: ﴿فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ من الموت، ﴿فَلَبِئْسَ مَثْوَى﴾، يعنى مأوى، ﴿ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [آية: ٢٩] عن التوحيد، فأخبر الله عنهم فى الدنيا، وأخبر بمصيرهم فى الآخرة.

﴿۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾﴾

ثم قال تعالى: ﴿۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾، يعنى الذين عبدوا ربهم: ﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟﴾ أنزل ﴿خَيْرًا ۗ﴾، وذلك أن الرجل كان يبعثه قومه وافدًا إلى مكة ليأتيهم بخبر محمد ﷺ، فيأتى الموسم، فيمر على هؤلاء الرهط من قريش الذين على طرق مكة، فيسألهم عن النبى ﷺ، فيصدونه عنه لئلا يلقاه، فيقول: بئس الرجل الوافد أنا لقومى أن أرجع قبل أن ألقى محمدًا ﷺ، وأنا منه على مسيرة ليلة أو ليلتين، وأسمع منه، فيسير حتى يدخل مكة، فيلقى المؤمنين، فيسألهم عن النبى ﷺ، وعن قولهم، فيقولون للوافد: أنزل الله عز وجل خيرًا، بعث رسولاً ﷺ، وأنزل كتابًا يأمر فيه بالخير، وينهى عن الشر، ففيهم نزلت: ﴿۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ﴾، ثم انقطع الكلام.

يقول الله سبحانه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾ العمل ﴿فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا﴾ لهم ﴿حَسَنَةٌ ۚ﴾ فى الآخرة، يعنى الجنة، ﴿وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ﴾، يعنى الجنة أفضل من ثواب المشركين فى الدنيا الذى ذكر فى هذه الآية الأولى، يقول الله تعالى: ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آية: ٣٠] الشرك، يثنى على الجنة.

ثم بين لهم الدار، فقال سبحانه: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ﴾، يعنى الأنهار تجرى تحت البساتين، ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ﴾، يعنى فى الجنان، ﴿كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آية: ٣١] الشرك.

ثم أخبر عنهم، فقال جل ثناؤه: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ فى الدنيا، يعنى ملك الموت وحده، ثم انقطع الكلام، ثم أخبر سبحانه عن قول خزنة الجنة من الملائكة فى الآخرة لهم، ﴿يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٣٢] فى دار الدنيا.

ثم رجع إلى كفار مكة، فقال: ﴿هَلْ﴾، يعنى ما ﴿يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ بالموت، يعنى ملك الموت وحده، عليه السلام، ﴿أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾، يعنى العذاب فى الدنيا، ﴿كَذَٰلِكَ﴾، يعنى هكذا، ﴿فَعَلَ ٱلَّذِينَ﴾، يعنى لعن الذين ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾، ونزل العذاب بهم قبل كفار مكة من الأمم الخالية، ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾، فعذبهم على غير ذنب، ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آية: ٣٣].

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ﴾، يعنى عذاب ﴿مَا عَمِلُوا۟﴾، يعنى فى الدنيا، ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾، يعنى ودار بهم العذاب، ﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ﴾ بالعذاب، ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [آية: ٣٤] بأنه غير نازل بهم فى الدنيا.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ مع الله غيره، يعنى كفار مكة: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾ من ألالهة، ﴿نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾، من الحرث والأنعام، ولكن الله أمرنا بتحريم ذلك، يقول الله عز وجل: ﴿كَذَٰلِكَ﴾، يعنى هكذا ﴿فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم الخالية برسلهم، كما كذبت كفار مكة، وتحريم ما أحل الله من الحرث والأنعام، فلما كذبوا النبى ﷺ، قال الله عز وجل: ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [آية: ٣٥]، يقول: ما على الرسول إلا أن يبلغ ويبين لكم أن الله عز وجل لم يحرم الحرث والأنعام.

ثم قال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾، يعنى أن

وحدوا الله، ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾، يعنى عبادة الأوثان، ﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ﴾ إلى دينه، ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ﴾، يعنى وجبت، ﴿ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [آية: ٣٦]، رسلهم بالعذاب الذين حقت عليهم الضلالة فى الدنيا، يخوف كفار مكة بمثل عذاب الأمم الخالية، ليحذروا عقوبته، ولا يكذبوا محمدًا ﷺ.

وقال سبحانه: ﴿إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ﴾ (١) يا محمد ﷺ، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي﴾ إلى دينه، ﴿مَن يُضِلُّۖ﴾، يقول: من أضله الله فلا هادى له، ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [آية: ٣٧]، يعنى مانعين من العذاب.

﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخۡتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾

﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾، يقول: جهدوا فى أيمانهم حين حلفوا بالله عز وجل، يقول الله سبحانه: إن القسم بالله لجهد أيمانهم، يعنى كفار مكة، ﴿لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ﴾، فكذبهم الله عز وجل، فقال: ﴿بَلَىٰ﴾ يبعثهم الله عز وجل، ﴿وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا﴾، نظيرها فى الأنبياء: ﴿**كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥ**﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، يقول الله تعالى: كما بدأنهم فخلقتهم ولم يكونوا شيئًا، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ﴾، يعنى أهل مكة ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [آية: ٣٨] أنهم مبعوثون من بعد الموت.

يبعثهم الله؛ ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ﴾، يعنى ليحكم الله بينهم فى الآخرة، ﴿ٱلَّذِي يَخۡتَلِفُونَ فِيهِ﴾، يعنى البعث، ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ بالبعث ﴿أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰذِبِينَ﴾ [آية: ٣٩] بأن الله لا يبعث الموتى.

ثم قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا﴾، يعنى أمرنا فى البعث، ﴿لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ﴾ مرة واحدة: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [آية: ٤٠]، لا يثنى قوله مرتين.

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ

---

(١) انظر: (الكشاف ٢/٤٠٩، مختصر شواذ القراءات ٧٣، البحر المحيط ٥/٤٩٠، الجمهرة).

أَكْبَرُۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا
مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾
بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ
﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ
حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ
عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾

ثم قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟﴾ قومهم إلى المدينة، واعتزلوا بدينهم من المشركين، ﴿فِى ٱللَّهِ﴾، وفروا إلى الله عز وجل، ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟﴾، يعنى من بعد ما عذبوا على الإيمان بمكة، نزلت فى خمسة نفر: عمار بن ياسر مولى أبى حذيفة بن المغيرة المخزومى، وبلال بن أبى رباح المؤذن، وصهيب بن سنان مولى عبد الله بن جدعان بن النمر بن قاسط، وخباب بن الأرت، وهو عبد الله بن سعد بن خزيمة بن كعب مولى لأم أنما امرأة الأخنس بن شريق.

﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾، يعنى لنعطينهم ﴿فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةًۖ﴾ (١)، يعنى بالحسنة الرزق الواسع، ﴿وَلَأَجْرُ﴾، يعنى جزاء ﴿ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾، يعنى الجنة، ﴿أَكْبَرُۚ﴾، يعنى أعظم مما أعطوه فى الدنيا من الرزق، ﴿لَوْ كَانُوا۟﴾، يعنى أن لو كانوا ﴿يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٤١].

ثم نعتهم، فقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ على العذاب فى الدنيا، ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [آية: ٤٢]، يعنى وبه يثقون.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْۚ﴾، نزلت فى أبى جهل بن هشام، والوليد بن المغيرة، وعقبة بن أبى معيط، وذلك أنهم قالوا فى سبحان: ﴿**أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا**﴾ [الإسراء: ٩٤] بأكل ويشرب، وتلاك الملائكة، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ يا محمد ﷺ، ﴿إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْۚ﴾، ثم قال: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾، يعنى التوراة، ﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٤٣] بأن الرسل كانوا من البشر، فسيخبرونكم أن الله عز وجل لم يبعث رسولاً إلا من الإنس.

يعنى ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالآيات، ﴿وَٱلزُّبُرِۗ﴾، يعنى حديث الكتب، ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ﴾، يعنى القرآن، ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ من ربهم، ﴿وَلَعَلَّهُمْ﴾، يعنى

---

(١) انظر: (الكشاف ٢/٤١٠، مجمع البيان ٦/٣٦١، البحر المحيط ٥/٤٩٢).

لكى ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾ [آية: ٤٤] فيؤمنوا.

ثم خوف كفار مكة، فقال سبحانه: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾، يعنى الذين قالوا الشرك، ﴿أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾، يعنى جانبًا منها، ﴿أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ﴾ غير الخسف، ﴿ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [آية: ٤٥]، يعنى لا يعلمون أنه يأتيهم منه.

﴿أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ﴾ العذاب، ﴿فِي تَقَلُّبِهِمۡ﴾ فى الليل والنهار، ﴿فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ﴾ [آية: ٤٦]، يعنى سابقى الله عز وجل بأعمالهم الخبيثة، حتى يجزيهم بها.

﴿أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ﴾، يقول: يأخذ أهل هذه القرية بالعذاب ويترك الأخرى قريبًا منها لكى يخافوا فيعتبروا، يخوفهم بمثل ذلك، ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ﴾، يعنى يرق لهم، ﴿رَّحِيمٌ﴾ [آية: ٤٧] بهم حين لا يعجل عليهم بالعقوبة.

﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ۩ ﴿٥٠﴾﴾

ثم وعظ كفار مكة ليعتبروا فى سنعه، فقال سبحانه: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ﴾ فى الأرض، ﴿يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا﴾، وذلك أن الشجر، والبنيان، والجبال، والدواب، وكل شىء، إذا طلعت عليه الشمس يتحول ظل كل شىء عن اليمين قبل المغرب، فذلك قوله سبحانه: ﴿يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ﴾[1]، يعنى يتحول الظل، فإذا زالت الشمس، تحول الظل عن الشمال قبل المشرق، كسجود كل شىء فى الأرض لله تعالى، ظله فى النهار سجدًا، ﴿لِلَّهِ﴾، يقول: ﴿وَهُمۡ دَٰخِرُونَ﴾ [آية: ٤٨]، يعنى صاغرون.

﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ من الملائكة، ﴿وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ﴾ أيضًا يسجدون.

قال: قال مقاتل، رحمه الله: إذا قال: ما فى السموات، يعنى من الملائكة وغيرهم وكل شىء فى السماء، والأرض، والجبال، والأشجار، وكل شىء فى الأرض، وإذا قال:

---

(١) انظر: (البحر المحيط ٤٩٦/٥)، وانظر فى قراءة «يتفيأ»: (الإتحاف ٢٧٨، النشر ٣٠٤/٢، ٣٦٣/٦، غيث النفع ٢٧٠، السبعة ٣٧٣، القرطبى ١١١/١٠، البحر المحيط ٤٩٦/٥، الكشف ٣٧/٢).

من فى السموات، يعنى كل ذى روح من الملائكة، والآدميين، والطير، والوحوش، والدواب، والسباع، والهوام، والحيتان فى الماء، وكل ذى روح أيضًا سجدون.

ثم نعت الله الملائكة، فقال: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [آية: ٤٩]، يعنى لا يتكبرون عن السجود.

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾، الذى هو فوقهم؛ لأن الله تعالى فوق كل شىء، خلق العرش، والعرش فوق كل شىء، ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ۩﴾ [آية: ٥٠].

﴿۞وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿۞وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ﴾، وذلك أن رجلاً من المسلمين دعا الله عز وجل فى صلاته، ودعا الرحمن، فقال رجل من المشركين: أليس يزعم محمد ﷺ وأصحابه أنهم يعبدون ربًا واحدًا، فما بال هذا يدعو ربين اثنين، فأنزل الله عز وجل فى قوله: ﴿۞وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ﴾ ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [آية: ٥١]، يعنى إياى فخافون فى ترك التوحيد، فمن لم يوحد فله النار.

ثم عظم الرب تبارك وتعالى نفسه من أن يكون معه إله آخر، فقال عز وجل: ﴿وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ من الخلق عبيده وفى ملكه، ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ۚ﴾، يعنى الإسلام دائمًا، ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ﴾ من الآلهة ﴿تَتَّقُونَ﴾ [آية: ٥٢]، يعنى تعبدون، يعنى كفار مكة.

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾

ثم ذكرهم النعم، فقال سبحانه: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ﴾، ليوحدوا رب هذه النعم، يعنى بالنعم الخير والعافية، ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ﴾، يعنى الشدة، وهو الجوع،

والبلاء، وهو قحط المطر بمكة سبع سنين، ﴿فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾ [(١)] [آية: ٥٣]، يعنى تضرعون بالدعاء، لا تدعون غيره أن يكشف عنكم ما نزل بكم من البلاء والدعاء حين قالوا فى حم الدخان: ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ [الدخان: ١٢]، يعنى مصدقين بالتوحيد.

﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ﴾ [(٢)]، يعنى الشدة، وهو الجوع، وأرسل السماء بالمطر مدرارًا، ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [آية: ٥٤]، يعنى يتركون التوحيد لله تعالى فى الرخاء، فيعبدون غيره، وقد وحدوه فى الضر.

﴿لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾، يعنى لئلا يكفروا بالذى أعطيناهم من الخير والخصب فى كشف الضر عنهم، وهو الجوع، ﴿فَتَمَتَّعُواْ﴾ إلى آجالكم قليلاً، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [(٣)] [آية: ٥٥]، هذا وعيد، نظيرها فى الروم، وإبراهيم، والعنكبوت.

﴿وَيَجْعَلُونَ﴾، يعنى ويصفون، ﴿لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ من الألهة أنها آلهة، ﴿نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ من الحرث والأنعام، ﴿تَٱللَّهِ﴾، قل لهم يا محمد: والله ﴿لَتُسْـَٔلُنَّ﴾ فى الآخرة، ﴿عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ [آية: ٥٦] حين زعمتم أن الله أمركم بتحريم الحرث والأنعام.

ثم قال يعنيهم: ﴿وَيَجْعَلُونَ﴾، يعنى ويصفون ﴿لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ﴾، حين زعموا أن الملائكة بنات الله تعالى، ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾، نزه نفسه عن قولهم، ثم قال عز وجل: ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ [آية: ٥٧] من البنين.

ثم أخبر عنهم، فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ﴾، فقيل له: ولدت لك ابنة، ﴿ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾، يعنى متغيرًا، ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [آية: ٥٨]، يعنى مكروبًا.

﴿يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ﴾، يعنى لا يريد أن يسمع تلك البشرى أحدًا، ثم أخبر عن صنيعه بولده، فقال سبحانه: ﴿أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ﴾، فأما الله فقد علم أنه صانع أحدهما لا محالة، ﴿أَمْ يَدُسُّهُۥ﴾، وهى حية، ﴿فِى ٱلتُّرَابِ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾

---

(١) انظر: (غيث النفع ٢٧٠، الكشاف ٤١٣/٢، البحر المحيط ٥٠٢/٥، الإتحاف ٢٧٩)، وذلك فى حالة الوقف.

(٢) انظر: (الآلوسى ١٦٦/١٤، الكشاف ٤١٣/٢، البحر المحيط ٥٠٢/٥).

(٣) انظر: (العكبرى ٤٥/٢، البحر المحيط ٥٠٢/٥).

[آية: ٥٩]، يعنى ألا بئس ما يقضون، حين زعموا أن لى البنات وهم يكرهونها لأنفسهم.

﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾

ثم أخبر عنهم، فقال سبحانه: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾، يعنى لا يصدقون بالبعث الذى فيه جزاء الأعمال، ﴿مَثَلُ السَّوْءِ﴾، يعنى شبه السوء، ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾؛ لأنه تبارك وتعالى ربًا واحد لا شريك له ولا ولد، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ فى ملكه، جل جلاله؛ لقولهم: إن الله لا يقدر على البعث، ﴿الْحَكِيمُ﴾ [آية: ٦٠] فى أمره حكم البعث.

ثم قال عز وجل: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ﴾، يعنى كفار مكة، ﴿بِظُلْمِهِم﴾، يعنى بما عملوا من الكفر والتكذيب، لعجل لهم العقوبة، ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ﴾، يعنى فوق الأرض من دابة، يعنى يقحط المطر، فتموت الدواب، ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، الذى وقت لهم فى اللوح المحفوظ، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ﴾، يعنى وقت عذابهم فى الدنيا، ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [آية: ٦١]، يعنى لا يتأخرون عن أجلهم حتى يعذبوا فى الدنيا.

﴿وَيَجْعَلُونَ﴾، يعنى ويصفون، ﴿لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ من البنات، يقولون: لله البنات، ﴿وَتَصِفُ﴾، يعنى وتقول ﴿أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ﴾ (١) بـ ﴿أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ﴾ البنين وله البنات، ﴿لَا جَرَمَ﴾ قسمًا حقًا، ﴿أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾ [آية: ٦٢]، يعنى متروكون فى النار؛ لقولهم: لله البنات.

﴿تَاللَّهِ﴾، يعنى والله، ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾، فكذبوهم، ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾، الكفر والتكذيب، ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ﴾، يعنى الشيطان وليهم فى

---

(١) انظر: (الكشاف ٢/٤١٥، القرطبى ١٠/١٢١ النحاس ٢/٢١٤، البحر المحيط ٥/٥٠٦، العكبرى ٢/٤٥).

الآخرة، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آية: ٦٣]، يعنى وجيع.

﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﷺ، ﴿الْكِتَابَ﴾، يعنى القرآن، ﴿إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾، وذلك أن أهل مكة اختلفوا فى القرآن، فآمن به بعضهم، وكفر بعضهم، ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة، ﴿وَرَحْمَةً﴾ من العذاب لمن آمن بالقرآن، فذلك قوله: ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ٦٤]، يعنى يصدقون بالقرآن أنه جاء من الله عز وجل.

ثم ذكر صنعه ليعرف توحيده، فقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾، يعنى المطر، ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ بالنبات، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾، يقول: إن فى المطر والنبات لعبرة وآية، ﴿لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [آية: ٦٥] المواعظ.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾، يعنى التفكر، ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا﴾ من القذر، ﴿سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ﴾(١) [آية: ٦٦]، يسيغ من يشربه، وهو لا يسيغ الفرث والدم.

ثم قال سبحانه: ﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾، يعنى بالثمرات؛ لأنها جماعة ثمر، يعنى بالسكر ما حرم من الشراب مما يسكرون من ثمره، يعنى النخيل والأعناب، ﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾، يعنى طيبًا، نسختها الآية التى فى المائدة، كقوله عز وجل: ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥]، يعنى طيبة بها أنفسهم، بما لا يسكر منها من الشراب وثمرتها، فهذا الرزق الحسن، ثم قال سبحانه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [آية: ٦٧]، يعنى فيما ذكر من اللبن والثمار لعبرة لقوم يعقلون بتوحيد الله عز وجل.

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن

(١) انظر: (الكشاف ٢/٤١٦، البحر المحيط ٥/٥١٠).

يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾

ثم قال: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ إلهامًا من الله عز وجل، يقول: قذف فيها، ﴿أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [آية: ٦٨]، يعنى ومما يبنون من البيوت.

﴿ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى﴾، يقول: فادخلى، ﴿سُبُلَ رَبِّكِ﴾ فى الجبال وخلل الشجر، ﴿ذُلُلًا﴾؛ لأن الله تعالى ذلل لها طرقها حيثما توجهت، ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾، يعنى عسلاً، ﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾، أبيض، وأصفر، وأحمر، ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾، يعنى العسل شفاء لبعض الأوجاع، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾، يعنى فيما ذكر من أمر النحل وما يخرج من بطونها لعبرة، ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [آية: ٦٩] فى توحيد الله عز وجل.

ثم قال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾، ولم تكونوا شيئًا لتعتبروا فى البعث، ﴿ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾، عند آجالكم، ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾، يعنى الهرم، ﴿لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بالبعث أنه كائن، ﴿قَدِيرٌ﴾ [آية: ٧٠]، يعنى قادرًا عليه.

﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾

﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ﴾، يعنى جعل بعضكم أحرارًا، وبعضكم عبيدًا، فوسع على بعض الناس، وقتر على بعض، ﴿فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟﴾، يعنى الرزق من الأموال، ﴿بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ﴾، يقول: برادى أموالهم، ﴿عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾، يعنى عبيدهم، يقول: أفيشركونهم وعبيدهم فى أموالهم، ﴿فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ﴾، فيكونون فيه سواء، بأنهم قوم لا يعقلون شيئًا، ﴿أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [آية: ٧١]، يعنى ينكرون بأن الله يكون واحدًا لا شريك له، وهو رب هذه النعم، يقول: كيف أشرك الملائكة وغيرهم فى ملكى وأنتم لا ترضون الشركة من عبيدكم فى أموال، فكما لا تدخهلون عبيدكم فى أموالكم، فكذلك لا أدخل معى شريكًا فى ملكى، وهم عبادى، وذلك حين قال كفار مكة فى إحرامهم: لبيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك تملكه، وما ملك، نظيرها فى الروم: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلاً مِنْ أنفُسِكُمْ...﴾ [الروم: ٢٨] إلى آخر الآية.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟

﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾، يقول: بعضكم من بعض، ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾، يعنى بالبنين الصغار، والحفدة الكفار يحفدون أباهم بالخدمة، وذلك أنهم كانوا فى الجاهلية يخدمهم أولادهم، قال عز وجل: ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾، يعنى الحب والعسل ونحوه، وجعل رزق غيركم من الدواب والطير لا يشبه أرزاقكم فى الطيب والحسن، ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾، يعنى أفبالشيطان يصدقون بأن مع الله عز وجل شريكًا، ﴿وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ﴾ الذى أطعمهم من جوع، وآمنهم من خوف، ﴿هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [آية: ٧٢] بتوحيد الله، أفلا يؤمنون برب هذه النعم فيوحدونه.

ثم رجع إلى كفار مكة، ثم ذكر عبادتهم الملائكة، فقال سبحانه: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ﴾، يعنى ما لا يقدر، ﴿لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، يعنى المطر، ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾، يعنى النبات، ﴿شَيْـًٔا﴾ منه، ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [آية: ٧٣] ذلك.

﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾، يعنى الأشباه، فلا تصفوا مع الله شريكًا، فإنه لا إله غيره، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ﴾ أن ليس له شريك، ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٧٤] أن لله شريكًا.

﴿۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾

ثم ضرب للكفار مثلاً ليعتبروا، فقال: ﴿۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾، من الخير والمنفعة فى طاعة الله عز وجل، نزلت فى أبى الحواجر مولى هشام بن عمرو بن الحارث بن ربيعة القرشى، من بنى عامر بن لؤى، يقول: فكذلك الكافر لا يقدر أن ينفق خيرًا لمعاده، ثم قال عز وجل: ﴿وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا﴾، يعنى واسعًا، وهو المؤمن هشام، ﴿فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ﴾، فيما ينفعه فى آخرته، ﴿سِرًّا وَجَهْرًا﴾، يعنى علانية، ﴿هَلْ يَسْتَوُۥنَ﴾ الكافر الذى لا ينفق خيرًا لمعاده، والمؤمن الذى ينفق فى خير لمعاده، ثم جمعهم، فقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٧٥] بتوحيد الله عز وجل.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ

﴿صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٧٦﴾

ثم قال سبحانه: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ﴾، يعنى وصف الله مثلاً آخر لنفسه عز وجل، والصنم ليعتبروا، فقال: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ﴾ ﴿مَثَلٗا﴾، يعنى شبهًا، ﴿رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ﴾، يعنى الأخرس الذى لا يتكلم، وهو الصنم، ﴿لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾، من المنفعة والخير، ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ﴾، يعنى الصنم عيال على مولاه الذى يعبده، ينفق عليه ويكنه من الحر والشمس ويكنفه، ﴿أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ﴾[1]، يقول: أينما يدعوه من شرق أو غرب، من ليل أو نهار، ﴿لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ﴾، يقول: لا يجيئه بخير، ﴿هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ﴾، يعنى هذا الصنم، ﴿وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾، يعنى الرب نفسه عز وجل يأمر بالتوحيد، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [آية: ٧٦]، يعن الرب نفسه عز وجل يقول: أنا على الحق المستقيم، ويقال: أحد الرجلين عثمان بن عفان، رضوان الله عليه، والآخر أبو العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن زهرة.

﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٧٧ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨﴾

﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾، وذلك أن كفار مكة سألوا النبى ﷺ: متى الساعة؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾، وغيب الساعة، ليس ذلك إلى أحد من العباد، ثم قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ﴾، يعنى أمر تأتى، يعنى البعث، ﴿إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ﴾، يعنى كرجوع الطرف، ﴿أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُ﴾، يقول: بل هو أسرع من لمح البصر، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ من البعث وغيره، ﴿قَدِيرٞ﴾ [آية: ٧٧].

﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا﴾، فعلمكم بعد ذلك الجهل، ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ﴾، يعنى القلوب، ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [آية: ٧٨] رب هذه النعم تعالى ذكره فى حسن خلقكم فتوحدونه.

﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٖ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ

(١) انظر: (مجمع البيان ٦/٣٧٤، القرطبى ١٠/١٥٠، العكبرى ٢/٤٦، البحر المحيط ٥/٥٢٠، الكشاف ٢/٤٢١).

لَآيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ﴿٨٠﴾ ﴾

ثم وعظ كفار مكة ليعتبروا، فقال عز وجل: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾، يعنى ألا ينظروا ﴿إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٖ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ﴾، يعنى فى كبد السماء، ﴿مَا يُمۡسِكُهُنَّ﴾ عند بسط الأجنحة وعند قبضها أحد ﴿إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ تبارك وتعالى، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ﴾، يعنى إن فى هذه لعبرة، ﴿لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [آية: ٧٩]، يعنى يصدقون بتوحيد الله عز وجل.

ثم ذكرهم النعم، فقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا﴾ تسكنون فيه، ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا﴾، يعنى مما على جلودها من أصوافها، وأوبارها، وأشعارها، تتخذون منها بيوتًا، يعنى الأبنية، والخيم، والفساطيط، وغيرها، ﴿تَسۡتَخِفُّونَهَا﴾ فى الحمل، ﴿يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ﴾، يعنى حين رحلتكم وأسفاركم، وتستخفونها ﴿وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ﴾ حين تقيمون فى الأسفار وتستخفونها، يعنى الأبيات التى تتخذونها، ولا يشق عليكم ضرب الأبنية، ثم قال سبحانه: ﴿وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا﴾، يعنى الضأن، ﴿وَأَوۡبَارِهَا﴾، يعنى الإبل، ﴿وَأَشۡعَارِهَآ﴾، يعنى المعز، ﴿أَثَٰثٗا﴾، يعنى الثياب التى تتخذ منها، ﴿وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ﴾ [آية: ٨٠]، يعنى بلاغًا إلى أن تبلى.

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾

ثم قال: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا﴾، يعنى البيوت والأبنية، ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا﴾؛ لتسكنوا فيها، يعنى البيوت والأبنية، ﴿وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ﴾، يعنى القمص تقيكم ﴿ٱلۡحَرَّ﴾، يعنى من الكتان، والقطن، والصوف، ﴿وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ﴾، من القتل والجراحات، يعنى درع الحديد

بإذن الله عز وجل، ﴿كَذَٰلِكَ﴾، يعنى هكذا، ﴿يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [آية: ٨١]، يعنى لكى تسلموا، نظيرها فى سبأ، والأنبياء: ﴿**وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ**﴾ [الأنبياء: ٨٠]، يعنى فهل أنتم مخلصون لكى تخلصوا إليه بالتوحيد.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾، يقول: فإن أعرضوا عن التوحيد، ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [آية: ٨٢]، يقول: عليك يا محمد ﷺ أن تبلغ وتبين لهم أن الله عز وجل واحد لا شريك له.

﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ التى ذكرهم فى هؤلاء الآيات من قوله عز وجل: ﴿**جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا**...﴾ إلى أن قال: ﴿...**لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ**﴾، فتعرفون هذه النعم أنها كلها من الله عز وجل، وذلك أن كفار مكة كانوا إذا سئلوا: من أعطاكم هذا الخير؟ قالوا: الله أعطانا، فإن دعوا إلى التوحيد للذى أعطاهم، قالوا: إنما ورثناه عن آبائنا، فذلك قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [آية: ٨٣] بتوحيد رب هذه النعم تعالى ذكره.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ
(٨٤) وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (٨٥) وَإِذَا
رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِن
دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ (٨٦) وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ
وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٨٧)﴾

ثم قال جل اسمه: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾، يعنى نبيها شاهدًا على أمته بالرسالة أنه بلغهم، ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فى الاعتذار، ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [آية: ٨٤]، نظيرها: ﴿**يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ**﴾ [غافر: ٥٢].

﴿وَإِذَا رَأَى﴾، يعنى وإذا عاين، ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، يعنى كفروا، ﴿الْعَذَابَ﴾، يعنى النار، ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ﴾، يعنى العذاب، ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [آية: ٨٥]، يعنى ولا يناظر بهم، فذلك قوله سبحانه: ﴿**يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ**﴾ [غافر: ٥٢].

﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ﴾ من الأصنام: اللات، والعزى، ومناة، ﴿قَالُوا رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِن دُونِكَ﴾، يعنى نعبد من دونك، ﴿فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ﴾، فردت شركاؤهم عليهم القول، ﴿إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾

[آية: ٨٦] ما كنا لكم آلهة.

﴿وَأَلْقَوْاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ﴾، يعنى كفار مكة استسلموا له وخضعوا له، ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ فى الآخرة، ﴿مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ [آية: ٨٧]، يعنى يشركون من الكذب فى الدنيا بأن مع الله شريكًا.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بتوحيد الله، ﴿وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، يعنى منعوا الناس من دين الله الإسلام، وهم القادة فى الكفر، يعنى كفار مكة، ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ﴾ [آية: ٨٨]، يعنى يعملون فى الأرض بالمعاصى، وذلك أنه يجرى من تحت العرش على رءوس أهل النار خمسة أنهار من نحاس ذائب، ولهب من نار، نهران يجريان على مقدار نهار الدنيا، وثلاثة أنهار على مقدار ليل الدنيا، فتلك الزيادة، فذلك قوله سبحانه: ﴿**يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ**﴾ [الرحمن: ٣٥].

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾، يعنى نبيهم، وهو شاهد على أمته أنه بلغهم الرسالة، ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد ﴿شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾، يعنى أمة محمد ﷺ أنه بلغهم الرسالة، ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾، من أمره، ونهيه، ووعده، ووعيده، وخبر الأمم الخالية، وهذا القرآن، ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة، ﴿وَرَحْمَةً﴾ من العذاب لمن عمل به، ﴿وَبُشْرَىٰ﴾، يعنى ما فيه من الثواب، ﴿لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [آية: ٨٩]، يعنى المخلصين.

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ

أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ بالتوحيد، ﴿وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾، يعنى العفو عن الناس، ﴿وَإِيتَآيِٕ﴾، يعنى وإعطاء، ﴿ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ المال، يعنى صلة قرابة الرجل، كقوله: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ [الإسراء: ٢٦]، يعنى صلته، ثم قال سبحانه: ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾، يعنى المعاصى، ﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾، يعنى الشرك وما لا يعرف من القول، ﴿وَٱلْبَغْىِ﴾، يعنى ظلم الناس، ﴿يَعِظُكُمْ﴾، يعنى يؤدبكم، ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [آية: ٩٠]، يعنى لكى تذكروا فتتأدبوا.

لما نزلت هذه الآية بمكة، قال أبو طالب بن عبد المطلب: يا آل غالب، اتبعوا محمدًا ﷺ تفلحوا وترشدوا، والله إن ابن أخى ليأمر بمكارم الأخلاق، وبالأمر الحسن، ولا يأمر إلا بحسن الأخلاق، والله لئن كان محمد ﷺ صادقًا أو كاذبًا، ما يدعوكم إلا إلى الخير، فبلغ ذلك الوليد بن المغيرة، فقال: إن كان محمد ﷺ قاله، فنعم ما قال، وإن إلهه قاله، فنعم ما قال، فأتنا بلسانه، ولم يصدق محمدًا ﷺ بما جاء به ولم يتبعه، فنزلت: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِى تَوَلَّى وَأَعْطَى قَلِيلاً﴾ بلسانه ﴿وَأَكْدَى﴾ [النجم: ٣٣، ٣٤]، يعنى وقطع ذلك.

ثم قال عز وجل: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾، يقول: لا تنقضوا الأيمان بعد تشديدها وتغليظها، ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾، يعنى شهيدًا فى وفاء العهد، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [آية: ٩١] فى الوفاء والنقض.

ثم ضرب مثلاً لمن ينقض العهد، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾، يعنى امرأة من قريش حمقاء مصاحبة أسلمت بمكة تسمى ريطة بنت عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، وسميت جعرانة لحماقتها، وكانت إذا غزلت الشعر أو الكتان نقضته، قال الله عز وجل: لا تنقضوا العهود بعد توكيدها، كما نقضت المرأة الحمقاء غزلها، ﴿مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾، من بعد ما أبرمته، ﴿أَنكَٰثًا﴾، يعنى نقضًا، فلا هى تركت الغزل فينتفع به، ولا هى كفت عن العمل، فذلك الذى يعطى العهد، ثم ينقضه، لا هو حين أعطى العهد وفى به، ولا هو ترك العهد فلم يعطه، ﴿مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾، يعنى

من بعد جده، ولم يأثم بربه.

ثم قال سبحانه: ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ﴾، يعنى العهد، ﴿دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾، يعنى مكرًا وخديعة يستحل به نقض العهد، ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ﴾، يعنى إنما يبتليكم الله بالكثرة، ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ﴾، يعنى من لا يفى بالعهد، يعنى وليحكمن بينكم، ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ﴾ من الدين، ﴿تَخْتَلِفُونَ﴾ [آية: ٩٢].

ثم قال سبحانه: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾، يعنى على ملة الإسلام، ﴿وَلَٰكِن يُضِلُّ﴾ عن الإسلام، ﴿مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى﴾ إلى الإسلام، ﴿مَن يَشَآءُ وَلَتُسْـَٔلُنَّ﴾ يوم القيامة ﴿عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٩٣] فى الدنيا.

﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾

ثم قال سبحانه: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ﴾، يعنى العهد، ﴿دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾ بالمكر والخديعة، ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾، يقول: إن ناقض العهد يزل فى دينه كما تزل قدم الرجل بعد الاستقامة، ﴿وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ﴾، يعنى العقوبة، ﴿بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، يعنى بما منعتم الناس عن دين الله الإسلام، ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آية: ٩٤] فى الآخرة.

ثم وعظهم، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾، يقول: ولا تبيعوا الوفاء بالعهد فتنقضونه بعرض يسير من الدنيا، ﴿إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من الثواب لمن وفى منكم بالعهد، ﴿هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من العاجل، ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٩٥].

ثم زهدهم فى الأموال، فقال سبحانه: ﴿مَا عِندَكُمْ﴾ من الأموال ﴿يَنفَدُ﴾، يعنى يفنى ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ فى الآخرة من الثواب، ﴿بَاقٍ﴾، يعنى دائم لا يزول عن أهله، ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟﴾ على أمر الله عز وجل فى وفاء العهد فى الآخرة، ﴿أَجْرَهُم

﴿بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ﴾، يعنى بأحسن الذى كانوا ﴿يَعۡمَلُونَ﴾ [آية: ٩٦] فى الدنيا، ويعفو عن سيئاتهم، فلا يجزيهم بها أبدًا، نزلت فى امرىء القيس بن عباس الكندى، حين حكم عبدان بن أشرع الحضرمى فى أرضه وراده على حقه.

ثم قال تعالى: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾، يعنى مصدق بتوحيد الله عز وجل، ﴿فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗ﴾، يعنى حياة حسنة فى الدنيا، ﴿وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ﴾، يعنى جزاءهم فى الآخرة بأحسن ﴿مَا كَانُواْ﴾ بأحسن الذى كانوا ﴿يَعۡمَلُونَ﴾ [آية: ٩٧] فى الدنيا، ولهم مساوىء لا يجزيهم بها أبدًا.

﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ فى الصلاة، ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آية: ٩٨]، يعنى إبليس الملعون.

﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۢۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾

﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ﴾، يعنى ملك، ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فى علم الله فى الشرك، فيضلهم عن الهدى، ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [آية: ٩٩]، يقول: بالله يتقون.

﴿إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ﴾، يعنى ملكه، ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ﴾، يعنى يتبعونه على أمره، فيضلهم عن دينهم الإسلام، ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ﴾، يعنى بالله، ﴿مُشۡرِكُونَ﴾ [آية: ١٠٠]، كقوله سبحانه: ﴿**وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ**﴾ [إبراهيم: ٢٢] من ملك، يعنى إبليس على أمره.

قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ﴾، يعنى وإذا حولنا آية فيها شدة فنسخناها وجئنا مكانها بغيرها ألين منها، ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ من التبديل من غيره، ﴿قَالُوٓاْ﴾، قال كفار مكة للنبى ﷺ: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۢ﴾، يعنى متقول على الله الكذب من تلقاء نفسك، قلت كذا وكذا، ثم نقضته وجئت بغيره، ﴿بَلۡ

أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ١٠١] أن الله أنزله، فإنك لا تقول إلا ما قد قيل لك.

﴿قُلْ﴾ يا محمد لكفار مكة: هذا القرآن، ﴿نَزَّلَهُ﴾ على ﴿رُوحُ ٱلْقُدُسِ﴾، يعنى جبريل، عليه السلام، ﴿مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾، لم ينزله باطلاً، ﴿لِيُثَبِّتَ﴾، يعنى ليستيقن، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، يعنى صدقوا بما فى القرآن من الثواب، ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة، ﴿وَبُشْرَىٰ﴾ لما فيه من الرحمة، ﴿لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [آية: ١٠٢]، يعنى المخلصين بالتوحيد، وأنزل الله عز وجل: ﴿**يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ**﴾ من القرآن، ﴿**وَيُثْبِتُ**﴾، فينسخه ويثبت الناسخ، ﴿**وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾ [الرعد: ٣٩].

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾، وذلك أن غلامًا لعامر بن الحضرمى القرشى يهوديًا أعجميًا، كان يتكلم بالرومية يسمى يسار، ويكنى أبا فكيهة، كان كفار مكة إذا رأوا النبى ﷺ يحدثه، قالوا: إنما يعلمه يسار أبو فكيهة، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾، ثم أخبر عن كذبهم، فقال سبحانه: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ﴾(١)، يعنى يميلون، كقوله سبحانه: ﴿**وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ**﴾ [الحج: ٢٥]، يعنى يميل، ﴿أَعْجَمِىٌّ﴾ رومى، يعنى أبا فكيهة، ﴿وَهَٰذَا﴾ القرآن، ﴿لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [آية: ١٠٣]، يعنى بين يعقلونه، نظيرها فى حم السجدة قوله سبحانه: ﴿**وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلاَ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ**﴾ [فصلت: ٤٤]، لقالوا: محمد ﷺ عربى، والقرآن أعجمى، فذلك قوله سبحانه: ﴿**قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا**﴾ إلى آخر الآية.

فضربه سيده، فقال: إنك تعلم محمدًا ﷺ، فقال أبو فكيهة: بل هو يعلمنى، فأنزل الله عز وجل فى قولهم: ﴿**وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ**﴾ [الشعراء: ١٩٢، ١٩٣]؛ لقولهم: إنما يعلم محمدًا ﷺ يسار أبو فكيهة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾
إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ
﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ
وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ

---

(١) انظر: (مختصر شواذ القراءات ٧٤، الكشاف ٢/٤٢٩، البحر المحيط ٥/٥٣٦، مجمع البيان ٦/٣٨٥، العكبرى ٢/٤٧، النحاس ٢/٢٢٤).

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي
ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٠٧ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ
وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٠٨ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ
ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٠٩ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ
جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١٠﴾

ثم قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾، يعنى لا يصدقون بالقرآن أنه جاء من الله عز وجل، ويزعمون أن محمدًا ﷺ يتعلم من أبى فكيهة، ﴿لَا يَهۡدِيهِمُ ٱللَّهُ﴾ لدينه، ﴿وَلَهُمۡ﴾ فى الآخرة، ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آية: ١٠٤]، يعنى وجيع.

ثم رجع إلى قول المشركين حين قالوا للنبى ﷺ: إنما أنت مفتر تقول هذا القرآن من تلقاء نفسك، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفۡتَرِي﴾، يعنى يتقول ﴿ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ﴾، يعنى لا يصدقون بالقرآن أنه جاء من الله عز وجل، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ﴾ [آية: ١٠٥] فى قولهم للنبى ﷺ إنه مفتر.

﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ﴾، نزلت فى عبد الله بن سعد بن أبى سرح القرشى، ومقيس بن ضبابة الليثى، وعبد الله بن أنس بن حنظل، من بنى تميم بن مرة، وطعمة بن أبيرق الأنصارى، من بنى ظفر بن الحارث، وقيس بن الوليد بن المغيرة المخزومى، وقيس بن الفاكه بن المغيرة المخزومى، قتلا ببدر، ثم استثنى، فقال: ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ﴾ على الكفر، ﴿وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ﴾، يعنى راض، ﴿بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾، كقوله عز وجل: ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ﴾ [الحج: ١١]، نزلت فى جبر غلام عامر بن الحضرمى، كان يهوديًا فأسلم حين سمع أمر يوسف وإخوته، فضربه سيده حتى يرجع إلى اليهودية، ثم قال عز وجل: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ﴾ من وسع، ﴿بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا﴾ إلى أربع آيات، يعنى عبد الله بن سعد بن أبى سرح، وهؤلاء المسلمين، ﴿فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [آية: ١٠٦] فى الآخرة.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الغضب والعذاب، ﴿بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ﴾، يعنى اختاروا، ﴿ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾ الفانية ﴿عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ الباقية، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي﴾ إلى دينه، ﴿ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آية: ١٠٧].

ثم أخبر عنهم، فقال سبحانه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ﴾، يعنى ختم الله، ﴿عَلَىٰ

قُلُوبِهِمْ﴾ بالكفر، ﴿وَ﴾ على ﴿وَسَمْعِهِمْ وَ﴾ على ﴿وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾، فهم لا يسمعون الهدى ولا يبصرونه، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [آية: ١٠٨] عن الآخرة.

﴿لَا جَرَمَ﴾، قسمًا حقًا، ﴿أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [آية: ١٠٩].

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ من مكة إلى النبى ﷺ بالمدينة، ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ﴾، يعنى من بعد ما عذبوا على الإيمان بمكة، ﴿ثُمَّ جَٰهَدُواْ﴾ مع النبى ﷺ، ﴿وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا﴾، يعنى من بعد الفتنة، ﴿لَغَفُورٌ﴾ لما سلف من ذنوبهم، ﴿رَّحِيمٌ﴾ [آية: ١١٠] بهم فيها، نزلت فى عياش بن أبى ربيعة المخزومى، وأبى جندل بن سهيل بن عمرو القرشى، من بنى عامر بن لؤى، وسلمة بن هشام بن المغيرة، والوليد بن المغيرة المخزومى، وعبد الله بن أسيد الثقفى.

﴿يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١١١) وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ (١١٢) وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ (١١٣) فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١١٤)﴾

﴿يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ﴾، يعنى تخاصم ﴿عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ﴾، يعنى وتوفر، ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾، بر وفاجر، ﴿مَّا عَمِلَتْ﴾ فى الدنيا من خير أو شر، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آية: ١١١] فى أعمالهم، ولا تسأل الرجعة كل نفس فى القرآن، إلا كافرة.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾، يعنى وصف الله شبهًا، ﴿قَرْيَةً﴾، يعنى مكة، ﴿كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾، أهلها من القتل والسبى، ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾، يعنى ما شاءوا، ﴿مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾، يعنى من كل النواحى، من اليمن، والشام، والحبش، ثم بعث فيهم محمد ﷺ رسولاً يدعوهم إلى معرفة رب هذه النعم وتوحيده جل ثناؤه، فإنه من لم يوحده لا يعرفه، ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ حين لم يوحدوه، وقد جعل الله لهم الرزق والأمن فى الجاهلية، نظيرها فى القصص والعنكبوت قوله سبحانه: ﴿**يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ**

كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [القصص: ٥٧]، وقوله عز وجل فى العنكبوت: ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ** ﴾ [العنكبوت: ٦٧]، ﴿ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ ﴾ فى الإسلام ما كان دفع عنها فى الجاهلية، ﴿ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ ﴾ سبع سنين، ﴿ وَٱلْخَوْفِ ﴾، يعنى القتل، ﴿ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ [آية: ١١٢]، يعنى بما كانوا يعملون من الكفر والتكذيب.

﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ ﴾، يعنى محمدًا ﷺ، ﴿ مِّنْهُمْ ﴾، يعرفونه ولا ينكرونه، ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ﴾، يعنى الجوع سبع سنين، ﴿ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [آية: ١١٣].

﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ يا معشر المسلمين ما حرمت قريش، وثقيف، وخزاعة، وبنو مدلج، وعامر بن صعصعة، والحارث، وعامر بن عبد مناة، للآلهة من الحرث والأنعام، ﴿ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ﴾ فيما رزقكم من تحليل الحرث والأنعام، ﴿ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [آية: ١١٤]، ولا تحرموا ما أحل الله لكم من الحرث والأنعام.

﴿ **إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** (١١٥) **وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ** (١١٦) **مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** (١١٧) **وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** (١١٨) **ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ** (١١٩) ﴾

ثم بين ما حرم، قال عز وجل: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ ﴾، يعنى وما ذبح ﴿ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾ من الآلهة، ﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ ﴾ إلى شىء مما حرم الله عز وجل فى هذه الآية، ﴿ غَيْرَ بَاغٍ ﴾ يستحلها فى دينه، ﴿ وَلَا عَادٍ ﴾، يعنى ولا معتد لم يضطر إليه فأكله، ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ ﴾ لما أصاب من الحرام، ﴿ رَّحِيمٌ ﴾ [آية: ١١٥] بهم حين أحل لهم عند الاضطرار.

ثم عاب من حرم ما أحل الله عز وجل، فقال سبحانه: ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ ﴾،

يعنى لما تقول، ﴿أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾، يعنى ما حرموا للآلهة من الحرث والأنعام، وما أحلوا منها، ﴿لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾، يعنى يزعمون أن الله عز وجل أمرهم بتحريم الحرث والأنعام، ثم خوفهم، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ بأنه أمر بتحريمه، ﴿لَا يُفْلِحُونَ﴾(١) [آية: ١١٦] فى الآخرة، يعنى لا يفوزون.

ثم استأنف، فقال سبحانه: ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾، يتمتعون فى الدنيا، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آية: ١١٧]، يقول: فى الآخرة يصيرون إلى عذاب وجيع.

ثم بين ما حرم على اليهود، فقال سبحانه: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ فى سورة الأنعام، قبل سورة النحل، قال سبحانه: ﴿**وَعَلَى الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا**﴾، يعنى المبعر، ﴿**أَوْ مَا اخْتَلَطَ**﴾ من الشحم، ﴿**بِعَظْمٍ**﴾ [الأنعام: ١٤٦]، فهو لهم حلال من قبل سورة النحل، ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾ بتحريمنا عليهم الشحوم واللحوم وكل ذى ظفر، ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آية: ١١٨] بقتلهم الأنبياء، واستحلال الربا والأموال، وبصدهم الناس عن دين الله عز وجل.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾، نزلت فى جبر غلام ابن الحضرمى، أكره على الكفر بعد إسلامه، وقلبه مطمئن بالإيمان، يقول: راض بالإيمان، فعمد النبى ﷺ فاشتراه وحل وثاقه، وتاب من الكفر وزوجه مولاة لبنى عبد الدار، فأنزل الله عز وجل فيه: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾، فكل ذنب من المؤمن فهو جهل منه، ﴿ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ السوء، ﴿وَأَصْلَحُوٓاْ﴾ العمل، ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ﴾، يعنى من بعد الفتنة لغفور لما سلف من ذنوبهم، ﴿رَّحِيمٌ﴾ [آية: ١١٩] بهم فيما بقى.

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾﴾

---

(١) انظر: (القرطبى ١٠/١٩٦، مختصر شواذ القراءات ٧٣، الإتحاف ٢٨١، الأخفش ٢/٣٨٦ الطبرى ١٤/١٢٧، البحر المحيط ٥/٥٤٥ القرطبى ١٠/١٩٦، الكشاف ٢/٤٣٣ مجمع البيان ٦/٣٨٩، العكبرى ٢/٤٨).

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾، يعنى معلمًا، يعنى إمامًا يقتدى به فى الخير، ﴿قَانِتًا﴾ مطيعًا ﴿لِّلَّهِ حَنِيفًا﴾، يعنى مخلصًا، ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آية: ١٢٠] يهوديًا ولا نصرانيًا.

﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾، يعنى لأنعم الله عز وجل، ﴿ٱجْتَبَٰهُ﴾، يعنى استخلصه للرسالة والنبوة، ﴿وَهَدَٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آية: ١٢١]، يعنى إلى دين مستقيم، وهو الإسلام.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾، يقول: وأعطينا إبراهيم فى الدنيا مقالة حسنة بمضيته وصبره على رضا ربه عز وجل، حين ألقى فى النار، وكسر الأصنام، وأراد ضبح ابنه إسحاق، والثناء الحسن من أهل الأديان كلها يتولونه جميعًا، ولا يتبرأ منه أحد منهم، ﴿وَإِنَّهُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آية: ١٢٢].

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾﴾

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ يا محمد، ﴿أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾، يعنى الإسلام حنيفًا، يعنى مخلصًا، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آية: ١٢٣].

﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾، يوم السبت، وذلك أن موسى، عليه السلام، أمر بنى إسرائيل أن يتفرغوا كل سبعة أيام للعبادة، يعنى يوم الجمعة، وأن يتركوا فيه عمل دنياهم، فقالوا لموسى، عليه السلام: نتفرغ يوم السبت، فإن الله تعالى لم يخلق يوم السبت شيئًا، فاجعل لنا السبت عيدًا نتعبد فيه، فقال موسى، عليه السلام: إنما أمرت بيوم الجمعة، فقال أحبارهم: انظروا إلى ما يأمركم به نبيكم، فانتهوا إليه وخذوا به، فأبوا إلا يوم السبت، فلما رأى موسى، عليه السلام، حرصهم على يوم السبت، واجتماعهم عليه، أمرهم به، فاستحلوا فيه المعاصى، فذلك قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾، يقول: إنما أمر بالسبت على الذين كان اختلافهم فيه حين قال بعضهم: يوم السبت، وقال بعضهم: اتبعوا أمر نبيكم فى الجمعة، ثم قال سبحانه: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ﴾، يعنى ليقضى، ﴿بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ﴾، يعنى فى يوم السبت، ﴿يَخْتَلِفُونَ﴾ [آية: ١٢٤].

﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾

ثم إن الله عز وجل قال للنبى ﷺ: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾، يعنى دين ربك، وهو الإسلام، ﴿بِٱلۡحِكۡمَةِ﴾، يعنى بالقرآن، ﴿وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾، يعنى بما فيه من الأمر والنهى، ﴿وَجَٰدِلۡهُم﴾، يعنى أهل الكتاب، ﴿بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾، بما فى القرآن من الأمر والنهى، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ﴾، يعنى دينه الإسلام، ﴿وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [آية: ١٢٥]، يعنى بمن قدر الله له الهدى من غيره.

﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ﴾[1]، وذلك أن كفار مكة قتلوا يوم أُحُد طائفة من المؤمنين، ومثلوا بهم، منهم حمزة بن عبد المطلب، عم رسول الله ﷺ، بقروا بطنه، وقطعوا مذاكيره وأدخلوها فى فيه، وحنظلة بن أبى عامر غسيل الملائكة، فحلف المسلمون للنبى ﷺ: لئن دالنا الله عز وجل منهم، لنمثلن بهم أحياء، فأنزل الله عز وجل: ﴿فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ﴾، يقول: مثلواهم بموتاكم، لا تمثلوا بالأحياء منهم، ﴿وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ﴾ عن المثلة، ﴿لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ [آية: ١٢٦] من المثلة، نزلت فى الأنصار.

﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾

ثم قال للنبى ﷺ، وكانوا مثلوا بعمه حمزة بن عبد المطلب، عليه السلام: ﴿وَٱصۡبِرۡ﴾ على المثلة البتة، ﴿وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚوَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾، يقول: أنا ألهمك حتى تصبر، فقال النبى ﷺ للأنصار: «إنى قد أمرت بالصبر البتة، أفتصبرون؟»، قالوا: يا رسول الله، أما إذا صبرت وأمرت بالصبر، فإنا نصبر، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ إن تولوا عنك، فلم يجيبوك إلى الإيمان، ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ﴾ [آية: ١٢٧]، يقول: لا يضيقن صدرك مما يمكرون، يعنى مما يقولون، يعنى كفار مكة، حين قالوا للنبى ﷺ، أيام الموسم: هذا دأبنا ودأبك، وهم الخراصون، وهم المستهزءون، فضاق صدر النبى ﷺ بما قالوا.

---

(١) انظر: (الكشاف ٢/٤٣٥، البحر المحيط ٥/٥٤٩، العكبرى ٢/٤٨).

يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ الشرك في العون والنصر لهم، ﴿وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾ [آية: ١٢٨]، يعني في إيمانهم.

* * *

سُورَةُ الإِسْرَاءِ

سورة بنى إسرائيل، مكية كلها، إلا هذه الآيات، فإنهن مدنيات

وهى قوله تعالى: ﴿**وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ**...﴾ [آية: ٨٠] الآية.

وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ**...﴾ إلى قوله: ﴿...**خُشُوعًا**﴾ [آية: ١٠٧ - ١٠٩].

وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ**...﴾ [آية: ٦٠] الآية.

وقوله تعالى: ﴿**وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ**...﴾ [آية: ٧٣] الآية.

وقوله تعالى: ﴿**وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ**...﴾ [آية: ٧٤، ٧٥] الآيتين.

وقوله تعالى: ﴿**وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ**...﴾ [آية: ٧٦] الآية.

عددها مائة وإحدى عشرة آية كوفية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾

﴿سُبْحَٰنَ﴾، يعنى عجب، ﴿ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾، فى رجب، يعنى النبى ﷺ، ﴿لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾، يعنى بيت المقدس، قبل الهجرة بسنة، وفرضت عليه الصلوات الخمس تلك الليلة، وعرضت على النبى ﷺ ثلاثة أنهار: نهر من لبن، ونهر من عسل، ونهر من خمر، فلم يشرب النبى ﷺ الخمر، فقال جبريل: أما إن الله حرمها على أمتك، ﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾، يعنى بالبركة الماء، والشجر، والخير، ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾، فكان مما رأى من الآيات البراق، والرجال، والملائكة، وصلى بالنبيين تلك، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [آية: ١].

وذلك أن النبى ﷺ أصبح بمكة ليلة أسرى به من مكة، فقال لأم هانىء ابنة أبى طالب، وزوجها هبيرة بن أبى وهب المخزومى: «لقد رأيت الليلة عجبًا»، قالت: وما ذلك بأبى أنت وأمى؟ قال: «لقد صليت فى مصلاى هذا صلاة العشاء، وصلاة الفجر،

وصليت فيما بينهما فى بيت المقدس»، فقالت: وكيف فعلت؟ قال: «أتانى جبريل، عليه السلام، وقد أخذت مضجعى من الفراش قبل أن أنام، وأخذ بيدى وأخرجنى من الباب، وميكائيل، عليه السلام، بالباب ومعه دابة، فوق الحمار ودون البغل، ووجهها كوجه الإنسان، وخدها كخد الفرس، وعرفها كعرف الفرس، بلقاء، سيلاء، مضطربة الخلق، لها جناحان، ذنبها كذنب البقر، وحافرها كأظلاف البقر، خطوها عند منتهى بصرها، كان سليمان بن داود، عليه السلام، يغدو عليها مسيرة شهر، فحملانى عليها، ثم أخذا يزفان بى حتى أتيت بيت المقدس، ومثل لى النبيون، فصليت بهم، ورأيت ورأيت».

فلما أراد النبى ﷺ أن يقوم فيخرج، أخذت أم هانىء بحبرته، قالت: أين تخرج؟ قال: «أخرج إلى قريش، فأخبرهم بالذى رأيت»، فقالت: لا تفعل، فوالله ليجترأن عليك المكذب، وليمترين فيك المصدق، قال: «وإن كذبونى لأخرجن»، ونزع يدها من حبرته، فخرج إلى المسجد، فإذا فيه شيوخ من شيوخ قريش جلوس فى الحجر، فقام عليهم، فقال: «ألا أحدثكم بالعجب؟»، قالوا: أخبرنا، فإن أمرك كله عجب، قال: «لقد صليت فى هذا الوادى صلاة العشاء، وصلاة الفجر، وصليت فيما بينهما ببيت المقدس، ومثل لى النبيون، فصليت بهم وكلمت بعضهم»، فصدقه المؤمنون، وكذبه المشركون.

فقال المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف: ما ثكلتنى يدى على هذا الكذاب ألا لن أكون ذلك اليوم جزعًا، فآخذك بيدى أخذًا، تخبرنا أنك صليت ببيت المقدس، ورجعتك من ليلتك، ونحن لا نبلغه إلا فى أربعين ليلة بعد شق الأنفس، أشهد أنك كذاب ساحر، فبينما هم كذلك، إذ جاء أبو بكر الصديق، رضوان الله عليه، فقالت قريش: يا أبا بكر، ألا تسمع ما يقول صاحبك، يزعم أنه صلى العشاء الآخرة والفجر بمكة، وصلى فيما بينهما ببيت المقدس، قال أبو بكر الصديق، رضى الله عنه: إن كان قال ذلك، فقد صدق.

وقال أبو بكر، رضى الله عنه، للنبى ﷺ: بأبى أنت وأمى، حدثنى عن باب بيت المقدس، وعن البيت، وعن سواريه، وعن الصخرة، وعن هذا كله، فأخبره النبى ﷺ، فالتزمه أبو بكر، فقال: أشهد أنك صادق، فسمى يومئذ الصديق، اسمه: عتيق بن عثمان ابن عمرو بن كعب بن سعد بن مرة، فقال المسلمون: يا رسول الله، كيف رأيت الأنبياء، عليهم السلام؟ قال: «رأيت عيسى ابن مريم ﷺ رجلاً أبيض، فوق الربعة، ودون الطويل، ظاهر الدم، عريض الصدر، جعد الرأس، يعلوه صهوبة، أشبه الناس بعروة بن معتب الثقفى».

«ورأيت موسى، عليه السلام، رجلاً طويلاً، آدم شديد الأدمة، ضرب اللحم، سبط الشعر أشعر كأنه من رجال أزد شنوءة، لو لبس قميصين لرؤى شعره منهما، ورأيت إبراهيم، عليه السلام، أشبه الناس بى خَلقًا وخُلقًا، فبدأنى بالسلام والمصافحة والترحم، ورأيت الدجال، رجلاً جسيمًا، لحيمًا، آدم، جعد الرأس، كث اللحية، ممسوح العين، أحلى الجبهة براق الثنايا، مكتوب بين عينيه كافر، شبيه بفطن بن عبد العزى».

«ورأيت عمرو بن ربيعة بن يحيى بن قمعة بن خندف الخزاعى، والحارث بن كعب ابن عمرو، وعليهما وفرة يجران قصبهما فى النار»، يعنى أمعاءهما، قيل للنبى ﷺ: ولم؟ قال: «لأنهما أول من سيبا السائبة، واتخذا البحيرة والوصيلة والحام، وأول من سميا اللات والعزى، وأمرا بعبادتهما، وغيرا دين الحنيفية ملة إبراهيم، عليه السلام، ونصبا الأوثان حول الكعبة، فأما عمرو بن ربيعة، فهو رجل قصير، أشبه الناس به هذا، يعنى أكثم بن الجون الخزاعى»، فقال أكثم: يا رسول الله، أيضرنى شبهه؟ قال: «لا، أنت مؤمن وهو كافر».

فقال رجل من كفار قريش للمطعم بن عدى: عجلت على ابن أخيك، ثم قال كهيئة المستهزئ: رويدك يا محمد حتى نسألك عن عيرنا، هل رأيتها فى الطريق؟ قال: «نعم»، قال: فأين رأيتها؟ قال: «رأيت عير بنى فلان بالروحاء نزولاً، قد ضلت لهم ناقة، وهم فى طلبها، فمررت على رحالهم وليس بها أحد منهم، فوجدت فى إناء لهم ماء، فشربت منه وتوضأت، فاسألوهم إذا أتوكم، هل كان ذلك؟»، قالوا: هذه آية.

قال: «ومررت على عير بنى فلان، فى وادى كذا وكذا، فى ساعة كذا وكذا من الليل، ومعى جبريل وميكائيل، عليهما السلام، فنفرت منا إبلهم، فوقعت ناقة حمراء فانكسرت، فهم يجبرونها، فاسألوهم إذا أتوكم، هل كان ذلك؟»، قالوا: نعم، هذه آية، قال رجل منهم: فأين تركت عيرنا؟ قال: «تركتها بالتنعيم قبيل»، قال: فإن كنت صادقًا، فهى قادمة الأن، قال: «نعم»، قال: فأخبرنا بعدتها وأحمالها وما فيها، قال: «كنت عن ذلك مشغولاً، غير أن برنسًا كان لهم على البعير الذى يقدم الركب، فسقط البرنس، فرجع حبشى من القوم فأصابه، فوضعه على آخر الركب، فاسألوهم إذا أتوكم هل كان ذلك».

فبينا هو ﷺ يحدثهم، إذ مثل الله عز وجل له كل شىء حتى نظر إلى عدتها وأحمالها ومن فيها، فقال النبى ﷺ: «أين السائل آنفًا عن إبله، فإن عدتها وأحمالها ومن فيها كذا

وكذا، ويقدمها جمل أورق، وهى قادمة الآن»، فانطلقوا يسعون، فإذا هى منحدرة من عتبة التنعيم، وإذا هى وأحمالها وعدتها وما فيها كما قال النبى ﷺ، فقال المشركون: لقد صدق الوليد بن المغيرة، إن هذا لساحر مبين، وما يجرى محمد ﷺ وهو بين أظهرنا متى تقدم عيرنا، وما حالها وأحمالها ومن فيها، فكفوا بعض الأذى سنة.

﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾

ثم قال سبحانه: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾، يقول: أعطينا موسى التوراة، ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى﴾، يعنى التوراة هدى، ﴿لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ من الضلالة، ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا﴾ [آية: ٢]، يعنى وليًا، فيها تقديم.

يا ﴿ذُرِّيَّةَ﴾ آدم، ﴿مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ فى السفينة، ألا تتخذوا من دونى وكيلاً، يعنى الأهل، يعنى وليًا، ثم أثنى على نوح بن لملك النبى ﷺ، فقال سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [آية: ٣]، فكان من شكره أنه كان يذكر الله عز وجل حين يأكل ويشرب، ويحمد الله تعالى حين يفرغ، ويذكر الله سبحانه حين يقوم ويقعد، ويذكر الله جل ثناؤه حين يستجد الثوب الجديد، وحين يخلق، ويذكر الله عز وجل حين يدخل ويخرج، وينام ويستيقظ، ويذكر الله جل ثناؤه بكل خطوة يخطوها، وبكل عمل يعمله، فسماه الله عز وجل عبدًا شكورًا.

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾

ثم قال سبحانه: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾، يقول: وعهدنا إليهم فى التوراة، ﴿لَتُفْسِدُنَّ﴾، لتهلكن ﴿فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾، فكان بين الهلاكين مائتا سنة وعشر سنين، ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [1] [آية: ٤]، يقول: ولتقهرن قهرًا شديدًا حتى

(١) انظر: (القرطبى ١٠/٢١٤. الكشاف ٢/٤٣٨، البحر المحيط ٦/٨، مجمع البيان ٦/٣٩٧، العكبرى ٢/٤٨، النحاس ٢/٢٣١).

تذلوا، وذلك بمعصيتهم الله عز وجل.

فذلك قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا﴾، يعني وقت أول الهلاكين، ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾(١)، بختنصر المجوسى ملك بابل وأصحابه، ﴿فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾(٢)، يعنى فقتل الناس فى الأزقة، وسبى ذراريهم، وخرب بيت المقدس، وألقى فيه الجيف، وحرق التوراة، ورجع بالسبى إلى بابل، فذلك قوله سبحانه: ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ [آية: ٥]، يعنى وعدًا كائنًا لابد منه، فكانوا ببابل سبعين سنة.

ثم إن الله عز وجل استنقذهم على يد كروس بن مزدك الفارس، فردهم إلى بيت المقدس، فذلك قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾، حتى كثروا، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ [آية: ٦]، يعنى أكثر رجالاً منكم قبل ذلك، فكانوا بها مائتى سنة وعشر سنين، فيهم أنبياء.

ثم قال سبحانه: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ﴾ العمل لله بعد هذه المرة، ﴿أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾، فلا تهلكوا، ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾، يعنى وإن عصيتم فعلى أنفسكم، فعادوا إلى المعاصى الثانية، فسلط الله عليهم أيضًا انطباخوس بن سيس الرومى ملك أرض نينوى، فذلك قوله عز وجل: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾، يعنى وقت آخر الهلاكين، ﴿لِيَسُـٔۥُاْ وُجُوهَكُمْ﴾(٣)، يعنى ليقبح وجوهكم، فقتلهم وسبى ذراريهم، وخرب بيت المقدس، وألقى فيه الجيف، وقتل علماءهم، وحرق التوراة، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ﴾، يعنى بيت المقدس، انطياخوس بن سيس ومن معه بيت المقدس، ﴿كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، يقول: كما دخله بختنصر المجوسى وأصحابه قبل ذلك، قال سبحانه: ﴿وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا﴾ [آية: ٧]، يقول عز وجل: وليدمروا ما علوا، يقول: ما ظهروا عليه تدميرًا، كقوله سبحانه فى الفرقان: ﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٩]، يعنى وكلا دمرنا تدميرًا.

ثم قال: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾، فلا يسلط عليكم القتل والسبى، ثم إن الله عز

(١) انظر: (الكشاف ٤٣٨/٢، مجمع البيان ٣٩٧/٦، البحر المحيط ٩/٦، الإتحاف ٢٨١، العكبرى ٤٨/٢، الآلوسى ١٧/١٦).

(٢) وقراءة ابن عباس، وطلحة. انظر: (الكشاف ٤٣٨/٢، القرطبى ٣١٦/١٠، العكبرى ٤٨/٢، مجمع البيان ٣٩٧/٦).

(٣) انظر: (القرطبى ٢٢٣/١٠، البحر المحيط ١١/٦، الفراء ١١٧/٢، الكشاف ٤٣٩/٢).

وجل استنقذهم على يدى المقياس، فردهم إلى بيت المقدس فعمروه، ورد الله عز وجل إليهم ألفتهم، وبعث فيهم أنبياء، ثم قال لهم: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾، يقول: وإن عدتم إلى المعاصى عدنا عليكم بأشد مما أصابكم، يعنى من القتل والسبى، فعادوا إلى الكفر، وقتلوا يحيى بن زكريا، فسلط الله عليهم ططس بن استاتوس الرومى، ويقال: اصطفابوس، فقتل على دم يحيى بن زكريا مائة ألف وثمانين ألفًا من اليهود، فهم الذين قتلوا الرقيب على عيسى الذى كان شبه لهم، وسبى ذراريهم، وأحرق التوراة، وخرب بيت المقدس، وألقى فيه الجيف، وذبح فيه الخنازير، فلم يزل خرابًا حتى جاء الإسلام، فعمره المسلمون، ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ [آية: ٨]، يعنى محبسًا لا يخرجون منها أبدًا، كقوله عز وجل: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا﴾ [البقرة: ٢٧٣]، يعنى حبسوا فى سبيل الله.

﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٠ وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ۖ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ۝١١ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ۝١٢﴾

﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي﴾، يعنى يدعو، ﴿لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾، يعنى أصوب، ﴿وَيُبَشِّرُ﴾ القرآن، ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾، يعنى المصدقين، ﴿الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ﴾ من الأعمال بما فيه من الثواب، فذلك قوله سبحانه: ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [آية: ٩]، يعنى جزاء عظيمًا فى الآخرة.

﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾، يعنى بالبعث الذى فيه جزاء الأعمال، ﴿أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [آية: ١٠]، يعنى عذابًا وجيعًا.

﴿وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ﴾ على نفسه، يعنى النضر بن الحارث، حين قال: ﴿**ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ [الأنفال: ٣٢]، ﴿دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ﴾، كدعائه بالخير لنفسه، ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا﴾ [آية: ١١]، يعنى آدم، عليه السلام، حين نفخ فيه الروح من قبل رأسه، فلما بلغت الروح وسطه عجل، فأراد أن يجلس قبل أن تتم الروح وتبلغ إلى قدميه، فقال الله عز وجل: ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا﴾، وكذلك النضر يستعجل بالدعاء على نفسه كعجلة آدم، عليه السلام، فى خلق نفسه، إذا أراد أن يجلس قبل أن يتم دخول الروح فيه، فتبلغ

الروح إلى قدميه، فعجلة الناس كلهم ورثوها عن أبيهم آدم، عليه السلام، فذلك قوله سبحانه: ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا﴾.

﴿وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِۖ﴾، يعنى علامتين مضيئتين، فكان ضوء القمر مثل ضوء الشمس، فلم يعرف الليل من النهار، يقول الله تعالى: ﴿فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ﴾، يعنى علامة القمر، فالمحو السواد الذى فى وسط القمر، فمحى من القمر تسعة وستين جزءًا، واحد من سبعين جزءًا من الشمس، فعرف الليل من النهار، ﴿وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ﴾، يعنى علامة ﴿ٱلنَّهَارِ﴾، وهى الشمس، ﴿مُبۡصِرَةٗ﴾، يعنى أقررنا ضوءها فيها، ﴿لِّتَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ﴾، يعنى رزقًا، ﴿وَلِتَعۡلَمُواْ﴾ بها ﴿عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ وَكُلَّ شَيۡءٖ فَصَّلۡنَٰهُ تَفۡصِيلٗا﴾ [آية: ١٢]، يعنى بيناه تبيانًا.

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴿١٥﴾﴾

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ﴾، يعنى عمله الذى عمل، خيرًا كان أو شرًا، فهو ﴿فِي عُنُقِهِۦۖ﴾ لا يفارقه حتى يحاسب عليه، ﴿وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [آية: ١٣]، وذلك أن ابن آدم إذا ما طويت صحيفته التى فيها عمله، فإذا كان يوم القيامة، نشر كتابه، فدفع إليه منشورًا.

ثم يقال له: ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا﴾ [آية: ١٤]، يعنى شهيدًا، فلا شاهد عليك أفضل من نفسك، وذلك حين قالوا: ﴿وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، ختم الله على ألسنتهم، ثم أمر الجوارح، فشهدت عليه بشركه وتكذيبه، وذلك قوله سبحانه: ﴿كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا﴾، وذلك قوله عز وجل: ﴿بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ [القيامة: ١٤]، يعنى جوارحهم حين شهدت عليهم أنفسهم، وألسنتهم، وأيديهم، وأرجلهم.

﴿مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ﴾ الخير، ﴿وَمَن ضَلَّ﴾ عن الهدى، ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ﴾، أى على نفسه، يقول: فعلى نفسه إثم ضلالته، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ﴾، يقول: لا تحمل نفس خطيئة نفس أخرى، ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾ فى الدنيا أحدًا، ﴿حَتَّىٰ

نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [آية: ١٥] لينذرهم بالعذاب فى الدنيا بأنه نازل بهم، كقوله سبحانه: ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا ﴾ فى الدنيا ﴿ مِن قَرْيَةٍ إِلاَّ لَهَا مُنذِرُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٠٨].

﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ﴾

﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً ﴾ بالعذاب فى الدنيا، ﴿ أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴾، يقوله: أكثرنا جبابرتها فبطروا فى المعيشة، ﴿ فَفَسَقُوا۟ فِيهَا ﴾، يقول: فعصوا فى القرية، ﴿ فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ ﴾، يعنى فوجب عليهم الذى سبق لهم فى علم الله عز وجل، ﴿ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ [آية: ١٦]، يقول: فأهلكناها بالعذاب هلاكًا.

يخوف كفار مكة بمثل عذاب الأمم الخالية، فقال سبحانه: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا ﴾ بالعذاب فى الدنيا، ﴿ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ ﴾، يقول: كفار مكة، ﴿ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ [آية: ١٧]، يقول الله عز وجل: فلا أحد أخبر بذنوب العباد من الله عز وجل، يعنى كفار مكة.

﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ﴾ فى الدنيا، ﴿ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا ﴾، يعنى فى الدنيا، ﴿ مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ﴾، من المال، ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ ﴾، يقول: ثم نصيره إلى جهنم، ﴿ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا ﴾، عند الله، ﴿ مَّدْحُورًا ﴾ [آية: ١٨]، يعنى مطرودًا فى النار، نزلت فى ثلاثة نفر من ثقيف، فى: فرقد بن يمامة، وأبى فاطمة بن البحترى، وصفوان، وفلان، وفلان.

﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴾ من الأبرار بعمله الحسن، وهو مؤمن، يعنى بالدار الآخرة، ﴿ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا ﴾، يقول: عمل للآخرة عملها، ﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾، يعنى مصدق بتوحيد الله عز وجل، ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ [آية: ١٩]، فشكر الله عز وجل سعيهم، فجزاهم بعملهم الجنة، نزلت فى بلال المؤذن وغيره.

ثم قال سبحانه: ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ ﴾ البر والفاجر، يعنى هؤلاء النفر من

المسلمين، وهؤلاء النفر من ثقيف، ﴿مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ﴾، يعنى رزق ربك، ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ﴾، يعنى رزق ربك، ﴿مَحْظُورًا﴾ [آية: ٢٠]، يعنى ممسكًا، يعنى ممنوعًا.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾، يعنى الفجار، يعنى من كفار ثقيف على بعض فى الرزق فى الدنيا، يعنى الأبرار بلال بن رباح ومن معه، ﴿وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ﴾ فى الآخرة، يعنى أعظم فضائل، ﴿وَأَكْبَرُ﴾، يعنى وأعظم ﴿تَفْضِيلًا﴾ [آية: ٢١] من فضائل الدنيا، فلما صار هؤلاء إلى الآخرة، أعطى هؤلاء المؤمنون بلال ومن معه، أعطوا فى الآخرة فضلاً كبيرًا أكثر مما أعطى الفجار فى الدنيا، يعنى ثقيفًا.

﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾، يقول للنبى ﷺ: لا تضف مع الله إلهًا، وذلك حين دعى النبى ﷺ إلى ملة آبائه، ﴿فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا﴾، ملومًا تلام عند الناس، ﴿مَّخْذُولًا﴾ [آية: ٢٢] فى عذاب الله تعالى.

﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، عن الهذيل، عن مقاتل، عن الضحاك، عن ابن مسعود، أنه كان فى المصحف: ووصى ربك، فالتزق الواو بالصاد، فقال: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾، يعنى وعهد ربك، ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾، يعنى ألا توحدوا غيره، ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ برًا بهما، ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ﴾، يعنى أبويه، يعنى سعد بن أبى وقاص، ﴿أَحَدُهُمَآ﴾، يعنى أحد الأبوين، ﴿أَوْ كِلَاهُمَا﴾، فبرهما، ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ (١)، يعنى الكلام الردىء، أن تقول: اللهم أرحنى منهما، أو تغلظ عليهما فى القول عند كبرهما، ومعالجتك إياهما وعند مبط القذر عنهما، ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ عند المعالجة، يعنى تغلظ لهما القول، ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [آية: ٢٣]، يعنى حسنًا لينًا.

﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ (٢)، يقول: تلين جناحك لهما رحمة بهما،

---

(١) انظر: (الكشاف ٢/٤٤٤، مجمع البيان ٦/٤٠٨، البحر المحيط ٦/٢٧، الطبرى ١٥/٤٨).

(٢) انظر: (القرطبى ١٠/٢٤٤، الكشاف ٢/٤٤٥، الفراء ٢/١٢٢، البحر المحيط ٦/٢٨، الطبرى ١٥/٤٩، التبيان ٦/٤٦٧، مجمع البيان ٦/٤٠٨).

﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا﴾ عندما تعالج منهما، ﴿كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [آية: ٢٤]، يعني كما عالجا ذلك مني صغيرًا، فالطف بهما، واعصهما في الشرك، فإنه ليس معصيتك إياهما في الشرك قطيعة لهما، ثم نسخت: ﴿رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾، ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى﴾ [التوبة: ١١٣].

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾﴾

ثم قال تعالى: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾، يقول: هو أعلم بما في نفوسكم منكم من البر للوالدين عند كبرهما، فذلك قوله تعالى: ﴿إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ﴾، يعني محتسبين مما تعالجون منهما أو لا تحتسبون، ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾ [آية: ٢٥]، يعني المتراجعين من الذنوب إلى طاعة الوالدين غفورًا.

﴿وَءَاتِ﴾، يعني فأعط، ﴿ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾، يعني صلته، ثم قال تعالى: ﴿وَٱلْمِسْكِينَ﴾، يعني السائل، فتصدق عليه، ﴿وَ﴾ حق ﴿وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ أن تحسن إليه، وهو الضيف نازل عليه، قوله سبحانه: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [آية: ٢٦]، يعني المنفقين في غير حق.

ثم قال: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ﴾، يعني المنفقين، يعني كفار مكة، في غير حق، ﴿كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ في المعاصي، ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾، يعني إبليس وحده، ﴿لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ [آية: ٢٧]، يعني عاص.

ثم رجع إلى المسكين وابن السبيل، فقال: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ﴾، نزلت في خباب، وبلال، ومهجع، وعمار، ونحوهم من الفقراء، كانوا يسألون النبي ﷺ، فلا يجد ما يعطيهم فيعرض عنهم فيسكت، ثم قال عز وجل: ﴿ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾، يعني انتظار رزق من ربك، ﴿تَرْجُوهَا﴾ من الله أن يأتيك، ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ [آية: ٢٨]، يقول: اردد عليهم معروفًا، يعني العدة الحسنة أنه سيكون فأعطيكم.

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾

ثم علمهم كيف يعمل فى النفقة، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾، يقول: ولا تمسك يدك من البخل عن النفقة فى الحق، ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا﴾، يعنى فى العطية، ﴿كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾، فلا تبقى عندك، فإن سئلت لم تجد ما تعطيهم كقوله: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا﴾ يلومك الناس، ﴿مَّحْسُورًا﴾ [آية: ٢٩]، يعنى منقطعًا بك، كقوله سبحانه فى تبارك الملك: ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: ٤]، يعنى منقطع به.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾، يعنى يوسع الرزق، ﴿لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾، يعنى ويقتر على من يشاء، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾، بأمر الرزق بالسعة والتقتير، ﴿بَصِيرًا﴾ [آية: ٣٠] به.

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ﴾، يعنى دفن البنات وهن أحياء، ﴿خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾، يعنى مخافة للفقر، ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا﴾[1]، يعنى إثمًا، ﴿كَبِيرًا﴾ [آية: ٣١].

قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً﴾، يعنى معصية، ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [آية: ٣٢]، يعنى المسلك، لم يكن يومئذ فى الزنا حد، حتى نزل الحد بالمدينة فى سورة النور.

﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ قتلها، يعنى باغيًا، ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ الذى يقتل فيقتل به، ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ﴾، يعنى ولى المقتول، ﴿سُلْطَٰنًا﴾، يعنى مسلطًا على القتلى إن شاء قبله، وإن شاء عفا عنه، وإن شاء أخذ الدية، ثم قال لولى

---

(١) انظر: (القرطبى ١٠/٢٥٣ الفراء ٢/١٢٣، الكشاف ٢/٤٤٨، الطبرى ١٥/٥٧، البحر المحيط ٦/٣٢، مجمع البيان ٦/٤١٢).

المقتول: ﴿فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ [1] [آية: ٣٣] من أمر الله عز وجل فى كتابه، جعل الأمر إليه، ولا تقتلن غير القاتل، فإن من قتل غير القاتل، فقد أسرف؛ لقوله سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾، إلا لتنمى ماله بالأرباح، نسختها: ﴿**إِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ**﴾ [البقرة: ٢٢٠]، ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾، يعنى ثمانى عشرة سنة، ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ﴾ فيما بينكم وبين الناس، ﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ﴾ إذا نقض، ﴿كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [آية: ٣٤]، يقول: الله سائلكم عنه فى الآخرة.

﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾

﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ﴾، يعنى بالميزان بلغة الروم، ﴿ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ﴾ الوفاء، ﴿خَيْرٌ﴾ من النقصان، ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [آية: ٣٥]، يعنى وخير عاقبة فى الآخرة.

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾، يقول: ولا ترم بالشرك، فإنه ليس لك به علم إن لى شريكًا، ثم حذرهم: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ﴾، يعنى القلب، ﴿كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [آية: ٣٦]، يعنى عن الشرك مسئولاً فى الآخرة.

﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾، يعنى بالعظمة، والخيلاء، والكبرياء، ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ﴾ إذا مشيت بالخيلاء والكبرياء، ﴿وَلَن تَبْلُغَ﴾ رأسك، ﴿ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ [آية: ٣٧] إذا تكبرت.

﴿كُلُّ ذَٰلِكَ﴾، يعنى كل ما أمر الله عز وجل به، ونهى عنه فى هؤلاء الآيات، ﴿كَانَ سَيِّئُهُۥ﴾، يعنى ترك ما أمر الله عز وجل به، ونهى عنه فى هؤلاء الآيات، أى وركوب ما نهى عنه، كان ﴿عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [آية: ٣٨].

---

(١) انظر: (البحر المحيط ٣٤/٦، العكبرى ٥٠/٢، الكشاف ٤٤٨/٢، النحاس ٢٤٠/٢).

﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ﴾، أي ذلك الذى أمر الله به ونهى عنه فى هؤلاء الآيات، ﴿مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ﴾ التى أوحاها إليك يا محمد، ثم قال للنبى ﷺ: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾، فإن فعلت، ﴿فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا﴾، تلوم نفسك يومئذ، ﴿مَّدۡحُورًا﴾ [آية: ٣٩]، يعنى مطرودًا فى النار، كقوله سبحانه: ﴿وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا﴾ [الصافات: ٨، ٩]، يعنى طردًا.

قل يا محمد لكفار مكة: ﴿أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم بِٱلۡبَنِينَ﴾، نزلت هذه الآية بعد قوله: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾ [الإسراء: ٤٢]، يعنى مشركى العرب حين قالوا: الملائكة بنات الرحمن، ﴿وَٱتَّخَذَ﴾ لنفسه ﴿مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ﴾، يعنى البنات، ﴿إِنَّكُمۡ لَتَقُولُونَ قَوۡلًا عَظِيمًا﴾ [آية: ٤٠] حين تقولون: إن الملائكة بنات الله عز وجل.

﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ﴿٤٢﴾ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ﴿٤٣﴾﴾

﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ فى أمور شتى، ﴿لِيَذَّكَّرُواْ﴾ فيعتبروا، ﴿وَمَا يَزِيدُهُمۡ﴾ القرآن، ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾ [آية: ٤١]، يعنى إلا تباعدًا عن الإيمان بالقرآن، كقوله تعالى: ﴿بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ [الملك: ٢١]، يعنى تباعدًا.

﴿قُل﴾ لكفار مكة: ﴿لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ﴾، حين يزعمون أن الملائكة بنات الرحمن، فيعبدونهم ليشفعوا لهم عند الله عز وجل فى الآخرة، ﴿إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا﴾ [آية: ٤٢]، ليغلبوه ويقهروه، كفعل ملوك الأرض بعضهم ببعض، يلتمس بعضهم أن يقهر صاحبه ويعلوه.

ثم قال: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ نزه نفسه تعالى عن قول البهتان، فقال: ﴿وَتَعَٰلَىٰ﴾، يعنى وارتفع، ﴿عَمَّا يَقُولُونَ﴾ من البهتان، ﴿عُلُوّٗا كَبِيرٗا﴾ [آية: ٤٣]، نظيرها فى المؤمنين.

﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا ﴿٤٥﴾﴾

ثم عظم نفسه جل جلاله، فقال سبحانه: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ﴾، يعنى تذكره، ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ

وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ﴾، يعنى وما من شىء، ﴿إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾، يقول: إلا يذكر الله بأمره، يعنى من نبت، إذا كان فى معدنه، ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الزمر: ٧٥]، كقوله سبحانه: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾ [الرعد: ١٣]، يعنى بأمره، من نبت، أو دابة، أو خلق، ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ﴾، يقول: ولكن لا تسمعون ذكرهم لله عز وجل، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا﴾ عنهم، يعنى عن شركهم، ﴿غَفُورًا﴾ [آية: ٤٤]، يعنى ذو تجاوز عن قولهم، لقوله: ﴿لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ﴾ كما يزعمون، ﴿إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَى ذِى الْعَرْشِ سَبِيلاً﴾، بأن الملائكة بنات الله، حين لا يعجل عليهم بالعقوبة، ﴿غَفُورًا﴾ فى تأخير العذاب عنهم إلى المدة، مثلها فى سورة الملائكة، قوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أن تَزُولاَ...﴾ [فاطر: ٤١] آخر الآية، ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا﴾، يعنى ذو تجاوز عن شركهم، ﴿غَفُورًا﴾ فى تأخير العذاب عنهم إلى المدة.

﴿وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ فى الصلاة أو غير الصلاة، ﴿جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾، يعنى لا يصدقون بالبعث الذى فيه جزاء الأعمال، ﴿حِجَابًا مَّسۡتُورًا﴾ [آية: ٤٥]، نزلت فى أبى لهب وامرأته، وأبى البحترى، وزمعة اسمه عمرو بن الأسود، وسهيل، وحويطب، كلهم من قريش، يعنى بالحجاب المستور.

﴿وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرًاۚ وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَسۡتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذۡ يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَ وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ إِذۡ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسۡحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوۡ خَلۡقًا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً﴾، يعنى الغطاء على القلوب، ﴿أَن يَفۡقَهُوهُ﴾، لئلا يفقهوا القرآن، ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرًا﴾، يعنى ثقلاً لئلا يسمعوا القرآن، ﴿وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ﴾، فقلت: لا إله إلا الله، ﴿وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورًا﴾ [آية: ٤٦]، يعنى أعرضوا عن التوحيد ونفروا عنه كراهية التوحيد، وذلك حين قال لهم النبى ﷺ يود

دخلوا على أبى طالب وهم الملأ، فقال: «قولوا: لا إله إلا الله، تملكون بها العرب وتدين لكم العجم.

﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَسۡتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذۡ يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَ﴾ يا محمد وأنت تقرأ القرآن، ﴿وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ﴾، فبين نجواهم فى سورة الأنبياء: ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، يعنى فيما بينهم، ﴿هَلْ هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٣]، فذلك قوله سبحانه: ﴿إِذۡ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، يعنى الوليد بن المغيرة وأصحابه، ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا﴾ [آية: ٤٧]، يعنى بالمسحور المغلوب على عقله، نظيرها فى الفرقان: ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا﴾ [الفرقان: ٨].

﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾، يعنى كيف وصفوا لك الأنبياء حين قالوا: إنك ساحر، ﴿فَضَلُّواْ﴾ عن الهدى، ﴿فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾، يعنى فلا يجدون، ﴿سَبِيلٗا﴾ [آية: ٤٨]، يعنى لا يقدرون على مخرج مما قالوا لك بأنك ساحر.

﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا﴾، يعنى ترابًا، ﴿أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ﴾ بعد الموت، ﴿خَلۡقٗا جَدِيدٗا﴾ [آية: ٤٩]، يعنى البعث.

و﴿قُلۡ﴾ لهم يا محمد: ﴿كُونُواْ حِجَارَةً﴾ فى القوة، ﴿أَوۡ حَدِيدًا﴾ [آية: ٥٠] فى الشدة، فسوف يميتكم ثم يبعثكم، ثم تحيون من الموت.

﴿أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ﴾، يعنى مما يعظم فى قلوبكم، قل لو كنتم أنتم الموت لأمتكم ثم بعثتكم فى الآخرة، ﴿فَسَيَقُولُونَ من يُعِيدُنَاۖ﴾، يعنى من يبعثنا أحياء من بعد الموت، ﴿قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ﴾، يعنى خلقكم أول مرة فى الدنيا و لم تكونوا شيئًا، فهو الذى يبعثكم فى الآخرة، ﴿فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ﴾، يعنى يهزون إليك، ﴿رُءُوسَهُمۡ﴾ استهزاء وتكذيبًا بالبعث، ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ﴾، يعنون البعث، ﴿قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ﴾ البعث ﴿قَرِيبٗا﴾ [آية: ٥١].

ثم أخبر عنهم، فقال سبحانه: ﴿يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ﴾ من قبوركم فى الآخرة، ﴿فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ﴾، يعنى تجيبون الداعى بأمره، ﴿وَتَظُنُّونَ﴾، يعنى وتحسبون ﴿إِن﴾، يعنى ما ﴿لَّبِثۡتُمۡ﴾ فى القبور، ﴿إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [آية: ٥٢]، وذلك أن إسرافيل قائم على صخرة بيت المقدس يدعو أهل القبور فى قرن، فيقول: أيتها اللحوم المتفرقة، وأيتها العروق المتقطعة، وأيتها الشعور المتفرقة، اخرجوا إلى فصل القضاء لتنفخ فيكم

أرواحكم، وتجازون بأعمالكم، فيخرجون، ويديم المنادى الصوت، فيخرجون من قبورهم، ويسمعون الصوت، فيسعون إليه، فذلك قوله سبحانه: ﴿**فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ**﴾ [يس: ٥٣].

﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾

﴿وَقُل لِّعِبَادِي﴾، يعنى عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، ﴿يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، ليرد خيرًا على من شتمه، وذلك أن رجلاً من كفار مكة شتمه، فهم به عمر، رضى الله، فأمره الله عز وجل بالصفح والمغفرة، نظيرها فى الجاثية: ﴿**قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا...**﴾ [الجاثية: ١٤] إلى آخر الآية، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾، يعنى يغرى بينهم، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [آية: ٥٣].

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ من غيره، ﴿إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ﴾، فيتوب عليكم، ﴿أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾، فيميتكم على الكفر، نظيرها فى الأحزاب: ﴿**لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ**﴾ [الأحزاب: ٧٣]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ [آية: ٥٤]، يعنى مسيطرًا عليهم.

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾، منهم من كلم الله، ومنهم من اتخذه الله خليلاً، ومنهم من سخر الله له الطير، والجبال، ومنهم من أعطى ملكًا عظيمًا، ومنهم من يحيى الموتى، ويبرئ الأكمه والأبرص، ومنهم من رفعه الله عز وجل إلى السماء، فكل واحد منهم فضل بأمر لم يعطه غيره، فهذا تفضيل بعضهم على بعض، ثم قال سبحانه: ﴿وَآتَيْنَا﴾، يعنى وأعطينا ﴿دَاوُودَ زَبُورًا﴾ [آية: ٥٥]، مائة وخمسين سورة، ليس فيها حكم، ولا حد، ولا فريضة، ولا حلال، ولا حرام، وإنما هو ثناء على الله عز وجل، وتمجيد وتحميد.

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ

مُهۡلِكُوهَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَوۡ مُعَذِّبُوهَا عَذَابٗا شَدِيدٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ﴿٥٨﴾ ﴾

﴿قُلِ﴾ لكفار مكة: ﴿ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم﴾ أنهم آلهة ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾، من دون الله، يعنى الملائكة، فليكشفوا الضر عنكم، يعنى الجوع سبع سنين إذا نزل بكم، ثم أخبر عن الملائكة الذين عبدوهم، فقال سبحانه: ﴿فَلَا يَمۡلِكُونَ﴾، يعنى لا يقدرون على ﴿كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ﴾، يعنى الجوع الذى أصابهم بمكة سبع سنين حتى أكلوا الميتة، والكلاب، والجيف، فيرفعونه عنكم، ﴿وَلَا تَحۡوِيلًا﴾ [آية: ٥٦]، يقول: ولا تقدر الملائكة على تحويل هذا الضر عنكم إلى غيره، فكيف تعبدونهم، مثلها فى سورة سبأ: ﴿**قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لاَ يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ**﴾ [سبأ: ٢٢]، يعنى أصغر النمل التى لا تكاد أن ترى من الصغر، وهى النملة الحمراء.

ثم قال يعظهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾، يقول: أولئك الملائكة الذين تعدونهم، ﴿يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾، يعنى الزلفة، وهى القربة بطاعتهم، ﴿أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ إلى الله درجة، مثل قوله سبحانه: ﴿**وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ**﴾ [المائدة: ٣٥]، يعنى القربة إلى الله عز وجل، ﴿وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ﴾، يعنى جنته، نظيرها فى البقرة: ﴿**أُوْلَـئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللّهِ**﴾ [البقرة: ٢١٨]، يعنى جنة الله عز وجل، ﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ﴾، يعنى الملائكة، ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا﴾ [آية: ٥٧]، يقول: يحذره الخائفون له، فابتغوا إليه الزلفة كما تبتغى الملائكة وخافوا أنتم عذابه كما يخافون، وارجعوا أنتم رحمته كما يرجون: فـ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا﴾.

﴿وَإِن مِّن قَرۡيَةٍ﴾، يقول: وما من قرية طالحة أو صالحة، ﴿إِلَّا نَحۡنُ مُهۡلِكُوهَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَوۡ مُعَذِّبُوهَا عَذَابٗا شَدِيدٗاۚ﴾، فأما الصالحة، فهلاكها بالموت، وأما الطالحة، فيأخذها العذاب فى الدنيا، ﴿كَانَ ذَٰلِكَ﴾، يعنى هلاك الصالحة بالموت، وعذاب الطالحة فى الدنيا، ﴿فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا﴾ [آية: ٥٨]، يعنى فى أم الكتاب مكتوبًا، يعنى اللوح المحفوظ، فتموت أو ينزل بها ذلك.

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا ﴿٥٩﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِۚ وَنُخَوِّفُهُمۡ فَمَا

يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ ﴾

﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ ﴾ مع محمد ﷺ، وذلك أن عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة، والحارث بن هشام بن المغيرة المخزوميين، سألا النبى ﷺ أن يريهم الله الآيات كما فعل بالقرون الأولى، وسؤالهما النبى ﷺ أنهما قالا فى هذه السورة: ﴿ **وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا...** ﴾ إلى آخر الآيات، فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ ﴾ إلى قومك كما سألوا، ﴿ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴾، يعنى الأمم الخالية، فعذبتهم، ولو جئتهم بآية فردوها وكذبوا بها أهلكناهم، كما فعلنا بالقرون الأولى، فلذلك أخرنا الآيات عنهم، ثم قال سبحانه: ﴿ وَءَاتَيْنَا ﴾، يعنى وأعطينا، ﴿ ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً ﴾، يعنى معاينة يبصرونها، ﴿ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ﴾، يعنى فجحدوا بها أنها ليست من الله عز وجل، ثم عقروها، ثم قال عز وجل: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ [آية: ٥٩] للناس، فإن لم يؤمنوا بها عذبوا فى الدنيا.

﴿ وَإِذْ ﴾، يعنى وقد ﴿ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ﴾، يعنى حين أحاط علمه بأهل مكة أن يفتحها على النبى ﷺ، ثم قال سبحانه: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾، يعنى الإسراء ليلة أسرى به إلى بيت المقدس، فكانت لأهل مكة فتنة، ثم قال سبحانه: ﴿ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ﴾، يعنى شجرة الزقوم، ثم قال سبحانه: ﴿ وَنُخَوِّفُهُمْ ﴾ بها، يعنى بالنار والزقوم، ﴿ فَمَا يَزِيدُهُمْ ﴾ التخويف، ﴿ إِلَّا طُغْيَٰنًا ﴾، يعنى إلا ضلالاً، ﴿ كَبِيرًا ﴾ [آية: ٦٠]، يعنى شديدًا، وقال أيضًا فى الصافات لقولهم الزقوم التمر والزبد: ﴿ **إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِى أَصْلِ الْجَحِيمِ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ** ﴾ [الصافات: ٦٤، ٦٥]، ولا يشبه طلع النخل.

وذلك أن الله عز وجل ذكر شجرة الزقوم فى القرآن، فقال أبو جهل: يا معشر قريش، إن محمدًا يخوفكم بشجرة الزقوم، ألستم تعلمون أن النار تحرق الشجر، ومحمد يزعم أن النار تنبت الشجرة، فهل تدرون ما الزقوم؟ فقال عبد الله بن الزبعرى السهمى: إن الزقوم بلسان بربر: التمر والزبد، قال أبو الجهل: يا جارية، ابغنا تمرًا، فجاءته، فقال لقريش وهم حوله: تزقموا من هذا الزقوم الذى يخوفكم به محمد، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴾، يعنى شديدًا.

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ

طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ (١)، منهم إبليس، ﴿فَسَجَدُوٓا۟﴾، ثم استثنى، فقال: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [آية: ٦١]، وأنا خلقتنى من نار، يقول ذلك تكبرًا.

ثم ﴿قَالَ﴾ إبليس لربه عز وجل: ﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾، يعنى فضلته علىَّ بالسجود، يعنى آدم، أنا نارى وهو طينى، ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ﴾، يقول: لئن متعتنى ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ﴾، يعنى لأحتوين ﴿ذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ ذرية آدم، ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ [آية: ٦٢] حتى يطيعونى، يعنى بالقليل الذى أراد الله عز وجل، فقال: ﴿**إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ**﴾ [الحجر: ٤٢]، يعنى ملكًا.

ثم ﴿قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ على دينك، يعنى من ذرية آدم، ﴿فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ﴾ بأعمالكم الخبيثة، ﴿جَزَآءً﴾، يعنى الكفر جزاء، ﴿مَّوْفُورًا﴾ [آية: ٦٣]، يعنى وافرًا لا يفتر عنهم من عذابها شىء.

ثم قال سبحانه: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ﴾، يقول: واستزل ﴿مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾، يعنى بدعائك، ﴿وَأَجْلِبْ﴾، يعنى واستعن ﴿عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ﴾، يعنى كل راكب يسير فى معصيته، ﴿وَرَجِلِكَ﴾ (٢)، يعنى كل راجل يمشى فى معصية الله عز وجل من الجن والإنس من يطيعك منهم، ﴿وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ﴾، يقول: زين لهم فى الأموال، يعنى كل مال حرام، وما حرموا من الحرث والأنعام، ﴿وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنا أبى، عن الهذيل، عن مقاتل، عن الضحاك، عن ابن عباس، قال: إن الزنا، والغصب، والأولاد، يعنى كل ولد من حرام، فهذا كله من طاعة إبليس وشركته.

ثم قال سبحانه: ﴿وَعِدْهُمْ﴾، يعنى ومنيهم الغرور ألا بعث، ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ

(١) انظر: (تحبير التيسير ١٣٣، النشر ٢/٢١٠، الإتحاف ٢٨٤)، «وذلك فى حالة الوصل».
(٢) انظر: (الكشاف ٢/٤٥٦، القرطبى ١٠/٢٨٩، البحر المحيط ٦/٥٩، العكبرى ٢/٥٢).

﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [آية: ٦٤]، يعنى باطلاً الذى ليس بشىء.

﴿إِنَّ عِبَادِى لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٞۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلٗا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزۡجِى لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ فِى ٱلۡبَحۡرِ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمۡ أَن يَخۡسِفَ بِكُمۡ جَانِبَ ٱلۡبَرِّ أَوۡ يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمۡ أَمِنتُمۡ أَن يُعِيدَكُمۡ فِيهِ تَارَةً أُخۡرَىٰ فَيُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ قَاصِفٗا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغۡرِقَكُم بِمَا كَفَرۡتُمۡ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ عَلَيۡنَا بِهِۦ تَبِيعٗا ﴿٦٩﴾﴾

﴿إِنَّ عِبَادِى﴾ المخلصين، ﴿لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٞ﴾ ملك فى الكفر والشرك أن تضلهم عن الهدى، ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلٗا﴾ [آية: ٦٥]، يعنى حرزًا ومانعًا، فلا أحد أمنع من الله عز وجل، فلا يخلص إليهم إبليس.

﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزۡجِى لَكُمُ﴾، يعنى يسوق لكم، ﴿ٱلۡفُلۡكَ فِى ٱلۡبَحۡرِ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦٓ﴾ الرزق، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾ [آية: ٦٦].

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ﴾، يقول: إذا أصابكم ﴿فِى ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ﴾، يعنى بطل، مثل قوله عز وجل: ﴿**أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ**﴾ [محمد: ١]، يعنى أبطل، من تدعون من الآلهة، يعنى تعبدون فلا تدعونهم إنما تدعون الله عز وجل، فذلك قوله سبحانه: ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾، يعنى نفسه عز وجل، ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ﴾ الرب جل جلاله من البحر، ﴿إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡ﴾ عن الدعاء فى الرخاء، فلا تدعون الله عز وجل، ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ [آية: ٦٧] للنعم حين أنجاه الله تعالى من أهوال البحر إلى البر، فلم يعبده.

ثم خوفهم، فقال سبحانه: ﴿أَفَأَمِنتُمۡ﴾ إذا أخرجتم من البحر إلى الساحل، ﴿أَن يَخۡسِفَ بِكُمۡ جَانِبَ ٱلۡبَرِّ﴾، يعنى ناحية من البر، ﴿أَوۡ يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ﴾ فى البر ﴿حَاصِبٗا﴾، يعنى الحجارة، ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ وَكِيلًا﴾ [آية: ٦٨]، يقول: ثم لا تجدوا مانعًا يمنعكم من الله عز وجل.

ثم قال سبحانه: ﴿أَمۡ أَمِنتُمۡ أَن يُعِيدَكُمۡ فِيهِ﴾، فى البحر، ﴿تَارَةً أُخۡرَىٰ﴾، يعنى مرة أخرى، نظيرها فى طه: ﴿**وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى**﴾ [طه: ٥٥]، ﴿فَيُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ قَاصِفٗا﴾، يعنى عاصفًا، ﴿مِّنَ ٱلرِّيحِ﴾، وهى الشدة، ﴿فَيُغۡرِقَكُم بِمَا كَفَرۡتُمۡ﴾ النعم حين أنجاكم من الغرق، ونقضتم العهد وأنتم فى البر، ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمۡ

عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا﴾ [آية: ٦٩]، يقول: لا تجدوا علينا به تبعة مما أصبناكم به من العذاب.

﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾

ثم ذكرهم النعم، فقال سبحانه: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾، يقول: فضلناهم على غيرهم من الحيوان غير الملائكة حين أكلوا وشربوا بأيديهم، وسائر الطير والدواب يأكلون بأفواههم، ثم قال عز وجل: ﴿وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ﴾ على الرطب، يعنى الدواب، ﴿وَ﴾ حملناهم فى ﴿وَٱلْبَحْرِ﴾، على اليابس، يعنى السفن، ﴿وَرَزَقْنَٰهُم﴾ من غير رزق الدواب، ﴿مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا﴾ من الحيوان، ﴿تَفْضِيلًا﴾ [آية: ٧٠]، يعنى بالتفضيل أكلهم بأيديهم.

﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ﴾[1]، يعنى كل أمة بكتابهم الذى عملوا فى الدنيا من الخير والشر، مثل قوله عز وجل فى يس: ﴿**وَكُلَّ شَىْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِى إِمَامٍ مُبِين**﴾ [يس: ١٢]، وهو اللوح المحفوظ، ﴿فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ﴾ الذى عملوه فى الدنيا، ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [آية: ٧١]، يعنى بالفتيل القشر الذى يكون فى شق النواة.

﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ﴾ النعم ﴿أَعْمَىٰ﴾، يعنى الكافر، عمى عنها وهو معاينها، فلم يعرف أنها من الله عز وجل، فيشكو ربها، فيعرفه فيوحده تبارك وتعالى، ﴿فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾، يقول: فهو عما غاب عنه من أمر الآخرة من البعث والحساب والجنة والنار أعمى، ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [آية: ٧٢]، يعنى وأخطأ طريقًا.

﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾

﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ﴾، يعنى ثقيفًا، يقول: وقد كادوا أن يفتنوك، يعنى قد هموا

---

(١) انظر: (الفراء ١٢٧/٢، الإتحاف ٢٨٥، الكشاف ٤٥٩/٢، الرازى ١٧/٢١، العكبرى ٥٢/٢، البحر المحيط ٦٢/٦، مجمع البيان ٤٢٨/٦).

أن يصدوك، ﴿عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾، كقوله سبحانه فى المائدة: ﴿**وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ**﴾، يعنى يصدوك، ﴿**عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ**﴾ [المائدة: ٤٩]، وذلك أن ثقيفًا أتوا النبى ﷺ، فقالوا: نحن إخوانك، وأصهارك، وجيرانك، ونحن خير أهل نجد لك سلمًا، وأضره عليك حربًا، فإن نسلم تسلم نجد كلها، وإن نحاربك يحاربك من وراءنا، فأعطنا الذى نريد، فقال النبى ﷺ: «وما تريدون؟»، قالوا: نسلم على ألا تجش، ولا نعش، ولا نحنى، يقولون: على ألا نصلى، ولا نكسر أصنامنا بأيدينا، وكل ربًا لنا على الناس فهو لنا، وكل ربًا للناس فهو عنا موضوع، ومن وجدناه فى وادى وج يقطع شجرها انتزعنا عنه ثيابه، وضربنا ظهره وبطنه، وحرمته كحرمة مكة، وصيده وطيره وشجره، وتستعمل على بنى مالك رجلاً، وعلى الأحلاف رجلاً، وأن تمتعنا باللات والعزى سنة ولا نكسرها بأيدينا من غير أن نعبدها؛ ليعرف الناس كرامتنا عليك وفضلنا عليهم.

فقال لهم رسول الله ﷺ: «أما قولكم: لا تجشى، ولا نعشى، والربا، فلكم، وأما قولكم: لا نحنى، فإنه لا خير فى دين ليس فيه ركوع ولا سجود»، قالوا: نفعل ذلك، وإن كان علينا فيه دناءة، «وأما قولكم: لا نكسر أصنامنا بأيدينا، فإنا سنأمر من يكسرها غيركم»، ثم سكت النبى ﷺ، فقالوا: تمتعنا باللات سنة، فأعرض عنهم، وجعل يكره أن يقول: لا، فيأبون الإسلام، فقالت ثقيف للنبى ﷺ: إن كان بك ملامة العرب فى كسر أصنامهم وترك أصنامنا، فقل لهم: إن ربى أمرنى أن أقر اللات بأرضهم سنة.

فقال عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، عند ذلك: أحرقتم قلب النبى ﷺ بذكر اللات، أحرق الله أكبادكم، لا، ولا ونعمة، غير أن الله عز وجل لا يدع الشرك فى أرض يعبد الله تعالى فيها، فإما أن تسلموا كما يسلم الناس، وإما أن تلحقوا بأرضكم، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ﴾، يقول: وإن كادوا ليصدونك، ﴿عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ ﴿لِتَفۡتَرِىَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥ﴾، يقول سبحانه: لتقول علينا غيره ما لم نقل؛ لقولهم للنبى ﷺ: قل إن الله أمرنى أن أقرها، ﴿وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا﴾ [آية: ٧٣]، يعنى محبًا، نظيرها فى الفرقان: ﴿**فُلانًا خَلِيلاً**﴾ [الفرقان: ٢٨]، يعنى محبًا، لطواعيتكم إياهم على ما أرادوك عليه إذًا لأحبوك.

﴿وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ﴾ يا محمد بالسكوت، فأمرت بكسر الآلهة، إذًا لركنت إلى المعصية، ﴿لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ﴾، يقول: لقد هممت سويعة أن تميل، ﴿إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا

قَلِيلًا ﴾ [آية: ٧٤]، يعنى أمرًا يسيرًا، يقول: لقد هممت سويعة، كقوله: ﴿ فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ ﴾ [الذاريات: ٣٩]، يعنى بميله أمرًا يسيرًا.

يقول: لقد هممت سويعة أن تميل إليهم، ولو أطعتهم فيما سألوك، ﴿ إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ﴾ العذاب فى الدنيا والآخرة، فذلك قوله سبحانه: ﴿ إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ﴾ ﴿ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ﴾، يقول سبحانه: إذًا لأذقناك ضعف العذاب فى الدنيا فى حياتك، وفى مماتك بعد، ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ [آية: ٧٥]، يعنى مانعًا يمنعك منا.

﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾

﴿ وَإِن ﴾، يعنى وقد ﴿ كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ ﴾، يعنى ليستزلونك ﴿ مِنَ ٱلْأَرْضِ ﴾، يعنى أرض المدينة، نزلت فى حيى بن أخطب واليهود، وذلك أنهم كرهوا قدوم النبى ﷺ المدينة وحسدوه، وقالوا: يا محمد، إنك لتعلم أن هذه الأرض ليست بأرض الأنبياء، إنما أرض الأنبياء والرسل أرض المحشر أرض الشام، ومتى رأيت الله بعث الأنبياء فى أرض تهامة، فإن كنت نبيًا، فاخرج إليها، فإنما يمنعك منها مخافة أن يغلبك الروم، فإن كنت نبيًا، فسيمنعك الله كما منع الأنبياء قبلك، فخرج النبى ﷺ متوجهًا إلى الشام، فعسكر على رأس ثلاثة أميال بذى الحليفة لتنضم إليه أصحابه، فأتاه جبريل، عليه السلام، بهذه الآية: ﴿ كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ ﴿ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [آية: ٧٦]، يقول سبحانه: لو فعلوا ذلك لم ينظروا من بعدك إلا يسيرًا حتى يعذبوا فى الدنيا.

فرجع النبى ﷺ، ﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ ﴾، يقول الله سبحانه: كذلك سنة الله عز وجل فى أهل المعاصى، يعنى الأمم الخالية إن كذبوا رسلهم أن يعذبوا، ﴿ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴾ [آية: ٧٧]، إن قوله حق فى أمر العذاب، يقول: السنة واحدة فيما مضى وفيما بقى.

﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا

﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾، يعنى إذا زالت الشمس عن بطن السماء، يعنى عند صلاة الأولى والعصر، ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾، يعنى ظلمة الليل إذا ذهب الشفق، يعنى صلاة المغرب والعشاء، ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾، يعنى قرآن صلاة الغداة، ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [آية: ٧٨]، تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار، جمع صلاة الخمس فى هذه الآية كلها.

ثم قال عز وجل: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾، بعد المغفرة؛ لأنه الله عز وجل قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فما كان من عمل فهو نافلة، مثل قوله سبحانه: ﴿**وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ**﴾، حين سأل الولد، ﴿**وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً**﴾ [الأنبياء: ٧٢]، يعنى فضلاً على مسألته، ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [آية: ٧٩]، يعنى مقام الشفاعة فى أصحاب الأعراف يحمده الخلق كلهم، والعسى من الله عز وجل واجب.

فرجع النبى ﷺ، وقال له جبريل، عليه السلام: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى﴾ المدينة، ﴿مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾، يعنى آمنًا على رغم أنف اليهود، ﴿وَأَخْرِجْنِى﴾ من المدينة إلى مكة، ﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾، يعنى آمنًا على رغم أنف كفار مكة ظاهرًا عليهم، ﴿وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ﴾، يعنى من عندك، ﴿سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا﴾ [آية: ٨٠]، يعنى النصر على أهل مكة، ففعل الله تعالى ذلك به، فافتتحها.

فلما افتتحها رأى ثلاثمائة وستين صنمًا حول الكعبة، وأساف ونائلة أحدهما عند الركن، والآخر عند الحجر الأسود، وفى يدى النبى ﷺ قضيب، فجعل النبى ﷺ يضرب رءوسهم، ويقول: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾، يعنى الإسلام، ﴿وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ﴾، يعنى وذهب عبادة الشيطان، يعنى الأوثان، ﴿إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ﴾، يعنى إن عبادة الشيطان، يعنى عبادة الأصنام، ﴿كَانَ زَهُوقًا﴾ [آية: ٨١]، يعنى ذاهبًا، مثل قوله سبحانه: ﴿**فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ**﴾ [الأنبياء: ١٨]، يعنى ذاهب.

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾ للقلوب، يعنى بيانًا للحلال والحرام، ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ من العذاب لمن آمن بالقرآن، قوله سبحانه: ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ﴾ القرآن

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [آية: ٨٢]، يعنى خسرانًا.

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾، يعنى الكافر بالخير، يعنى الرزق، ﴿أَعْرَضَ﴾ عن الدعاء، ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾، يقول: وتباعد بجانبه، ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾، يعنى وإذا أصابه الفقر، ﴿كَانَ يَـُٔوسًا﴾ [آية: ٨٣]، يعنى آيسًا من الخير.

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾، المحسن والمسىء على شاكلته، على جديلته التى هو عليها، ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ [آية: ٨٤].

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾﴾

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾، نزلت فى أبى جهل وأصحابه، ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾، وهو ملك عظيم على صورة إنسان أعظم من كل مخلوق غير العرض، فهو حافظ على الملائكة، وجهه كوجه الإنسان، ثم قال سبحانه: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [آية: ٨٥]، عند كثيرًا عندكم، وذلك أن اليهود قالوا للنبى ﷺ: إن فى التوراة علم كل شىء، وقال الله تبارك وتعالى للنبى ﷺ: قل لليهود: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾، عندى كثيرًا عندكم، وعلم التوراة عندكم كثير.

فقالوا للنبى ﷺ: من قال هذا؟ فوالله ما قاله لك إلا عدو لنا، يعنون جبريل، عليه السلام، ثم قالوا للنبى ﷺ: خاصة لنا إنا لم نؤت من العلم إلا قليلاً؟ فقال النبى ﷺ: «بل الناس كلهما عامة»، فقالوا للنبى ﷺ: ولا أنت ولا أصحابك؟ فقال: «نعم»، فقالوا: كيف تجمع بين هاتين؟ تزعم أنك أوتيت الحكمة، ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرًا كثيرًا، وتزعم أنك لم تؤت من العلم إلا قليلاً، فنزلت: ﴿**وَلَوْ أَنَّمَا فِى الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلامٌ**...﴾ [لقمان: ٢٧] إلى آخر الآية، ونزلت: ﴿**قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا**...﴾ [الكهف: ١٠٩] إلى آخر الآية.

ثم قال سبحانه: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ من القرآن، وذلك حين

دعى النبى ﷺ إلى دين آبائه، ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ [آية: ٨٦]، يعنى مانعًا يمنعك منا.

فاستثنى عز وجل: ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾، يعنى القرآن كان رحمة من ربك اختصك بها، ﴿إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ [آية: ٨٧]، يعنى عظيمًا حين اختصك بذلك.

﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا الْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِاللَّهِ وَالْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى السَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ الْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى الْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾﴾

﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ﴾، وذلك أن الله عز وجل أنزل فى سورة هود: ﴿**قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ**﴾ [هود: ١٣]، فلم يطيقوا ذلك، فقال الله تبارك وتعالى لهم فى سورة يونس: ﴿**فَأْتُوا بِسُورَةٍ**﴾ [يونس: ٣٨] واحدة مثله، فلم يطيقوا ذلك، وأخبر الله تبارك وتعالى النبى ﷺ، فقال: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ﴾، فعان بعضهم بعضًا، ﴿عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾، يقول: لا يقدرون على أن يأتوا بمثله، ﴿وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [آية: ٨٨]، يعنى معينًا.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ﴾، يعنى ضربنا، ﴿فِى هَٰذَا الْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾، يعنى من كل شبه فى أمور شتى، ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [آية: ٨٩]، يعنى إلا كفرًا بالقرآن.

﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾ [آية: ٩٠]، يعنى من أرض مكة ينبوعًا، يعنى عينًا تجرى، وذلك أن أبا جهل قال للنبى ﷺ: سير لنا الجبال، أو

ابعث لنا الموتى فنكلمهم، أو سخر لنا الريح، فقال النبى ﷺ: «لا أطيق ذلك»، فقال عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة المخزومى، وهو ابن عم أبى جهل، والحارث بن هشام، وهما ابنا عم، فقالا: يا محمد، إن كنت لست فاعلاً لقومك شيئًا مما سألوك، فأرنا كرامتك على الله بأمر تعرفه، فجر لبنى أبيك ينبوعًا بمكة مكان زمزم، فقد شق علينا الميح.

﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ﴾، يعنى بستانًا، ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ خِلَـٰلَهَا تَفْجِيرًا﴾ [آية: ٩١]، يقول: تجرى العيون فى وسط النخيل، والأعناب، والشجر.

﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ قَبِيلًا﴾ [آية: ٩٢].

﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾، يعنى من ذهب، فإن لم تستطع شيئًا من هذا، فأسقط السماء كما زعمت علينا كسفًا، يعنى جانبًا من السماء، كما زعمت فى سورة سبأ: ﴿**إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا**﴾، يعنى جانبًا، ﴿**مِّنَ السَّمَاء**﴾ [سبأ: ٩].

ثم قال: والذى يحلف به عبد الله، لا أصدقك ولا أؤمن بك حتى تسند سلمًا، فترقى فيها إلى السماء، وأنا أنظر إليك، فتأتى بكتاب من عند الله عز وجل بأنك رسوله، أو يأمرنا باتباعك، وتجئ الملائكة يشهدون أن الله كتبه، ثم قال: والله ما أدرى إن فعلت ذلك أؤمن بك أم لا، فذلك قوله سبحانه: ﴿**أَوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ**﴾، معاينة، فيخبرنا أنك نبى رسول، أو تأتى بالملائكة قبيلاً، يعنى كفيلاً، يشهدون بأنك رسول الله عز وجل.

فذلك قوله: ﴿أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا﴾، يعنى من السماء، ﴿كِتَـٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾ من الله عز وجل بأنك رسوله خاصة، فأنزل الله تعالى، ﴿قُلْ﴾ لكفار مكة ﴿سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [آية: ٩٣]، نزه نفسه جل جلاله عن تكذيبهم إياه لقولهم لم يبعث محمدًا ﷺ رسولاً، يقول: ما أنا إلا رسول من البشر.

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ﴾، يعنى رءوس كفار مكة، ﴿أَن يُؤْمِنُوٓا۟﴾، يعنى أن يصدقوا بالقرآن، ﴿إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾، يعنى البيان، وهو القرآن؛ لأن القرآن هدى من الضلالة، ﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [آية: ٩٤]، نزلت فى المستهزئين والمطعمين ببدر.

فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ﴾، يعنى مقيمين بها، مثل قوله سبحانه فى النساء: ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ﴾، يقول: فإذا أقمتم، ﴿فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ﴾ [النساء: ١٠٣]، ﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾ [آية: ٩٥].

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾، يقول: فلا أحد أفضل من الله شاهدًا بأنى رسول الله إليكم، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [آية: ٩٦]، حين اختص محمدًا ﷺ بالرسالة.

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾﴾

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ﴾ لدينه، ﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ﴾ عن دينه، ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ﴾، يعنى أصحابًا من دون الله يهدونهم إلى الإسلام من الضلالة، ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بعد الحساب، ﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾، قالوا للنبى ﷺ: كيف يمشون على وجوههم؟ قال لهم النبى ﷺ: «من أمشاهم على أقدامهم؟»، قالوا: الله أمشاهم، قال النبى ﷺ: «فإن الذى أمشاهم على أقدامهم هو الذى يمشيهم على وجوههم.

ثم قال سبحانه: ﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾، وذلك إذا قيل لهم: ﴿اخْسَؤُوا فِيهَا وَلاَ تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، فصاروا فيها عميًا لا يبصرون أبدًا، وصمًا لا يسمعون أبدًا، ثم قال: ﴿مَّأْوَىٰهُمْ﴾، يعنى مصيرهم ﴿جَهَنَّمُ﴾، قوله سبحانه: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾، وذلك إذا أكلتهم النار، فلم يبق منهم غير العظام، وصاروا فحمًا، سكنت النار، هو الخبت، ﴿زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [آية: ٩٧]، وذلك أن النار إذا أكلتهم بدلوا جلودًا غيرها جددًا فى النار، فتسعر عليهم، فذلك قوله سبحانه: ﴿زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾، يعنى وقودًا، فهذا أمرهم أبدًا.

و ﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب والنار، ﴿جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾، يعنى بآيات القرآن، ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا﴾، يعنى ترابًا، ﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [آية: ٩٨]، يعنون البعث سيرة الخلق الأول، منهم أبى بن خلف، وأبو الأشدين، يقول الله: ليعتبروا.

﴿۞ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۡ وَجَعَلَ لَهُمۡ أَجَلٗا لَّا رَيۡبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورٗا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا ﴿١٠٠﴾﴾

﴿۞ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾، يقول: أو لم يعلموا، ﴿أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۡ﴾، يعنى مثل خلقهم فى الآخرة، يقول: لأنهم مقرون بأن الله خلقهم، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، ولا يقدرون أن يقولوا غير ذلك، وهم مع ذلك يعبدون غير الله عز وجل كما خلقهم فى الدنيا.

فخلق السموات والأرض أعظم وأكبر من خلق الإنسان؛ لأنهم مقرون بأن الله خلقهم وخلق السموات والأرض، ﴿وَجَعَلَ لَهُمۡ أَجَلٗا﴾ مسمى يبعثون فيه، ﴿لَّا رَيۡبَ فِيهِ﴾، يعنى لا شك فيه فى البعث أنه كائن، ﴿فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورٗا﴾ [آية: ٩٩]، يعنى إلا كفرًا بالبعث، يعنى مشركى مكة.

﴿قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ﴾، يعنى مفاتيح الرزق، يعنى مقاليد السموات، يقول: لو كان الرزق بأيديكم وكنتم تقسمونه، ﴿إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِۚ﴾، لأمسكتموه مخافة الفقر والفاقة، ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾، يعنى الكافر، ﴿قَتُورٗا﴾ [آية: ١٠٠]، يعنى بخيلاً ممسكًا عن نفسه.

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ فَسۡـَٔلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِذۡ جَآءَهُمۡ فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسۡتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ فَأَغۡرَقۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعٗا ﴿١٠٣﴾﴾

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا﴾، يعنى أعطينا ﴿مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ﴾، يعنى واضحات: اليد، والعصا بالأرض المقدسة، وسبع آيات بأرض مصر: الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والسنين، والطمس على الدنانير والدراهم، أولها العصا، وآخرها الطمس، ﴿فَسۡـَٔلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ عن ذلك، ﴿إِذۡ جَآءَهُمۡ﴾ موسى بالهدى، ﴿فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ﴾، يقول: إنى لأحسبك، ﴿يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا﴾ [آية: ١٠١]، يعنى مغلوبًا على عقله.

﴿قَالَ﴾ موسى لفرعون: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ يا فرعون، ﴿مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ هؤلاء الآيات التسع، ﴿إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ ، يعنى تبصرة وتذكرة، ولن يقدر أحد على أن يأتى أحد بآية واحدة مثل هذه، ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ﴾ ، يعنى لأحسبك، ﴿يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [آية: ١٠٢]، يعنى ملعونًا، اسمه: فيطوس.

﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ ، يعنى أن يخرجهم من أرض مصر، مثل قوله سبحانه: ﴿**وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجوكَ مِنْهَا**﴾ [الإسراء: ٧٦]، يعنى أرض المدينة، ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا﴾ [آية: ١٠٣] من الجنود.

﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُواْ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾

﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ ، يعنى من بعد فرعون، ﴿لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ ، وهم سبعون ألفًا من وراء نهر الصين معهم التوراة: ﴿ٱسْكُنُواْ ٱلْأَرْضَ﴾ ، وذلك من بعد موسى، ومن بعد يوشع بن نون، ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ ، يعنى ميقات الآخرة، يعنى يوم القيامة، ﴿جِئْنَا بِكُمْ﴾ وبقوم موسى، ﴿لَفِيفًا﴾ [آية: ١٠٤]، يعنى جميعًا.

فهم وراء الصين، فساروا من بيت المقدس فى سنة ونصف سنة، ستة آلاف فرسخ، وبينهم وبين الناس نهر من رمل يجرى، اسمه: أردف، يجمد كل سبت، وذلك أن بنى إسرائيل قتلوا الأنبياء، وعبدوا الأوثان، فقال المؤمنون منهم: اللهم فرق بيننا وبينهم، فضرب الله عز وجل سربًا فى الأرض من بيت المقدس إلى وراء الصين، فجعلوا يسيرون فيه، يفتح أمامهم ويسد خلفهم، وجعل لهم عمودًا من نار، فأنزل الله عز وجل عليهم المن والسلوى، كل ذلك فى المسير، وهم الذين ذكرهم الله عز وجل فى الأعراف: ﴿**وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ**﴾ [الأعراف: ١٥٠].

فلما أسرى بالنبى ﷺ تلك الليلة، أتاهم فعلمهم الأذان، والصلاة، وسورًا من القرآن، فأسلموا، فهم القوم المؤمنون، ليست لهم ذنوب، وهم يجامعون نساءهم بالليل، وأتاهم جبريل، عليه السلام، مع النبى ﷺ، فسلموا عليه قبل أن يسلم عليهم، فقالوا للنبى ﷺ: لولا الخطايا التى فى أمتك لصافحتهم الملائكة.

﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ﴾ ، لما كذب كفار مكة، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ﴾ ،

من اللوح المحفوظ، يعنى القرآن على محمد ﷺ، ﴿وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ به جبريل، عليه السلام، لم ينزله باطلاً لغير شيء، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ بالجنة، ﴿وَنَذِيرًا﴾ [آية: ١٠٥] من النار.

﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ﴾، يعنى قطعناه، يعنى فرقناه بين أوله وآخره، عشرون سنة تترى، لم ننزله جملة واحدة، مثلها فى الفرقان: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً﴾ [الفرقان: ٣٢]، ﴿لِ﴾ كى ﴿لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ (١)، يعنى على ترتيل للحفظة، ﴿وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [آية: ١٠٦] فى ترسل آيات، ثم بعد آيات، يعنى القرآن.

﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾

﴿قُلْ﴾ لكفار مكة: ﴿ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ﴾، يعنى القرآن، ﴿أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟﴾، يقول: صدقوا بالقرآن أو لا تصدقوا به، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ بالتوراة ﴿مِن قَبْلِهِۦٓ﴾، يعنى من قبل هذا القرآن، ﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾، يعنى القرآن، يعنى عبد الله بن سلام واصحابه، ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾، يعنى يقعون لوجوههم، ﴿سُجَّدًا﴾ [آية: ١٠٧].

﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ﴾، الذى أنزله، يعنى القرآن أنه من الله عز وجل، ﴿إِن كَانَ﴾، يعنى لقد كان، ﴿وَعْدُ رَبِّنَا﴾ فى التوراة، ﴿لَمَفْعُولًا﴾ [آية: ١٠٨] أنه منزله على محمد ﷺ، فكان فاعلاً.

﴿وَيَخِرُّونَ﴾، يعنى ويقعون، ﴿لِلْأَذْقَانِ﴾ لوجوههم سجدًا، ﴿يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩﴾ [آية: ١٠٩]، يقول: يزيدهم القرآن تواضعًا، لما فى القرآن من الوعد والوعيد.

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾، وذلك أن رجلاً من المسلمين دعا الله عز وجل،

(١) انظر: (مختصر شواذ القراءات ٧٧، القرطبى ٣٢٩/١٠، الفراء ١٣٣/٢، الإتحاف ٢٨٧، النحاس ٢٦٣/٢، الكشاف ٤٦٩/٢، التبيان ٥٣٠/٦، البحر المحيط ٨٧/٦).

ودعا الرحمن فى صلاته، فقال أبو جهل بن هشام: أليس يزعم محمد وأصحابه أنهم يعبدون ربًا واحدًا، فما بال هذا يدعو ربين اثنين، أولستم تعلمون أن الله اسم، والرحمن اسم، قالوا: بلى، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾.

فدعا النبى ﷺ الرجل، فقال: «يا فلان، ادع الله، أو ادع الرحمن، ورغم لآناف المشركين»، ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟﴾، يقول: فأيهما تدعو، ﴿فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾، يعنى الأسماء الحنى التى فى آخر الحشر، وسائر ما فى القرآن، ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾، وذلك أن النبى ﷺ كان بمكة يصلى إلى جانب دار أبى سفيان عند الصفا، فجهر بالقرآن فى صلاة الغداة، فقال أبو جهل: لم تفترى على الله، فإذا سمع ذلك منه خفض صوته، فلا يسمع أصحابه القرآن، فقال أبو جهل: ألم تروا يا معشر قريش ما فعلت بابن أبى كبشة حتى خفض صوته، فأنزل الله تعالى ذكره: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾، يعنى بقراءتك فى صلاتك، فيسمع المشركين فيوءذوك، ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾، يقول: ولا تسر بها، يعنى بالقرآن، فلا يسمع أصحابك، ﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [آية: ١١٠]، يعنى مسلكًا، يعنى بين الخفض والرفع.

﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، وذلك أن اليهود قالوا: عزير ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، وقالت العرب: إن لله عز وجل شريكًا من الملائكة، فأكذبهم الله عز وجل فيها، فنزه نفسه تبارك وتعالى مما قالوا، فأنزل الله جل جلاله: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، الذى علمك هذه الآية، ﴿ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾، عزيرًا وعيسى، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ﴾ من الملائكة، ﴿فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ﴾، يعنى صاحبًا ينتصر به، ﴿مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾، كما يلتمس الناس النصر، إن فاجأهم أمر يكرهونه، ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ [آية: ١١١]، يقول: وعظمه يا محمد تعظيمًا، فإنه من قال: إن لله عز وجل ولدًا، أو شريكًا، لم يعظمه، يقول: نزهه عن هذه الخصال التى قالت النصارى، واليهود، والعرب.

* * *

سُورَةُ الكَهْفِ

مكية كلها

وفيها من المدنى قوله تعالى من أولها، إلى قوله:

﴿...أحْسَنُ عَمَلاً﴾ [آية: ١ - ٧]

عددها مائة وعشر آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، وذلك أن اليهود قالوا: يزعم محمد أنه لا ينزل عليه الكتاب مختلفًا، فإن كان صادقًا بأنه من الله عز وجل، فلما يأت به مختلفًا، فإن التوراة نزلت كل فصل على ناحية، فأنزل الله فى قولهم: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ﴿ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾، يعنى القرآن، ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾ [آية: ١]، يعنى مختلفًا.

أنزله ﴿قَيِّمًا﴾ مستقيمًا، ﴿لِّيُنذِرَ﴾ محمد ﷺ بما فى القرآن، ﴿بَأْسًا﴾، يعنى عذابًا، ﴿شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾، يعنى من عنده، فقال النبى ﷺ لليهود: «أدعوكم إلى الله عز وجل، وأنذركم بأسه، فإن تتوبوا يكفر عنكم سيئاتكم، ويؤتكم أجوركم مرتين»، فقال كعب بن الأشرف، وكعب بن أسيد، وحيى بن أخطب، وفنحاص اليهودى، ومن أهل قينقاع: أليس عزير ولد الله، فأدعوه ولدًا لله؟ فقال النبى ﷺ: «أعوذ بالله أن أدعو لله تبارك وتعالى ولدًا، ولكن عزير عبد الله داخر»، يعنى صاغرًا، قالوا: فإنا نجده فى كتابنا وحدثتنا به آباؤنا، فاعتزلهم النبى ﷺ حزينًا، فقال أبو بكر، وعمر، وعثمان بن مظعون، وزيد بن حارثة، رضى الله عنهم، للنبى ﷺ: لا يحزنك قولهم وكفرهم، إن الله معنا، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بثواب ما فى القرآن، يعنى هؤلاء النفر،

﴿ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنًا﴾ [آية: ٢]، يعنى جزاء كريمًا، يعنى الجنة.

﴿مَّٰكِثِينَ فِيهِ﴾، يعنى الجزاء فى الجنة، يقول: مقيمين فيها، ﴿أَبَدًا﴾ [آية: ٣].

ثم ذكر اليهود، فقال: ﴿وَيُنذِرَ﴾ محمد ﷺ ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ [آية: ٤]، يعنون عزيرًا.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ وَلَا لِأٓبَآئِهِمۡۚ﴾، لقولهم: نجده فى كتابنا، وحدثتنا به آباؤنا، قال الله تعالى: ﴿كَبُرَتۡ﴾، يعنى عظمت، ﴿كَلِمَةً تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ إِن﴾[1]، يعنى ما ﴿يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [آية: ٥]؛ لقولهم: عزير ابن الله عز وجل.

﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦ إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ۝٧ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيۡهَا صَعِيدٗا جُرُزًا ۝٨﴾

ثم قال للنبى ﷺ حين أحزنه قولهم، قال سبحانه: ﴿فَلَعَلَّكَ﴾، يعنى فعساك، ﴿بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ﴾، يعنى قاتلاً نفسك على آثارهم، يعنى عليهم أسفًا، يعنى حزنًا، نظيرها فى الشعراء: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ [الشعراء: ٣]، يقول: قاتل نفسك حزنًا، فى التقديم، ﴿إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ﴾، يعنى لم يصدقوا بالقرآن، ﴿أَسَفًا﴾ [آية: ٦].

﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ من النبت عامًا بعام، ﴿زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ﴾، يعنى لنختبرهم، ﴿أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا﴾ [آية: ٧].

﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ﴾ فى الآخرة، ﴿مَا عَلَيۡهَا﴾، يعنى ما على الأرض من شىء، ﴿صَعِيدٗا﴾، يعنى مستويًا، ﴿جُرُزًا﴾ [آية: ٨]، يعنى ملساء ليس عليها جبل، ولا نبت، كما خلقت أول مرة.

---

(١) انظر: (الفراء ٢/١٣٤، الكشاف ٢/٤٧٢، الأخفش ٢/٣٩٣، الإتحاف ٢٨٨، النحاس ٢/٢٦٦، البحر المحيط ٦/٩٧، الطبرى ١٥/١٢٩، القرطبى ١٠/٣٥٣، التبيان ٧/٧، مجمع البيان ٦/٤٤٨).

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾﴾

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ﴾، والكهف ثقب يكون فى الجبل كهيئة الغار، واسمه: بانجلوس، ﴿وَٱلرَّقِيمِ﴾، كتاب كتبه رجلان قاضيان صالحان، أحدهما ماتوس، والآخر أسطوس، كانا يكتمان إيمانهما، وكانا فى منزل دقيوس الجبار، وهو الملك الذى فر منه الفتية، وكتبا أمر الفتية فى لوح من رصاص، ثم جعلاه فى تابوت من نحاس، ثم جعلاه فى البناء الذى سدوا به باب الكهف، فقال: لعل الله عز وجل أن يطلع على هؤلاء الفتية؛ ليعلموا إذا قرأوا الكتاب، قال سبحانه: ﴿كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ [آية: ٩].

يقول سبحانه: أوحينا إليك من أمر الأمم الخالية، وعلمناك من أمر الخلق، وأمر ما كان، وأمر ما يكون قبل أصحاب الكهف، فهو أعجب من أصحاب الكهف، وليس أصحاب الكهف بأعجب مما أوحينا إليك، ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ﴾، يعنى بالرقيم الكتاب الذى كتبه القاضيان، مثل قوله عز وجل: ﴿**كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الفُجَّار لَفِي سِجِّينٍ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ**﴾ [المطففين: ٧ - ٩]، يعنى كتاب مكتوب، ﴿كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾، يخبره به.

وذلك أن أبا جهل قال لقريش: ابعثوا نفرًا منكم إلى يهود يثرب، فيسألونهم عن صاحبكم أنبى هو أم كذاب؟ فإنا نرى أن ننصرف عنه، فبعثوا خمسة نفر، منهم: النضر بن الحارث، وعقبة بن أبى معيط، فلما قدموا المدينة، قالوا لليهود: أتيناكم لأمر حدث فينا لا يزداد إلا نماء، وإنا له كارهون، وقد خفنا أن يفسد علينا ديننا، ويلبس علينا أمرنا، وهو حقير فقير يتيم، يدعو إلى الرحمن، ولا نعرف الرحمن إلا مسيلمة الكذاب، وقد علمتم أنه لم يأمر قط إلا بالفساد والقتال، ويأتيه بذلك زعم جبريل، عليه السلام، وهو عدو لكم، فأخبرونا هل تجدونه فى كتابكم؟

قالوا: نجد نعته كما تقولون، قالوا: إن فى قومه من هو أشرف منه، وأكبر سنًا، فلا نصدقه، قالوا: نجد قومه أشد الناس عليه، وهذا زمانه الذى يخرج فيه، قالوا: إنما يعلمه

الكذاب مسيلمة، فحدثونا بأشياء نسأله عنها لا يعلمها مسيلمة، ولا يعلمها إلا نبى، قالوا: سلوه عن ثلاث خصال، فإن أصابهن فهو نبى، وإلا فهو كذاب، سلوه عن أصحاب الكهف، فقصوا عليهم أمرهم، وسلوه عن ذى القرنين، فإنه كان ملكًا، وكان أمره كذا وكذا، وسلوه عن الروح، فإن أخبركم عنه بقليل أو كثير، فهو كذاب، فقصوا عليهم، فرجعوا بذلك وأعجبهم.

فأتوا النبى ﷺ، فقال أبو جهل: يا ابن عبد المطلب، إنا سائلوك عن ثلاث خصال، فإن علمتهن فأنت صادق، وإلا فأنت كاذب، فذر ذكر آلهتنا، فقال النبى ﷺ: «ما هن؟ سلونى عما شئتم»، قالوا: نسألك عن أصحاب الكهف، فقد أخبرنا عنهم، ونسأل عن ذى القرنين، فقد أخبرنا عنه بالعجب، ونسألك عن الروح، فقد ذكر لنا من أمره عجب، فإن علمتهن، فأنت معذور، وإن جهلتهن، فأنت مغرور مسحور، فقال لهم النبى ﷺ: «ارجعوا إلىَّ غدًا أخبركم»، ولم يستثن، فمكث النبى ﷺ ثلاثة أيام.

ثم أتاه جبريل، عليه السلام، فقال النبى ﷺ: «يا جبريل، إن القوم سألونى عن ثلاث خصال»، فقال جبريل، عليه السلام: بهن أتيتك، إن الله عز وجل يقول: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾، ثم أخبر عنهم، فقال سبحانه: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾، من عندك رحمة، يعنى رزقًا، ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [آية: ١٠]، يعنى تيسيرًا، فيها تقديم.

﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾، رقودًا، ﴿فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ [آية: ١١]، يعنى ثلاثمائة سنة وتسع سنين.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ﴾، من بعد نومهم، ﴿لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ﴾، يعنى لنرى مؤمنهم ومشركهم، ﴿أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟﴾ فى رقودهم، ﴿أَمَدًا﴾ [آية: ١٢]، يعنى أجلاً، فكان مؤمنوهم الذين كتبوا أمر الفتية هم أعلم بما لبثوا من كفارهم، فلما بعثوا، يعنى الفتية من نومهم، أتوا القرية، فأسلم أهل القرية كلهم.

﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾
وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا
لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ
عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ

وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ
أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ﴿١٦﴾ ۞وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا
غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ
ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ﴿١٧﴾ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ
وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ
لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ
قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ
فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم
بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ
يَرۡجُمُوكُمۡ أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ﴿٢٠﴾ وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا
عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ
فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم
مَّسۡجِدٗا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ رَجۡمَۢا
بِٱلۡغَيۡبِۖ وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ
فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ
لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ
عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ﴿٢٤﴾

﴿نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ﴾، يعنى صدقوا بتوحيد ربهم، ﴿وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى﴾ [آية: ١٣]، حين فارقوا قومهم.

﴿وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ بالإيمان، ﴿إِذۡ قَامُواْ﴾، على أرجلهم قيامًا، ﴿فَقَالُواْ رَبُّنَا﴾ هو ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ﴾، يعنى لن نعبد ﴿مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ﴾، يعنى بررًا غير الله عز وجل، كفعل قومنا، ولئن فعلنا، ﴿لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا﴾ على الله ﴿شَطَطًا﴾ [آية: ١٤]، يعنى جورًا، نظيرها فى ص: ﴿وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا﴾ [ص: ٢٢]، وفى سورة الجن: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ [الجن: ٤].

ثم قال سبحانه: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ﴾، يعبدونها، ﴿لَّوۡلَا﴾،

يعنى هلا، ﴿يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ﴾، يعنى على الآلهة بحجة بينة بأنها آلهة، ﴿فَمَنْ﴾، يعنى فلا أحد، ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [آية: ١٥]، بأن معه آلهة.

ثم قال الفتية بعضهم لبعض: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ﴾، من دون الله من الآلهة، ثم استثنوا، فقالوا: ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾، فلا تعتزلوا معرفته؛ لأنهم عرفوا أن الله تعالى ربهم، وهو خلقهم وخلق الأشياء كلها، ثم قال بعضهم لبعض: ﴿فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾، يعنى انتهوا إلى الكهف، كقوله سبحانه: ﴿إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ﴾ [الكهف: ٦٣]، ﴿يَنشُرْ لَكُمْ﴾، يعنى يبسط لكم، ﴿رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ رزقا، ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ [آية: ١٦]، يعنى ما يرفق بكم، فهيأ الله لكم الرقود فى الغار، فكان هذا من قول الفتية.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ﴾ (١)، يعنى تميل عن كهفهم فتدعهم، ﴿ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت﴾ الشمس، ﴿تَّقْرِضُهُمْ﴾، يعنى تدعهم ﴿ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾، يعنى فى زاوية من الكهف، ﴿ذَٰلِكَ﴾، يعنى هذا الذى ذكر من أمر الفتية، ﴿مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾، يعنى من علامات الله وصنعه، ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ﴾ لدينه، ﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ﴾، عن دينه الإسلام، ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا﴾، يعنى صاحبًا، ﴿مُّرْشِدًا﴾ [آية: ١٧]، يعنى يرشده إلى الهدى؛ لأن وليه مثله فى الضلالة.

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا﴾، حين يقلبون، وأعينهم مفتحة. حدثنا عبيد الله، قال: حدثنا أبى، عن الهذيل، قال: قال مقاتل، عن الضحاك: كان يقلبهم جبريل، عليه السلام، كل عام مرتين؛ لئلا تأكل الأرض لحومهم، ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾، يعنى نيام، ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾، على جنوبهم، وهم رقود لا يشعرون، ﴿وَكَلْبُهُم﴾، اسمه: قمطير، ﴿بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾، يعنى الفضاء الذى على باب الكهف، وكان الكلب لمكسلمينا، وكان راعى غنم، فبسط الكلب ذراعيه على باب الكهف؛ ليحرسهم، وأنام الله عز وجل الكلب فى تلك السنين، كما أنام الفتية، يقول للنبى ﷺ: ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾، حين نقلبهم، ﴿لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ [آية: ١٨].

---

(١) انظر: (الفراء ٢/١٣٦، الطبرى ١٥/١٣٩ البحر المحيط ٦/١٠٧، التبيان ٧/١٦، العكبرى ٢/٥٥، النحاس ٢/٢٦٦، القرطبى ١٠/٣٦٦).

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾، يعنى وهكذا، ﴿بَعَثۡنَٰهُمۡ﴾ من نومهم فقاموا، ﴿لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ﴾، فـ﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ﴾، وهو مكسلمينا، وهو أكبرهم سنًا، ﴿كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ﴾ رقودًا، ﴿قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا﴾، وكانوا دخلوا الغار غدوة، وبعثوا من آخر النهار، فمن ثم قالوا: ﴿أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ قَالُواْ﴾، يعنى الأكبر، وهو مكسلمينا وحده، ﴿رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ﴾ فى رقودكم منكم، فردوا العلم إلى الله عز وجل، ثم قال مكسلمينا: ﴿فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ﴾ (١)، يعنى الدراهم، ﴿هَٰذِهِۦٓ﴾ التى معكم، ﴿إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ﴾، فبعثوا يمليخا، ﴿فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا﴾، يعنى أطيب طعامًا، ﴿فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ وَلۡيَتَلَطَّفۡ﴾، يعنى وليترفق حتى لا يفطن له، ﴿وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا﴾ [آية: ١٩]، يعنى ولا يعلمن بمكانكم أحدًا من الناس.

﴿إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ﴾، يعنى يقتلوكم، ﴿أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ﴾، يعنى فى دينهم الكفر، ﴿وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا﴾ [آية: ٢٠]، كان هذا من قول مكسلمينا، يقوله للفتية، فلما ذهب يمليخا إلى القرية، أنكروا دراهم دقيوس الجبار، الذى فر منه الفتية، فلما رأوا ذلك، قالوا: هذا رجل كنزًا، فلما خاف أن يعذب، لأخبرهم بأمر الفتية، فانطلقوا معه إلى الكهف، فلما انتهى يمليخا إلى الكهف ودخل، سد الله عز وجل باب الكهف عليهم، فلم يخلص إليهم أحد.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا﴾، يقول: وهكذا أطلعنا ﴿عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ﴾، يعنى ليعلم كفارهم ومكذبوهم بالبعث إذا نظروا إليهم، ﴿أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾ فى البعث أنه كائن، ﴿وَ﴾ ليعلموا ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ﴾ آتية، يعنى قائمة، ﴿لَا رَيۡبَ فِيهَآ﴾، يعنى لا شك فيها، فى القيامة بأنها كائنة، ﴿إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ﴾، يعنى إذا يختلفون فى القول فى أمرهم، فكان التنازع بينهم أن قالوا: كيف نصنع بالفتية؟ قال بعضهم: نبنى عليهم بنيانًا، وقال بعضهم، وهم المؤمنون: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا﴾ [آية: ٢١]، فبنوا مسجدًا على باب الكهف.

﴿سَيَقُولُونَ﴾، يعنى نصارى نجران: الفتية ﴿ثَلَٰثَةٞ﴾ نفر، ﴿رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ﴾ (٢)، يقول الله عز وجل: ﴿رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ﴾، يعنى قذفًا

---

(١) انظر: (الكشاف ٢/٤٧٦، الرازى ٢١/١٠٣، البحر المحيط ٦/١١٠، مجمع البيان ٦/٤٥٧).

(٢) انظر: (الكشاف ٢/٤٧٥، البحر المحيط ٦/١٠٦، العكبرى ٢/٥٥، مجمع البيان ٦/٤٥٤).

بالظن لا يستيقنونه، ﴿وَيَقُولُونَ﴾ هم ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾، وإنما صاروا بالواو واو؛ لأنه انقطع الكلام، وقال أبو العباس ثعلب: ألفوا هذه الواو الحال، كان المعنى: وهذه حالهم عند ذكر الكلب، هذا قول نصارى نجران السيد والعاقب ومن معهما من المار يعقوبيين، وهم حزب النصارى، ﴿قُل﴾ للنصارى: ﴿رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾ من غيره، ﴿مَّا يَعْلَمُهُمْ﴾، يعني عدتهم، ثم استثنى: ﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾، قل: ما يعلم عدة الفتية إلا قليل من النسطورية، وهم حزب من النصارى، وأما الذين غلبوا على أمرهم، فهم المؤمنون الذين كانوا يقولون: ابنوا عليهم بنيانًا بنداسيس الصلح ومن معه، ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ﴾، يعني لا تمار يا محمد النصارى فى أمر الفتية، ﴿إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾، يعني حقًا بما فى القرآن، يقول سبحانه: حسبك بما قصصنا عليك من أمرهم، ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ [آية: ٢٢]، يقول: ولا تسأل عن أمر الفتية أحدًا من النصارى.

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾ [آية: ٢٣].

﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾، وذلك حين سأل أبو جهل وأصحابه عن أصحاب الكهف، فقال لهم النبى ﷺ: «ارجعوا إلىَّ غدًا حتى أخبركم»، ولم يستثن، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾، يقول: إذا ذكرت الاستثناء فاستثن، يقول الله: قل: إن شاء الله قبل أن ينزل الوحى إليك فى أصحاب الكهف، ﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ [آية: ٢٤]، لقول النبى ﷺ لهم: «ارجعوا إلىَّ غدًا حتى أخبركم عما سألتم»، فقال عز وجل للنبى ﷺ: وقل لهم عسى أن يرشدنى ربى لأسرع من هذا الميعاد رشدًا.

﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾

ثم قالت النصارى أيضًا: ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ﴾ رقودًا، ﴿ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا﴾ [آية: ٢٥]، فيها تقديم، لا تتغير ألوانهم، ولا أشعارهم، ولا ثيابهم.

﴿قُلِ﴾ لنصارى نجران يا محمد: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟﴾ فى رقودهم، ﴿لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، يعنى ما يكون فى السموات والأرض، ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾،

يقول: لا أحد أبصر من الله عز وجل بما لبثوا في رقودهم، ولا أحد أسمع، ﴿مَا لَهُم﴾، يعني النصارى، ﴿مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ﴾، يعني قريبًا ينفعهم، ﴿وَلَا يُشْرِكُ﴾ الله ﴿فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [آية: ٢٦].

﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾

﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾، يقول: أخبر كفار مكة الذين سألوا عن أصحاب الكهف بما أوحينا إليك من أمرهم، لا تنقص ولا تزيد، ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾، يقول: لا تحويل لقوله؛ لأن قوله تعالى ذكره حق، ثم حذر الله عز وجل نبيه ﷺ إن زاد أو نقص، ثم قال سبحانه: ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ [آية: ٢٧]، يعني مدخلاً، يقول: لا تقل في أصحاب الكهف إلا ما قد قيل لك، فإن فعلت فإنك لن تجد من دون الله عز وجل ملجأ تلجأ إليه ليمتعك منا.

﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾، يعني يعبدون ربهم، يعني بالصلاة له، ﴿بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾، طرفي النهار، ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾، يعني يبتغون بصلاتهم وصومهم وجه ربهم، ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ (١)، نزلت في عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن عمرو الفزاري، وذلك أنه دخل على النبي ﷺ وعنده الموالي وفقراء العرب، منهم: بلال بن رباح المؤذن، وعمار بن ياسر، وصهيب بن سنان، وخباب بن الأرت، وعامر بن فهيرة، ومهجع بن عبد الله مولى عمر بن الخطاب، وهو أول شهيد قتل يوم بدر، رضي الله عنهم، وأيمن ابن أم أيمن، ومن العرب أبو هريرة الدوسي، وعبد الله بن مسعود الهذلي، وغيرهم، وكان على بعضهم شملة قد عرق فيها.

فقال عيينة بن حصن للنبي ﷺ: إن لنا شرفًا وحسبًا، فإذا دخلنا عليك فاعرف لنا

---

(١) انظر: (الكشاف ٢/٤٨٢، الرازي ٢١/١١٥، البحر المحيط ٦/١١٩، العكبري ٢/٥٦، مجمع البيان ٢/٢٧).

ذلك، فأخرج هذا وضرباءه عنا، فوالله إنه ليؤذينا ريحه، يعنى جبته آنفًا، فإذا خرجنا من عندك فأذن لهم إن بدا لك أن يدخلوا عليك، فاجعل لنا مجلسًا ولهم مجلس، فأنزل الله عز وجل ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا﴾ [1]، يعنى القرآن، ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾، يعنى وآثر هواه، ﴿وَكَانَ أَمۡرُهُۥ﴾ الذى يذكر من شرفه وحسبه، ﴿فُرُطٗا﴾ [آية: ٢٨]، يعنى ضائعًا فى القيامة، مثل قوله: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِى ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَىۡءٖ﴾ [الأنعام: ٣٨]، يعنى ما ضيعنا.

﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ﴾، يعنى القرآن، ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾، هذا وعيد، نظيرها فى حم السجدة: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: ٤٥]، يعنى من شاء فليصدق بالقرآن، ومن شاء فليكفر بما فيه، ثم ذكر مصير الكافر والمؤمن، فقال: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ﴾، وذلك أنه يخرج عنق من النار فيحيط بهم، فذلك السرادق، ثم قال سبحانه: ﴿وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ﴾، يقول: أسود غليظ كدردى الزيت، ﴿يَشۡوِى ٱلۡوُجُوهَۚ﴾، وذلك أنه إذا دنا من فيه، اشتوى وجهه من شدة حر الشراب، ثم قال سبحانه: ﴿بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا﴾ [آية: ٢٩]، يقول: وبئس المنزل.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا (٣٠) أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِى مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرًا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقًا (٣١)﴾

ثم ذكر مصير المؤمنين، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا﴾ [آية: ٣٠]، يقول: لا نضيع أجر من أحسن العمل، ولكنا نجزيه بإحسانه.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِى مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾، يقول: تجرى الأنهار من تحت البساتين، ﴿يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ﴾، وأساور من لؤلؤ، ﴿وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرًا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ﴾ [2]، يعنى الديباج بلغة فارس، ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا﴾، فى الجنة، ﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ﴾، يعنى الحجال مضروبة على السرر، ﴿نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ﴾ الجنة، يثنى عليها عمل

(١) انظر: (مجمع البيان ٦/٤٦٤، الكشاف ٢/٤٨٢، العكبرى ٢/٥٦، البحر المحيط ٦/١٢٠).

(٢) انظر: (البحر المحيط ٦/١٢٢، الإتحاف ٢٨٩).

الأبرار، ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [آية: ٣١]، فيها تقديم، يقول: إنا لا نضيع عمل الأبرار، لا نضيع جزاء من أحسن عملاً.

﴿۞وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾﴾

﴿۞وَاضْرِبْ لَهُم﴾، يعنى وصف هم، يعنى لأهل مكة، ﴿مَّثَلًا﴾، يعنى شبهًا، ﴿رَّجُلَيْنِ﴾، أحدهما مؤمن واسمه يمليخا، والآخر كافر، واسمه فرطس، وهما أخوان من بنى إسرائيل مات أبوهما، فورث كل واحد منهما عن أبيه أربعة آلاف دينار، فعمد المؤمن فأنفق ماله على الفقراء واليتامى والمساكين، وعمد الكافر فاتخذ المنازل، والحيوان، والبساتين، فذلك قوله سبحانه: ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا﴾، يعنى الكافر، ﴿جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ [آية: ٣٢].

﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا﴾، يعنى أعطت ثمراتها كلها، ﴿وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا﴾، يعنى ولم تنقص من الثمر شيئًا، يعنى جمله وافرًا، نظيرها فى البقرة: ﴿**وَمَا ظَلَمُونَا**﴾ [البقرة: ٥٧]، يعنى وما نقصونا، ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا﴾ [آية: ٣٣]، يعنى أجرينا النهر وسط الجنتين.

﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ﴾، يقول: وكان للكافر مال من الذهب والفضة، وغيرها من أصناف الأموال، فلما افتقر المؤمن، أتى أخاه الكافر متعرضًا لمعروفه، فقال له المؤمن: إنى أخوك،

وهو ضامر البطن، رث الثياب، والكفر ظاهر الدم، غليظ الرقبة، جيد المركب والكسوة، فقال الكافر للمؤمن: إن كنت كما تزعم أنك أخى، فأين مالك الذى ورثت من أبيك؟ قال: أقرضته إلهى الملى الوفى، فقدمته لنفسى ولولدى، فقال: وإنك لتصدق أن الله يرد دين العباد، هيهات هيهات، ضيعت نفسك، وأهلكت مالك، فذلك قوله سبحانه: ﴿فَقَالَ﴾ الكافر ﴿لِصَٰحِبِهِۦ﴾، وهو المؤمن، ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾، يعنى يراجعه، يقول: ﴿أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا﴾ [آية: ٣٤]، يعنى وأكثر ولدًا.

﴿وَدَخَلَ﴾ الكافر ﴿جَنَّتَهُۥ﴾، وهو بستانه، ﴿وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ﴾، يعنى ما أحسب، ﴿أَن تَبِيدَ﴾، يعنى أن تهلك، ﴿هَٰذِهِۦٓ﴾ الجنة ﴿أَبَدٗا﴾ [آية: ٣٥].

قال: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ﴾، يعنى القيامة كائنة كما تقول، ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي﴾ فى الآخرة، ﴿لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا﴾، يعنى أفضل منها، من جنتى، ﴿مُنقَلَبٗا﴾ [آية: ٣٦]، يعنى مرجعًا.

فرد عليه، ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ﴾ المؤمن، ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾، يعنى يراجعه: ﴿أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ﴾، يعنى آدم، عليه السلام؛ لأن أول خلقه التراب، ثم قال: ﴿ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ﴾، يعنى خلقك فجعلك ﴿رَجُلٗا﴾ [آية: ٣٧].

﴿لَّٰكِنَّا۠﴾ أقول: ﴿هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾[1] [آية: ٣٨].

ثم قال المؤمن للكافر: ﴿وَلَوۡلَآ﴾، يعنى هلا، ﴿إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ﴾، يعنى بستانك، ﴿قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾، يعنى فهلا قلت بمشيئة الله أعطيتها بغير حول منى ولا قوة، ثم قال المؤمن للكافر يرد عليه: ﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا﴾ [آية: ٣٩].

﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا﴾، يعنى أفضل، ﴿مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا﴾، يعنى على جنتك، ﴿حُسۡبَانٗا﴾، يعنى عذابًا، ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ﴾ جنتك، ﴿صَعِيدٗا﴾، يعنى مستويًا ليس فيه شىء، ﴿زَلَقًا﴾ [آية: ٤٠]، يعنى أملسًا.

﴿أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا﴾، يعنى يغور فى الأرض فيذهب، ﴿فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا﴾ [آية: ٤١]، يقول: فلن تقدر على الماء، ثم افترقا، فأرسل الله عز وجل على جنته بالليل

---

(١) انظر: (القرطبى ١٠/٤٠٥، الكشاف ٢/٤٨٥، البحر المحيط ٦/١٢٨، الإتحاف ٢٩٠، النحاس ٢/٢٧٦، التبيان ٧/٤٨، مجمع البيان ٦/٤٦٩).

عذابًا من السماء، فاحترقت، وغار ماؤها بقوله: و ﴿مَا أظُنُّ أن تَبِيدَ هَـٰذِهِ أبَدًا﴾، ﴿وَمَا أظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾.

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ الهلاك، فلما أصبح ورأى جنته هالكة، ضرب بكفه على الأخرى، ندامة على ما أنفق فيها، فذلك قوله سبحانه: ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾، يعنى يصفق بكفيه ندامة، ﴿عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾، يقول: ساقطة من فوقها، ﴿وَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾ [آية: ٤٢].

يقول الله تعالى: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، يعنى جندًا يمنعونه من عذاب الله الذى نزل بجنته، ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ [آية: ٤٣]، يعنى ممتنعًا.

﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَـٰيَةُ﴾، يعنى السلطان، ليس فى ذلك اليوم سلطان غيره، مثل قوله عز وجل: ﴿وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّـهِ﴾ [الانفطار: ١٩]، ليس فى ذلك اليوم أمر إلا لله عز وجل، والأمر أيضًا فى الدنيا، لكن جعل فى الدنيا ملوكًا يأمرون، ومن قرأها بفتح الواو، جعلها من الموالاة، ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَـٰيَةُ لِلَّهِ﴾، يعنى البعث الذى كفر به فرطس، ﴿لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾ وحده، لا يملكه أحد، ولا ينازعه أحد، ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا﴾، يعنى أفضل ثوابًا، ﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [آية: ٤٤]، يعنى أفضل عاقبة لهذا المؤمن من عاقبة هذا الكافر الذى جعل مرجعه إلى النار.

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَـٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَـٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَـٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم﴾، لكفار مكة، ﴿مَّثَلَ﴾، يعنى شبه، ﴿ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ﴾، يعنى بالماء، ﴿نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ﴾ النبت ﴿هَشِيمًا﴾، يعنى يابسًا، ﴿تَذْرُوهُ ٱلرِّيَـٰحُ﴾، يقول سبحانه: مثل الدنيا، كمثل النبت، بينما هو أخضر، إذ هو قد يبس وهلك، فكذلك تهلك الدنيا إذا جاءت الآخرة، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾

من البعث وغيره، ﴿مُّقۡتَدِرًا﴾ [آية: ٤٥].

﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾، يعنى حسنها، ﴿وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾، يعنى: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ﴿خَيۡرٌ﴾، يعنى أفضل، ﴿عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ فى الآخرة، ﴿وَخَيۡرٌ أَمَلًا﴾ [آية: ٤٦]، يعنى وأفضل رجاء مما يرجو الكافر، فإن ثواب الكافر من الدنيا النار، ومرجعهم إليها.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، عن الهذيل، عن مقاتل بن سليمان، عن علقمة بن مرثد وغيره، عن النبى ﷺ، أنه قال: «الباقيات الصالحات: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر».

﴿وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ﴾ من أماكنها، ﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةً﴾ من الجبال والبناء والشجر وغيره، ﴿وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدًا﴾ [آية: ٤٧]، فلم يبق منهم أحد إلا حشرناه.

﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾، يعنى جميعًا، نظيرها فى طه: ﴿**ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا**﴾ [طه: ٦٤]، يعنى جميعًا، ﴿لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا﴾ فرادى ليس معكم من دنياكم شىء، ﴿كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ﴾، حين ولدوا وليس لهم شىء، ﴿بَلۡ زَعَمۡتُمۡ﴾ فى الدنيا، ﴿أَلَّن نَّجۡعَلَ لَكُم مَّوۡعِدًا﴾ [آية: ٤٨]، يعنى ميقاتًا فى الآخرة تبعثون فيه.

﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾، بما كانوا عملوا فى الدنيا بأيديهم، ﴿فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾، من المعاصى، ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا﴾، دعوا بالويل، ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ﴾، يعنى لا يبقى سيئة، ﴿صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ﴾، يعنى إلا أحصى الكتاب السيئات، ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ﴾، يعنى تعجل له عمله كله، ﴿حَاضِرٗاۗ﴾، لا يغادر منه شيئًا، ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ [آية: ٤٩] فى عمله الذى عمل حتى يجزيه به.

﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴿٥١﴾﴾

﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾، يعنى وقد قلنا للملائكة: ﴿ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ﴾، ثم استثنى، فقال: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾، وهو حى من الملائكة، يقال لهم: الجن،

﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾، يعنى فعصى تكبرًا عن أمر ربه حين أمره بالسجود لآدم، قال الله عز وجل: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ﴾، يعنى إبليس، ﴿وَذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾، يعنى الشياطين، ﴿أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾، يعنى آلهة من دونى، ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ﴾، يعنى إبليس والشياطين لكم معشر بنى آدم عدو، ﴿بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ﴾، يعنى المشركين، ﴿بَدَلًا﴾ [آية: ٥٠]، يقول: بئس ما استبدلوا بعبادة الله عز وجل، عبادة إبليس، فبئس البدل هذا.

﴿۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ﴾، يعنى ما أحضرتهم، ﴿خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾، يعنى إبليس وذريته، ثم قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ﴾ [آية: ٥١]، الذين أضلوا بنى آدم وذريته، ﴿عَضُدًا﴾، يعنى عزًا وعونًا فيما خلقت من خلق السموات والأرض ومن خلقهم.

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾﴾

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾ للمشركين، ﴿نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ﴾، سلوا الآلهة، ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ أنهم معى شركاء، أهم آلهة؟ ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ﴾، يقول: فسألوهم، فلم يجيبوهم بأنها آلهة، ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم﴾ وبين شركائهم، ﴿مَّوْبِقًا﴾ [آية: ٥٢]، يعنى واديًا عميقًا فى جهنم.

﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾، يعنى فعلموا أنهم مواقعوها، يعنى داخلوها، نظيرها فى براءة: ﴿**وَظَنُّوا أن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إلاَّ إِلَيْهِ**﴾ [التوبة: ١١٨]، يعنى وعلموا، ﴿وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ [آية: ٥٣]، يقول: ولم يقدر أحد من الآلهة أن يصرف النار عنهم.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾، يعنى لونا، يعنى وصفنا، ﴿فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾، من كل شبه فى أمور شتى، ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ [آية: ٥٤].

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ﴾، يعنى المستهزئين والمطعمين فى غزاة بدر، ﴿أَن يُؤْمِنُوٓا۟﴾، يعنى

أن يصدقوا بالقرآن، ﴿إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ﴾، يعنى البيان، وهو القرآن، وهو هدى من الضلالة، ﴿وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ﴾ من الشرك، ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، يعنى أن ينزل بهم مثل عذاب الأمم الخالية فى الدنيا، فنزل ذلك بهم فى الدنيا ببدر من القتل، وضرب الملائكة الوجوه والأدبار، وتعجيل أرواحهم إلى النار، ثم قال سبحانه: ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا﴾ [آية: ٥٥]، يعنى عيانًا.

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ بالجنة، ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ من النار؛ لقول كفار مكة للنبى ﷺ فى بنى إسرائيل: ﴿أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولاً﴾ [الإسراء: ٩٤]، ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من أهل مكة، ﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾، وجدالهم بالباطل قولهم للرسل: ما أنتم إلا بشر مثلنا، وما أنتم برسل الله، ﴿لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾، يعنى ليبطلوا بقولهم الحق الذى جاءت به الرسل، عليهم السلام، ومثله قوله سبحانه فى حم المؤمن: ﴿لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ [غافر: ٥]، يعنى ليبطلوا به الحق، ﴿وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا﴾ [آية: ٥٦]، يعنى آيات القرآن وما أنذروا فيه من الوعيد استهزاء منهم، أنه ليس من الله عز وجل، يعنى القرآن والوعيد ليسا بشىء.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾، يقول: فلا أحد أظلم ممن وعظ بآيات ربه، يعنى القرآن، نزلت فى المطعمين والمستهزئين، فأعرض عن الإيمان بآيات الله القرآن، فلم يؤمن بها، ﴿وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾، يعنى ترك ما سلف من ذنوبه، فلم يستغفر منها من الشرك، ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾، يعنى الغطاء على القلوب، ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾، يعنى القرآن، ﴿وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾؛ لئلا يسمعوا القرآن، ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ﴾ يا محمد ﴿إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾ [آية: ٥٧] من أجل الأكنة والوقر، يعنى كفار مكة.

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ﴾، يعنى إذا تجاوز عنهم فى تأخير العذاب عنهم، ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾،

يعنى ذا النعمة حين لا يعجل بالعقوبة، ﴿لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ﴾ من الذنوب، ﴿لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ﴾ فى الدنيا، ﴿بَل﴾ العذاب ﴿لَّهُم مَّوْعِدٌ﴾، يعنى ميقاتًا يعذبون فيه، ﴿لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا﴾ [آية: ٥٨]، يعنى ملجأ يلجئون إليه.

﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ﴾ بالعذاب فى الدنيا، يعنى أشركوا، ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم﴾ بالعذاب، ﴿مَّوْعِدًا﴾ [آية: ٥٩]، يعنى ميقاتًا، وهكذا وقت هلاك كفار مكة ببدر.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا
(٦٠) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا (٦١) فَلَمَّا
جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا (٦٢) قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ
إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى
ٱلْبَحْرِ عَجَبًا (٦٣) قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا (٦٤) فَوَجَدَا عَبْدًا
مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا (٦٥) قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ
أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا (٦٧)
وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ
أَعْصِى لَكَ أَمْرًا (٦٩) قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا
(٧٠) فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ
شَيْـًٔا إِمْرًا (٧١) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا (٧٢) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا
نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا (٧٣)﴾

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾، يوشع بن نون، وهو ابن أخت موسى، من سبط يوسف بن يعقوب، عليهم السلام: ﴿لَآ أَبْرَحُ﴾، يعنى لا أزال أطلب الخضر، وهو من ولد عاميل، من بنى إسرائيل، ﴿حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾[1]، يقال لأحدهما: الرش، وللآخر: الكر، فيجتمعان فيصيران نهرًا واحدًا، ثم يقع فى البحر من وراء أذربيجان، ﴿أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾ [آية: ٦٠]، يعنى دهرًا، ويقال: الحقب ثمانون سنة.

﴿فَلَمَّا بَلَغَا﴾، يعنى موسى ويوشع بن نون، ﴿مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾ بين البحرين، ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾، وذلك أن موسى، عليه السلام، لما علم ما فى التوراة، وفيها تفصيل

---

(١) انظر: (الفراء ٢/١٤٨، الكشاف ٢/٤٩٠، البحر المحيط ٦/١٤٤، العكبرى ٢/٥٨).

كل شيء، قال له رجل من بني إسرائيل: هل في الأرض أحد أعلم منك؟ قال: لا، ما بقي أحد من عباد الله هو أعلم مني، فأوحى الله عز وجل إليه: أن رجلاً من عبادى يسكن جزائر البحر، يقال له: الخضر، هو أعلم منك، قال: فكيف لى به؟ قال جبريل، عليه السلام: احمل معك سمكة مالحة، فحيث تنساها تجد الخضر هنالك.

فسار موسى ويوشع بن نون، ومعهما خبز وسمكة مالحة فى مكتل على ساحل البحر، فأوى إلى الصخرة قليلاً، والصخرة بأرض تسمى: مروان، على ساحل بحر أيلة، وعندها عين تسمى: عين الحياة، فباتا عندها تلك الليلة، وقرب موسى المكتل من العين وفيها السمكة، فأصابها الماء فعاشت، ونام موسى، فوقعت السمكة فى البحر، فجعل لا يمس صفحتها شيء من الماء إلا انفلق عنه، فقام الماء من كل جانب، وصار أثر الحوت فى الماء كهيئة السرب فى الأرض، واقتصد الحوت فى مجراه ليلحقاه، فذلك قوله سبحانه: ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ [آية: ٦١]، يعنى الحوت اتخذ سبيله، يعنى طريقه فى البحر سربًا، يقول: كهيئة فم القربة.

فلما أصبحا ومشيا، نسى يوشع بن نون أن يخبر موسى، عليه السلام، بالحوت حتى أصبحا وجاعا، ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ﴾ موسى ﴿لِفَتَىٰهُ﴾، ليوشع: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [آية: ٦٢]، يعنى مشقة فى أبداننا، مثل قوله سبحانه: ﴿**أَنِّى مَسَّنِىَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ**﴾ [ص: ٤١]، يعنى مشقة.

﴿قَالَ﴾ يوشع لموسى: ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾، يعنى انتهينا إلى الصخرة، وهى فى الماء، ﴿فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾، أن أذكر لك أمره، ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ﴾، يعنى موسى، عليه السلام، طريقه ﴿فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾ [آية: ٦٣]، فعجب موسى من أمر الحوت.

فلما أخبر يوشع موسى، عليه السلام، بأمر الحوت، ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [آية: ٦٤]، يقول: فرجعا يقصان آثارهما، كقوله سبحانه فى القصص: ﴿قُصِّيهِ﴾ [القصص: ١١]، يعنى اتبعى أثره، فأخذا، يعنى موسى ويوشع، فى البحر فى أثر الحوت، حتى لقيا الخضر، عليه السلام، فى جزيرة فى البحر.

فذلك قوله سبحانه: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾، قائمًا يصلى، ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾، يقول: أعطيناه النعمة، وهى النبوة، ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [آية: ٦٥]،

يقول: من عندنا علمًا، وعلى الخضر، عليه السلام، جبة صوف، واسمه: اليسع، وإنما سمى اليسع؛ لأن علمه وسع ست سموات وست أرضين، فأتاه موسى ويوشع من خلفه، فسلما عليه، فأنكر الخضر السلام بأرضه وانصرف، فرأى موسى فعرفه، فقال: وعليك السلام يا نبى بنى إسرائيل، فقال موسى: وما يدريك أنى نبى بنى إسرائيل؟ قال: أدرانى الذى أرشدك إلىَّ وأدراك بى.

﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا﴾ [آية: ٦٦]، يعنى علمًا، قال الخضر، عليه السلام: كفى بالتوراة علمًا، وببنى إسرائيل شغلاً، فأعاد موسى الكلام.

فـ﴿قَالَ﴾ الخضر: ﴿إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا﴾ [آية: ٦٧]، قال موسى: ولم؟ قال: لأنى أعمل أعمالاً لا تعرفها، ولا تصبر على ما ترى من العجائب حتى تسألنى عنه.

﴿وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا﴾ [آية: ٦٨]، يعنى علمًا.

﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا﴾، قال مقاتل: فلم يصبر مولى، ولم يأثم بقوله: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا﴾، على ما رأى من العجائب، فلا أسألك عنها، ﴿وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا﴾ [آية: ٦٩] فيما أمرتنى به، أو نهتنى عنه.

﴿قَالَ﴾ الخضر، عليه السلام: ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا﴾ [آية: ٧٠]، يقول: حتى أبين لك بيانه.

﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ﴾، فمرت سفينة فيها ناس، فقال الخضر: يا أهل السفينة، احملونا معكم فى بحر أيلة، قال بعضهم: إن هؤلاء لصوص، فلا تحملوهم معنا، قال صاحب السفينة: أرى وجوه أنبياء، وما هم بلصوص، فحملهم بأجر، فعمد الخضر فضرب ناحية السفينة بقدوم فخرقها، فدخل الماء فيها، فعمد موسى، فأخذ ثيابًا فدسها فى خرق السفينة، فلم يدخل الماء، وكان موسى، عليه السلام، ينكر الظلم، فقام موسى إلى الخضر، عليهما السلام، فأخذ بلحيته، و﴿قَالَ﴾ له سموى: ﴿أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرٗا﴾ [آية: ٧١]، يعنى لقد أتيت أمرًا منكرًا، فالتزمه الخضر، وذكره الصحبة، وناشده بالله، وركب الخضر على الخرق؛ لئلا يدخلها الماء.

﴿قَالَ﴾ له الخضر: ﴿أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا﴾ [آية: ٧٢]، على ما ترى

من العجائب، قال يوشع لموسى: اذكر العهد الذى أعطيته من نفسك.

﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي﴾، يعنى تغشينى، ﴿مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ [آية: ٧٣]، يعنى من قولى عسرًا، ثم قعد موسى مهمومًا يقول فى نفسه: لقد كنت غنيًا عن اتباع هذا الرجل، وأنا فى بنى إسرائيل أقرئهم كتاب الله عز وجل غدوة وعشيًا، فعلم الخضر ما حدث به موسى نفسه، وجاء طير يدور، يرون أنه خطاف، حتى وقع على ساحل البحر، فنكث بمنقاره فى البحر، ثم وقع على صدر السفينة، ثم صوت، فقال الخضر لموسى: أتدرك ما يقول هذا الطائر؟ قال موسى: لا أدرى، قال الخضر: يقول: ما علم الخضر وعلم موسى فى علم الله إلا كقدر ما رفعت بمنقارى من ماء البحر فى قدر البحر.

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾

ثم خرجا من السفينة على بحر إيلة، ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا﴾ سداسيًا، ﴿فَقَتَلَهُ﴾ الخضر بحجر أسود، واسم الغلام: حسين بن كازرى، واسم أمه: سهوى، فلم يصبر موسى حين رأى المنكر ألا ينكره، فـ﴿قَالَ﴾ للخضر: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾، يعنى لا ذنب لها، ولم يجب عليها القتل، ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ [آية: ٧٤]، يقول أتيت أمرًا فظيعًا، قال يوشع لموسى: اذكر العهد الذى أعطيته عن نفسك.

﴿۞ قَالَ﴾ الخضر لموسى، عليهما السلام: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ

صَبْرًا﴾ [آية: ٧٥]، وإنما قال: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ﴾؛ لأنه كان قد تقدم إليه قبل ذلك بقوله: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾، على ما ترى من العجائب.

﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا﴾، يعنى بعد قتل النفس، ﴿فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ [آية: ٧٦]، يقول: لقد أبلغت فى العذر إلىَّ.

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا﴾ الطعام، تسمى القرية: باجروان، ويقال: أنطاكية. قال مقاتل: قال قتادة: هى القرية، ﴿فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾، يعنى أن يطعموهما، ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾، كانوا بلوا الطين، ﴿فَأَقَامَهُ﴾ الخضر جديدًا فسواه، ﴿قَالَ﴾ موسى: عمدت إلى قوم لم يطعمونا و لم يضيفونا، فأقمت لهم جدارهم فسويته لهم بغير أجر، يعنى بغير طعام ولا شىء، ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [آية: ٧٧]، أى لو شئت أعطيت عليه شيئًا.

﴿قَالَ﴾ الخضر: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ﴾، يعنى بعاقبة، ﴿مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [آية: ٧٨]، كقوله سبحانه: ﴿**يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ**﴾ [الأعراف: ٥٣]، يعنى عاقبته.

ثم قال الخضر لموسى، عليهما السلام: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾، يعنى أن أخرقها، ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ﴾، يعنى أمامهم، كقوله سبحانه: ﴿**وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلاً**﴾ [الإنسان: ٢٧]، واسم الملك: مبدلة بن جلندى الأزدى، ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾ صالحة صحيحة سوية، ﴿غَصْبًا﴾ [آية: ٧٩]، كقوله سبحانه: ﴿**فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا**﴾ [الأعراف: ١٩٠]، يعنى سويًا، يعنى غصبًا من أهلها، يقول: فعلت ذلك؛ لئلا ينتزعها من أهلها ظلمًا، وهم لا يضرهم خرقها.

﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾[1]، وكان الغلام كافرًا، يقطع الطريق، ويحدث الحدث، ويلجأ إليهما ويجادلان عنه، ويحلفان بالله ما فعله، وهم يحسبون أنه برئ من الشر، قال الخضر: ﴿فَخَشِينَا﴾، يعنى فعلمنا، كقوله سبحانه: ﴿**وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا**﴾ [النساء: ١٢٨]، يعنى علمت، وكقوله تعالى: ﴿**وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا**﴾ [النساء: ٣٥]، يعنى علمتم، ﴿أَن يُرْهِقَهُمَا﴾، يعنى يغشيهما، ﴿طُغْيَانًا﴾،

(١) انظر: (البحر المحيط ٦/١٥٥، الكشاف ٢/٤٩٥، إعراب القرآن للعكبرى ٢/٥٩، تفسير الآلوسى ١٦/١١).

يعنى ظلمًا، ﴿وَكُفْرًا﴾ [آية: ٨٠]، وفى قراءة أبى بن كعب: فخاف ربك، يعنى فعلم ربك.

﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾، يعنى لأبويه لقتل الغلام، والعرب تسمى الغلام غلامًا، ما لم تسو لحيته، فأردنا أن يبدلهما ربهما، يعنى يبدل والديه، ﴿خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً﴾، يعنى عملاً، ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [آية: ٨١]، يعنى وأحسن منه برًا بوالده، وكان فى شرف وعده، وبلغنا عن النبى ﷺ أنه قال: «إن الله عز وجل أبدلهما غلامًا مكان المقتول، ولو عاش المقتول لهلكا فى سببه».

﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾، يعنى فى قرية تسمى: باجروان، ويقال: هى أنطاكية، ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾. حدثنا عبيد الله، قال: حدثنا أبى، عن مقاتل، عن الضحاك ومجاهد، قال: صحفًا فيها العلم، ويقال: المال، ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾، يعنى ذا أمانة، اسم الأب: كاشح، واسم الأم: دهنا، واسم أحد الغلامين: أصرم، والآخر: صريم، ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا﴾، والأشد ثمانى عشرة سنة، ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾، يقول: نعمة من ربك للغلامين، ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ﴾، وما فعلت هذا، ﴿عَنْ أَمْرِى﴾، ولكن الله أمرنى به، ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ﴾، يعنى عاقبة، ﴿مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [آية: ٨٢]، يعنى هذا عاقبة ما رأيت من العجائب، نظيرها: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ﴾ [الأعراف: ٥٣]، يعنى عاقبة ما ذكر الله تعالى فى القرآن من الوعيد.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾﴾

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾، يعنى الإسكندر قيصر، ويسمى: الملك القابض، على قاف، وهو جبل محيط بالعالم، ذو القرنين، وإنما سمى ذو القرنين؛ لأنه أتى قرنى الشمس المشرق والمغرب، ﴿قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ﴾ يا أهل مكة، ﴿ذِكْرًا﴾ [آية: ٨٣]، يعنى علمًا.

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾ [آية: ٨٤]، يعنى علم أسباب منازل الأرض وطرقها، ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [آية: ٨٥].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾، يعنى حارة سوداء، قال ابن عباس: إذا طلعت الشمس أشد حرًا منها إذا غربت، ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ﴾، أوحى الله عز وجل إليه، جاءه جبريل، عليه السلام، فخبره: قلنا: فقال: ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [آية: ٨٦]، يقول: وإما أن تعفو عنهم، كل هذا مما أمره الله عز وجل به وخيره.

﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾﴾

﴿قَالَ﴾ ذو القرنين: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾، يعنى نقتله، ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ﴾ فى الآخرة بالنار، ﴿عَذَابًا نُّكْرًا﴾ [آية: ٨٧]، يعنى فظيعًا.

﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ﴾، يعنى صدق بتوحيد الله عز وجل، ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾، يعنى الجنة، ﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [آية: ٨٨]، يقول: سنعده معروفًا، فلم يؤمن منهم غير رجل واحد، ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [آية: ٨٩]، يعنى علم منازل الأرض وطرقها.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ [آية: ٩٠]، يعنى من ذون الشمس سترًا كانوا يستقرون فى الأرض فى أسراب من شدة الحر، وكانوا فى مكان لا يستقر عليهم البناء، فإذا زالت الشمس خرجوا إلى معايشهم.

ثم قال: ﴿كَذَٰلِكَ﴾، يعنى هكذا بلغ مطلع الشمس كما بلغ مغربها، ثم استأنف، فقال سبحانه: ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ [آية: ٩١]، يعنى بما عنده علمًا، ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [آية: ٩٢]، يعنى علم منازل الأرض وطرقها.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾، يعنى بين الجبلين، ﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ [آية: ٩٣]، يعنى لم يكن أحد يعرف لغتهم.

﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾، وهما أخوان من ولد يافث بن نوح، ﴿مُفْسِدُونَ

﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، يعنى بالفساد القتل، يعنى أرض المسلمين، ﴿فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا﴾، يعنى جعلاً، ﴿عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا﴾ [آية: ٩٤]، لا يصلون إلينا.

﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا ﴿٩٨﴾ ۞وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖۖ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضۡنَا جَهَنَّمَ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡكَٰفِرِينَ عَرۡضًا ﴿١٠٠﴾﴾

﴿قَالَ﴾ ذو القرنين: ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ﴾، يقول: ما أعطانى ربى من الخير، خير من جعلكم، يعنى أعطيتكم، ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾، يعنى بعدد رجال، مثل قوله عز وجل فى سورة هود: ﴿وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ﴾ [هود: ٥٢]، يعنى عددًا إلى عددكم، ﴿أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا﴾ [آية: ٩٥] لا يصلون إليكم.

﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ﴾، يعنى قطع الحديد، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ﴾ [1]، يعنى حشى بين الجبلين بالحديد، والصدفين الجبلين، وبينهما واد عظيم، فـ ﴿قَالَ ٱنفُخُواْۖ﴾ على الحديد، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا﴾ [آية: ٩٦]، قال: أعطونى الصفر المذاب أصبه عليه ليلحمه فيكون أشد له.

قال رجل للنبى ﷺ: قد رأيت سد يأجوج ومأجوج، قال النبى ﷺ: «انعته لى»، قال: هو كالبرد المحبر، طريقة سوداء وطريقة حمراء، قال النبى ﷺ: «نعم، قد رأيته»، يقول الله عز وجل: ﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ﴾، يعنى فما قدروا، ﴿أَن يَظۡهَرُوهُ﴾ على أن يعلوه من فوقه، مثل قوله فى الزخرف: ﴿مَعَارِجَ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ﴾ [الزخرف: ٣٣]، يعنى يرقون، ﴿وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ﴾، يعنى وما قدروا، ﴿لَهُۥ نَقۡبٗا﴾ [آية: ٩٧].

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنا أبى، قال: حدثنا أبو صالح، عن مقاتل، عن أبى إسحاق، قال: قال على بن أبى طالب، عليه السلام: أنهم خلف الردم، لا يموت منهم رجل حتى يولد له ألف ذكر لصلبه، وهم يغدون إليه كل يوم ويعالجون الردم، فإذا

---

(١) انظر: (البحر المحيط ٦/١٦٤، الكشاف ٢/٤٩٩، العكبرى ٢/٥٩).

أمسوا يقولون: نرجع فنفتحه غدًا، ولا يستثنون، حتى يولد فيهم رجل مسلم، فإذا غدوا إليه، قال لهم المسلم: قولوا: باسم الله، ويعالجون حتى يتركوه رقيقًا كقشر البيض، ويروا ضوء الشمس، فإذا أصبحوا غدوا عليه، فيقول لهم المسلم: نرجع غدًا إن شاء الله فنفتحه، فإذا غدوا عليه، قال لهم المسلم: قولوا: باسم الله، فينقبونه، فيخرجون منه، فيطوفون الأرض، ويشربون ماء الفرات، فيجيء آخرهم، فيقول: قد كان هاهنا مرة ماء، ويأكلون كل شيء حتى الشجر، ولا يأتون على شيء من غيرها إلا قاموه.

فلما فرغ ذو القرنين من بناء الردم: ﴿قَالَ هَٰذَا﴾، يعني هذا الردم، ﴿رَحْمَةٌ﴾، يعني نعمة، ﴿مِّن رَّبِّي﴾، للمسلمين، فلا يخرجون إلى أرض المسلمين، ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ في الردم وقع الردم، فذلك قوله: ﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾، يعني الردم وقع، فيخرجون إلى أرض المسلمين، ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [آية: ٩٨] في وقوع الردم، يعني صدقًا، فإذا خرجوا هرب ثلث أهل الشام، ويقاتلهم الثلث، ويستسلم لهم الثلث.

ثم أخبر سبحانه، فقال: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾، يعني يوم فرغ ذو القرنين من الردم، ﴿يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾، يعني من وراء الردم، لا يستطيعون الخروج منه، ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ [آية: ٩٩]، يعني بالجمع، لم يغادر منهم أحد إلا حشره.

﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ﴾ بالقرآن من أهل مكة، ﴿عَرْضًا﴾ [آية: ١٠٠]، يعني بالعرض كشف الغطاء عنهم.

﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (١٠١) أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا (١٠٢)﴾

﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي﴾، يعني عليها غشاوة الإيمان بالقرآن، لا يبصرون الهدى بالقرآن، ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [آية: ١٠١]، يعني الإيمان بالقرآن سمعًا، كقوله سبحانه: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الكهف: ٥٧]، يعني ثقلاً.

﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾(١)، من أهل مكة، ﴿أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾، يعني بالآلهة بأن ذلك نافعهم، وأنها تشفع لهم، ثم أخبر بمنزلتهم في الآخرة، فقال

---

(١) انظر: (الإتحاف ٢٩٦، القرطبي ٦٥/١١، البحر المحيط ١٦٦/٦، معاني القرآن للفراء ١٦١/٢، التيسير ٢٦/١٦، مجمع البيان ٤٩٥/٦، ٤٩٦).

سبحانه: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلٗا﴾ [آية: ١٠٢]، يعنى منزلاً.

﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ١٠٥ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ١٠٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ١٠٨﴾

﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا﴾ [آية: ١٠٣]، يعنى أصحاب الصوامع من النصارى.

ثم نعتهم، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ﴾، يعنى حبطت أعمالهم التى عملوها، ﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا﴾ [آية: ١٠٤].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾، يعنى القرآن، ﴿وَلِقَآئِهِۦ﴾، يعنى بالعبث الذى فيه جزاء الأعمال، ﴿فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾، يعنى فبطلت أعمالهم الحسنة، فلا تقبل منهم؛ لأنها كانت فى غير إيمان، ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا﴾ [آية: ١٠٥] من خير قدر مثقال جناح بعوضة.

﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ﴾، يقول: هذا جزاؤهم، ﴿جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ﴾ بالقرآن، ﴿وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي﴾، يعنى القرآن، ﴿وَرُسُلِي﴾، يعنى محمدًا ﷺ، ﴿هُزُوًا﴾ [آية: ١٠٦]، يعنى استهزاء بهما أنهما ليسا من الله عز وجل.

ثم ذكر المؤمنين، وما أعد لهم، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، يعنى صدقوا، ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ من الأعمال، ﴿كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا﴾ [آية: ١٠٧]، بلغة الروم، يعنى البساتين عليها الحيطان.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾، لا يموتون، ﴿لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا﴾ [آية: ١٠٨]، يعنى تحولاً إلى غيرها، وذلك أن اليهود قالوا للنبى ﷺ: تزعم أنك أوتيت الحكمة، والحكمة العلم كله، وتزعم أنه لا علم لك بالروح، وتزعم أن ﴿الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: ٨٥]، فكيف يكون هذا؟ فقال الله تعالى ذكره لنبيه ﷺ: إنك أوتيت علمًا، وعلمك فى علم الله قليل.

﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ١٠٩ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ

لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾

فقال سبحانه لليهود: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي﴾، يعنى علم ربى جل جلاله، ﴿لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي﴾، يعنى علم ربى، ﴿وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا﴾ (١) [آية: ١٠٩]، يخبر الناس أنه لا يدرك أحد علم الله عز وجل.

﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ﴾، يقول: ربكم رب واحد، ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾، يقول: من كان يخشى البعث فى الآخرة، نزلت فى جندب بن زهير الأزدى، ثم العامرى، قال للنبى ﷺ: إنا لنعمل العمل نريد به وجه الله عز وجل، فيثنى به علينا، فيعجبنا ذلك، فقال النبى ﷺ: «إن الله لغنى لا يقبل ما شورك فيه»، فأنزل الله عز وجل: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ ﴿فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [آية: ١١٠].

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، عن مقاتل، قال: قال النبى ﷺ: «يقول الله عز وجل: أنا خير شريك، من أشركنى فى عمل، جعلت العمل كله لشريكى، ولا أقبل إلا ما كان لى خالصًا».

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، عن الهذيل، عن شيبان أبى معاوية التميمى، قال: إن الله عز وجل ليحفظ الصالحين فى أبنائهم؛ لقوله عز وجل: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا﴾ [الكهف: ٨٢].

قال: اسم الكهف: بانجلوس، واسم القرية: اللوس، واسم المدينة: أفسوس، واسم الكلب: قطمير، واسم القاضيين، أحدهما: مارنوس، والآخر: اسطوس، واسم الملك دقيوس، وأسماء أهل الكهف: دوانس، ونواس، مارطونس، رسارنوس، وقاطلس، وطسططنوس، ومكسلمينا، ويمليخا.

وحدثنا عبيد الله، قال: وحدثنى أبى، عن الهذيل، عن غياث بن إبراهيم، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، قال: ما فى الأرض لغة إلا أنزلها الله فى القرآن، وقال: اسم جبريل: عبد الله، واسم ميكائيل: عبيد الله.

قال: وحدثنى أبى، عن الهذيل، عن الليث بن سعد، عن عطاء بن خالد، قال: يحج

---

(١) انظر: (العنوان ١١٧، القرطبى ١١/٦٨، البحر المحيط ٦/١٦٩، الإتحاف ٢٩٦).

عيسى إذا نزل فى سبعين ألفًا، فيهم أصحاب الكهف، فإنهم لم يموتوا و لم يحجوا.

* * *

سُورَةُ مَرْيَمَ

مكية كلها، إلا آية سجدتها، فإنها مدنية، وهى ثمان وتسعون آية كوفى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾

﴿كٓهيعٓصٓ﴾[1] [آية: ١]، كاف، هاد، عالم، صادق، هذا ثناء الرب تبارك وتعالى على نفسه، يقول: كافيًا لخلقه، هاديًا لعباده، الياء من الهادى، عالم ببريته، صادق فى قوله عز وجل.

﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ۝٩﴾

ثم قال سبحانه: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ﴾[2]، يعنى نعمة ربك يا محمد، ﴿عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾ [آية: ٢] ابن برخيا، وذلك أن الله تعالى ذكر عبده زكريا بالرحمة.

﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ [آية: ٣]، يقول: إذ دعا ربه دعاء سرًا، وإنما دعا ربه عز وجل سرًا؛ لئلا يقول الناس: انظروا إلى هذا الشيخ الكبير، يسأل الولد على كبره.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى﴾، يعنى ضعف العظم منى، ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾، يعنى بياضًا، ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [آية: ٤]، يعنى خائبًا فيما خلا، كنت تستجيب لى، فلا تخيبنى فى دعائى إياك بالولد.

---

(١) انظر: (الإتحاف ٢٩٧، البحر المحيط ١٧٢/٦، الكشف ٢٨٧/١، النشر ٧١/٢، القرطبى ٧٤/١١).

(٢) انظر: (البحر المحيط ١٧٢/٦، الكشاف ٥٠٢/٢، القرطبى ١٧٥/١٢، الرازى ١٧٩/٢١).

﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا﴾ (١)، يقول: خفت الكلالة، وهم العصبة من بعد موتى أن يرثوا مالى، ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ [آية: ٥]، يعنى من عندك ولدًا.

﴿يَرِثُنِى﴾، يرث مالى، ﴿وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ (٢) ابن ماثان علمهم، ورياستهم فى ألأحبار، وكان يعقوب وعمران أبو مريم أخوين ابنا ماثان، ومريم ابنة عمران بن ماثان، ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [آية: ٦]، يعنى صالحًا.

فاستجاب الله عز وجل لزكريا فى الولد، فأتاه جبريل وهو يصلى، فقال: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [آية: ٧]، لم يكن أحد من الناس فيما خلا يسمى يحيى، وإنما سماه يحيى؛ لأنه أحياه من بين شيخ كبير وعجوز عاقر.

فلما بشر ميتين بالولد، ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ﴾، يعنى من أين يكون لى غلام؟ ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا﴾، أيليشفع لا تلد، ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ﴾ أنا ﴿مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ (٣) [آية: ٨]، يعنى بؤسًا، وكان زكريا يومئذ ابن خمس وسبعين سنة.

﴿قَالَ﴾ له جبريل، عليه السلام: ﴿كَذَٰلِكَ﴾، يعنى هكذا، ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾ إنه ليكون لك غلام، ﴿هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ﴾ أن تسألنى الولد، ﴿وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ [آية: ٩].

﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾

﴿قَالَ﴾ زكريا: ﴿رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً﴾، يعنى علمًا للحبل، فسأل الآية بعد

---

(١) انظر: (الطبرى ٣٧/١٦، القرطبى ٧٧/١١، الكشاف ٥٠٢/٢، البحر المحيط ١٧٤/٦ التبيان ٩٨/٧، مجمع البيان ٥٠٠/٦).

(٢) انظر: (البحر المحيط ١٧٤/٦، الكشاف ٥٠٣/٢، مجمع البيان ٣٨/٢).

(٣) انظر: (الكشاف ٥٠٣/٢ البحر المحيط ١٧٥/٦، الرازى ١٨٧/٢١، العكبرى ٦١/٢).

مشافهة جبريل، ﴿قَالَ﴾ جبريل، عليه السلام: ﴿ءَايَتُكَ﴾ إذا جامعتها على طهر فحبلت، فإنك تصبح تلك الليلة لا تستنكر من نفسك خرسًا، ولا مرضًا، ولكن لا تستطيع الكلام، ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ [آية: ١٠] أنت فيهن سوى صحيح، فأخذ بلسانه عقوبة حين سأل الآية بعد مشافهة جبريل، عليهما السلام، و لم يحبس الله عز وجل لسانه عن ذكره ولا عن الصلاة.

﴿فَخَرَجَ﴾ زكريا ﴿عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾، بنى إسرائيل، ﴿مِنَ ٱلْمِحْرَابِ﴾، يعنى من المسجد، ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [آية: ١١]، يقول: كتب كتابًا بيده، وهو الوحى إليهم: أن صلوا بالغداة والعشى.

﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ﴾، يعنى التوراة، ﴿بِقُوَّةٍ﴾، يعنى بجد ومواظبة عليه، ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [آية: ١٢]، يعنى وأعطينا يحيى العلم والفهم وهو ابن ثلاث سنين.

﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾، يقول: رحمة من عندنا، ﴿وَزَكَوٰةً﴾، يعنى جعله صالحًا وطهره من الذنوب، ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ [آية: ١٣]، يعنى مسلمًا.

﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ﴾، يقول: وجعلناه مطيعًا لوالديه، ﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا﴾، يعنى متكبرًا عن عبادة الله عز وجل، ﴿عَصِيًّا﴾ [آية: ١٤]، يعنى ولا عاص لربه.

﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ﴾، يعنى على يحيى، عليه السلام، ﴿يَوْمَ وُلِدَ﴾، يعنى حين ولد، مثل قوله سبحانه: ﴿**فِى كِتَابِ اللّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَات**﴾ [التوبة: ٣٦]، يعنى حين خلق السموات، قال عيسى ﷺ: ﴿يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٣]، يعنى حين أموت، وحين أبعث، ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ﴾ ﴿وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [آية: ١٥]، يعنى حين يبعث بعد الموت.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾

﴿وَٱذۡكُرۡ﴾ لأهل مكة، ﴿فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ﴾، يعنى فى القرآن ابنة عمران بن ماثان، ويعقوب بن ماثان، من نسل سليمان بن داود، عليهم السلام، ﴿إِذِ ٱنتَبَذَتۡ﴾، يعنى إذ انفردت، ﴿مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا﴾ [آية: ١٦]، فجلست فى المشرقة؛ لأنه كان الشتاء.

﴿فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا﴾، يعنى جبلاً، فجعلت الجبل بينها وبينهم، فلم يرها أحد منهم، كقوله فى ص: ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢]، يعنى الجبل، وهو دون ق بمسيرة سنة، والشمس تغرب من ورائه، ﴿فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا﴾، يعنى جبريل، عليه السلام، ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا﴾ [آية: ١٧]، يعنى إنسانًا سويًا، يعنى سوى الخلق، على صورة شاب أمرد، جعد الرأس.

فلما رأته حسبته إنسانًا، ﴿قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا﴾ [آية: ١٨]، يعنى مخلصًا لله عز وجل تعبده.

﴿قَالَ﴾ جبريل، عليه السلام: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ﴾ بأمر الله عز وجل، ﴿غُلَٰمٗا زَكِيّٗا﴾ [آية: ١٩]، يعنى مخلصًا، يقول صالحًا.

﴿قَالَتۡ﴾ مريم: ﴿أَنَّىٰ﴾ من أين ﴿يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ﴾، يعنى ولم يكن لى زوج، ﴿وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا﴾ [آية: ٢٠]، يعنى ولم أركب فاحشة.

﴿قَالَ﴾ جبريل، عليه السلام: ﴿كَذَٰلِكِ﴾، يعنى هكذا، ﴿قَالَ رَبُّكِ﴾ إنه يكون لك ولد من غير زوج، ﴿هُوَ عَلَيَّ﴾، على الله، ﴿هَيِّنٞۖ﴾، يعنى يسير أن يخلق فى بطنك ولدًا من غير بشر، ﴿وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ﴾، يقول: ولكى نجعله عبرة، ﴿لِّلنَّاسِ﴾، يعنى فى بنى إسرائيل، ﴿وَرَحۡمَةٗ﴾، يعنى ونعمة، ﴿مِّنَّاۚ﴾ لمن تبعه على دينه، مثل قوله سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، يعنى بالرحمة النعمة لمن اتبعه على دينه، ﴿وَكَانَ﴾ عيسى ﷺ من غير بشر، ﴿أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا﴾ [آية: ٢١]، قد قضى الله عز وجل فى اللوح المحفوظ أنه كائن لابد.

﴿۞فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ

لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ
بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى
عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَـٰنِى
بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾
وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ﴾

﴿ ۞ فَحَمَلَتْهُ﴾ أمه مريم، عليها السلام، وهى ابنة ثلاث عشرة سنة، ومكثت مع عيسى، عليه السلام، ثلاثًا وثلاثين سنة، وعاشت بعدما رفع عيسى ست سنين، فماتت ولها اثنتان وخمسون سنة، فحملته أمه فى ساعة واحدة، وصور فى ساعة واحدة، وأرضعته فى ساعة حين زالت الشمس من يومها، وقد كانت حاضت حيضتين قبل حمله، ﴿فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ﴾، يعنى فانفردت بعيسى ﷺ، ﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾ [آية: ٢٢]، يعنى نائيًا من أهلها من وراء الجبل.

﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾[١]، يعنى فألجأها، ولم يكن لها سعف، ﴿قَالَتْ﴾ مريم: ﴿يَـٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَـٰذَا﴾ الولد حياء من الناس، ثم قالت: ﴿وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾[٢] [آية: ٢٣]، يعنى كالشىء الهالك الذى لا يذكر فينسى.

﴿فَنَادَىٰهَا﴾ جبريل، عليه السلام، ﴿مِن تَحْتِهَآ﴾، يعنى من أسفل منها فى الأرض، وهى فوقه على رابية، وجبريل، عليه السلام، يناديها بهذا الكلام: ﴿أَلَّا تَحْزَنِى﴾، ذلك حين تمنت الموت، ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [آية: ٢٤]، يعنى الجدول الصغير من الأنهار.

وقال جبريل، عليه السلام، لها: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ﴾، يعنى وحركى إليك، ﴿بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَـٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾[٣] [آية: ٢٥]، يعنى بالجنى ما ترطب به من البسر، وكانت شجرة يابسة، فاخضرت وهى تنظر، وحملت الرطب مكانها وهى تنظر، ثم نضجت وهى تنظر، ثم أجرى الله عز وجل لها نهرًا من الأردن حتى جاءها، فكان بينهما وبين جبريل، عليه السلام، وهذا كلام جبريل لها، وإنما جعل الله عز وجل ذلك لتؤمن بأمر عيسى ﷺ ولا تعجب منه.

(١) انظر: (القرطبى ١١/٩٢، البحر المحيط ٦/١٨٢، العكبرى ٢/٦١).
(٢) انظر: (القرطبى ١١/٩٣، العكبرى ٢/٦١، الكشاف ٢/٥٠٦، البحر المحيط ٦/١٨٣).
(٣) انظر: (مجمع البيان ٦/٥٠٨، العكبرى ٢/٦٢، الرازى ٢١/٢٠٦).

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، قال: قال مقاتل: وأخبرت عن ليث بن أبى سليم، عن عكرمة، عن ابن عباس، فى قوله: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾، يعنى صمتًا.

﴿فَكُلِي﴾ من النخلة، ﴿وَاشْرَبِي﴾ من الماء العذب، ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾ بالولد، ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ [(١)]، يعنى صمتًا، ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [آية: ٢٦] فى عيسى ﷺ.

﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا﴾ بالولد، ﴿تَحْمِلُهُ﴾ إلى بنى إسرائيل فى حجرها ملفوفًا فى خرق، ﴿قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ [آية: ٢٧]، يقول: أتيت أمرًا منكرًا.

﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾ الذى هو أخو موسى. حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، عن الهذيل، قال: قال مقاتل: قال رسول الله ﷺ: «إنما عنوا هارون أخا موسى؛ لأنها كانت من نسله»، ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ﴾ عمران، ﴿امْرَأَ سَوْءٍ﴾، يعنى بزان، كقوله سبحانه: ﴿مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ [يوسف: ٢٥]، يعنى الزنا، وكقوله سبحانه: ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ﴾ [يوسف: ٥١]، وكان عمران من عظماء بنى إسرائيل، ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ﴾ جنة، ﴿بَغِيًّا﴾ [آية: ٢٨] بزانية، فمن أين هذا الولد؟

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾، يعنى إلى ابنها عيسى ﷺ أن كلموه، ﴿قَالُوا﴾، قال قومها: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ﴾، يعنى من هو، ﴿فِي الْمَهْدِ﴾، يعنى فى حجر أمه ملفوفًا فى خرق، ﴿صَبِيًّا﴾ [آية: ٢٩]، فدنا زكريا من الصبى، فقال: تكلم يا صبى بعذرك إن كان لك عذر.

فـ ﴿قَالَ﴾ الصبى، وهو يومئذ ولد، ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾، وكذبت النصارى فيما يقولون، فأول ما تكلم به الصبى أنه أقر لله بالعبودية، ﴿آتَانِيَ الْكِتَابَ﴾، يعنى أعطانى الإنجيل فعلمنيه، ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [آية: ٣٠].

﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾، يعنى معلمًا مؤدبًا فى الخير، ﴿أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ من الأرض، ﴿وَأَوْصَانِي بِـ﴾ إقامة ﴿بِالصَّلَاةِ وَ﴾ إيتاء ﴿وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [آية: ٣١].

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي﴾، يقول: وأوصانى أن أكون برًا بوالدتى، يعنى مطيعًا لأمى مريم،

---

(١) انظر: (الكشاف ٢/٥٠٧، مغنى اللبيب ٢/٢٢، ٢٣، البحر المحيط ٦/١٨٥، مجمع البيان ٦/٥٠٨).

﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا﴾، يعنى متكبرًا عن عبادة الله، ﴿شَقِيًّا﴾ [آية: ٣٢]، يعنى عاصيًا لله عز وجل.

﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ﴾، فلما ذكر الوالدة، ولم يذكر الوالد، ضمه زكريا إلى صدره، وقال: أشهد أنك عبد الله ورسوله، ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ﴾، يعنى حين ولدت، ﴿وَيَوْمَ أَمُوتُ﴾، يعنى وحين أموت، ﴿وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [آية: ٣٣]، يعنى وحين أبعث حيًا بعد الموت فى الآخرة، ثم لم يتكلم بعد ذلك حتى كان بمنزلة غيره من الصبيان، فلما قال: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى﴾، ضمه زكريا.

﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن
يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ
فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن
مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ
﴿٣٨﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ
نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾

يقول الله عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾، يعنى هذا عيسى ابن مريم قول العدل، يعنى الصدق، ﴿ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [آية: ٣٤]، يعنى الذى فيه يشكون فى أمر عيسى ﷺ، وهم النصارى.

﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾، يعنى عيسى ﷺ، ﴿سُبْحَٰنَهُۥٓ﴾، نزه نفسه عز وجل، ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ كان فى علمه، يعنى عيسى ﷺ، ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آية: ٣٥] مرة واحدة لا يثنى القول فيه مرتين.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، عن الهذيل، قال: حدثنى مقاتل، عن الضحاك، عن ابن عباس، أنه قال: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ بالفارسية، لا يثنى القول مرتين، إذا قال مرة كان.

ثم قال عيسى ﷺ لبنى إسرائيل: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾، يعنى فوحدوه، ﴿هَٰذَا﴾ التوحيد ﴿صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [آية: ٣٦]، يعنى دين الإسلام مستقيم، وغير دين الإسلام أعوج ليس بمستقيم.

﴿فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ﴾، يعنى النصارى، ﴿مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ﴾، تحزبوا فى عيسى ﷺ ثلاث فرق: النسطورية قالوا: عيسى ابن الله، ﴿وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤٣]، والماريعقوبية قالوا: عيسى هو الله، ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ﴾ [الإسراء: ٤٣]، والملكانيون قالوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣]، يقول الله: وحده لا شريك له: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، يعنى تحزبوا فى عيسى ﷺ، ﴿مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾ [آية: ٣٧] لديه، يعنى يوم القيامة.

﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ﴾، يقول: هم يوم القيامة أسمع قوم وأبصر بما كانوا فيه من الوعيد وغيره، ﴿يَوۡمَ يَأۡتُونَنَا﴾ فى الآخرة، فذلك قوله سبحانه: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢]، ثم قال سبحانه: ﴿لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [آية: ٣٨]، يعنى المشركين اليوم فى الدنيا فى ضلال مبين، فلا يسمعون اليوم، ولا يبصرون ما يكون فى الآخرة.

﴿وَأَنذِرۡهُمۡ﴾، يعنى كفار مكة، ﴿يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ﴾، يوم يذبح الموت كأنه كبش أملح.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، عن الهذيل، عن مقاتل، عن عثمان بن سليم، عن عبد الله بن عباس، أنه قال: يجعل الموت فى صورة كبش أملح، فيذبحه جبريل بين الجنة والنار، وهم ينظرون إليه، فيقال لأهل الجنة: خلود فلا موت فيها، ولأهل النار: خلود فلا موت فيها، فلولا ما قضى الله عز وجل على أهل النار من تعمير أرواحهم فى أبدانهم لماتوا من الحسرة.

ثم قال سبحانه: ﴿إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾، يعنى إذا قضى العذاب، ﴿وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ﴾ اليوم، ﴿وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [آية: ٣٩]، يعنى لا يصدقون بما يكون فى الآخرة.

﴿إِنَّا نَحۡنُ نَرِثُ ٱلۡأَرۡضَ وَمَنۡ عَلَيۡهَا﴾، يعنى نميتهم ويبقى الرب جل جلاله، ونرث أهل السماء وأهل الأرض، ثم قال سبحانه: ﴿وَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ﴾ [آية: ٤٠]، يعنى فى الآخرة بعد الموت.

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا

﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا
﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ
وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا
ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾
وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾

﴿وَٱذْكُرْ﴾ يا محمد لأهل مكة، ﴿فِى ٱلْكِتَـٰبِ﴾، يعنى فى القرآن أمر ﴿إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا﴾، يعنى مؤمنًا بالله تعالى، ﴿نَّبِيًّا﴾ [آية: ٤١]، مثل قوله سبحانه: ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة: ٧٥]، يعنى مؤمنة.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ آزر: ﴿يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ﴾ الصوت، ﴿وَلَا يُبْصِرُ﴾ شيئًا، يعنى الأصنام، ﴿وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾ [آية: ٤٢] فى الآخرة.

﴿يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾، يعنى البيان، ﴿مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾، يعنى ما يكون من بعد الموت، ﴿فَٱتَّبِعْنِىٓ﴾ على دينى، ﴿أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا﴾ [آية: ٤٣]، يعنى طريقًا عدلاً، يعنى دين الإسلام.

﴿يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَـٰنَ﴾، يعنى لا تطع الشيطان فى العبادة، ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ عَصِيًّا﴾ [آية: ٤٤]، يعنى عاصًا ملعونًا.

﴿يَـٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ﴾، يعنى أن يصيبك، ﴿عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ﴾ فى الآخرة، ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيًّا﴾ [آية: ٤٥]، يعنى قريبًا فى الآخرة.

فرد عليه أبوه، فـ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾، يعنى لئن لم تسكت لأشتمنك، ﴿وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا﴾ [آية: ٤٦]، يعنى أيام حياتك، ويقال: طويلاً، واعتزلنى وأطل هجرانى، وكل شىء فى القرآن لأرجمنك، يعنى به القتل، غير هذا.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، عن أبى صالح، عن مقاتل، عن ابن عباس: واعتزلنى سالم العرض لا يصيبك منى معرة، ﴿قَالَ﴾ إبراهيم: ﴿سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ [آية: ٤٧]، يعنى لطيفًا رحيمًا.

﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، وأعتزل ما تعبدون من دون الله من الآلهة،

فكان اعتزاله إياهم أنه فارقهم من كوثا، فهاجر منها إلى الأرض المقدسة، ثم قال إبراهيم: ﴿وَأَدْعُواْ رَبِّي﴾ فى الاستغفار لك، ﴿عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ [آية: ٤٨]، يعنى خائبًا بدعائى لك بالمغفرة.

﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَ﴾ واعتزل ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الآلهة، وهى الأصنام، وذهب مهاجرًا منها، ﴿وَهَبْنَا لَهُۥ﴾ بعد الهجرة إلى الأرض المقدسة، ﴿إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ [آية: ٤٩]، يعنى إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا﴾، يعنى من نعمتنا، ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [آية: ٥٠]، يعنى ثناء حسنًا رفيقًا يثنى عليهم جميع أهل الأديان بعدهم.

﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾

﴿وَٱذْكُرْ﴾ لأهل مكة، ﴿فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا﴾، يعنى مسلمًا موحدًا، ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [آية: ٥١].

﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ﴾، يعنى دعوناه ليلة الجمعة، ﴿مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ﴾، يعنى من ناحية الجبل، ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ [آية: ٥٢]، يعنى كلمناه من قرب، وكان بينهما حجاب خفى سمع صرير القلم، ويقال: صريف القلم.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا﴾ [آية: ٥٣]، فوهب الله عز وجل له أخاه هارون، وذلك حين سأل موسى، عليه السلام، ربه عز وجل، فقال: ﴿**وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي**﴾ [طه: ٢٩، ٣٠]، وحين قال: ﴿**فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ**﴾ [الشعراء: ١٣].

﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾، يعنى واذكر لأهل مكة فى القرآن أمر ﴿إِسْمَٰعِيلَ﴾ بن إبراهيم لصلبه، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾، وذلك أن إسماعيل، عليه السلام، وعد رجلاً أن يقيم مكانه حتى يرجع إليه، فأقام ثلاثة أيام للميعاد حتى رجع الرجل إليه، ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [آية: ٥٤].

﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ﴾، كقوله سبحانه فى طه: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ﴾ [طه: ١٣٢]، يعنى قومك، ﴿بِٱلصَّلَوٰةِ﴾، وفى قراءة ابن مسعود: وكان يأمر قومه بالصلاة، ﴿وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيًّا﴾ [آية: ٥٥].

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾
أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ
وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا۩ ﴿٥٨﴾﴾

﴿وَٱذۡكُرۡ﴾ لأهل مكة، ﴿فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾، يعنى القرآن، ﴿إِدۡرِيسَۚ﴾، وهو جد أبى نوح، واسمه: أخنوخ، عليه السلام، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا﴾، يعنى مؤمنًا بتوحيد الله عز وجل، ﴿نَّبِيًّا﴾ [آية: ٥٦].

﴿وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [آية: ٥٧]، يعنى فى السماء الرابعة، وفيها مات، وذلك حين دعا للملك الذى يسوق الشمس.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ بالنبوة ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾، يعنى هؤلاء الذين سموا فى هؤلاء الآيات، ﴿مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾، ثم إدريس، ﴿وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍ﴾ فى السفينة، يقول: ومن ذرية من حملنا مع نوح فى السفينة، وهو إبراهيم، ﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ﴾، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ﴿وَ﴾ من ذرية ﴿وَإِسۡرَٰٓءِيلَ﴾، وهو يعقوب، وموسى، وهارون، ﴿وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا﴾ للإسلام، ﴿وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ﴾ واستخلصنا للرسالة والنبوة، ﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾، يعنى إذا قرئ عليهم كلام الرحمن، يعنى القرآن، ﴿خَرُّواْۤ سُجَّدٗا﴾ على وجوههم، ﴿وَبُكِيّٗا۩﴾ [آية: ٥٨]، يعنى يبكون، نزلت فى مؤمنى أهل التوراة عبد الله بن سلام وأصحابه، نظيرها فى بنى إسرائيل: ﴿يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ [الإسراء: ١٠٧]، ﴿وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾ [الإسراء: ١٠٩].

﴿۞فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾
إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ
عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴿٦١﴾ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا
سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿٦٢﴾ تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا
﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا وَمَا خَلۡفَنَا وَمَا بَيۡنَ ذَٰلِكَۚ وَمَا كَانَ
رَبُّكَ نَسِيّٗا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ

سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾، يعنى من بعد النبيين خلف السوء، يعنى اليهود، فهذا مثل ضربه الله عز وجل لأمة محمد ﷺ، يقول: ولا تكونوا خلف السوء مثل اليهود، ثم نعتهم، فقال سبحانه: ﴿أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، يعنى أخروها عن مواقيتها، ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾، يعنى الذين استحلوا تزويج بنت الأخت من الأب، نظيرها فى النساء: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ﴾ [النساء: ٢٧]، يعنى الزنا، ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [آية: ٥٩] فى الآخرة، وهو واد فى جهنم.

﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ من الشرك، ﴿وَءَامَنَ﴾ بمحمد ﷺ، يعنى وصدق بتوحيد الله عز وجل، ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ﴾، يعنى ولا ينقضون ﴿شَيْـًٔا﴾ [آية: ٦٠] من أعمالهم الحسنة حتى يجازوا بها، فيجزيهم ربهم.

﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ﴾ المؤمنين على ألسنة الرسل فى الدنيا، ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ ولم يروه، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾ [آية: ٦١]، يعنى جائيًا لا خلف له.

﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾، يعنى فى الجنة، ﴿لَغْوًا﴾، يعنى الحلف إذا شربوا الخمر، يعنى لا يحلفون كما يحلف أهل الدنيا إذا شربوا، نظيرها فى الواقعة، وفى الصافات، ثم قال: ﴿إِلَّا سَلَٰمًا﴾، يعنى سلام الملائكة عليهم فيها، ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [آية: ٦٢]، يعنى بالرزق الفاكهة على مقدار طرفى النهار فى الدنيا.

ثم أخبر عنهم، فقال سبحانه: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ [آية: ٦٣]، يعنى مخلصًا لله عز وجل.

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾، وذلك أن جبريل، عليه السلام، احتبس على النبى ﷺ أربعين يومًا، ويقال: ثلاثة أيام، فقال مشركو مكة: قد ودعه ربه وقلاه، فلما نزل جبريل، عليه السلام، قال النبى ﷺ: «يا جبريل، ما جئت حتى اشتقت إليك»، قال: وأنا إليك كنت أشد شوقًا، ونزل فى قولهم: ﴿وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى...﴾ [سورة الضحى]، ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ...﴾ [سورة الشرح] جميعًا، وقال جبريل، عليه السلام: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ﴾ من السماء، ﴿إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾، ﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ من أمر الآخرة، ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾ من أمر الدنيا، ﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾، يعنى ما بين الدنيا والآخرة، يعنى ما بين النفختين، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [آية: ٦٤] لقول كفار مكة: نسيه ربه وقلاه.

يقول: لم ينسك ربك يا محمد، ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾، يعنى والأرضين، ﴿وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾ من الخلق، ﴿فَٱعۡبُدۡهُ﴾، يعنى فوحده، ﴿وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ﴾، يقول: واصبر على توحيد الله عز وجل ولا تعجل حتى يأتيك أمرى، ثم قال للنبى ﷺ: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [آية: ٦٥]، يقول جل جلاله: هل تعلم من الآلهة من شىء اسمه الله عز وجل؛ لأن الله تعالى ذكره يمنعهم من ذلك.

﴿وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾، وهو أبى بن خلف الجمحى: ﴿أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا﴾ [آية: ٦٦] من الأرض بعد الموت، يقول ذلك تكذيبًا بالبعث.

﴿أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحۡنُ أَعۡلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمۡ أَوۡلَىٰ بِهَا صِلِيّٗا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ﴿٧٢﴾﴾

يقول الله عز وجل يعظه ليعتبر: ﴿أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾، يقول: أولا يتذكر الإنسان فى خلق نفسه، ﴿أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ﴾ أول مرة، يعنى أول خلق خلقناه، ﴿مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا﴾ [آية: ٦٧].

فأقسم الرب عز وجل ليبعثهم فى الآخرة، فقال: ﴿فَوَرَبِّكَ﴾ يا محمد، ﴿لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ﴾، يعنى لنجمعنهم ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾ معهم الذين أضلوهم فى الآخرة، ﴿ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ﴾، يعنى فى جهنم، ﴿جِثِيّٗا﴾ [آية: ٦٨]، يعنى جميعًا على الركب.

﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾، يقول: لنخرجن، ثم نبدأ بهم من كل ملة، ﴿أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا﴾ [آية: ٦٩]، يعنى عتوا فى الكفر، يعنى القادة، فيعذبهم فى النار.

﴿ثُمَّ لَنَحۡنُ أَعۡلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمۡ أَوۡلَىٰ بِهَا صِلِيّٗا﴾ [آية: ٧٠]، يعنى من هو أولى بها، يعنى القادة فى الكفر.

﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ﴾، يعنى وما منكم أحد إلا داخلها، يعنى جهنم، البر والفاجر.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا الهذيل، عن مقاتل، عن علقمة بن مرثد، عن نافع بن الأزرق، أنه سأل ابن عباس عن الورود، فقال: يا نافع، أما أنا وأنت، فندخلها، فانظر هل نخرج منها أم لا؟.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا الهذيل، عن مقاتل، عن الضحاك، عن ابن عباس، قال: للورود في القرآن أربعة مواضع، يعني به الدخول:

﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]، يعني داخلها.

﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ [هود: ٩٨]، يعني فأدخلهم.

﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، يعني داخلون. ﴿لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا﴾ [الأنبياء: ٩٩]، يعني ما دخلوها.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثني أبي، قال: حدثني الهذيل، عن مقاتل، قال: يجعل الله النار على المؤمنين يومئذ بردًا وسلامًا، كما جعلها على إبراهيم، عليه السلام، فذلك قوله عز وجل: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [آية: ٧١]، قال: قضاء واجبًا قد قضاه في اللوح المحفوظ أنه كائن لابد، غير الأنبياء، عليهم السلام، فتكون على المؤمنين بردًا وسلامًا.

﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ الشرك منها، يعني أهل التوحيد، فنخرجهم منها، ﴿وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ﴾، يعني المشركين، ﴿فِيهَا﴾، يعني في جهنم، ﴿جِثِيًّا﴾ [آية: ٧٢] على الركب.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ۗ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾﴾

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾، يعني القرآن، ﴿بَيِّنَاتٍ﴾، يعني واضحات، ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، وهم النضر بن الحارث بن علقمة وغيره، ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا﴾، وذلك أنهم لبسوا أحسن الثياب، ودهنوا الرءوس، ثم قالوال للمؤمنين: أي

الفريقين نحن أو أنتم خير؟ يعنى أفضل مقامًا للمساكن من مساكن مكة، ومثله فى حم الدخان: ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [الدخان: ٢٦]، يعنى ومساكن طيبة، ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [آية: ٧٣]، يعنى مجالسًا، كقوله سبحانه: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾ [العنكبوت: ٢٩]، يعنى فى مجالسكم.

يقول الله عز وجل يخوفهم: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا﴾ بالعذاب فى الدنيا، ﴿قَبْلَهُم﴾، قبل أهل مكة، ﴿مِّن قَرْنٍ﴾، يعنى أمة، كقوله عز وجل: ﴿أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ﴾ [يونس: ١٣]، يعنى الأمم الخالية، ﴿هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا﴾، يعنى ألين متاعًا، ﴿وَرِءْيًا﴾ [١] [آية: ٧٤]، وأحسن منظرًا من أهل مكة، فأهلك الله عز وجل أموالهم وصورهم.

﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ﴾، يعنى من هو فى الشرك، ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾، فى الخير؛ لقولهم للمؤمنين: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا﴾، ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ﴾ فى الدنيا، يعنى القتل ببدر، ﴿وَإِمَّا السَّاعَةَ﴾، يعنى القيامة، ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾، يعنى شر منزلاً، ﴿وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ [آية: ٧٥]، يعنى وأقل فئة هم أم المؤمنون.

﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ من الضلالة، يعنى يزيدهم إيمانًا، ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾، وهى أربع كلمات: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، من قالها فهو ﴿خَيْرٌ﴾، يعنى أفضل، ﴿عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَ﴾ الآخرة ﴿وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ [آية: ٧٦]، يعنى أفضل مرجعًا من ثواب الكافر النار، ومرجعهم إليها.

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا﴾، آيات القرآن، نزلت فى العاص بن وائل بن هشام ابن سعيد بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى السهمى، وذلك أن خباب ابن الأرت صاغ له شيئًا من الحلى، فلما طلب منه الأجر، قال لخباب، وهو مسلم حين

---

(١) انظر: (القرطبى ١١/١٤٣، الكشاف ٢/٥٢١، مجمع البيان ٦/٥٢٤، البحر المحيط ٦/٢١١ النحاس ٢/٣٢٥، العكبرى ٢/٦٤).

طلب أجر الصياغة: ألستم تزعمون أن فى الجنة الحرير والذهب والفضة وولدان مخلدون؟ قال خباب بن الأرت: نعم، قال العاص: فميعاد ما بيننا الجنة، ﴿وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ﴾ فى الجنة، يعنى فى الآخرة، ﴿مَالًا وَوَلَدًا﴾ [آية: ٧٧] أفضل مما أوتيت فى الدنيا، فأقضيك فى الآخرة، يقول ذلك مستهزئًا؛ لأنه لا يؤمن بما فى القرآن من الثواب والعقاب.

يقول الله تعالى: ﴿أَطَّلَعَ﴾ على ﴿الْغَيْبَ﴾، يعنى العاص، حين يقول: إنه يعطى فى الآخرة ما يعطى المؤمنون، ﴿أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [آية: ٧٨]، يقول: أم اعتقد عند الرحمن التوحيد.

﴿كَلَّا﴾ لا يعطى العاص ما يعطى المؤمنون، ثم استأنف، فقال سبحانه: ﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾، يعنى من الحفظة من الملائكة تكتب ما يقول العاص أنه يعطى ما يعطى المؤمنون فى الجنة، ﴿وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ [آية: ٧٩]، يعنى الذى لا نقطاع له.

﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ﴾ أنه يعطى فى الجنة ما يعطى المؤمنون، فنرثه عنه ويعطاه غيره، ثم قال سبحانه: ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ [آية: ٨٠]، العاص فى الآخرة، ليس معه شىء من دنياه.

ثم ذكر كفار مكة: العاص، والنضر، وأبا جهل، وغيرهم، فقال سبحانه: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً﴾، يعنى اللات، والعزى، ومناة، وهبل، ﴿لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ [آية: ٨١]، يعنى منعًا يمنعونهم من الله عز وجل، نظيرها فى يس: ﴿**وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ**﴾ [يس: ٧٤]، يعنى يمنعون.

يقول الله عز وجل: ﴿كَلَّا﴾ لا تمنعهم الآلهة من الله، ثم استأنف فقال: ﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾، يقول: ستبرأ الآلهة فى الآخرة من كل من كان يعبدها فى الدنيا، ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [آية: ٨٢]، يقول: تكون آلهتهم يومئذ لهم أعداء، كقوله سبحانه: ﴿**لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ**﴾ [البقرة: ١٤٣]، يعنى للناس، وكقوله سبحانه: ﴿**وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ**﴾ [المائدة: ٣]، يعنى للنصب.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ

وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾، يعنى المستهزئين من قريش حين قال سبحانه إبليس، وهو الشيطان: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ...﴾ [الإسراء: ٦٤]، يعنى بدعائك إلى آخر الآية، ثم قال سبحانه: ﴿تَؤُزُّهُمۡ أَزًّا﴾ [آية: ٨٣]، يعنى تزعجهم إزعاجًا، وتغريهم إغراء، تزين لهم الذى هم عليه من الشرك، ويقول: إن الأمر الذى أنتم عليه لأمر حق.

﴿فَلَا تَعۡجَلۡ عَلَيۡهِمۡۖ﴾، يقول للنبى ﷺ: فلا تستعجل لهم بالعذاب، ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمۡ﴾ آجالهم، ﴿عَدًّا﴾ [آية: ٨٤]، يعنى الأنفاس.

ثم ننزل بهم العذاب، ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ الشرك، يعنى الموحدين، ﴿إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدًا﴾ [آية: ٨٥] على النجائب على رحلاتها منابر الحضر.

﴿وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدًا﴾ [آية: ٨٦]، يرونها فى الدخول وهم عطاش.

﴿لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾، يقول: لا تقدر الملائكة على الشافعة لأحد، ثم استثنى، فقال: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدًا﴾ [آية: ٨٧]، يعنى إلا من اعتقد التوحيد عند الرحمن جل جلاله، وهى شهادة ألا إله إلا الله وحده لا شريك له.

﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدًا﴾ [آية: ٨٨] من الملائكة، حين قالوا: إنهن بنات الله تعالى، منهم: النضر بن الحارث.

يقول الله عز وجل: ﴿لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدًّا﴾(١) [آية: ٨٩]، يقول: قلتم قولاً عظيمًا، نظيرها فى بنى إسرائيل: ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيمًا﴾ [الإسراء: ٤٠]، حين قالوا: الملائكة بنات الرحمن عز وجل.

﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ﴾، يعنى مما قالوا: إن الملائكة بنات الرحمن، ﴿وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ﴾ من أطرافها، ﴿وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا﴾ [آية: ٩٠]، يعنى وقعا، وإنما ذكر السموات والأرض والجبال؛ لعظمهن وشدتهن، مما قالوا من البهتان.

---

(١) انظر: (الطبرى ٩٨/١٦، القرطبى ١٥٦/١١، الكشاف ٥٢٥/٢، النحاس ٣٢٨/٢، العكبرى ٦٤/٢، البحر المحيط ٢١٨/٦).

﴿أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا﴾ [آية: ٩١]، أن قالوا: للرحمن ولدًا. ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [آية: ٩٢].

﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ﴿٩٥﴾﴾

﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ من الملائكة وغيرهم، وعزير، وعيسى، ومريم، وغيرهم، فهؤلاء فى الأرض، ﴿إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا﴾ [آية: ٩٣]، يقول: إلا وهو مقر له بالعبودية.

﴿لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ﴾، يقول: أحصى أسماءهم فى اللوح المحفوظ، ﴿وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا﴾ [آية: ٩٤]، يقول سبحانه: علم عددهم.

﴿وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ﴾، يقول: وكل من فيهما جائيه فى الآخرة، ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا﴾ [آية: ٩٥]، يعنى وحده ليس معه من دنياه شيء.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ﴿٩٧﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا ﴿٩٨﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ [آية: ٩٦]، يقول: يجعل محبتهم فى قلوب المؤمنين فيحبونهم.

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾، يقول: فإنما بيناه على لسانك يا محمد، يعنى القرآن، ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ﴾، يعنى بما فى القرآن، ﴿ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ الشرك، يعنى الموحدين، ﴿وَتُنذِرَ بِهِۦ﴾، يعنى بما فى القرآن من الوعيد، ﴿قَوۡمٗا لُّدّٗا﴾ [آية: ٩٧]، يعنى جدلاء خصماء بالباطل، نظيرها فى البقرة: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [البقرة: ٢٠٤]، يعنى جدلاً خصمًا بالباطل، الأخنس بن شريق.

ثم خوف كفار مكة، فقال سبحانه: ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم﴾، يعنى بالعذاب فى الدنيا، ﴿مِّن قَرۡنٍ﴾، يعنى قبل كفار مكة من أمة، ﴿هَلۡ تُحِسُّ﴾، يعنى النبى ﷺ، يقول: هل ترى ﴿مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا﴾ [آية: ٩٨]، يعنى صوتًا يحذر بمثل عذاب الأمم الخالية؛ لئلا يكذبوا محمدًا ﷺ.

* * *

سُورَةُ طه

سورة مكية، وهى خمس وثلاثون ومائة آية كوفى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾﴾

﴿طه﴾ [آية: ١] ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ [آية: ٢] وذلك أن أبا جهل والوليد بن المغيرة، والنضر بن الحارث، والمطعم بن عدى، قالوا للنبى، ﷺ: إنك لتشقى حين تركت دين آبائك فائتنا ببراءة أنه ليس مع إلهك إله، فقال لهم النبى، ﷺ: «بل بعثت رحمة للعالمين»، قالوا: بل أنت شقى، فأنزل الله، عز وجل، فى قولهم للنبى، ﷺ: ﴿طه﴾ يعنى يا رجل وهو بالسريانية، ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ يعنى ما أنزلناه عليك.

﴿إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ [آية: ٣] الله.

﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ﴾ كلها ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ السبع ﴿ٱلْعُلَى﴾ [آية: ٤] يعنى الرفيع من الأرض.

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [آية: ٥] فى التقديم قبل خلق السموات والأرض يعنى استقر.

ثم عظم الرب، عز وجل، نفسه فقال، سبحانه: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ [آية: ٦] يعنى بالثرى الأرض السفلى وتحتها الصخرة والملك والثور والحوت والماء والريح تهب فى الهواء.

﴿وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ﴾ يعنى النبى، ﷺ، وإن تعلن بالقول ﴿فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ﴾ يعنى ما أسر العبد فى نفسه ﴿وَ﴾ ما ﴿وَأَخۡفَى﴾ [آية: ٧] من السر، مالا يعلم أنه يعلمه، وهو عامله، فيعلم الله ذلك كله.

ثم وحد نفسه، تبارك وتعالى، إذ لم «يوحده» كفار مكة، فقال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [آية: ٨] وهى التى فى آخر سورة الحشر ونحوه، لقولهم: ائتنا ببراءة أنه ليس مع إلهك إله.

﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴿١٦﴾﴾

﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ﴾ يقول: وقد جاءك ﴿حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ [آية: ٩].

﴿إِذۡ رَءَا نَارٗا﴾ ليلة الجمعة فى الشتاء بأرض المقدسة ﴿فَقَالَ لِأَهۡلِهِ﴾ يعنى امرأته وولده ﴿ٱمۡكُثُوٓاْ﴾ مكانكم ﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا﴾ يعنى إنى رأيت نارًا، وهو نور رب العالمين، تبارك وتعالى، ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ﴾ فأقتبس النار لكى تصطلون من البرد ﴿أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى﴾ [آية: ١٠] يعنى من يرشدنى إلى الطريق، وكان موسى، عليه السلام، قد تحير ليلاً وضل الطريق، فلما انتهى إليها سمع تسبيح الملائكة، ورأى نورًا عظيمًا فخاف، وألقى الله، عز وجل، عليه السكينة.

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾ انتهى إليها ﴿نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ﴾ [آية: ١١].

﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾ من قدميك وكانتا من جلد حمار ميت غير ذكى، فخلعهما موسى، عليه السلام، وألقاهما من وراء الوادى ﴿إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ﴾ يعنى بالوادى المطهر ﴿طُوٗى﴾ [آية: ١٢] وهو اسم الوادى.

﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ﴾ يا موسى للرسالة ﴿فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ [آية: ١٣] يعنى للذى يوحى إليك. والوحى ما ذكر الله، عز وجل: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، عن مقاتل، عن علقمة بن مرثد، عن كعب: أن موسى، عليه السلام، كلمه ربه مرتين، ورأى محمد، صلى الله عليه وسلم ربه، جل جلاله، مرتين، وعصى آدم، عليه السلام، ربه تعالى، مرتين.

حدثنا عبيد الله، قال: وحدثنى أبى، عن الهذيل، عن حماد بن عمرو النصيبى، عن عبد الحميد بن يوسف، قال صياح الدراج: «الرحمن على العرش استوى».

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، عن الهذيل، عن صيفى بن سالم، عن عمرو بن عبيد، عن الحسن، فى قوله، عز وجل: ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ قال: أخفيها من نفسى، قال هذيل: ولم أسمع مقاتلا.

قوله سبحانه: ﴿فَاعْبُدْنِي﴾ يعنى فوحدنى، فإنه ليس معى إله، ثم قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾ [آية: ١٤] يقول: لتذكرنى بها، يا موسى.

ثم استأنف ﴿إِنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ﴾ يقول: إن الساعة جائية لابد ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾[(١)] من نفسى فى قراءة ابن مسعود، فكيف يعلمها أحد، وقد كدت أن أخفيها من نفسى، لئلا يعلمها مخلوق ﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ﴾ يقول سبحانه: الساعة آتية لتجزى كل نفس بر وفاجر ﴿بِمَا تَسْعَىٰ﴾ [آية: ١٥] إذا جاءت الساعة يعنى بما تعمل فى الدنيا.

﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا﴾ يا محمد، يعنى عن إيمان بالساعة ﴿مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا﴾ يعنى من لا يصدق بها أنها كائنة ﴿وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ ثم قال للنبى ﷺ: ﴿فَتَرْدَىٰ﴾ [آية: ١٦] يعنى فتهلك إن صدوك عن الإيمان بالساعة، فيها تقديم.

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُواْ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَاجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ

(١) انظر: (الطبرى ١٦/١١٣، الكشاف ٢/٥٣٢، القرطبى ١١/١٨٢، البحر المحيط ٦/٢٣٢، الفراء ٢/١٧٦، النحاس ٢/٣٣٤، العكبرى ٢/٦٥).

كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ ﴾

ثم قال عزو جل، فى مخاطبته لموسى عليه السلام: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ﴾ [آية: ١٧] يعنى عصاه كانت بيده اليمنى، قال ذلك لموسى عليه السلام، وهو يريد أن يخوها حية.

﴿قَالَ﴾ موسى عليه السلام: ﴿هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا﴾ (١) يقول: أعتمد عليها إذا مشيت ﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى﴾ (٢) يقول: أخبط بها الشجر فيتهاش الورق فى الأرض، فتأكله غنمى إذا رعيتها، وكانت صغارًا لا تعلون الشجر، وكان موسى عليه السلام، يضرب بعصاه الشجر فيتهاش الورق فى الأرض فتأكله غنمه. ﴿وَلِىَ فِيهَا﴾ يعنى فى العصا ﴿مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾ [آية: ١٨] يعنى حوائج أخرى، وكان موسى، عليه السلام، يحمل زاده وسقاءه على عصاه، ويضرب الأرض بعصاه فيخرج ما يأكل يومه، ويركزها فى الأرض فيخرج الماء، فإذا رفعها ذهب الماء، وتضىء بالليل فى غير قمر ليهتدى بها، ويرد بها غنمه عليه، فتقيه بإذن الله، عز وجل، من الآفات، ويقتل بها الحيات والعقارب بإذن الله، عز وجل.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، عن الهذيل، عن مقاتل، قال: دفع جبريل، عليه السلام، العصا إلى موسى، عليه السلام، وهو متوجه إلى مدين بالليل، واسم العصا نفعة.

﴿قَالَ﴾ الله عز وجل: ﴿أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ﴾ [آية: ١٩].

﴿فَأَلْقَىٰهَا﴾ من يده اليمنى ﴿فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ [آية: ٢٠] على بطنها ذكرًا أشعر، له عرف، فخاف موسى، عليه السلام، أن يأخذها.

فـ ﴿قَالَ﴾ له ربه عز وجل: ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾ منها ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾ [آية: ٢١] يعنى سنعيدها عصا كهيئتها الأولى عصا، كما كانت أول مرة، فأهوى موسى بيده إلى ذنبها فقبض عليها، فصارت عصا كما كانت.

﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ﴾ يعنى كفك ﴿إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ يعنى عضدك ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ

(١) انظر: (القرطبى ١١/١٨٦، البحر المحيط ٦/٢٣٤، الكشاف ٢/٥٣٣، العكبرى ٢/٦٦).
(٢) انظر: (القرطبى ٨١/١٨٧، الكشاف ٢/٥٣٣، البحر المحيط ٦/٢٣٤، مجمع البيان ٧/٦، العكبرى ٢/٦٦، الرازى ٢٢/٢٧) «ضبط فى القرطبى بفتح الحاء».

سُوٓءٍ﴾ يعنى من غير برص، فأخرج يده من مدرعته وكانت مضربة، فخرجت بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس يغشى البصر، ثم قال: ﴿ءَايَةً أُخۡرَىٰ﴾ [آية: ٢٢] يعنى اليد آية أخرى سوى العصا.

﴿لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى﴾ [آية: ٢٣] يعنى اليد، كانت أكبر وأعجب أمرًا من العصا، فذلك قوله سبحانه: ﴿فأراه الآية الكبرى﴾ [النازعات: ٢٠] يعنى اليد.

﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [آية: ٢٤] يقول: إنه عصى، فادعوه إلى عبادتى، واعلم أنى قد ربطت على قلبه؛ فلم يؤمن، فأتاه ملك خازن من خزان الريح، فقال له: انطلق لما أمرت.

﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي﴾ [آية: ٢٥] يقول: أوسع لى قلبى، قال له الملك: انطلق لما أمرت به، فإن هذا قد عجز عنه جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، عليهم السلام.

ثم قال موسى: ﴿وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي﴾ [آية: ٢٦] يقول: وهون علىَّ ما أمرتنى به من البلاغ إلى فرعون وقومه، ولا تعسره على.

﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةً مِّن لِّسَانِي﴾ [آية: ٢٧] وكان فى لسانه رتة يعنى الثقل، هذا الحرف عن محمد بن هانئ. ﴿يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي﴾ [آية: ٢٨] يعنى كلامى.

﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا﴾ يقول: بالدخول إلى فرعون، يعنى عونًا ﴿مِّنۡ أَهۡلِي﴾ [آية: ٢٩] لكى يصدقنى فرعون.

﴿هَٰرُونَ أَخِي﴾ [آية: ٣٠] ﴿ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي﴾ [آية: ٣١] يقول: اشدد به ظهرى وليكون عونًا لى. ﴿وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي﴾ [آية: ٣٢] الذى أمرتنى به، يتعطون لأمرنا ونتعاون كلانا جميعًا. ﴿كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا﴾ [آية: ٣٣] فى الصلاة ﴿وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا﴾ [آية: ٣٤] باللسان ﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا﴾ [آية: ٣٥] يقول: ما أبصرك بنا.

﴿قَالَ﴾ عز وجل: ﴿قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [آية: ٣٦] ومسألتك لنفسك خيرًا، عن العقدة فى اللسان ولأخيك.

﴿وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ﴾ يعنى أنعمنا عليك مع النبوة ﴿مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ﴾ [آية: ٣٧].

﴿إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ

ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾
إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا
تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ
عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى
ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ
﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى
مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾

ثم بين النعمة، فقال سبحانه: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ﴾ [آية: ٣٨]، واسمها يوخاند.

﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ﴾ أن اجعليه ﴿فِى ٱلتَّابُوتِ﴾ والمؤمن الذى صنع التابوت اسمه خربيل بن صابوث ﴿فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾ يعنى فى نهر مصر، وهو النيل ﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾ على شاطئ البحر ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾ يعنى فرعون عدو الله، عز وجل، وعدو لموسى، عليه السلام ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى﴾ فألقى الله، عز وجل، على موسى، عليه السلام، المحبة فأحبوه حين رأوه فهذه النعمة الأخرى ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ (١) [آية: ٣٩] حين قذف التابوت فى البحر، وحين التقط، وحين غذى، فكل ذلك بعين الله عز وجل، فلما التقطه جعل موسى لا يقبل ثدى امرأة.

﴿إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ﴾ مريم ﴿فَتَقُولُ﴾ لآل فرعون: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ﴾ يعنى على من يضمه ويرضعه لكم، فقالوا: نعم، فذهبت أخته فجاءت بالأم فقبل ثديها، فذلك قوله سبحانه: ﴿فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾ يعنى ﴿كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ عليك ﴿وَقَتَلْتَ﴾ حين بلغ أشده ثمانى عشرة سنة ﴿نَفْسًا﴾ بمصر ﴿فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ يعنى من القتل، وكان مغمومًا مخافة أن يقتل مكان القتيل ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ يعنى ابتليناك ببلاء على أثر بلاء، يعنى بالبلاء النقم منذ يوم ولد إلى أن بعثه الله، عز وجل، رسولاً ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ﴾ يعنى عشر سنين ﴿فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ حين كان مع شعيب، عليهما

---

(١) انظر: (الإتحاف ٣٠٣، السبعة ٤٢٦، النشر ٢/٣٢٠، الكشف ٢/١٠٩، غيث النفع ٢٨٧، القرطبى ١١/١٩٧، الكشاف ٢/٥٣٦، البحر المحيط ٦/٢٤٢، تحبير التيسير ١٤٠، الرازى ٢٢/٥٤).

السلام ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ﴾ يعنى ميقات ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾ [آية: ٤٠].

﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ [آية: ٤١] وهو ابن أربعين سنة، يقول: واخترتك لنفسى رسولاً ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ﴾ هارون ﴿بِـَٔايَٰتِى﴾ يعنى اليد والعصا، وهارون يومئذ غائب بمصر، فالتقيا موسى وهارون، عليهما السلام، من قبل أن يصلا إلى فرعون ﴿وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى﴾ [آية: ٤٢] يقول: ولا تضعفا فى أمرى، فى قراءة ابن مسعود: «ولا تهنا فى ذكرى فى البلاغ إلى فرعون» يجرئهما على فرعون.

﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [آية: ٤٣] يقول: عصى الله، عز وجل، أربعمائة سنة ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ يقول: ادعواه بالكنية، يعنى بالقول اللين، هل لك إلى أن تزكى، وأهديك إلى ربك فتخشى ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [آية: ٤٤].

﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ﴾ (١) يعنى أن يعجل علينا بالقتل ﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ [آية: ٤٥] يعنى يستعصى.

﴿قَالَ لَا تَخَافَآ﴾ القتل ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ﴾ فى الدفع عنكما، فذلك قوله سبحانه: ﴿فلا يصلون إليكما﴾ [القصص:٣٥] ثم قال: ﴿أَسْمَعُ﴾ جواب فرعون ﴿وَأَرَىٰ﴾ [آية: ٤٦] يقول: وأعلم ما يقول، كقوله: ﴿... لتحكم بين الناس بما أراك الله...﴾ يعنى بما أعلمك الله، عز وجل.

﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ فانقطع كلام الله عز وجل لموسى، عليه السلام، فلما أتيا فرعون، قال موسى لفرعون: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ يقول: ولا تستعبدهم بالعمل، يعنى بقوله: معنا، يعنى نفسه وأخاه ﴿قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ﴾ يعنى بعلامة ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ وهى اليد والعصا ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [آية: ٤٧] يقول: والسلام على من آمن بالله، عز وجل.

﴿إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن

(١) انظر: (مختصر شواذ القراءات ٨٧، القرطبى ٢٠١/١١، الكشاف ٥٣٨/٢، الإتحاف ٢٠٣، البحر المحيط ٢٤٦/٦).

نَبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا
خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ
وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ
مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ
مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾

﴿إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ﴾ فى الآخرة ﴿عَلَىٰ مَن كَذَّبَ﴾ بتوحيد الله، عز وجل ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ [آية: ٤٨] يعنى وأعرض عنه.

﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾ [آية: ٤٩] ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ﴾ من الدواب ﴿خَلْقَهُۥ﴾ يعنى صورته التى تصلح له ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [آية: ٥٠] يقول: هداه إلى معيشته ومرعاه، فمنها ما يأكل الحب، ومنها ما يأكل اللحم.

﴿قَالَ﴾ فرعون: يا موسى ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [آية: ٥١] يقول: مؤمن آل فرعون فى حم المؤمن: ﴿**يا قوم إنى أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم**﴾ [غافر: ٣٠، ٣١] فى الهلاك، فلما سمع ذلك فرعون من المؤمن، قال لموسى: ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ فلم يعلم موسى ما أمرهم؟ لأن التوراة إنما أزلت على موسى، عليه السلام، بعد هلاك فرعون وقومه.

فمن ثم رد عليه موسى: فـ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ﴾ يعنى اللوح المحفوظ ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّى﴾ يعنى لا يخطئ ذلك الكتاب ربى ﴿وَلَا يَنسَى﴾ [آية: ٥٢] ما فيه، فلما أنزل الله، عز وجل، عليه التوراة أعلمه، وبين له فيها القرون الأولى.

ثم ذكر موسى، عليه السلام، صنع الله، عز وجل، ليعتبر به فرعون، فقال: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ يعنى فراشًا ﴿وَسَلَكَ لَكُمْ﴾ يعنى وجعل لكم ﴿فِيهَا سُبُلًا﴾ يعنى طرقًا فى الأرض ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ يعنى بالمطر ﴿أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ [آية: ٥٣] من الأرض يعنى مختلفًا من كل لون من النبت منها للدواب، ومنها للناس.

﴿كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ يعنى فيما ذكر من هذه الآية ﴿لَءَايَٰتٍ﴾ يعنى لعبرة ﴿لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾ [آية: ٥٤] يعنى لذوى العقول فى توحيد الله، عز وجل، هذا قول موسى، عليه السلام، لفرعون.

ثم قال الله عز وجل: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ﴾ يعنى أول مرة خلقكم من الأرض، من التراب الذى ذكر فى هذه الآية التى قبلها ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ إذا متم ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾ يوم القيامة أحياء بعد الموت ﴿تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [آية: ٥٥] يعنى مرة أخرى.

﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا﴾ يعنى فرعون، الآيات السبع: الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والطمس، والسنين، والعصا، واليد، ﴿فَكَذَّبَ﴾ بها، بأنها ليست من الله، عز وجل، ﴿وَأَبَىٰ﴾ [آية: ٥٦] أن يصدق بها، وزعم أنها سحر.

﴿قَالَ﴾ فرعون لموسى: ﴿أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [آية: ٥٧] اليد والعصا ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ يعنى بمثل سحرك ﴿فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ يعنى وقتًا ﴿لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى﴾ (١) [آية: ٥٨] يعنى ميقاتًا، يعنى عدلاً كقوله سبحانه: ﴿**أصحاب الصراط السوى**﴾ [طه: ١٣٥] يعنى العدل.

﴿قَالَ﴾ موسى لفرعون: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾ (٢) يعنى يوم عيد لهم فى كل سنة واحد، وهو يوم النيروز ﴿وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾ [آية: ٥٩] يعنى نهارًا فى اليوم الذى فيه العيد، مثل قوله: ﴿**بأسنا ضحى**﴾ [الأعراف: ٩٨] يعنى نهارًا، وبعث فرعون شرطة فحشرهم للميعاد.

﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى
ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ
وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا
وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ
ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ
فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ
﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا
صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ
هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ
فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ

(١) انظر: (الكشاف ٢/٥٤٢، الرازى ٢٢/٧١، الإتحاف ٣٠٤، البحر المحيط ٦/٢٥٣).

(٢) انظر: (الإتحاف ٣٠٤، القرطبى ١١/٢١٣، الكشاف ٢/٥٤١، التبيان ٧/١٦٠، مجمع البيان ٧/١٤، البحر المحيط ٦/٢٥٢، النحاس ٢/٣٤٢).

عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ ﴾

﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ﴾ يقول: أعرض فرعون عن الحق الذى دعى إليه ﴿ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾ يعنى سحرته ﴿ ثُمَّ أَتَىٰ﴾ [آية: ٦٠] ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ لقولهم: إن اليد والعصا ليستا من الله، عز وجل، وإنها سحر ﴿ فَيُسْحِتَكُم﴾ يعنى فهلككم جميعًا ﴿ بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ﴾ يعنى وقد خسر ﴿ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ [آية: ٦١] وقال الكذب على الله عز وجل.

﴿ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ يعنى اختلفوا فى قولهم بينهم نظيرها فى الكهف: ﴿ **إذ يتنازعون بينهم أمرهم**﴾ [الكهف: ٢١]، ﴿ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ﴾ [آية: ٦٢] من موسى وهارون، عليهما السلام.

فنجواهم أن ﴿ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم﴾ يعنى أرض مصر ﴿ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ﴾ [آية: ٦٣] يقول: يغلبانكم على الرجال والأمثال، جمع أمثل، وهو الممتاز من الرجال، من أهل العقول والشرف، فيتبعون موسى وهارون، ويتركون فرعون.

﴿ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ﴾ يعنى سحركم، هذا قول فرعون لوجوه سحرة قومه ﴿ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ﴾ يعنى جميعًا ﴿ وَقَدْ أَفْلَحَ﴾ يعنى وقد سعد ﴿ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ﴾ [آية: ٦٤] يعنى من غلب.

﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ﴾ عصاك من يدك ﴿ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ﴾ نحن ﴿ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾ [آية: ٦٥].

﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ﴾ فلما ألقوا ﴿ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ﴾[1] يعنى إلى موسى ﴿ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [آية: ٦٦] وكانت حبالاً وهى لا تتحرك.

﴿ فَأَوْجَسَ﴾ يعنى فوقع ﴿ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾ [آية: ٦٧] يعنى خاف موسى إن صنع القوم مثل صنعه أن يشكوا فيه فلا يتبعوه، ويشك فيه من تابعه ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ

(١) انظر: (الإتحاف ٣٠٥، الطبرى ١٦/١٤٠، مجمع البيان ٧/١٤، القرطبى ١١/٢٢٢، الكشاف ٢/٥٢٤، البحر المحيط ٦/٢٥٩، النشر ٢/٣٢١، التيسير ١٥٢، غيث النفع ٢٩٠).

أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴾ [آية: ٦٨] يعنى الغالب نظيرها ﴿وأنتم الأعلون ﴾ [آل عمران: ١٣٩، محمد: ٣٥] الغالبون، هذا قول جبريل لموسى، عليه السلام، عن أمر ربه، عز وجل، وهو على يمينه تلك الساعة.

﴿وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ ﴾ يعنى عصاه، ففعل، فإذا هى حية ﴿تَلۡقَفۡ ﴾ يقول: تلقم ﴿مَا صَنَعُوٓاْۖ ﴾ من السحر حتى تلقمت الحبال والعصى ﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ ﴾ يقول: إن الذى عملوا هو عمل ساحر، يعنى كبيرهم، وما صنع موسى فليس بسحر ﴿وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ﴾ [آية: ٦٩] أينما كان الساحر فلا يفلح.

﴿فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا ﴾ لله تبارك وتعالى، وكانوا ثلاثة وسبعين ساحرًا أكبرهم اسمه شمعون، فلما التقمت الحبال والعصى ألقاهم الله، عز وجل، على وجوههم سجدًا ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا ﴾ يعنى صدقنا ﴿بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾ [آية: ٧٠].

﴿قَالَ ﴾ فرعون: ﴿ءَامَنتُمۡ لَهُۥ ﴾ يعنى صدقتم لموسى ﴿قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ ﴾ يقول: قبل أن آمركم بالإيمان لموسى ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ﴾ يعنى لعظيمكم فى السحر، هو ﴿ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ ﴾ يعنى اليد اليمنى والرجل اليسرى ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ ﴾ مثل قوله تعالى: ﴿أم لهم سلم يستمعون فيه... ﴾ [الطور:٣٨] يعنى عليه ﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ ﴾ [آية: ٧١] أنا أو رب موسى وهارون ﴿وَأَبۡقَىٰ ﴾ وأدوم عذابًا.

﴿قَالُواْ ﴾ يعنى قالت السحرة: ﴿لَن نُّؤۡثِرَكَ ﴾ يعنى لن نختارك ﴿عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ ﴾ يعنون اليد والعصا ﴿وَ ﴾ لا على ﴿وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ ﴾ يعنى خلقنا، يعنون ربهم، عز وجل، الذى خلقهم ﴿فَٱقۡضِ ﴾ يعنى فاحكم فينا ﴿مَآ أَنتَ قَاضٍۖ ﴾ يعنى حاكم من القطع والصلب ﴿إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ﴾ [آية: ٧٢].

﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا ﴾ يقول: إنا صدقنا بتوحيد الله، عز وجل، ﴿لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا ﴾ يقول: سحرنا ﴿وَ ﴾ يغفر لنا ﴿وَمَآ ﴾ الذى ﴿أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ ﴾ يعنى ما جبرتنا عليه ﴿مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴾ [آية: ٧٣] يقول الله جل جلاله أفضل منك وأدوم منك يا فرعون، فإنك تموت ويبقى الرب وحده تعالى جده؛ لقول فرعون: ﴿ ... أينا أشد عذابا وأبقى ﴾ [طه:٧١].

﴿إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا

ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ ﴾

﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا﴾ يعنى مشركا فى الآخرة، وأنت هو يا فرعون ﴿فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريح ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [آية: ٧٤] فتنفعه الحياة، نظيرها فى ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ [الأعلى: ١].

﴿وَمَن يَأْتِهِۦ﴾ فى الآخرة ﴿مُؤْمِنًا﴾ يعنى مصدقًا بتوحيد الله، عز وجل، ﴿قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ من الأعمال ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾ [آية: ٧٥] يعنى الفضائل الرفيعة فى الجنة من الأعمال.

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ يعنى تحت البساتين الأنهار ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ لا يموتون ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ﴾ يعنى الخلود جزاء ﴿مَن تَزَكَّىٰ﴾ [آية: ٧٦].

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ ﴾

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى﴾ ليلاً بأرض مصر ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا﴾ من آل فرعون من ورائك ﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾ [آية: ٧٧] الغرق فى البحر أمامك؛ لأن بنى إسرائيل قالوا لموسى: هذا فرعون قد لحقنا بالجنود، وهذا البحر قد غشينا، فليس لنا منقذ، فنزلت: ﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾ أوجب ذلك على نفسه تعالى.

﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [آية: ٧٨] يعنى الغرق، ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ﴾ القبط ﴿وَمَا هَدَىٰ﴾ [آية: ٧٩] يقول: وما هداهم، وذلك أن فرعون قال لقومه فى حم المؤمن: ﴿... ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد﴾ [غافر: ٢٩]، فأضلهم ولم يهدهم، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَمَا هَدَىٰ﴾.

﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾

كما قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ﴾ فرعون وقومه ﴿وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ﴾ يعنى حين سار موسى مع السبعين عن يمين الجبل، فأعطى التوراة ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ﴾ [آية: ٨٠] فى التيه، أما المن فالترنجبين كان بين أعينهم بالليل على شجرهم أبيض كأنه الثلج، حلو مثل العسل، فيغدون عليه فيأخذون منه ما يكفيهم يومهم ذلك، ولا يرفعون منه لغد، ويأخذون يوم الجمعة ليومين؛ لأن السبت كان عندهم لا يسيحون فيه ولا يعملون فيه، هذا لهم وهم فى التيه مع موسى، عليه السلام، وتنبت ثيابهم مع أولادهم، أما الرجال فكانت ثيابهم لا تبلى، ولا تخرف، ولا تدنس، وأما السلوى وهو الطير، وذلك أن بنى إسرائيل سألوا موسى اللحم وهم فى التيه، فسأل موسى، عليه السلام، ربه عز وجل ذلك، فقال الله: لأطعمنهم أقل الطير لحمًا فبعث الله سبحانه سحابًا فأمطرت سمانًا، وجمعتهم الريح الجنوب، وهى طير حمر تكون فى طريق مصر، فمطرت قدر ميل فى عرض الأرض، وقدر طول رمح فى السماء.

يقول الله تعالى ذكره: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ يعنى بالطيبات الحلال من الرزق ﴿وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ﴾ يقول: ولا تعصوا فى الرزق، يعنى فيما رزقناكم من المن والسلوى فترفعوا منه لغد، وكان الله سبحانه قد نهاهم أن يرفعوا منه لغد فعصوا الله، عز وجل، ورفعوا منه، وقددوا، فتدود ونتن، ولولا صنيع بنى إسرائيل لم يتغير الطعام أبدًا، ولولا حواء زوج آدم، عليهما السلام، لم تخن أنثى زوجها الدهر، فذلك قوله: ﴿وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ﴾ كقوله تعالى لفرعون: ﴿... **إنه طغى**﴾ يعنى عصى ﴿فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ﴾ يعنى فيجب عليكم عذابى ﴿وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي﴾ عذابى ﴿فَقَدۡ هَوَىٰ﴾ [آية: ٨١] يقول: ومن وجب عليه عذابى فقد هلك.

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ﴾ من الشرك عن عبادة العجل ﴿وَءَامَنَ﴾ يعنى وصدق بتوحيد الله، عز وجل، ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾ [آية: ٨٢] يعنى عرف أن لعمله ثوابًا يجازى به كقوله سبحانه: ﴿**وبالنجم هم يهتدون**﴾ [النحل: ١٦] يعنى يعرفون الطريق.

﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ٨٣ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ٨٤ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ٨٥ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ

عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾
قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى
ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ
فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ ﴾

﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [آية: ٨٣] يعنى السبعين الذين اختارهم موسى حين ذهبوا معه إلى الطور ليأخذوا التوراة من ربه، عز وجل، فلما ساروا عجل موسى، عليه السلام، شوقًا إلى ربه تبارك وتعالى، وخلف السبعين، وأمرهم أن يتبعوه إلى الجبل، فقال الله عز وجل له: ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ﴾؟ السبعين.

﴿قَالَ﴾ لربه جل وعز: ﴿هُمْ أُولَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى﴾ يجيئون من بعدى ﴿وَعَجِلْتُ﴾ يعنى أسرعت ﴿إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [آية: ٨٤] يقول: حتى ترضى عنى.

﴿قَالَ﴾ الله جل جلاله: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ﴾ يعنى الذين خلفهم مع هارون على ساحل البحر سوى السبعين ﴿مِنۢ بَعْدِكَ﴾ بالعجل ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ﴾ [آية: ٨٥] حين أمرهم بعبادة العجل وكانوا اثنى عشر ألفًا.

﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ﴾ من الجبل ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ﴾ عليهم ﴿أَسِفًا﴾ حزينًا لعبادتهم العجل ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾ يعنى حقًا كقوله سبحانه فى البقرة: ﴿... **وقولوا للناس حسنا** ...﴾ [البقرة: ٨٠] يعنى حقًا فى محمد ﷺ، أن يعطيكم التوراة فيها بيان كل شيء، والوعد حين قال عز وجل: ﴿**وواعدناكم جانب الطور الأيمن**﴾ [طه: ٨٠] حين سار موسى مع السبعين ليأخذوا التوراة، فطال عليهم العهد، يعنى ميعاده إياهم أربعين يومًا، فذلك قوله تعالى: ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ﴾ يعنى أن يجب عليكم عذاب، كقوله تعالى: ﴿... **قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب** ..﴾ [الأعراف: ٧١] يعنى عذاب ﴿مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى﴾ [آية: ٨٦] يعنى الأربعين يومًا، وذلك أنهم عدوا الأيام والليالى، فعدوا عشرين يومًا وعشرين ليلة، ثم قالوا لهارون: قد تم الأجل الذى كان بيننا وبين موسى، فعند ذلك أضلهم السامرى.

﴿قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾ ونحن نملك أمرنا ﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا﴾ يعنى خطايا؛ لأن ذلك حملهم على صنع العجل وعبادته ﴿مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ﴾ يقول: من حلى

آل فرعون الذهب والفضة، وذلك أنه لما مضى خمسة وثلاثون يومًا، قال لهم السامرى وهو من بنى إسرائيل: يا أهل مصر، إن موسى لا يأتيكم، فانظروا هذا الوزر، وهو الرجس الذى على نسائكم وأولادكم من حلى آل فرعون الذى أخذتموه منهم غصبًا، فتطهروا منه، واقذفوه فى النار.

ففعلوا ذلك وجمعوه فعمد السامرى؛ فأخذه ثم صاغه عجلاً لست وثلاثين يومًا، وسبعة وثلاثين يومًا، وثمانية وثلاثين يومًا، فصاغه فى ثلاثة أيام، ثم قذف القبضة التى أخذها من أثر حافر فرس جبريل، عليه السلام، فخار العجل خورة واحدة، ولم يثن، فأمرهم السامرى بعبادة العجل لتسعة وثلاثين يومًا، ثم أتاهم موسى، عليه السلام، من الغد لتمام أربعين يومًا، فذلك قوله سبحانه ﴿فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ﴾ يعنى هكذا ﴿أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ﴾ [آية: ٨٧] الحلى فى النار.

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا﴾ يعنى بالجسد أنه لا روح فيه ﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ يعنى له صوت ﴿فَقَالُوا۟﴾ قال السامرى وحده: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾ معشر بنى إسرائيل، وذلك أن بنى إسرائيل لما عبروا البحر مروا على العمالقة وهم عكوف على أصنام لهم، قالوا لموسى: اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة، فاغتنمها السامرى، فلما اتخذه قال: هذا إلهكم وإله موسى معشر بنى إسرائيل، ﴿فَنَسِىَ﴾ [آية: ٨٨] يقول: فترك موسى ربه وهو هذا، وقد ذهب موسى يزعم خطاب ربه، يقول الله جل جلاله.

﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ
هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾
قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ
ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا
بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا
خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ
ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى
ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ
عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾﴾

﴿أَفَلَا﴾ يعنى أفهلا ﴿يَرَوْنَ أَلَّا﴾ أنه ﴿يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ أنه لا يكلمهم العجل

﴿وَلَا يَمْلِكُ﴾ يقول: لا يقدر ﴿لَهُمْ ضَرًّا﴾ يقول: لا يقدر العجل على أن يرفع عنهم سوءًا ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ [آية: ٨٩] يقول: ولا يسوق إليهم خيرًا.

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ﴾ أن يأتيهم موسى من الطور ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ﴾ يعنى ابتليتم بالعجل ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى﴾ على دينى ﴿وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِى﴾ [آية: ٩٠] يعنى قولى.

﴿قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ﴾ قالوا لن نبرح على العجل واقفين نعبده، كقوله سبحانه: ﴿**لا أبرح**﴾ يعنى لا أزال ﴿**حتى أبلغ مجمع البحرين**﴾ [الكهف:٦٠] ﴿حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ [آية: ٩١].

فلما رجع موسى ﴿قَالَ﴾ لهارون: ﴿يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ﴾ [آية: ٩٢] يعنى أشركوا ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾ يقول ألا اتبعت أمرى فأنكرت عليهم ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى﴾ [آية: ٩٣] يقول افتركت قولى، كقوله سبحانه: ﴿**ولا تطيعوا أمر المسرفين**﴾ [الشعراء:١٥١].

﴿قَالَ﴾ هارون لموسى عليهما السلام: ﴿يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ﴾ فإنى لو أنكرت لصاروا حزبين يقتل بعضهم بعضا و ﴿إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى﴾ [آية: ٩٤] يقول: ولم تحفظ وصيتى فى الأعراف قوله سبحانه لهارون: ﴿أخلفنى فى قومى وأصلح﴾ [الأعراف: ١٤٢] وكان هارون أحب بنى إسرائيل من موسى، صلى الله عليهما، ولقد سمت بنو إسرائيل على اسم هارون سبعين ألفًا من حبه، عليه السلام.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ﴾ يعنى فما أمرك؟ ﴿يَٰسَٰمِرِىُّ﴾ [آية: ٩٥] يقول: فما حملك على ما أرى ﴿قَالَ﴾ السامرى: ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ﴾ يقول: بما لم يفطنوا به يقول: عرفت ما لم يعرفوه من أمر فرس جبريل، عليه السلام، ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ﴾[1] فرس ﴿ٱلرَّسُولِ﴾ يعنى تحت فرس جبريل، عليه السلام، ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ فى النار على أثر الحلى ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى﴾ [آية: ٩٦] يقول: هكذا زينت لى نفسى أن أفعل ذلك ﴿قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ﴾ إلى أن تموت ﴿أَن تَقُولَ لَا

(١) انظر: (الطبرى ١٥٢/١٦، الفراء ١٩٠/٢، الإتحاف ٣٠٧، غيث النفع ٢٩٢، لسان العرب «قبص»، البحر المحيط ٢٧٣/٦، التبيان ١٨٠/٧، الكشاف ٥٥١/٢، مجمع البيان ٢٤/٧، ٢٥).

مِسَاسَ﴾ (١) يعنى لا تخالط الناس ﴿وَإِنَّ لَكَ﴾ فى الآخرة ﴿مَوْعِدًا﴾ يعنى يوم القيامة ﴿لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾ يقول: لن تغيب عنه ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ﴾ يعنى العجل ﴿ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ يقول: أقمت عليه عابدًا له ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ (٢) بالنار وبالمبرد ﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾ [آية: ٩٧] يقول: لننبذنه فى اليم نبذًا.

﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾﴾

﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ﴾ يعنى ملأ ﴿كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [آية: ٩٨] فعلمه تبارك وتعالى.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، عن مقاتل، قال: علم عز وجل من يعبده، ومن لا يعبده قبل خلقهم، جل جلاله.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ يعنى هكذا ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ﴾ يعنى من أحاديث ﴿مَا قَدْ سَبَقَ﴾ من قبلك من الأمم الخالية ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾ [آية: ٩٩] يقول: قد أعطيناك من عندنا تبيانًا يعنى القرآن.

﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ يعنى عن إيمان بالقرآن ﴿فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا﴾ [آية: ١٠٠] يعنى إثمًا بإعراضه عن القرآن يحمله على ظهره.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهِ﴾ يعنى فى الوزر فى النار ﴿وَسَآءَ لَهُمْ﴾ يعنى وبئس لهم ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا﴾ [آية: ١٠١] يعنى إثمًا، والوزر هو الخطأ الكبير.

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ (٣) يعنى المشركين إلى النار ﴿يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [آية: ١٠٢] زرق الأعين.

﴿يَتَخَٰفَتُونَ﴾ يعنى يتساءلون ﴿بَيْنَهُمْ﴾ يقول بعضهم لبعض: ﴿إِن﴾ يعنى ما

---

(١) انظر: (الفراء ٢/١٩٠، الكشاف ٢/٥٥١، مجمع البيان ٧/٢٧، البحر المحيط ٦/٢٧٥).

(٢) انظر: (الإتحاف ٣٠٧، الطبرى ١٦/١٥٣، القرطبى ١١/٢٤٢، الكشاف ٢/٥٥٢، النشر ٢/٣٢٢، الفراء ٢/١٩١، البحر المحيط ٦/٢٧٦، تحبير التيسير ١٤١، التبيان ٧/١٨٢).

(٣) انظر: (القرطبى ١١/٢٤٤، الكشاف ٢/٥٥٣، الرازى ٢٢/١١٤، مجمع البيان ٧/٢٧، البحر المحيط ٦/٢٧٨).

﴿لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ [آية: ١٠٣] يعنى عشر ليال.

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾ يعنى أمثلهم نجوى ورأيا ﴿إِن لَبِثْتُمْ﴾ فى القبور ﴿إِلَّا يَوْمًا﴾ [آية: ١٠٤] واحدًا.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ﴾ نزلت فى رجل من ثقيف ﴿فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾ [آية: ١٠٥] من الأرض من أصولها.

﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا﴾ لا تراب فيها ﴿صَفْصَفًا﴾ [آية: ١٠٦] لا نبت فيها.

﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا﴾ يعنى خفضًا ﴿وَلَآ أَمْتًا﴾ [آية: ١٠٧] يعنى رفعًا.

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ﴾ يعنى صوت الملك الذى هو قائم على صخرة بيت المقدس، وهو إسرافيل، عليه السلام، حين ينفخ فى الصور، يعنى فى القرن، لا يزيغون ولا يروغون عنه يمينًا ولا شمالاً، يعنى لا يميلون عنه، كقوله سبحانه: ﴿... **تبغونها عوجا** ...﴾ [آل عمران: ٩٩] يعنى زيغًا وهو الميل ﴿لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾ يعنى عنه، يستقيمون قبل الصوت نظيرها ﴿.. **ولم يجعل له عوجا** ...﴾ [الكهف: ١] ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [آية: ١٠٨] إلا خفيا من الأصوات مثل وطء الأقدام.

﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ﴾ يعنى شفاعة الملائكة ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ أن يشفع له ﴿وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ [آية: ١٠٩] يعنى التوحيد.

﴿يَعْلَمُ﴾ الله عز وجل ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ يقول: ما كان قبل أن يخلق الملائكة، وما كان بعد خلقهم ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [آية: ١١٠] يعنى بالله عز وجل علمًا هو أعظم من ذلك.

﴿۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ

ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا وَلَا هَضۡمٗا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا
وَصَرَّفۡنَا فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ
وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴿١١٤﴾ ﴾

﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ﴾ يعنى استسلمت الوجوه ﴿لِلۡحَيِّ﴾ الذى لا يموت ﴿ٱلۡقَيُّومِۖ﴾ يعنى القائم على كل شىء ﴿وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا﴾ [آية: ١١١] يقول: وقد خسر من حمل شركًا يوم القيامة على ظهره.

﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٌ﴾ مصدق بتوحيد الله عز وجل ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا﴾ فى الآخرة، يعنى أن تظلم حسناته كلها حتى لا يجازى بحسناته كلها ﴿وَلَا هَضۡمٗا﴾ [آية: ١١٢] يعنى ولا ينقص منها شيئًا، مثل قوله عز وجل: ﴿فلا يخاف بخسا ولا رهقا﴾ [الجن: ١٣].

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ يعنى وهكذا ﴿أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا﴾ ليفقهوه ﴿وَصَرَّفۡنَا﴾ يعنى وصنفنا ﴿فِيهِ﴾ يعنى لوّنا فيه، يعنى فى القرآن ﴿مِنَ﴾ ألوان ﴿ٱلۡوَعِيدِ﴾ للأمم الخالية فى الدنيا من الحصب، والخسف، والغرق، والصيحة، فهذا الوعيد لهم ﴿لَعَلَّهُمۡ﴾ يعنى لكى ﴿يَتَّقُونَ﴾ يعنى لكى يخلصوا التوحيد بوعيدنا فى القرآن ﴿أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ﴾ يعنى الوعيد ﴿ذِكۡرٗا﴾ [آية: ١١٣] عظة فيخافون فيؤمنون.

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾ يعنى ارتفع الله ﴿ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ﴾ لأن غيره، عز وجل، وما سواه من الآلهة باطل ﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ﴾ وذلك أن جبريل، عليه السلام، كان إذا أخبر النبى ﷺ، بالوحى لم يفرغ جبريل، عليه السلام، من آخر الكلام، حتى يتكلم النبى ﷺ، بأوله، فقال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَعۡجَلۡ﴾ بقراءة القرآن ﴿مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ﴾ يقول: من قبل أن يتمه لك جبريل، عليه السلام، ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [آية: ١١٤] يعنى قرآنًا.

﴿وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ﴿١١٥﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا
لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ
لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ
﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ
يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا

سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ
رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا
يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن
ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ
حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ
﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ
وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ ﴾

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ﴾ محمد ﷺ، ألا يأكل من الشجرة ﴿فَنَسِىَ﴾ يقول: فترك آدم العهد، كقوله: ﴿... **وإله موسى فنسى**﴾ [طه: ٨٨] يقول: ترك، وكقوله سبحانه: ﴿...**إنا نسيناكم** ...﴾ [السجدة: ١٤] يقول: تركناكم، وكقوله: ﴿**فنسوا حظا**...﴾ [المائدة: ١٤] يعنى تركوا، فلما نسى العهد سمى الإنسان، فأكل منها ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [آية: ١١٥] يعنى صبرًا عن أكلها.

﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ يعنى وقد قلنا ﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ﴾ إذ نفخ فيه الروح ﴿فَسَجَدُوٓا۟﴾ ثم استثنى فقال: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ لم يسجد فـ ﴿أَبَىٰ﴾ [آية: ١١٦] أن يسجد.

﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ﴾ حواء ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ [آية: ١١٧] بالعمل بيديك، وكان يأكل من الجنة رغدًا من غير أن يعمل بيده، فلما أصاب الخطيئة أكل من عمل يده، فكان يعمل ويأكل ﴿إِنَّ لَكَ﴾ يا آدم ﴿أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ﴾ [آية: ١١٨].

﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا﴾ يعنى لا تعطش فى الجنة ﴿وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [آية: ١١٩] يقول: لا يصيبك حر الشمس، فيؤذيك فتفرق.

﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ يعنى إبليس وحده فـ ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ﴾ يقول: ألا أدلك ﴿عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ﴾ من أكل منها خلد فى الجنة فلا يموت ﴿وَ﴾ على ﴿وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [آية: ١٢٠] يقول: لا يفنى.

﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾ يقول: ظهرت لهما عوراتهما ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا﴾ يقول: وجعلا يخصفان، يقول: يلزقان الورق بعضه على بعض ﴿مِن

وَرَقِ ٱلْجَنَّةِۚ ﴾ ورق التين ليستتروا به فى الجنة ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾ [آية: ١٢١] يعنى فضل وتولى عن طاعة ربه، عز وجل.

﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ ﴾ يعنى استخلصه ربه عز وجل ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ من ذنبه ﴿وَهَدَىٰ ﴾ [آية: ١٢٢] يعنى وهداه للتوبة.

﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ﴾ يعنى آدم وإبليس ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ ﴾ يقول: إبليس وذريته عدو لآدم وذريته ﴿فَإِمَّا ﴾ يعنى فإن ﴿يَأْتِيَنَّكُم ﴾ يعنى ذرية آدم ﴿مِّنِّى هُدًى ﴾ يعنى رسلاً معهم كتب فيها البيان ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ ﴾ يعنى رسلى وكتابى ﴿فَلَا يَضِلُّ ﴾ فى الدنيا ﴿وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ [آية: ١٢٣] فى الآخرة.

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى ﴾ يعنى عن إيمان بالقرآن نزلت فى الأسود بن عبد الأسود المخزومى، قتله حمزة بن عبد المطلب يوم بدر على الحوض ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ يعنى معيشة سوء لأنها فى معاصى الله عز وجل الضنك والضيق ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [آية: ١٢٤] عن حجته.

﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ ﴾ عن حجتى ﴿وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴾ [آية: ١٢٥] فى الدنيا عليمًا بها، وهذا مثل قوله سبحانه: ﴿**هلك عنى سلطانية**﴾ [الحاقة: ٢٩] يعنى ضلت عنى حجتى، وهذا قوله حين شهدت عليه الجوارح بالشرك والكفر.

﴿قَالَ ﴾ الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ﴾ يعنى هكذا ﴿أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا ﴾ يعنى آيات القرآن ﴿فَنَسِيتَهَاۖ ﴾ يعنى فتركت إيمانًا بآيات القرآن ﴿وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ [آية: ١٢٦] فى الآخرة تترك فى النار، ولا تخرج منها، ولا نذكرك.

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ ﴾ يعنى وهكذا نجزى من أشرك فى الدنيا بالنار فى الآخرة ﴿وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ ﴾ يقول: ولم يؤمن بالقرآن ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ ﴾ مما أصابه فى الدنيا من القتل ببدر ﴿وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [آية: ١٢٧] يعنى وأدوم من عذاب الدنيا، ثم خوف كفار مكة.

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ ﴾

فقال سبحانه: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ﴾ يقول: أو لم نبين لهم ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا ﴾ بالعذاب

﴿ قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ﴾ يقول: يمرون فى قراهم فيرون هلاكهم يعنى عادًا وثمودًا، وقوم لوط، وقوم شعيب ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ يعنى إن فى هلاكهم بالعذاب فى الدنيا ﴿ لَأَيَٰتٍ﴾ لعبرة ﴿ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾ [آية: ١٢٨] يعنى لذوى العقول فيحذرون مثل عقوبتهم.

﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ فى تأخير العذاب عنهم إلى تلك المدة ﴿ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [آية: ١٢٩] يعنى يوم القيامة ﴿ لَكَانَ لِزَامًا﴾ للزمهم العذاب فى الدنيا كلزوم الغريم الغريم.

﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾

﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ من تكذيبهم إياك بالعذاب ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ يعنى صل بأمر ربك ﴿ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾ يعنى الفجر ﴿ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ يعنى الظهر والعصر ﴿ وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ﴾ يعنى المغرب والعشاء ﴿ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ [آية: ١٣٠] يا محمد فى الآخرة بثواب الله عز وجل.

قال مقاتل: كانت الصلاة ركعتين بالغداة وركعتين بالعشى، فلما عرج بالنبى ﷺ فرضت عليه خمس صلوات ركعتين ركعتين غير المغرب، فلما هاجر إلى المدينة أمر بتمام الصلوات ولها ثلاثة أحوال.

﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ يعنى كفار مكة من الرزق أصنافًا منهم من الأموال، فإنها ﴿ زَهْرَةَ﴾ يعنى زينة ﴿ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ يقول: أعطيناهم ذلك لكى نبتليهم ﴿ وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾ فى الآخرة يعنى الجنة ﴿ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [آية: ١٣١] يعنى أفضل وأدوم وأبقى مما أعطى كفار مكة.

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ﴾ يعنى قومك ﴿ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ كقوله سبحانه: ﴿**وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة**﴾ [مريم: ٥٥] يعنى قومه ﴿ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ يعنى الصلاة، فإنا ﴿ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا﴾ إنما نسألك العبادة ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [آية: ١٣٢] يعنى عاقبة التقوى دار الجنة، لقوله عز وجل: ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد يطعمون**﴾ [الذاريات: ٥٦، ٥٧] إنما أريد منهم العبادة.

﴿وَقَالُواْ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾
وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ
مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُواْ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ
ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾﴾

﴿وَقَالُواْ﴾ أى كفار مكة: ﴿لَوْلَا﴾ يعنى هلا ﴿يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾ فتعلم أنه نبى رسول كما كانت الأنبياء تجئ بها إلى قومهم، يقول الله عز وجل: ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [آية: ١٣٣] يعنى بيان كتب إبراهيم وموسى الذى كان قبل كتاب محمد، صلى الله عليهم أجمعين.

﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ﴾ فى الدنيا ﴿مِّن قَبْلِهِۦ﴾ يعنى من قبل هذا القرآن فى الآخرة ﴿لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ﴾ يعنى هلا ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ معه كتاب ﴿فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾ يعنى آيات القرآن ﴿مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ﴾ يعنى نستذل ﴿وَنَخْزَىٰ﴾ [آية: ١٣٤] يعنى ونعذب فى الدنيا، نظيرها فى القصص.

﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ﴾ وذلك أن كفارمكة، قالوا: نتربص بمحمد ﷺ، الموت لأن النبى ﷺ، أوعدهم العذاب فى الدنيا، فأنزل الله عز وجل: ﴿قُلْ﴾ لكفار مكة ﴿كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ﴾ أنتم بمحمد الموت، ومحمد يتربص بكم العذاب فى الدنيا ﴿فَتَرَبَّصُواْ فَسَتَعْلَمُونَ﴾ إذا نزل بكم العذاب فى الدنيا ﴿مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ﴾ يعنى العدل أنحن أم أنتم ﴿وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ [آية: ١٣٥] منا ومنكم.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، عن الهذيل، قال: سمعت الواقدى، ولم أسمع مقاتلا يحدث عن أبى إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن أُبى بن كعب، عن رسول الله ﷺ، فى قوله عز وجل: ﴿... **خيرًا منه زكاة وأقرب رحمًا**﴾ [الكهف: ٨١] قال: أعقبت بعد ذلك غلامًا.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى الهذيل، عن المسيب، عن السدى، ومقاتل، عن حذيفة، أنه لما حان للخضر وموسى، عليهما السلام، أن يفترقا، قال له الخضر: يا موسى، لو صبرت لأتيت على ألف عجيبة أعجب مما رأيت، قال: فبكى موسى على فراقه.

فقال موسى للخضر: أوصنى يا نبى الله، قال له الخضر: يا موسى، اجعل همك فى

معادك، ولا تخض فيما لا يعينك، ولا تأمن الخوف فى أمنك، ولا تيأس من الأمن فى خوفك، ولا تذر الإحسان فى قدرتك، وتدبر الأمور فى عاقبتك. قال له موسى عليه السلام: زدنى رحمك الله، قال له الخضر: إياك والإعجاب بنفسك، والتفريط فيما بقى من عمرك، واحذر من لا يغفل عنك، قال له موسى، صلى الله عليهما: زدنى رحمك الله، قال له الخضر: إياك واللجاجة، ولا تمش فى غير حاجة، ولا تضحك من غير عجب، ولا تعيرن أحدًا من الخاطئين بخطاياهم بعد الندم، وأبك على خطيئتك يابن عمران.

قال له موسى ﷺ: قد أبلغت فى الوصية، فأتم الله عليك نعمته، وغمرك فى رحمته، وكلأك من عدوه، قال له الخضر: آمين، فأوصنى يا موسى.

قال له موسى: إياك والغضب إلا فى الله تعالى، ولا ترض عن أحد إلا فى الله عز وجل، ولا تحب لدنيا، ولا تبغض لدنيا تخرج من الإيمان، وتدخلك فى الكفر. قال الخضر، عليهما السلام: قد أبلغت فى الوصية، فأعانك الله على طاعته، وأراك السرور فى أمرك، وحببك إلى خلقه، وأوسع عليك من فضله، قال له موسى: آمين.

فبينما هما جلوس على ساحل البحر إذ انقضت خطافة فنقرت بمنقارها من البحر نقرتين.

قال موسى للخضر عليهما السلام: يا نبى الله، هل تعلم ما نقص من البحر؟ قال له الخضر: لولا ما نراد فيه لأخبرتك، قال موسى للخضر: يا نبى الله، هل من شىء ليس فيه بركة؟ قال له الخضر: نعم يا موسى، ما من شىء إلا وفيه بركة ما خلا آجال العباد، ومدتهم، ولولا ذلك لفنى الناس. قال موسى: وكيف ذلك؟ قال له الخضر: لأن كل شىء ينقص منه، فلا يزاد فيه ينقطع، قال له موسى: يا نبى الله، من أجل أى شىء أعطاك الله عز وجل من بين العباد أن لا تموت حتى نسأل الله تعالى، واطلعت على ما فى قلوب العباد تنظر بعين الله عز وجل؟.

قال له الخضر: يا موسى، بالصبر عن معصية الله، عز وجل، والشكر لله، عز وجل، فى نعمته، وسلامة القلب لا أخاف ولا أرجو دون الله أحدًا.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، عن الهذيل، قال: سمعت عبد القدوس يحدث عن الحسن، قال: سمعت ابن عباس على المنبر يقول: ﴿**فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرًا منه**

زكاة وأقرب رحمًا﴾ [الكهف: ٨١]، قال: جارية مكان الغلام.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنا أبى، عن الهذيل، عن المسيب، عن رجل، عن ابن عباس، فى قوله عز وجل: ﴿... **وكان تحته كنز لهما** ...﴾ قال: كان لوحًا من ذهب مكتوب فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا الله، أحمد رسول الله، عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن؟ وعجبت لمن يعلم أن الموت حق كيف يفرح؟ وعجبت لمن يرى الدنيا وتصريف أهلها كيف يطمئن إليها؟.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، عن الهذيل، عن أبى يوسف، عن الحسن بن عمارة، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس، فى قوله عز وجل: ﴿... **لا تؤاخذنى بما نسيت**... ﴾، قال: لم ينس، ولكن هذا من معاريض الكلام.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، قال: سمعت المسيب يحدث عن عبيد الله بن مالك، عن على، رضى الله عنه، وقد لقيه، قال: إن الترك سرية خرجوا من يأجوج ومأجوج يغيرون على الناس فردم ذو القرنين دونهم فبقوا. قال مقاتل: إنما سموا الترك؛ لأنهم تركوا خلف الردم.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، عن أبى المليح، عن ميمون بن مهران، عن ابن عباس، قال: انتهى ذو القرنين إلى ملك من ملوك الأرض، فقال لذى القرنين: إنك قد بلغت ما لم يبلغه أحد، وقد أخبرت أن عندك علمًا، وأنا سائلك عن خصال أربع، فإن أنت أخبرتنى عنهم علمت أنك عالم.

ما اثنان قائمان؟ واثنان ساعيان؟ واثنان مشتركان؟ واثنان متباغضان؟ قال له ذو القرنين: أما الاثنان القائمان فالسموات والأرض لم يزولا منذ خلقهما الله، عز وجل، وأما الاثنان الساعيان فالشمس والقمر لم يزالا دائبين منذ خلقهما الله، عز وجل، وأما الاثنان المشتركان فالليل والنهار يأخذ كل واحد منهما من صاحبه، وأما الاثنان المتباغضان فالموت والحياة لا يحب أحدهما صاحبة أبدًا، قال: صدقت، فإنك من علماء أهل الأرض.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، عن الهذيل، عن المسعودى، عن عون بن عبد الله المزنى، عن مطرف بن الشخير، أنه قال: فضل العلم خير من فضل العمل، وخير العمل أوسطه، والحسنة بين السيئتين.

قوله سبحانه: ﴿... **ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها**﴾ سيئة ﴿**وابتغ بين ذلك سبيلا**﴾ [الإسراء: ١١٠] حسنة. قال الهذيل: ولم أسمع مقاتلا.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، قال الهذيل: قال مقاتل: تفسير آدم، عليه السلام، لأنه خلق من أديم الأرض، وتفسير حواء؛ لأنها خلقت من حى، وتفسير نوح لأنه ناح على قومه، وتفسير إبراهيم أبو الأمم، ويقال: أب رحيم، وتفسير إسحاق لضحك سارة، ويعقوب لأنه خرج من بطن أمه قابض على عقب العيص، وتفسير يوسف زيادة فى الحسن، وتفسير يحيى: أحيى من بين ميتين، لأنه خرج من بين شيخ كبير، وعجوز عاقر، صلى الله عليهم أجمعين.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنى الهذيل، عن مقاتل، عن الضحاك، عن ابن عباس، قال: دخل رسول الله ﷺ على ابنة عمته أم هانئ فنعس، فوضعت له وسادة، فوضع رأسه فنام، فبينا هو نائم إذ ضحك فى منامه، ثم وثب فاستوى جالسًا، فقالت أم هانئ: لقد سرنى ما رأيت فى وجهك، يا رسول الله، من البشرى، فقال: «يا أم هانئ، إن جبريل، عليه السلام، أخبرنى فى منامى أن ربى عز وجل قد وهب لى أمتى كلهم يوم القيامة، وقال لى: لو استوهبت غيرهم لأعطيناكهم، ففرحت لذلك وضحكت»، ثم وضع رأسه فنام فضحك، ثم وثب فجلس، فقالت له أم هانئ: بأبى أنت وأمى، لقد سرنى ما رأيت من البشرى فى وجهك، قال: «يا أم هانئ، أتانى جبريل، عليه السلام فأخبرنى أن الجنة تشتاق إلىَّ، وإلى أمتى، فضحكت من ذلك وفرحت».

قالت أم هانئ: يحق لك يا رسول الله، أن تفرح، ثم وضع رأسه فنام فضحك فى منامه، فاستوى جالسًا، فقالت أم هانئ: لقد سرنى ما رأيت من البشرى فى وجهك يا رسول الله، قال: «يا أم هانئ، عرضت على أمتى، فإذا معهم قضبان النور، إن القضيب منها ليضىء ما بين المشرق والمغرب، فسألت جبريل، عليه السلام، عن تلك القضبان التى فى أيديهم، فقال: ذلك الإسلام يا محمد، صلى الله عليك، وفتحت أبواب الجنة فى منامى فنظرت إلى داخلها من خارجها، فإذا فيها قصور الدر والياقوت، فقلت: لمن هذه؟ فقال: لك يا محمد ولأمتك، ولقد زينها الله عز وجل لك، ولأمتك، قبل أن يخلقك بألفى عام، فضحكت من ذلك»، قالت أم هانىء: يحق لك أن تضحك وتفرح هنيئًا لك مريئًا، يا نبى الله، بما أعطاك ربك.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، عن مقاتل، عن الضحاك، عن ابن عباس، قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله عز وجل جنة الفردوس وغرسها بيده، فلما فرغ منها لم تر عين، ولم يخطر على قلب بشر مثلها وما فيها، فقال لها تبارك وتعالى: تزينى. فتزينت، ثم قال لها: تزينى. فتزينت، ثم قال لها: تكلمى. فتكلمت، قالت: ﴿**قد أفلح المؤمنون**﴾ [آية: المؤمنون: ١] قال لها: من هم؟ قالت: الموحدون أمة محمد ﷺ ﴿**أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون**﴾ [المؤمنون: ١٠، ١١] ثم أغلق بابها، فلا يفتح إلى يوم القيامة فما يجيئهم من طيب الشجر، فهو من خلال بابها، والحور يوم القيامة على بابها، وأنا قائم على الحوض أرد عنه أمم الكفار كما يرى الراعى غرائب الإبل، حتى تأتى أمتى غرًا محجلين من آثار الوضوء أعرفهم فيشربون من ذلك الحوض، فمن شرب منه لم يظمأ بعده أبدًا». فقال معاذ: يا رسول الله، لقد سعد الذين يشربون من ذلك الحوض. فقال: «ويحك يا معاذ، من خلق فى بطن أمه موحدًا، ويؤمن برسوله، فهو يشرب من ذلك الحوض، ويدخل الفردوس»، قال معاذ: ما أكثر ما يخلق فى بطن أمه مشركًا، ثم يولد وهو مشرك، ثم يموت مؤمنًا، فقال: «يا معاذ، ويحك من مات مسلمًا فقد خلق فى ظهر آدم مسلمًا، ثم تداولته ظهور المشركين حتى أدركنى، فآمن بى، فأولئك إخوانى، وأنتم أصحابى»، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿**إخوانا على سرر متقابلين**﴾ [الحجر: ٤٧].

* * *

سُورَةُ الأَنْبِيَاءِ

مكية وهى مائة واثنتا عشرة آية، كوفية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ
مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ
ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٣ قَالَ
رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٤ بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ
أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝٥ مَآ ءَامَنَتْ
قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾

﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ نزلت فى كفار مكة ﴿وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [آية: ١] لا يؤمنون به يعنى بالحساب يوم القيامة.

ثم نعتهم، فقال سبحانه: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم﴾ يعنى من بيان من ربهم يعنى القرآن ﴿مُّحْدَثٍ﴾ يقول: الذى يحدث الله، عز وجل، إلى النبى ﷺ من القرآن لا محدث عند الله تعالى ﴿إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [آية: ٢] يعنى لاهين عن القرآن.

﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ يعنى غافلة قلوبهم عنه ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى﴾ ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ فهو أبو جهل، والوليد بن المغيرة، وعقبة بن أبى معيط، قالوا سرًا فيما بينهم: ﴿هَلْ هَٰذَآ﴾ يعنون محمدًا ﷺ ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ لا يفضلكم بشىء فتتبعونه ﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ﴾ يعنى القرآن ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [آية: ٣] أنه سحر.

﴿قَالَ﴾ لهم محمد ﷺ ﴿رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ﴾ يعنى السر الذى فيما بينهم ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لسرهم ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ [آية: ٤] به.

﴿بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ﴾ يعنى جماعات أحلام يعنون القرآن قالوا: هى أحلام كاذبة مختلطة يراها محمد ﷺ فى المنام فيخبرنا بها، ثم قال: ﴿بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ يعنون بل يخلق محمد ﷺ القرآن من تلقاء نفسه، ثم قال: ﴿بَلْ هُوَ﴾ يعنى محمدًا ﷺ ﴿شَاعِرٌ﴾ فإن كان صادقًا ﴿فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [آية: ٥] من الأنبياء، عليهم

السلام، بالآيات إلى قومهم، كل هذا من قول هؤلاء النفر، كما أرسل موسى، وعيسى، وداود، وسليمان، عليهم السلام، بالآيات والعجائب.

يقول الله عز وجل: ﴿مَآ ءَامَنَتْ﴾ يقول: ما صدقت بالآيات ﴿قَبْلَهُم﴾ يعنى قبل كفار مكة ﴿مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ﴾ بالعذاب فى الدنيا، يعنى كفار الأمم الخالية ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ٦] يعنى كفار مكة أفهم يصدقون بالآيات، فقد كذبت بها الأمم الخالية من قبلهم، بأنهم لا يصدقون، ثم قالوا فى الفرقان: ﴿.. **أهذا الذى بعث الله رسولا** ..﴾ [الفرقان: ٤١] يأكل ويشرب وترك الملائكة فلم يرسلهم.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا۟ وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾﴾

فأنزل الله عز وجل فى قولهم: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓا۟﴾ يا معشر كفار مكة ﴿أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ يعنى مؤمنى أهل التوراة ﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٧] إن الرسل كانوا من البشر فسيخبرونكم أن الله عز وجل ما بعث رسولاً إلا من البشر، ونزل فى قولهم: ﴿... **أهذا الذى بعث الله رسولاً**﴾ يأكل ويشرب ويترك الملائكة فلا يرسلهم.

فقال سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا﴾ يعنى الأنبياء، عليهم السلام، والجسد الذى ليس فيه روح، كقوله سبحانه: ﴿.. **عجلا جسدا**..﴾ [طه: ٨٨] ﴿لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ ولا يشربون ولكن جعلناهم جسدًا فيها أرواح، يأكلون الطعام، ويذوقون الموت، وذلك قوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ﴾ [آية: ٨] فى الدنيا.

﴿ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ﴾ يعنى الرسل الوعد، يعنى العذاب فى الدنيا إلى قومهم ﴿فَأَنجَيْنَٰهُمْ﴾ يعنى الرسل من العذاب ﴿وَمَن نَّشَآءُ﴾ من المؤمنين ﴿وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [آية: ٩] يقول: وعذبنا المشركين فى الدنيا، قال أبو محمد: قال أبو العباس

ثعلب: قال الفراء: ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا﴾ إلا ليأكلوا الطعام.

﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ يعنى شرفكم ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [آية: ١٠] مثل قوله تعالى: ﴿**وإنه لذكر لك ولقومك**﴾ [الزخرف: ٤٤] يعنى شرفًا لك ولقومك.

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾ يعنى أهلكنا من قرية بالعذاب فى الدنيا قبل أهل مكة ﴿كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا﴾ يقول: وجعلنا بعد هلاك الأمم الخالية ﴿قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ [آية: ١١] يعنى قومًا كانوا باليمن فى قرية تسمى حضور، وذلك أنهم قتلوا نبيًا من الأنبياء، عليهم السلام، فسلط الله، عز وجل، جند بخت نصر فقتلوهم، كما سلط بخت نصر والروم على اليهود ببيت المقدس فقتلوهم، وسبوهم حين قتلوا يحيى بن زكريا وغيره من الأنبياء، عليهم السلام.

فذلك قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ﴾ يقول: فلما رأوا عذابنا يعنى أهل حضور ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ [آية: ١٢] يقول: إذا هم من القرية يهربون، قالت لهم الملائكة كهيئة الاستهزاء:

﴿لَا تَرْكُضُواْ﴾ يقول: لا تهربوا ﴿وَارْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾ يعنى إلى ما خولتم فيه من الأموال ﴿وَ﴾ إلى ﴿وَمَسَٰكِنِكُمْ﴾ يعنى قريتكم التى هربتم منها ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾ [آية: ١٣] كما سئلتم الإيمان قبل نزول العذاب فلما رأوا العذاب ﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [آية: ١٤].

يقول الله عز وجل: ﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ﴾ يقول: فما زال الويل قولهم ﴿حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ﴾ [آية: ١٥] يقول: أطفأناهم بالسيف، فخمدوا مثل النار إذا طفئت فخمدت.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ﴾ يعنى السموات السبع والأرضين السبع ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من الخلق ﴿لَٰعِبِينَ﴾ [آية: ١٦] يعنى عابثين لغير شىء ولكن خلقناهما لأمر هو كائن.

﴿لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوٗا﴾ يعنى ولدًا، وذلك أن نصارى نجران السيد والعاقب، ومن معهما، قالوا: عيسى ابن الله، فقال الله عز وجل: ﴿لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوٗا﴾ ﴿لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾ يعنى من عندنا من الملائكة؛ لأنهم أطيب وأطهر من عيسى، ولم نتخذه من أهل الأرض، ثم قال سبحانه: ﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [آية: ١٧] يقول: ما كنا فاعلين ذلك أن نتخذ ولدًا، مثلها فى الزخرف.

﴿بَلۡ نَقۡذِفُ﴾ بل نرمى ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ الذى قال الله عز وجل: ﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ ﴿عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ﴾ الذى قالوا: إن لله عز وجل ولدًا ﴿فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ﴾ يعنى ذاهب ﴿وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [آية: ١٨] يقول: لكم الويل فى الآخرة مما تقولون من البهتان بأن لله ولدًا.

﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ (١٩) يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ (٢٠) أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ (٢١) لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢) لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ (٢٣) أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡۖ هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِيۗ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّۖ فَهُم مُّعۡرِضُونَ (٢٤)﴾

ثم قال سبحانه: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ عبيده وفى ملكه، وعيسى بن مريم، وعزيز، والملائكة وغيرهم، ثم قال سبحانه: ﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ﴾ من الملائكة ﴿لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ يعنى لا يتكبرون ﴿عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ﴾ [آية: ١٩] يعنى ولا يعيون، كقوله عز وجل: ﴿...**وهو حسير**﴾ [الملك: ٤] وهو معى، ثم قال تعالى ذكره: ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ يعنى يذكرون الله عز وجل.

﴿ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾ [آية: ٢٠] يقول: لا يستريحون من ذكر الله عز وجل ليست لهم فترة ولا سآمة.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ﴾ [آية: ٢١].

﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ﴾ يعنى آلهة كثيرة ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ يعنى غير الله عز وجل ﴿لَفَسَدَتَاۚ﴾ يعنى لهلكتا يعنى السموات والأرض وما بينهما ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [آية: ٢٢] نزه الرب نفسه، تبارك وتعالى، عن قولهم بأن مع الله، عز وجل، إلهًا.

ثم قال سبحانه: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ يقول: لا يسأل الله تعالى عما يفعله فى خلقه ﴿وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [آية: ٢٣] يقول سبحانه، يسأل الله الملائكة فى الآخرة: ﴿أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل﴾ [الفرقان: ١٧]؟ ويسألهم، ويقول للملائكة: ﴿... أهؤلاء أياكم كانوا يعبدون﴾ [سبأ: ٤٠].

﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً قُلْ﴾ لكفار مكة: ﴿هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ يعنى حجتكم، أن مع الله، عز وجل، إلهًا كما زعمتم ﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى﴾ (١) يقول: هذا القرآن فيه خبر من معى، وخبر من قبلى من الكتب، ليس فيه أن مع الله، عز وجل، إلهًا كما زعمتم ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ يعنى كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ﴾ يعنى التوحيد ﴿فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ (٢) [آية: ٢٤] عنه عن التوحيد، كقوله عز وجل: ﴿بل جاء بالحق ...﴾ [آية: الصافات: ٣٧] يعنى بالتوحيد.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [آية: ٢٥] يعنى فوحدون.

﴿وَقَالُواْ﴾ أى كفار مكة، منهم النضر بن الحارث ﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ قالوا: إن الملائكة بنات الله تعالى، فنزه الرب جل جلاله نفسه عن قولهم، فقال: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ بَلْ﴾ هم يعنى الملائكة ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [آية: ٢٦] لعبادة ربهم، وليسوا ببنات الرحمن، ولكن الله أكرمهم بعبادته.

ثم أخبر عن الملائكة، فقال: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾ يعنى الملائكة لا يسبقون ربهم بأمر، يقول: الملائكة لم تأمر كفار مكة بعبادتهم إياها، ثم قال: ﴿وَهُم﴾ يعنى

(١) انظر: (القرطبى ٢٨٠/١١، الكشاف ٥٦٩/٢، البحر المحيط ٣٠٦/٦، العكبرى ٧٢/٢، النحاس ٣٧٠/٢، الرازى ١٥٨/٢٢، مغنى اللبيب ٢١/٢، همع الهوامع ٢٢٧/٣، شرح التصريح ٤٨/٢).

(٢) انظر: (الإتحاف ٣٠٩، البحر المحيط ٣٠٦/٦، القرطبى ٢٨٠/١١، الكشاف ٥٦٩/٢، مجمع البيان ٤٣/٧، الرازى ١٥٩/٢٢، العكبرى ٧٢/٢، النحاس ٣٧٠/٢).

الملائكة ﴿بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٢٧] يقول: لا تعمل الملائكة إلا بأمره، فأخبر الله عز وجل عن الملائكة أنهم عباد يخافون ربهم ويقدسونه ويعبدونه.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ يقول الرب عز وجل: يعلم ما كان قبل أن يخلق الملائكة، ويعلم ما كان بعد خلقهم ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ يقول: لا تشفع الملائكة إلا لمن رض الله أن يشفع له، يعنى من أهل التوحيد الذين لا يقولون إن الملائكة بنات الله عز وجل، لأن كفار مكة زعموا أن الملائكة تشفع لهم فى الآخرة إلى الله عز وجل، ثم قال سبحانه – يعنى الملائكة : ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [آية: ٢٨] يعنى خائفين.

﴿۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِي۟ن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ﴾ يعنى من الملائكة ﴿إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ﴾ يعنى من دون الله عز وجل ﴿فَذَٰلِكَ﴾ يعنى فهذا الذى يقول: إنى إله من دونه ﴿نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ٢٩] النار حين زعموا أن مع الله، عز وجل، إلهًا، و لم يقل ذلك أحد من الملائكة غير إبليس عدو الله رأس الكفر.

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ يقول: أو لم يعلم الذين كفروا من أهل مكة ﴿أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾ [1] يعنى ملتزقين، وذلك أن الله تبارك وتعالى أمر بخار الماء فارتفع، فخلق منه السموات السبع، فأبان إحداهما من الأخرى، فذلك قوله: ﴿فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ ثم قال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ يقول: وجعلنا الماء حياة كل شىء يشرب الماء ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ٣٠] يقول: أفلا يصدقون بتوحيد الله عز وجل مما يرون من صنعه.

﴿وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾ يعنى الجبال أرسيت فى الأرض، فأثبتت الأرض بالجبال

---

(١) انظر: (القرطبى ٢٨٣/١١، الكشاف ٥٧٠/٢، البحر المحيط ٣٠٩/٦، مجمع البيان ٤٣/٧).

﴿أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ لئلا تزول الأرض بهم ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾ يعنى فى الجبال ﴿فِجَاجًا﴾ يعنى كل شعب فى جبل فيه منذ ﴿سُبُلًا﴾ يعنى طرقا ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [آية: ٣١] يقول: لكى يعرفوا طرقها.

﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا﴾ يعنى المرفوع ﴿مَّحْفُوظًا﴾ من الشياطين لئلا يسمعوا إلى كلام الملائكة، فيخبروا الناس ﴿وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا﴾ يعنى الشمس والقمر والنجوم وغيرها ﴿مُعْرِضُونَ﴾ [آية: ٣٢] فلا يتفكرون فيما يرون من صنعه، عز وجل، فيوحدونه.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [آية: ٣٣] يقول: يدخلان من قبل المغرب فيجريان تحت الأرض حتى يخرجا من قبل المشرق، ثم يجريان فى السماء إلى المغرب، فذلك قوله سبحانه: ﴿كُلٌّ﴾ يعنى الشمس والقمر ﴿فِي فَلَكٍ﴾ يعنى فى دوران ﴿يَسْبَحُونَ﴾ يعنى يجرون، فذلك دورانهما.

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ﴾ وذلك أن قومًا قالوا: إن محمدًا ﷺ لا يموت، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ﴾ يعنى لنبى من الأنبياء ﴿مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ فى الدنيا فلا يموت فيها، بل يموتون، فلما نزلت هذه الآية، قال النبى ﷺ لجبريل عليه السلام: «فمن يكون فى أمتى من بعدى»، فأنزل الله عز وجل: ﴿أَفَإِن مِّتَّ﴾ يعنى محمدًا ﷺ ﴿فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ [آية: ٣٤] فإنهم يموتون أيضًا.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾

ثم قال عز وجل: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ يعنى النبى ﷺ وغيره ﴿وَنَبْلُوكُم﴾ يقول: ونختبركم ﴿بِالشَّرِّ﴾ يعنى بالشدة لتصبروا ﴿وَ﴾ بـ ﴿وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ تعنى بالرخاء لتشكروا فتنة، يقول: هما بلاء يبتليكم بهما ﴿وَإِلَيْنَا﴾ فى الآخرة ﴿تُرْجَعُونَ﴾ [آية: ٣٥] بعد الموت فنجزيكم بأعمالكم.

﴿وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعنى أبا جهل ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ وذلك أن النبى ﷺ مر على أبى سفيان بن حرب، وعلى أبى جهل بن هشام، فقال أبو جهل لأبى سفيان كالمستهزئ: انظروا إلى نبى بنى عبد مناف. فقال أبو سفيان لأبى

جهل حمية، وهو من بنى عبد شمس بن عبد مناف: وما ننكر أن يكون نبيًا فى بنى عبد مناف، فسمع النبى ﷺ قولهما، فقال لأبى جهل: «ما أراك منتهيًا حتى ينزل الله عز وجل بك ما نزل بعمك الوليد بن المغيرة، وأما أنت يا أبا سفيان، فإنما قلت الذى قلت حمية»، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ يعنى أبا جهل ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ استهزاء.

وقال أبو جهل حين رأى النبى ﷺ: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ اللات والعزى ومناة بسوء يقول الله عز وجل: ﴿وَهُم بِذِكْرِ﴾ يعنى بتوحيد ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [آية: ٣٦] وذلك أن أبا جهل قال: إن الرحمن مسيلمة بن حبيب الحنفى الكذاب.

﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ يعنى آدم أبو البشر ﴿مِنْ عَجَلٍ﴾ وذلك أن كفار قريش استعجلوا بالعذاب فى الدنيا من قبل أن يأتيهم تكذيبًا به، كما استعجل آدم عليه السلام الجلوس من قبل أن تتم فيه الروح من قبل رأسه يوم الجمعة، فأراد أن يجلس من قبل أن تتم فيه الروح إلى قدميه، فلما بلغت الروح وسطه ونظر إلى حسن خلقه أراد أن يجلس ونصفه طين، فورث الناس كلهم العجلة من آدم، عليه السلام، لم تجد منفذًا فرجعت من أنفه فعطس، فقال: الحمد لله رب العالمين، فهذه أول كلمة تكلم بها. وبلغنا أن الله عز وجل رد عليه، فقال: لهذا خلقتك يرحمك ربك. فسبقت رحمته غضبه، فلما استعجل كفار مكة العذاب فى الدنيا نزلت: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ لأنهم من ذريته يقول الله، عز وجل، لكفار مكة: فـ ﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى﴾ يعنى عذابى القتل ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ [آية: ٣٧] يقول: فلا تعجلوا بالعذاب.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آية: ٣٨] وذلك أن كفار مكة قالوا للنبى ﷺ: متى هذا العذاب الذى تعدنا، إن كنت صادقًا، يقولون ذلك مستهزئين تكذيبًا بالعذاب.

﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ بَلْ هُمْ عَن

ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ أَفَهُمُ الْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

فأنزل الله عز وجل ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة ﴿حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ﴾ وذلك أن أيديهم تغل إلى أعناقهم، وتجعل في أعناقهم صخرة من الكبريت، فتشتعل النار فيها، فلا يستطيعون أن يتقوا النار إلا بوجوههم. فذلك قوله سبحانه: ﴿**أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة**﴾ [الزمر: ٢٤] وذلك قوله: حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم لو علموا ذلك ما استعجلوا بالعذاب، ثم قال سبحانه: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [آية: ٣٩] يقول: ولا هم يمنعون من العذاب.

ثم قال تعالى: ﴿بَلْ تَأْتِيهِم﴾ الساعة ﴿بَغْتَةً﴾ يعنى فجأة ﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾ يقول: فتفجؤهم ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾ يعنى أن يردوها ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [آية: ٤٠] يقول: ولا يناظر بهم العذاب حتى يعذبوا ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ كما استهزىء بك يا محمد، يعزى نبيه ﷺ ليصبر على تكذيبهم إياه بالعذاب، وذلك أن مكذبى الأمم الخالية كذبوا رسلهم بأن العذاب ليس بنازل بهم في الدنيا، فلما أخبر النبى ﷺ كفار مكة استهزءوا منه تكذيبًا بالعذاب.

يقول الله عز وجل: ﴿فَحَاقَ بِالَّذِينَ﴾ يعنى فدار بهم ﴿سَخِرُوا مِنْهُم مَّا﴾ يعنى الذى ﴿كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [آية: ٤١] بأنه غير نازل بهم.

﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم﴾ يقول: من يحرسكم ﴿بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ﴾ عذاب ﴿الرَّحْمَٰنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾ [آية: ٤٢] يعنى القرآن، معرضون عنه.

ثم قال سبحانه: ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ نزلت في الحارث بن قيس السهمى، وفيه نزلت أيضًا في الفرقان: ﴿**أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ...**﴾ فقال سبحانه: ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ ﴿تَمْنَعُهُم﴾ من العذاب ﴿مِّن دُونِنَا﴾ يعنى من دون الله عز وجل فيها تقديم، ثم أخبر عن الآلهة، فقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ﴾ يقول: لا تستطيع الآلهة أن تمنع نفسها من سوء أريد بها، ثم قال سبحانه: ﴿وَلَا هُمْ﴾ يعنى من

يعبد الآلهة ﴿مِّنَّا يُصۡحَبُونَ﴾ [آية: ٤٣] يعنى ولا هم منا يجارون، يقول الله تعالى: لا يجيرهم منى ولا يؤمنهم منى أحد.

﴿بَلۡ مَتَّعۡنَا هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعنى كفار مكة ﴿وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۗ أَفَلَا يَرَوۡنَ﴾ يعنى أفهلا يرون ﴿أَنَّا نَأۡتِى ٱلۡأَرۡضَ﴾ يعنى أرض مكة ﴿نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَآۚ﴾ يعنى نغلبهم على ما حول أرض مكة ﴿أَفَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [آية: ٤٤] يعنى كفار مكة، أو النبى ﷺ والمؤمنون؟ بل النبى ﷺ وأصحابه، رضى الله عنهم، هم الغالبون لهم، وربه محمود.

﴿قُلۡ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِۚ وَلَا يَسۡمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتۡهُمۡ نَفۡحَةٌ مِّنۡ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٌ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٍ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿قُلۡ﴾ لكفار مكة: ﴿إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِۚ﴾ بما فى القرآن من الوعيد ﴿وَلَا يَسۡمَعُ﴾ يا محمد ﴿ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ﴾ هذا مثل ضربه الله، عز وجل، للكافر يقول: إن الأصم إذا ناديته لم يسمع، فكذلك الكافر لا يسمع الوعيد والهدى ﴿إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ [آية: ٤٥].

﴿وَلَئِن مَّسَّتۡهُمۡ نَفۡحَةٌ﴾ يقول: ولئن أصابتهم عقوبة ﴿مِّنۡ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [آية: ٤٦].

﴿وَنَضَعُ﴾ الأعمال فى ﴿ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ﴾ يعنى العدل ﴿لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ فجبريل، عليه السلام، يلى موازين أعمال بنى آدم ﴿فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٌ شَيۡـٔٗاۖ﴾ يقول: لا ينقصون شيئًا من أعمالهم ﴿وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٍ﴾ يعنى وزن حبة ﴿مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ﴾ (١) يعنى جئنا بها، بالحبة ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [آية: ٤٧] يقول سبحانه: وكفى بنا من سرعة الحساب.

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآءٗ وَذِكۡرٗا لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشۡفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُۚ أَفَأَنتُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

---

(١) انظر: (القرطبى ١١/٢٩٤، مجمع البيان ٧/٥٠، الكشف ٢/٥٧٥، البحر المحيط ٦/٣١٦، العكبرى ٢/٧٣، التبيان ٧/٢٢٤).

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ يعنى التوراة ﴿وَضِيَآءً﴾ (١) يعنى ونورًا من الضلالة، يعنى التوراة ﴿وَذِكْرًا﴾ يعنى وتفكرًا ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آية: ٤٨] الشرك.

ثم نعتهم، فقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ فأطاعوه ولم يروه ﴿وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ [آية: ٤٩] يعنى من القيامة خائفين.

﴿وَهَٰذَا﴾ القول ﴿ذِكْرٌ﴾ يعنى بيان ﴿مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [آية: ٥٠] يقول سبحانه: لا تعرفونه فتؤمنون به.

﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ
وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ
﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ
أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم
مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾
فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا
بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾
قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا
يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ
﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ
رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ
كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ يقول: ولقد أعطينا إبراهيم هداه فى السر، وهو صغير من قبل موسى وهارون ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ [آية: ٥١] يقول الله عز وجل: وكنا بإبراهيم عالمين بطاعته لنا.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ آزر: ﴿وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ [آية: ٥٢] تعبدونها.

---

(١) انظر: (القرطبى ٢٩٥/١٢، البحر المحيط ٣١٧/٦، العكبرى ٣٧٥/٢، الرازى ١٧٨/٢٢).

﴿قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾ [آية: ٥٣].

﴿قَالَ﴾ لهم إبراهيم: ﴿لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آية: ٥٤].

﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا﴾ يا إبراهيم ﴿بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ﴾ [آية: ٥٥] قالوا: أجد هذا القول منك، أم لعب يا إبراهيم.

﴿قَالَ﴾ إبراهيم: ﴿بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ﴾ يعنى الذى خلقهن.

﴿وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم﴾ يعنى على ما أقول لكم ﴿مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آية: ٥٦] بأن ربكم الذى خلق السموات والأرض.

﴿وَتَٱللَّهِ﴾ يقول والله، ﴿لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾ بالسوء، يعنى أنه يكسرها، وهى اثنان وسبعون صنمًا من ذهب، وفضة، ونحاس، وحديد، وخشب ﴿بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ﴾ [آية: ٥٧]، يعنى ذاهبين إلى عيدكم، وكان لهم عيد فى كل سنة يومًا واحدًا، وكانوا إذا خرجوا قربوا إليها الطعام، ثم يسجدون لها ثم يخرجون، ثم إذا جاؤا من عيدهم بدؤا بها، فسجدوا لها، ثم تفرقوا إلى منازلهم، فسمع قول إبراهيم ﷺ رجل منهم، حين قال: ﴿وتالله لأكيدن أصناكم بعد أن تولوا مدبرين﴾ فلما خرجوا دخل إبراهيم على الأصنام والطعام بين أيديها.

﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا﴾[1] يعنى قطعًا، كقوله سبحانه: ﴿... **عطاء غير مجذوذ**﴾ يعنى غير مقطوع، ثم استثنى ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ يعنى أكبر الأصنام، فلم يقطعه، وهو من ذهب ولؤلؤ، وعيناه ياقوتتان حمراوان تتوقدان فى الظلمة، لهما بريق كبريق النار، وهو فى مقدم البيت، فلما كسرهم وضع الفأس بين يدى الصنم الأكبر، ثم قال: ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ [آية: ٥٨] يقول: إلى الصنم الأكبر يرجعون من عيدهم، فلما رجعوا من عيدهم دخلوا على الأصنام، فإذا هى مجذوذة ﴿قَالُواْ﴾ يعنى نمروذ بن كنعان وحده، هو الذى قال: ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ٥٩] لنا حين انتهك هذا منا، قال الرجل الذى كان يسمع قول إبراهيم عليه السلام حين قال: ﴿**وتالله لأكيدن أصنامكم**﴾ [الأنبياء: ٥٧]: ﴿قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ بسوء، فذلك قوله

---

(١) انظر: (القرطبى ٢٩٨/١١، الكشاف ٥٧٦/٢، مجمع البيان ٥٢/٧، الرازى ١٨٣/٢٢، البحر المحيط ٣٢٢/٦).

يعنى الرجل وحده، قال: سمعت فتى يذكرهم بسوء، إضمار ﴿يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ [آية: ٦٠].

﴿قَالُوا۟﴾ قال نمروذ الجبار: ﴿فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ﴾ يعنى على رءوس الناس ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ [آية: ٦١] عليه بفعله ويشهدون عقوبته، فلما جاءوا به ﴿قَالُوٓا۟﴾ قال نمروذ: ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ [آية: ٦٢] يعنى أنت كسرتها.

﴿قَالَ﴾ إبراهيم: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ يعنى أعظم الأصنام الذى فى يده الفأس، غضب حين سويتم بينه وبين الأصنام الصغار، فقطعها ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾ [آية: ٦٣] يقول: سلوا الأصنام المجذوذة من قطعها؟ إن قدروا على الكلام.

﴿فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ فلاموها ﴿فَقَالُوٓا۟﴾ فقال بعضهم لبعض: ﴿إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [آية: ٦٤] لإبراهيم حين تزعمون أنه قطعها والفأس فى يد الصنم الأكبر، ثم قالوا بعد ذلك: كيف يكسرها وهو مثلها.

فذلك قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ يقول: رجعوا عن قولهم الأول فقالوا لإبراهيم: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾ [آية: ٦٥] فتخبرنا من كسرها.

حدثنا محمد؛ قال: حدثنا أبو القاسم، قال: الهذيل سمعت عبد القدوس، و لم أسمع مقاتلاً، يحدث عن الحسن ﴿ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ يعنى على الرؤساء والأشراف.

﴿قَالَ﴾ لهم إبراهيم عند ذلك: ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الآلهة ﴿مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا﴾ إن عبدتموهم ﴿وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ [آية: ٦٦] إن لم تعبدوهم.

ثم قال لهم إبراهيم: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ﴾ يعنى بقوله: أفٍ لكم، الكلام الردئ ﴿وَلِمَا تَعْبُدُونَ﴾ من الأصنام ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ عز وجل ﴿أَفَلَا﴾ يعنى أفهلا ﴿تَعْقِلُونَ﴾ [آية: ٦٧] أنها ليست بآلهة.

﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ﴾ بالنار ﴿وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ﴾ يقول: انتقموا منه ﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ [آية: ٦٨] ذلك به، فألقوه فى النار، يعنى إبراهيم ﷺ.

ويقول الله، عز وجل: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا﴾ من الحر ﴿وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [آية: ٦٩] يقول: وسلميه من البرد، ولو لم يقل: وسلامًا، لأهلكه بردها ﴿وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا﴾

يعنى بإبراهيم حين خرج من النار، فلما نظر إليه الناس بادروا ليخبروا نمروذ، فجعل بعضهم يكلم بعضًا، فلا يفقهون كلامهم، فبلبل الله ألسنتهم على سبعين لغة، فمن ثم سميت بابل، وحجزهم الله عنه ﴿فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾ [آية: ٧٠].

﴿وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَـٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَـٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾

﴿وَنَجَّيْنَـٰهُ﴾ يعنى إبراهيم ﴿وَلُوطًا﴾ من أرض كوثا، ومعهما سارة من شر نمروذ بن كنعان الجبار ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ﴾ [آية: ٧١] يعنى الناس إلى الأرض المقدسة، وبركتها الماء والشجر والنبت.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ﴾ يعنى لإبراهيم ﴿إِسْحَـٰقَ﴾ ثم قال: ﴿وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ يعنى فضلاً على مسألته فى إسحاق ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا﴾ يعنى إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، جعلناهم ﴿صَـٰلِحِينَ﴾ [آية: ٧٢].

﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ يقول: جعلناهم قادة للخير يدعون الناس إلى أمر الله، عز وجل، ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ يعنى الأعمال الصالحة، ﴿وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ ﴿وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَـٰبِدِينَ﴾ [آية: ٧٣] يعنى موحدين.

﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَـٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَـٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَـٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَـٰهَا سُلَيْمَـٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَـٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَـٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَـٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَـٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَـٰهُ﴾ يعنى أعطيناه ﴿ حُكْمًا﴾ يعنى الفهم والعقل ﴿ وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ﴾ يعنى سدوم ﴿ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ﴾ يعنى السيئ من العمل إتيان الرجال فى أدبارهم، فأنجى الله لوطًا وأهله، وعذب القرية بالخسف والحصب ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَـٰسِقِينَ﴾ [آية: ٧٤].

﴿ وَأَدْخَلْنَـٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ﴾ يعنى نعمتنا، وهى النبوة، كقوله عز وجل: ﴿**إن هو إلا عبد أنعمنا عليه**...﴾ بالنبوة ﴿ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [آية: ٧٥].

﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ﴾ إبراهيم، ولوطًا، وإسحاق، وكان نداؤه حين، قال: ﴿ ...**أنى مغلوب فانتصر**﴾ ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ دعاءه ﴿ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [آية: ٧٦] يعنى الهول الشديد يعنى الغرق.

﴿ وَنَصَرْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾ فى قراءة أبى بن كعب «ونصرناه على القوم» ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾ يعنى كذبوا بنزول العذاب عليهم فى الدنيا، وكان نصره هلاك قومه ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [آية: ٧٧] لم ننج منهم أحدًا.

﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ﴾ يعنى الكرم ﴿ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ﴾ يعنى النفش بالليل والسرح بالنهار ﴿ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَـٰهِدِينَ﴾ [آية: ٧٨] يعنى داود وسليمان، صلى الله عليهما، وصاحب الغنم، وصاحب الكرم، وذلك أن راعيًا جمع غنمه بالليل إلى جانب كرم رجل، فدخلت الغنم الكرم فأكلته، وصاحبها لا يشعر بها، فلما أصبحوا أتوا داود النبى، عليه السلام، فقصوا عليه أمرهم، فنظر داود ثمن الحرث، فإذا هو قريب من ثمن الغنم، فقضى بالغنم لصاحب الحرث، فمروا بسليمان، فقال: كيف قضى لكم نبى الله؟ فأخبراه، فقال سليمان: نعم ما قضى نبى الله، وغيره أرفق للفريقين، فدخل رب الغنم على داود، فأخبره بقول سليمان فأرسل داود إلى سليمان فأتاه، فعزم عليه بحقه، بحق النبوة، لما أخبرتنى، فقال: عدل الملك، وغيره أرفق، فقال داود: وما هو؟ قال سليمان: تدفع الغنم إلى صاحب الحرث، فله أولادها وأصوافها وألبانها وسمنها، وعلى رب الغنم أن يزرع لصاحب الحرث مثل حرثه، فإذا بلغ وكان مثله يوم أفسده، دفع إليه حرثه، وقبض غنمه، قال: داود نعم ما قضيت، فأجاز قضاءه، وكان هذا ببيت المقدس.

يقول الله عز وجل: ﴿ فَفَهَّمْنَـٰهَا سُلَيْمَـٰنَ﴾ يعنى القضية ليس يعنى به الحكم، ولو كان

الحكم لقال ففهمناه ﴿وَكُلًّا﴾ يعنى داود وسليمان ﴿ءَاتَيْنَا﴾ يعنى أعطينا ﴿حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ يعنى الفهم والعلم، فصوب قضاء سليمان، و لم يعنف داود ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾ يعنى يذكرن الله، عز وجل، كلما ذكر داود ربه، عز وجل، ذكرت الجبال ربها معه ﴿وَ﴾ سخرنا له ﴿وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [آية: ٧٩] ذلك بداود.

﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ يعنى الدروع من حديد، وكان داود أول من اتخذها ﴿لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ﴾ يعنى من حربكم من القتل والجراحات ﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾ [آية: ٨٠] لربكم فى نعمه فتوحدونه استفهام. قال الفراء: يعنى فهل أنتم شاكرون؟ معنى الأمر أى اشكروا، ومثله ﴿ **فهل أنتم منتهون**﴾ [المائدة: ٩١] أى انتهوا.

﴿وَ﴾ سخرنا ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ يعنى شديدة ﴿تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ﴾ يعنى الأرض المقدسة، يعنى بالبركة الماء والشجر ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ﴾ مما أعطيناهما ﴿عَٰلِمِينَ﴾ [آية: ٨١].

﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾ لسليمان فى البحر، فيخرجون له اللؤلؤ، وهو أول من استخرج اللؤلؤ من البحر ﴿وَيَعْمَلُونَ﴾ له ﴿عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ﴾ يعنى غير الغياصة من تماثيل ومحاريب وجفان كالجراب وقدور راسيات، ﴿وَكُنَّا لَهُمْ﴾ يعنى الشياطين ﴿حَٰفِظِينَ﴾ [آية: ٨٢] على سليمان لئلا يتفرقوا عنه.

﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾
فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا
وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ
﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ
مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ
إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى
ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ
ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ
كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ
﴿٩٠﴾ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً
لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾

﴿۞وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ يعنى دعا ربه، عز وجل، ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ يعنى أصابنى البلاء ﴿وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [آية: ٨٣].

﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾ دعاءه ﴿فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ﴾ فأحياهم الله، عز وجل، ﴿وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ﴾ وكانت امرأة أيوب ولدت قبل البلاء سبع بنين وثلاث بنات، فأحياهم الله، عز وجل، ومثلهم معهم ﴿رَحۡمَةٗ﴾ يقول: نعمة ﴿مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ﴾ [آية: ٨٤] يقول: وتفكرا للموحدين فأعطاه الله، عز وجل، مثل كل شىء ذهب له، يعنى أيوب، وكان أيوب من أعبد الناس فجهد إبليس ليزيله عن عبادة ربه، عز وجل، فلم يستطع.

﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آية: ٨٥] ﴿وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ﴾ يعنى فى نعمتنا وهى النبوة ﴿إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آية: ٨٦] يعنى من المؤمنين.

﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾ يعنى يونس بن متى، عليه السلام، ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا﴾ يعنى مراغمًا لقومه، لحزقيل بن أجار، ومن معه من بنى إسرائيل، ففارقهم من غير أن يؤمنوا ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ فحسب يونس أن لن نعاقبه بما صنع ﴿فَنَادَىٰ﴾ يقول: فدعا ربه ﴿فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ يعنى ظلمات ثلاث ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت، فنادى: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾ يوحد ربه، عز وجل، ﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾ نزه تعالى أن يكون ظلمه، ثم أقر على نفسه بالظلم، فقال: ﴿إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ٨٧] يقول يونس عليه السلام: إنى ظلمت نفسى.

﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾ دعاءه ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ﴾ يعنى من بطن الحوت ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [آية: ٨٨] قال أبو محمد: قال أبو العباس ثعلب: قال الفراء: أن لن نقدر عليه. ونقدر عليه، لمعنى واحد، وهو من قوله قدرت الشىء، لا قدرت، معناه من التقدير لا من القدر، ومثله فى سورة الفجر: ﴿**فقدر عليه رزقه**﴾ [الفجر: ١٦] من التقدير، والتقتير، لا من القدرة، بلغنا أن النبى ﷺ قال: «مكث يونس، عليه السلام، فى بطن الحوت ثلاثة أيام». وعن كعب قال: أربعين يومًا.

﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾ يعنى دعا ربه فى آل عمران، وفى مريم، قال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا﴾ يعنى وحيدًا، وهب لى وليًا يرثنى ﴿وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ﴾ [آية:

٨٩] يعنى أنت خير من يرث العباد.

﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾ دعاءه ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓ﴾ يعنى امرأته فحاضت، وكانت لا تحيض من الكبر ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ يعنى أعمال الصالحات، يعنى زكريا وامرأته ﴿وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا﴾ فى ثواب الله، عز وجل، ﴿وَرَهَبٗاۖ﴾ من عذاب الله، عز وجل، ﴿وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [آية: ٩٠] يعنى لله سبحانه متواضعين.

﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا﴾ من الفواحش، لأنها قذفت، وهى مريم بنت عمران، أم عيسى، صلى الله عليهما، ﴿فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ نفخ جبريل، عليه السلام، فى جيبها، فحملت من نفخة جبريل بعيسى، صلى الله عليهم، ﴿وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ﴾ عيسى، صلى الله عليه، ﴿ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ٩١] يعنى عبرة لبنى إسرائيل، فكانا آية إذ حملت مريم، عليها السلام، من غير بشر، وولدت عيسى من غير أب، صلى الله عليه.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ (١) يقول: إن هذه ملتكم التى أنتم عليها، يعنى شريعة الإسلام هى ملة واحدة كانت عليها الأنبياء والمؤمنون الذين نجوا من عذاب الله، عز وجل، ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [آية: ٩٢] يعنى فوحدون.

﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ﴾ فرقوا دينهم الإسلام الذى أمروا به فيما بينهم، فصاروا زبرًا يعنى فرقًا ﴿كُلٌّ﴾ كل أهل تلك الأديان ﴿إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ﴾ [آية: ٩٣] فى الآخرة.

﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾ يقول: وهو مصدق بتوحيد الله، عز

---

(١) انظر: (الإتحاف ٣١٢، الفراء ٢/٢١٠، الطبرى ١٧/٦٨، الكشاف ٢/٥٨٣، القرطبى ١١/٣٣٨، البحر المحيط ٦/٣٣٧).

وجل، ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾ يعنى لعمله يقول: يشكر الله، عز وجل، عمله ﴿وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ﴾ [آية: ٩٤] يكتب له سعيه الحفظة من الملائكة.

﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾[1] فيما خلا ﴿أَهْلَكْنَٰهَآ﴾ بالعذاب فى الدنيا ﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [آية: ٩٥] يخوف كفار مكة بمثل عذاب الأمم الخالية فى الدنيا.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ﴾ يعنى أرسلت ﴿يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ وهما أخوان لأب وأم، وهما من نسل يافث بن نوح ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾[2] [آية: ٩٦] يقول: من كل مكان يخرجون من كل جبل، وأرض، وبلد، وخروجهم عند اقتراب الساعة.

﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ (٩٧) إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ (٩٨) لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٩٩) لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ (١٠٠) إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (١٠١) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ (١٠٢) لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ (١٠٣)﴾

فذلك قوله عز وجل: ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾ يعنى وعد البعث أنه حق كائن ﴿فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ﴾ يعنى فاتحة ﴿أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بالبعث لا يطرفون مما يرون من العجائب، يعنى التى كانوا يكفرون بها فى الدنيا، قالوا: ﴿يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ اليوم، ثم ذكر قول الرسل لهم فى الدنيا أن البعث كائن، فقالوا: ﴿بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [آية: ٩٧] أخبرنا بهذا اليوم فكذبنا به.

﴿إِنَّكُمْ﴾ يعنى كفار مكة ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾[3] يعنى رميًا فى جهنم ترمون فيها ﴿أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [آية: ٩٨] يعنى داخلون.

﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الأوثان ﴿ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا﴾ يعنى ما دخلوها، يعنى

---

(١) انظر: (القرطبى ٣٤٥/١١، الكشاف ٥٨٣/٢، مجمع البيان ٦١/٧، البحر المحيط ٣٣٨/٦، النحاس ٣٨٢/٢).

(٢) انظر: (القرطبى ٣٤٢/١١، البحر المحيط ٣٣٩/٦، الكشاف ٥٨٤/٢، مجمع البيان ٤٣/٧).

(٣) انظر: (الإتحاف ٣١٢، الكشاف ٥٨٤/٢، مجمع البيان ٦٣/٧، البحر المحيط ٣٤٠/٦).

جهنم، لامتنعت من دخولها ﴿وَكُلٌّ﴾ يعنى الأوثان ومن يعبدها ﴿فِيهَا﴾ يعنى فى جهنم ﴿خَالِدُونَ﴾ [آية: ٩٩] نزلت فى بنى سهم، منهم: العاص بن وائل، والحارث وعدى ابنى قيس، وعبد الله بن الزبعرى بن قيس، وذلك أن النبى ﷺ دخل المسجد الحرام، ونفر من بنى سهم جلوس فى الحطيم، وحول الكعبة ثلاث مائة وستون صنمًا، فاشار بيده إليهم، فقال: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ يعنى الأصنام ﴿**حصب جهنم أنتم لها واردون**﴾ [الأنبياء: ٩٨،٩٩] إلى آيتين، ثم خرج فدخل ابن الزبعرى، وهم يخوضون فيما ذكر النبى ﷺ لهم ولآلهتهم، فقال: ما هذا الذى تخوضون؟ فذكروا له قول النبى ﷺ، فقال ابن الزبعرى: والله، لئن قالها بين يدى لأخصمنه. فدخل النبى ﷺ من ساعته، فقال ابن الزبعرى: أهى لنا ولآلهتنا خاصة؟ أم لنا ولآلهتنا ولجميع الأمم ولآلهتهم؟ فقال النبى ﷺ: «لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم ولآلهتهم». قال: خصمتك ورب الكعبة، ألست تزعم أن عيسى نبى، وتثنى عليه، وعلى أمه خيرًا، وقد علمت أن النصارى يعبدونهما، وعزيز يعبد، والملائكة تعبد، فإن كان هؤلاء معنا قد رضينا أنهم معنا، فسكت النبى ﷺ.

ثم قال سبحانه: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ يعنى آخر نهيق الحمار ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ [آية: ١٠٠] الصوت، وذلك حين يقال لأهل النار: اخسئوا فيها ولا تكلمون، فصاروا بكمًا وعميًا وصمًا.

ثم استثنى ممن كان يعبد أنهم لا يدخلون جهنم، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ﴾ الجنة ﴿أُولَٰئِكَ عَنْهَا﴾ يعنى جهنم ﴿مُبْعَدُونَ﴾ [آية: ١٠١] يعنى عيسى، وعزيرًا، ومريم، والملائكة، عليهم السلام ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ يقول: لا يسمع أهل الجنة صوت جهنم حين يقال لهم: اخسئوا فيها، ولا تكلموا، فتغلق عليهم أبوابها، فلا تفتح عنهم أبدًا، ولا يسمع أحد صوتها.

﴿وَهُمْ﴾ يعنى هؤلاء ﴿فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ [آية: ١٠٢] يعنى لا يموتون، فلما سمع بنو سهم بما استثنى الله، عز وجل، ممن يعبد من الآلهة، عزير، وعيسى، ومريم، والملائكة، قالوا للنبى ﷺ: هلا استثنيت هؤلاء حين سألناك، فلما خلوت تفكرت.

قوله سبحانه: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾.

حدثنا أبو محمد، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، عن مقاتل، عن نعمان، عن سليم، عن ابن عباس، أنه قال على منبر البصرة: ما تقولون فى تفسير هذه الآية ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾؟ ثلاث مرات فلم يجبه أحد.

فقال: تفسير هذه الآية أن الله، عز وجل، إذا ادخل أهل الجنة، ورأوا ما فيها من النعيم ذكروا الموت، فيخافون أن يكون آخر ذلك الموت فيحزنهم ذلك، وأهل النار إذا دخلوا النار ورأوا ما فيها من العذاب يرجون أن يكون آخر ذلك الموت، فأراد الله، عز وجل، أن يقطع حزن أهل الجنة، ويقطع رجاء أهل النار، فيبعث الله، عز وجل، ملكًا وهو جبريل، عليه السلام، ومعه الموت فى صورة كبش أملح، فيشرف به على أهل الجنة؛ فينادى: يا أهل الجنة، فيسمع أعلاها درجة وأسفلها درجة، والجنة درجات، فيجيبه أهل الجنة، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، قال: ثم ينصرف به إلى النار، فيشرف به عليهم فينادى أهل النار، فيسمع أعلاها دركًا، وأسفلها دركًا، والنار دركات، فيجيبونه، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، قال: ثم يرده إلى مكان مرتفع بين الجنة والنار حيث ينظر إليه أهل الجنة، وأهل النار، فيقول الملك: إنا ذابحوه، فيقول أهل الجنة بأجمعهم: نعم، لكى يأمنوا الموت، ويقول أهل النار بأجمعهم: لا، لكى يذوقوا الموت، قال: فيعمد الملك إلى الكبش الأملح، وهو الموت فيذبحه، وأهل الجنة وأهل النار ينظرون إليه، فينادى الملك: يا أهل الجنة، خلود لا موت فيه، فيأمنون الموت. فذلك قوله تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ ثم ينادى الملك: يا أهل النار، خلود لا موت فيه.

قال ابن عباس: فلولا ما قضى الله، عز وجل، على أهل الجنة من الخلود فى الجنة، لماتوا من فرحتهم تلك، ولولا ما قضى الله، عز وجل، على أهل النار من تعمير الأرواح فى الأبدان لماتوا حزنًا. فذلك قوله، عز وجل: ﴿**وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر....**﴾ [مريم: ٣٩] يعنى إذ وجب لهم العذاب، يعنى ذبح الموت، فاستيقنوا الخلود فى النار والحسرة والندامة، فذلك قول الله، عز وجل، للمؤمنين: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ يعنى الموت بعد ما دخلوا الجنة.

﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ يعنى الحفظة الذين كتبوا أعمال بنى آدم، حين خرجوا من قبورهم، قالوا للمؤمنين: ﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [آية: ١٠٣] فيه الجنة.

﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾﴾

ثم قال: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [1] يعنى كطى الصحيفة فيها الكتاب، ثم قال سبحانه: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ وذلك أن كفار مكة أقسموا بالله جهد أيمانهم فى سورة النحل: ﴿... **لا يبعث الله من يموت**...﴾ [النحل: ٣٨]، فأكذبهم الله، عز وجل، فقال سبحانه بلى وعدًا عليه حقًا: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ يقول: هكذا نعيد خلقهم فى الآخرة، كما خلقناهم فى الدنيا.

﴿وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [آية: ١٠٤] ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ﴾ يعنى التوراة والإنجيل والزبور ﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾ يعنى اللوح المحفوظ ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ﴾ لله ﴿يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [آية: ١٠٥] يعنى المؤمنون.

﴿إِنَّ فِى هَٰذَا﴾ القرآن ﴿لَبَلَٰغًا﴾ إلى الجنة ﴿لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ﴾ [آية: ١٠٦] يعنى موحدين.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾﴾

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ يا محمد ﴿إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ١٠٧] يعنى الجن والإنس، فمن تبع محمدًا ﷺ على دينه، فهو له رحمة كقوله سبحان: لعيسى ابن مريم صلى الله عليه: ﴿...**ورحمة منا**...﴾ [مريم: ٢١] لمن تبعه على دينه، ومن لم يتبعه على دينه صرف عنهم البلاء ما كان بين أظهرهم. فذلك قوله سبحانه: ﴿**وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم**﴾ [الأنفال: ٣٣] كقوله لعيسى ابن مريم، صلى الله عليه: ﴿**ورحمة منا**﴾ لمن تبعه على دينه.

قال أبو جهل لعنه الله للنبى ﷺ: اعمل أنت لإلهك يا محمد، ونحن لآلهتنا، ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ يقول: إنما ربكم رب واحد ﴿فَهَلْ أَنتُم

---

(١) انظر: (الكشاف ٢/٥٨٥، القرطبى ١١/٣٤٧، البحر المحيط ٦/٣٤٣، العكبرى ٢/٧٥).

مُّسْلِمُونَ﴾ [آية: ١٠٨] يعنى مخلصون ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ يقول: فإن أعرضوا عن الإيمان ﴿فَقُلْ﴾ لكفار مكة: ﴿ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ يقول: ناديتكم على أمرين ﴿وَ﴾ قل لهم: ﴿وَإِنْ أَدْرِىٓ﴾ يعنى ما أدرى ﴿أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ (١) [آية: ١٠٩] بنزول العذاب بكم فى الدنيا.

﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾

وقل لهم: ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ﴾ يعنى العلانية ﴿مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ [آية: ١١٠] يعنى ما تسرون من تكذيبهم بالعذاب، فأما الجهر، فإن كفار مكة حين أخبرهم النبى ﷺ بالعذاب كانوا يقولون: ﴿**متى هذا الوعد إن كنتم صادقين**﴾ [سبأ: ٢٩، يس: ٤٨] والكتمان أنهم، قالوا: إن العذاب ليس بكائن ﴿وَ﴾ قل لهم: يا محمد، ﴿وَإِنْ أَدْرِى﴾ يقول: ما أدرى ﴿لَعَلَّهُۥ﴾ يعنى فلعل تأخير العذاب عنكم فى الدنيا، يعنى القتل ببدر ﴿فِتْنَةٌ لَّكُمْ﴾ نظيرها فى سورة الجن، فيقولون: لو كان حقًا لنزل بنا العذاب ﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [آية: ١١١] يعنى وبلاغًا إلى آجالكم، ثم ينزل بكم العذاب ببدر ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ (٢) يعنى اقض بالعدل بيننا، وبين كفار مكة، فقضى الله لهم القتل ببدر ﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [آية: ١١٢] فامر الله، عز وجل، النبى ﷺ أن يستعين به، عز وجل، على ما يقولون من تكذيبهم بالبعث والعذاب.

قال الهذيل: قال الشماخ فى الجاهلية:

النبع منبته بالصخر ضاحية ... والنخل ينبت بين الماء والعجل

يعنى الطين.

قال: وحدثنا عبيد الله، قال: حدثنا أبى، قال: حدثنا أبو روق فى قوله، عز وجل: ﴿**وأوحينا إليهم فعل الخيرات**﴾ قال: التطوع، ولم أسمع الهذيل.

* * *

---

(١) انظر: (البحر المحيط ٦/٣٣٤، العكبرى ٢/٧٥).

(٢) انظر: (العنوان ١٠٤، الإتحاف ٣١٢، الطبرى ١٧/٨٤، القرطبى ١١/٣٥١، الكشاف ٢/٥٨٧، النشر ٢/٣٢٥، البحر المحيط ٦/٣٤٥، التبيان ٧/٢٥٣، تحبير التيسير ١٢٦، همع الهوامع ٤/٣٠٠).

سُورَةُ الحَجّ

مكية، إلا عشر آيات، فإنها نزلت بالمدينة، من قوله: ﴿**يا أيها**..﴾ إلى قوله تعالى: ﴿.... **شديد**﴾ [الحج: ١، ٢] نزلت فى غزوة بنى المصطلق بالمدينة.

وإلا قوله تعالى: ﴿**سواء العاكف فيه** ...﴾ [الحج: ٢٥] الآية، نزلت فى عبد الله ابن أنس بن خطل. وقوله تعالى: ﴿**وليعلم الذين أوتوا العلم** ...﴾ [آية: الحج: ٥٤] الآية نزلت فى أهل التوراة.

وقوله تعالى: ﴿**والذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا** ...﴾ [الحج: ٥٨، ٥٩] الآيتين. وقوله تعالى: ﴿**أذن للذين يقاتلون** ...﴾ إلى قوله: ﴿... **قوى عزيز**﴾ [الحج: ٣٩، ٤٠]، وقوله: ﴿**ومن الناس من يعبد الله على حرف** ...﴾ الآية [الحج: ١١] الآية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ (٢)﴾

حدثنا عبيد الله، قال: حدثنى أبى، عن الهذيل، عن مقاتل، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ﴾ يخوفهم، يقول: اخشوا ربكم ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ [آية: ١].

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ﴾ يقول: تدع البنين لشدة الفزع من الساعة، وذلك قبل النفخة الأولى ينادى مناد من السماء الدنيا، يا أيها الناس، جاء أمر الله، فيسمع صوته أهل الأرض جميعًا فيفزعون فزعًا شديدًا، ويموج بعضهم فى بعض، ويشيب فيها الصغير، ويسكر فيها الكبير، وتضع الحوامل ما فى بطونها، وتدع المراضع البنين من الفزع الشديد، فذلك قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ﴾.

﴿عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا﴾ النساء والدواب حملها من شدة الفزع ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ من الخوف ﴿وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾(١) من الشراب ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [آية: ٢] نزلت هاتان الآيتان ليلاً والناس يسيرون فى غزاة بنى المصطلق، وهم حى خزاعة، فقرأها النبى ﷺ تلك الليلة على الناس ثلاث مرات، ثم قال: «هل تدرون أى يوم هذا»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «هذا يوم يقول الله عز وجل لآدم عليه السلام: قم فابعث بعث النار من ذريتك، فيقول: يارب وما بعث النار، قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون، إلى النار، وواحد إلى الجنة»، فلما سمع القوم ذلك اشتد عليهم وحزنوا، فلما أصبحوا أتوا النبى ﷺ فقالوا: وما توبتنا وما حيلتنا، فقال لهم النبى ﷺ: «أبشروا فإن معكم خليقتين لم يكونا فى أمة قط إلا كثرتها يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون، ما أنتم فى الناس إلا كشعرة بيضاء فى ثور أسود، أو كشعرة سوداء فى ثور أبيض، أو كالرقم فى ذراع الدابة، أو كالشامة فى سنام البعير، فأبشروا وقاربوا وسددوا واعملوا.

ثم قال: «أيسركم أن تكونوا ربع أهل الجنة»؟ قالوا: من أين لنا ذلك يا رسول الله؟ قال: «أفيسركم أن تكونوا ثلث أهل الجنة»؟ قالوا: من أين لنا ذلك يا رسول الله؟ قال: «أيسركم أن تكونوا شطر أهل الجنة»؟ قالوا: من أين لنا ذلك يا رسول الله، قال: «فإنكم أكثر أهل الجنة، أهل الجنة عشرون ومائة صف، أمتى من ذلك ثمانون صفًا، وسائر أهل الجنة أربعون صفًا، ومع هؤلاء أيضًا سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب مع كل رجل سبعون ألفًا».

فقالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: «هم لا يرقون، ولا يسترقون، ولا يكتون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون». فقام عكاشة بن محصن الأسدى، فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلنى منهم، قال: «فإنك منهم»، فقام رجل آخر من رهط ابن مسعود من هذيل، فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلنى منهم، قال: «سبقك بها عكاشة».

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾﴾

قوله سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٍ﴾ يعلمه نزلت فى النضر بن

---

(١) انظر: (مختصر شوذ القراءات ٩٤، الكشاف ٣/٤،البحر المحيط ٦/٣٥٠، الرازى ٢٣/٤).

الحارث القرشى، وأمه، اسمها صفية بنت الحارث بن عثمان بن عبد الدار بن قصى، قال: ﴿وَيَتَّبِعُ﴾ النضر ﴿كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ﴾ [آية: ٣] يعنى مارد.

﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾ يعنى قضى عليه، يعنى الشيطان ﴿أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ﴾ يعنى من اتبع الشيطان ﴿فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ﴾ عن الهدى ﴿فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ﴾ ﴿وَيَهْدِيهِ﴾ يعنى ويدعوه ﴿إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [آية: ٤] يعنى الوقود، ثم ذكر صنعه ليعتبروا فى البعث.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾

فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يعنى كفار مكة ﴿إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ﴾ يعنى فى شك من البعث بعد الموت، فانظروا إلى بدء خلقكم ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾ ولم تكونوا شيئًا ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ مثل الدم ﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ﴾ يعنى من النطفة مخلقة ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ يعنى السقط يخرج من بطن أمه مصورًا، وغير مصور ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ﴾ فلا يكون سقطًا ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يقول: خروجه من بطن أمه ليعتبروا فى البعث، ولا يشكوا فيه أن الذى بدأ خلقكم، لقادر على أن يعيدكم بعد الموت.

ثم قال سبحانه: ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ﴾ من بطون أمهاتكم ﴿طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ﴾ ثمانى عشرة سنة إلى أربعين سنة ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾ من قبل أن يبلغ أشده ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ﴾ بعد الشباب ﴿إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ يعنى الهرم ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ﴾ كان يعلمه ﴿شَيْـًٔا﴾ فذكر بدء الخلق، ثم ذكر الأرض الميتة كيف يحيها ليعتبروا فى البعث، فإن البعث ليس بأشد من بدء الخلق، ومن الأرض حين يحيها من بعد موتها، فذلك قوله سبحانه: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ يعنى ميتة ليس فيها نبت يعنى متهشمة ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ﴾ يعنى المطر ﴿ٱهْتَزَّتْ﴾

الأرض، يعنى تحركت بالنبات، كقوله: ﴿**تهتز كأنها جان**﴾ [القصص: ٣١] أى تحرك كأنها حية. ثم قال للأرض: ﴿وَرَبَتْ﴾ (١) يعنى وأضعفت النبات ﴿وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [آية: ٥] يعنى من كل صنف من النبات حسن.

﴿ذَٰلِكَ﴾ يقول: هذا الذى فعل، هذا الذى ذكر من صنعه، يدل على توحيده بصنعه ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ وغيره من الآلهة باطل ﴿وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ فى الآخرة ﴿وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آية: ٦] من البعث وغيره قدير.

﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ﴾ يعنى لا شك ﴿فِيهَا﴾ أنها كائنة ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ﴾ فى الآخرة ﴿مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [آية: ٧] من الأموات، فلا تشكوا فى البعث.

﴿**وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾**﴾

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ يعنى النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن السياف بن عبد الدار ابن قصى بن كلاب بن مرة، ومن الناس ﴿مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يعنى يخاصم فى الله، عز وجل، أن الملائكة بنات الله تعالى ﴿وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ [آية: ٨] ﴿وَلَا هُدًى﴾ ولا بيان معه من الله، عز وجل، بما يقول: ولا كتاب من الله تعالى ﴿مُّنِيرٍ﴾ يعنى مضيئًا فيه حجة بأن الملائكة بنات الله فيخاصم بهذا. قال الفراء وأبو عبيدة فى قوله عز وجل: ﴿ثَانِىَ عِطْفِهِۦ﴾ يقول: يتبختر فى مشيته تكبرًا.

ثم أخبر عن النضر، فقال سبحانه: ﴿ثَانِىَ عِطْفِهِۦ﴾ يقول: يلوى عنقه عن الإيمان ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يقول: ليستزل عن دين الإسلام ﴿لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ﴾ يعنى القتل ببدر ﴿وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [آية: ٩] يعنى نحرقه بالنار.

﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب ﴿بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ من الكفر والتكذيب ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [آية: ١٠] فيعذب على غير ذنب.

﴿**وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا۟ مِن**

---

(١) انظر: (الإتحاف ٣١٣، البحر المحيط ٣٥٣/٦، التبيان ٢٥٨/٧، الكشاف ٦/٣، الفراء ٢١٦/٢، القرطبى ١٣/١٢، النشر ٣٢٥/٢، تحبير التيسير ١٤٤).

دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ﴿١٣﴾

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ﴾ يعنى على شك، نزلت فى أناس من أعراب أسد بن خزيمة، وغطفان.

قال مقاتل: إذا سألك رجل على كم حرف تعبد الله، عز وجل، فقل: لا أعبد الله على شيء من الحروف، ولكن أعبد الله تعالى ولا أشرك به شيئًا؛ لأنه واحد لا شريك له.

كان الرجل يهاجر إلى المدينة، فإن أخصبت أرضه، ونتجت فرسه، وولد له غلام، وصح بالمدينة، وتتابعت عليه الصدقات، قال: هذا دين حسن، يعنى الإسلام.

فذلك قوله تعالى: ﴿فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ﴾ يقول: رضى بالإسلام، وإن أجدبت أرضه، ولم تنتج فرسه، وولدت له جارية، وسقم بالمدينة، ولم يجد عليه بالصدقات، قال: هذا دين سوء، ما أصابنى من دينى هذا الذى كنت عليه إلا شرًا فرجع عن دينه، فذلك قوله سبحانه: ﴿وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ﴾ يعني بلاء ﴿ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ﴾ يقول: رجع إلى دينه الأول كافرًا ﴿خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾ (١) خسر دنياه التى كان يحبها، فخرج منها ثم أفضى إلى الآخرة وليس له فيها شيء، مثل قوله: ﴿... **إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة** ...﴾ [الزمر: ١٥] يقول الله عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [آية: ١١] يقول: ذلك هو الغبن البين، ثم أخبر عن هذا المرتد عن الإسلام.

فقال سبحانه: ﴿يَدۡعُواْ﴾ يعنى يعبد ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يعنى الصنم ﴿مَا لَا يَضُرُّهُۥ﴾ فى الدنيا إن لم يعبده ﴿وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ﴾ فى الآخرة إن عبده ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ﴾ [آية: ١٢] يعنى الطويل.

﴿يَدۡعُواْ﴾ يعنى يعبد ﴿لَمَن ضَرُّهُۥٓ﴾ فى الآخرة ﴿أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ﴾ فى الدنيا ﴿لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ﴾ يعنى الولى ﴿وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ﴾ [آية: ١٣] يعنى الصاحب، كقوله سبحانه: ﴿... **وعاشروهن بالمعروف**...﴾ [النساء: ١٩] يعنى وصاحبوهن بالمعروف.

---

(١) انظر: (الإتحاف ٣١٣، الكشاف ٣/٧، القرطبى ١٢/١٨، النشر ٢/٣٢٥، ٣٢٦، الفراء ٢/٢١٧، البحر المحيط ٦/٣٥٥، النحاس ٢/٣٩٢).

ثم ذكر ما أعد للصالحين، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ يقول: تجرى العيون من تحت البساتين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [آية: ١٤].

﴿مَن كَانَ يَظُنُّ﴾ يعنى يحسب ﴿أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ يعنى النبى ﷺ ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ يعنى بحبل إلى سقف البيت ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ يعنى ليختنق ﴿فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ﴾ يقول: فعله بنفسه إذا فعل ذلك، هل يذهبن ذلك ما يجد فى قلبه من الغيظ بأن محمدًا لا ينصر ﴿مَا يَغِيظُ﴾ [آية: ١٥] هل يذهب ذلك ما يجد فى قلبه من الغيظ، نزلت فى نفر من أسد وغطفان، قالوا: إنا نخاف ألا ينصر محمد فينقطع الذى بيننا وبين حلفائنا من اليهود، فلا يجيرونا ولا يأوونا.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ يعنى وهكذا ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ يعنى القرآن ﴿ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ يعنى واضحات ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى﴾ إلى دينه ﴿مَن يُرِيدُ﴾ [آية: ١٦].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ قوم يعبدون الملائكة، ويصلون للقبلة، ويقرأون الزبور ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ﴾ يعبدون الشمس، والقمر، والنيران، ﴿وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟﴾ يعنى مشركى العرب يعبدون الأوثان، فالأديان ستة، فواحد لله، عز وجل، وهو الإسلام، وخمسة للشيطان ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ﴾ يعنى يحكم ﴿بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من أعمالهم ﴿شَهِيدٌ﴾ [آية: ١٧].

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يعنى ألم تعلم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ من الملائكة وغيرهم ﴿وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ﴾ سجود هؤلاء الثلاثة حين تغرب الشمس قبل المغرب لله تعالى تحت العرش ﴿وَ﴾ يسجد ﴿وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ﴾ (١) ظلهم حين تطلع الشمس، وحين تزول إذا تحول ظل كل شىء فهو سجوده، ثم قال سبحانه: ﴿وَ﴾ يسجد ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ يعنى المؤمنين ﴿وَ﴾ يسجد ﴿وَكَثِيرٌ﴾ ممن ﴿حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ من كفار الإنس والجن سجودهم هو سجود ظلالهم ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩﴾ [آية: ١٨] فى خلقه، فقرأ النبى ﷺ هذه الآية فسجد لها هو وأصحابه، رضى الله عنهم.

﴿۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ نزلت فى المؤمنين وأهل الكتاب، ثم بين ما

---

(١) انظر: (البحر المحيط ٦/٣٥٩، العكبرى ٢/٧٧).

أعد للخصمين، فقال: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعنى اليهود والنصارى ﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ﴾ يعنى جعلت لهم ﴿ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ يعنى قمصًا من نحاس من نار، فيها تقديم ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ [آية: ١٩] إذا ضربه الملك بالمقمعة ثقب رأسه، ثم صب فيه الحميم الذى قد انتهى حره.

﴿يُصْهَرُ﴾ يعنى يذاب ﴿بِهِ﴾ يعنى بالحميم ﴿مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ [آية: ٢٠] يقول: وتنضج الجلود.

﴿وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ [آية: ٢١] ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾ وذلك إذا جاشت جهنم ألقت الرجال فى أعلى الأبواب فيريدون الخروج فتعيدهم الملائكة، يعنى الخزان فيها بالمقامع، وتقول لهم الخزانة إذا ضربوهم بالمقامع: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [آية: ٢٢] يعنى النار، ثم ذكر ما أعد الله، عز وجل، للمؤمنين، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ يقول: تجرى العيون من تحت البساتين ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ (١) أى أساور من لؤلؤ ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [آية: ٢٣] مما يلى الجسد الحرير، وأعلاه السندس والاستبرق ﴿وَهُدُوا﴾ فى الدنيا ﴿إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ يعنى التوحيد، وهو قول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كقوله: ﴿**كلمة طيبة**...﴾ [إبراهيم: ٢٤] يعنى التوحيد ﴿وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ﴾ يعنى دين الإسلام ﴿الْحَمِيدِ﴾ [آية: ٢٤] عند خلقه يحمده أولياؤه ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يقول: ويمنعون الناس عن دين الله، عز وجل، ﴿وَ﴾ عن ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ﴾ يعنى المقيم فى الحرم، وهم أهل مكة ﴿وَالْبَادِ﴾ يعنى من دخل مكة من غير أهلها ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ يقول: من لجأ إلى الحرم يميل فيه بشرك ﴿نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آية: ٢٥] يعنى وجيعًا نزلت فى عبد الله بن أنس بن خطل القرشى من بنى تيم بن مرة، وذلك أن رسول الله ﷺ بعث عبد الله مع رجلين أحدهما مهاجر، والآخر من الأنصار، فافتخروا فى الأنساب، فغضب ابن خطل، فقتل الأنصارى، ثم هرب إلى مكة، ورجع المهاجر إلى المدينة، فأمر النبى ﷺ بقتل عبد الله يوم فتح مكة، فقتله أبو برزة الأسلمى، وسعد بن حريث القرشى، أخو عمرو بن حريث.

---

(١) انظر: (مجمع البيان ٧/٧٧، النحاس ٢/٣٩٥، العكبرى ٢/٧٧، البحر المحيط ٦/٣٦٠).

قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾ المعمور، قال: دللنا إبراهيم عليه، فبناه مع ابنه إسماعيل، عليهما السلام، وليس له أثر ولا أساس، كان الطوفان محا أثره، ورفعه الله، عز وجل، ليالى الطوفان إلى السماء فعمرته الملائكة، وهو البيت المعمور، قال الله عز وجل لإبراهيم: ﴿أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ﴾ من الأوثان لا تنصب حوله وثنًا ﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾ بالبيت ﴿وَٱلْقَآئِمِينَ﴾ يعنى المقيمين بمكة من أهلها ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [آية: ٢٦] يعنى فى الصلوات الخمس، وفى الطواف حول البيت من أهل مكة وغيرهم، والبيت الحرام اليوم مكان البيت المعمور، ولو أن حجرًا وقع من البيت المعمور وقع على البيت الحرام، وهو فى العرض والطول مثله، إلا أن قامته كما بين السماء والأرض.

﴿وَأَذِّن﴾ يا إبراهيم ﴿فِى ٱلنَّاسِ﴾ يعنى المؤمنين ﴿بِٱلْحَجِّ﴾ فصعد أبا قبيس، وهو الجبل الذى الصفا فى أصله، فنادى يا أيها الناس أجيبوا ربكم، إن الله عز وجل يأمركم أن تحجوا بيته، فسمع نداء إبراهيم، عليه السلام، كل مؤمن على ظهر الأرض، ويقال: فى أصلاب الرجال وأرحام النساء، فالتلبية اليوم جواب نداء إبراهيم، عليه السلام، عن أمر ربه، عز وجل، فذلك قوله سبحانه: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾[1] يعنى على أرجلهم مشاة ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ يعنى الإبل ﴿يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [آية: ٢٧] يعنى يجىء من كل مكان بعيد.

﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ يعنى الأجر فى الآخرة فى مناسكهم ﴿وَ﴾ لكى ﴿وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾ يعنى ثلاثة أيام، يوم النحر، ويومين بعده إلى غروب الشمس ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ﴾ يعنى الضرير الزمن ﴿ٱلْفَقِيرَ﴾ [آية: ٢٨] الذى ليس له شىء.

﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ﴾ يعنى حلق الرأس، والذبح، والجمار، ﴿وَلْيُوفُوا۟﴾ يعنى لكى يوفوا ﴿نُذُورَهُمْ﴾ فى حج، أو عمرة بما أوجبوا على أنفسهم من هدى، أو غيره، ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [آية: ٢٩] أعتق فى الجاهلية من القتل، والسبى، والخراب. قال الفراء: أعتق من الفرق، ومن أن يدعى ملكه أحد من الجبابرة، ويقال: العتيق القديم.

---

(١) انظر: (القرطبى ١٢/٣٩، الكشاف ٣/١١، الرازى ٢٣/٢٨، البحر المحيط ٦/٣٦٤، مجمع البيان ٧/٧٩).

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يعنى أمر المناسك كلها ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ فى الآخرة ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ﴾ بهيمة ﴿ٱلْأَنْعَٰمُ﴾ التى حرموا للآلهة فى سورة الأنعام ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ من التحريم فى أول سورة المائدة ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ فيها تقديم يقول: اتقوا عبادة اللات والعزى ومناة، وهى الأوثان ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [آية: ٣٠] يقول: اتقوا الكذب، وهو الشرك.

حدثنا أبو محمد، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنا الهذيل، عن مقاتل، عن محمد بن على، فى قوله تعالى: ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ قال: الكذب وهو الشرك فى التلبية، وذلك أن الخمس قريش، وخزاعة، وكنانة، وعامر بن صعصعة، فى الجاهلية كانوا يقولون فى التلبية: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك، يعنون الملائكة التى تعبد هذا هو قول الزور لقولهم: إلا شريكًا هو لك.

وكان أهل اليمن فى الجاهلية يقولون فى التلبية: نحن عرابا عك عك إليك عانية، عبادك اليمانية، كيما نحج الثانية، على القلاص الناحية. وكانت تميم تقول فى إحرامها: لبيك ما نهارنا نجره، إدلاجه وبرده وحره، لا يتقى شيئًا ولا يضره، حجًا لرب مستقيم بره.

وكانت ربيعة تقول: لبيك اللهم حجًا حقًا، تعبدًا ورقًا، لم نأتك للمناحة، ولا حبًا للرباحة. وكانت قيس عيلان تقول: لبيك لولا أن بكرًا دونكا، بنو أغيار وهم يلونكا، ببرك الناس ويفخرونكا، ما زال منا عجيجًا يأتونكا.

وكانت جرهم تقول فى إحرامها: لبيك إن جرهما عبادك، والناس طرف وهم تلادك، وهم لعمرى عمروا بلادك، لا يطاق ربنا يعادك، وهم الأولون على ميعادك، وهم يعادون كل من يعادك، حتى يقيموا الدين فى وادك. وكانت قضاعة تقول: لبيك رب الحل والإحرام، ارحم مقام عبد وآم، أتوك يمشون على الأقدام.

وكانت أسد وغطفان تقول فى إحرامها بشعر اليمن: لبيك، إليك تعدوا قلقا وضينها، معترضا فى بطنها جنينها، مخالفًا دين النصارى دينها. وكانت النساء تطفن بالليل عراة، وقال بعضهم: لا بل نهارًا تأخذ إحداهن حاشية برد تستتر به، وتقول: اليوم يبدوا بعضه أو كله، وما بدا منه فلا أحله، كم من لبيب عقله يضله، وناظر ينظر فما يمله

ضخم من الجثم عظيم ظله.

وكانت تلبية آدم، عليه السلام: لبيك الله لبيك عبد خلقته بيديك، كرمت فأعطيت، قربت فأدنين، تباركت وتعاليت، أنت رب البيت.

فأنزل الله عز وجل: ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴾ يعنى الكذب، وهو الشرك فى الإحرام، ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾ يعنى مخلصين لله بالتوحيد ﴿غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ﴾ ثم عظم الشرك، فقال: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ﴾ يعنى فتذهب به الطير النسور ﴿أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ﴾ [آية: ٣١] يعنى بعيدًا، فهذا مثل الشرك فى البعد من الله، عز وجل.

﴿ذَٰلِكَ﴾ يقول: هذا الذى أمر اجتناب الأوثان ﴿وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ يعنى البدن من أعظمها وأسمنها ﴿فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾ [آية: ٣٢] يعنى من إخلاص القلوب ﴿لَكُمۡ فِيهَا﴾ فى البدن ﴿مَنَٰفِعُ﴾ فى ظهورها وألبانها ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ يقول: إلى أن تقلد، أو تشعر، أو تسمى هديا، فهذا الأجل المسمى، فإذا فعل ذلك بها لا يحمل عليها إلا مضطرًا ويركبها بالمعروف، ويشرب فضل ولدها من اللبن، ولا يجهد الحلب حتى لا ينهك أجسامها.

﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ﴾ [آية: ٣٣] يعنى منحرها إلى أرض الحرم كله كقوله سبحانه: ﴿**فلا يقربوا المسجد الحرام**﴾ يعنى أرض الحرم كله، ثم ينحر ويأكل ويطعم، إن شاء نحر الإبل، وإن شاء ذبح الغنم، أو البقر، ثم تصدق به كله، وإن شاء أكل وأمسك منه، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون شيئًا من البدن، فأنزل الله، عز وجل، فكلوا منها وأطعموا، فليس الأكل بواجب، ولكنه رخصة، كقوله سبحانه ﴿**وإذا حللتم فاصطادوا**﴾ [المائدة: ٢] وليس الصيد بواجب ولكنه رخصة.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٖ﴾ يعنى لكل قوم من المؤمنين فيما خلا، كقوله سبحانه: ﴿... **أن تكون أمة هى أربى من أمة** ...﴾ [النحل: ٩٢] أن يكون قوم أكثر من قوم، ثم قال: ﴿جَعَلۡنَا مَنسَكٗا﴾ يعنى ذبحًا، يعنى هراقة الدماء ﴿لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۗ﴾ وإنما خص الأنعام من البهائم؛ لأن من البهائم ما ليس من الأنعام، وإنما سميت البهائم؛ لأنها لا تتكلم ﴿فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ ليس له شريك يقول: فربكم رب واحد ﴿فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ﴾ [آية: ٣٤] يعنى المخلصين بالجنة.

ثم نعتهم فقال: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ﴾ يعنى خافت ﴿قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ﴾ من أمر الله ﴿وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [آية: ٣٥] من الأموال. قوله عز وجل: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ يعنى من أمر المناسك ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ يقول: لكم فى نحرها أجر فى الآخرة ومنفعة فى الدنيا، وإنما سميت البدن؛ لأنها تقلد وتشعر وتساق إلى مكة، والهدى الذى ينحر بمكة، ولم يقلد، ولم يشعر والجزور البعير الذى ليس ببدنة، ولا بهدى.

﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾ إذا نحرت ﴿صَوَآفَّ﴾ (١) يعنى معقولة يدها اليسرى قائمة على ثلاثة قوائم مستقبلات القبلة. قال الفراء: صواف، يعنى يصفها، ثم ينحرها، فهذا تعليم من الله، عز وجل، فمن شاء نحرها على جنبها.

﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ يعنى فإذا خرت لجنبها على الأرض بعد نحرها ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ﴾ (٢) يعنى الراضى الذى يقنع بما يعطى، وهو السائل ﴿وَٱلْمُعْتَرَّ﴾ (٣) الذى يتعرض للمسألة، ولا يتكلم فهذا تعليم من الله، عز وجل، فمن شاء أكل، ومن لم يشأ لم يأكل، ومن شاء أطعم، ثم قال سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا﴾ يعنى هكذا ذللناها ﴿لَكُمْ﴾ يعنى المدن ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آية: ٣٦] ربكم، عز وجل، فى نعمه.

﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا﴾ وذلك أن كفار العرب كانوا فى الجاهلية إذا نحروا البدن عند زمزم أخذوا دماءها فنضحوها قبل الكعبة، وقالوا: اللهم تقبل منا، فأراد المسلمون أن يفعلوا ذلك، فأنزل الله، عز وجل، ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ يقول: النحر هو تقوى منكم، فالتقوى هو الذى ينال الله ويرفعه إليه، فأما اللحوم والدماء فلا يرفعه إليه، ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ﴾ يعنى البدن ﴿لِتُكَبِّرُوا۟﴾ لتعظموا ﴿ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ لدينه ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آية: ٣٧] بالجنة فمن فعل ما ذكر الله فى هذه الآيات فقد أحسن. قوله عز وجل: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ﴾ كفار مكة ﴿عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ بمكة، هذا حين أمر المؤمنين بالكف عن كفار مكة قبل الهجرة حين آذوهم، فاستشاروا النبى ﷺ فى قتالهم فى السر، فنهاهم الله

---

(١) انظر: (التبيان ٢٨٣/٧، الطبرى ١١٨/١٧، القرطبى ٦١/١٢، الفراء ٢٢٦/٢، النحاس ٤٠٣/٢، الكشاف ١٤/٣، البحر المحيط ٣٦٩/٦).

(٢) انظر: (البحر المحيط ٣٧٠/٦، الكشاف ١٥/٣، القرطبى ٦٤/١٢).

(٣) انظر: (الكشاف ١٥/٣، البحر المحيط ٣٧٠/٦، العكبرى ٧٩/٢، القرطبى ٦٥/١٢).

عز وجل، ثم قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ﴾ يعنى كل عاص ﴿كَفُورٍ﴾ [آية: ٣٨] بتوحيد الله، عز وجل، يعنى كفار مكة.

فلما قدموا المدينة أذن الله، عز وجل، للمؤمنين فى القتال بعد النهى بمكة، فقال سبحانه: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ﴾ فى سبيل الله ﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ۚ﴾ ظلمهم كفار مكة ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [آية: ٣٩] فنصرهم الله تعالى على كفار مكة بعد النهى.

ثم أخبر عن ظلم كفار مكة، فقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم﴾ وذلك أنهم عذبوا منهم طائفة، وآذوا بعضهم بالألسن، حتى هربوا من مكة إلى المدينة ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟﴾ يقول: لم يخرج كفار مكة المؤمنين من ديارهم، إلا أن يقولوا: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُۗ﴾ فعرفوه ووحدوه، ثم قال سبحانه: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ يقول: لولا أن يدفع الله المشركين بالمسلمين لغلب المشركون فقتلوا المسلمين ﴿لَّهُدِّمَتْ﴾ يقول: لخربت ﴿صَوَٰمِعُ﴾ الرهبان ﴿وَبِيَعٌ﴾ النصارى ﴿وَصَلَوَٰتٌ﴾ (١) يعنى اليهود ﴿وَمَسَـٰجِدُ﴾ المسلمين ﴿يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًاۗ﴾ كل هؤلاء الملل يذكرون الله كثيرًا فى مساجدهم، فدفع الله، عز وجل، بالمسلمين عنها.

ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ﴾ على عدوه ﴿مَن يَنصُرُهُۥٓۗ﴾ يعنى من يعينه حتى يوحد الله، عز وجل، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ﴾ فى نصر أوليائه ﴿عَزِيزٌ﴾ [آية: ٤٠] يعنى منيع فى ملكه وسلطانه نظيرها فى الحديد ﴿... **وليعلم الله من ينصره** ...﴾ [الحديد: ٢٥] يعنى من يوحده، وغيرها فى الأحزاب، وهود. وهو سبحانه أقوى وأعز من خلقه.

﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعنى أرض المدينة وهم المؤمنون بعد القهر بمكة، ثم أخبر عنهم، فقال تعالى: ﴿أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ يعنى التوحيد الذى يعرف ﴿وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ﴾ الذى لا يعرف، وهو الشرك ﴿وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [آية: ٤١] يعنى عاقبة أمر العباد إليه فى الآخرة ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ يا محمد يعزى نبيه ﷺ ليصبر على تكذيبهم إياه بالعذاب ﴿فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ يعنى قبل أهل مكة ﴿قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ﴾ [آية: ٤٢] ﴿وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ﴾ [آية: ٤٣] ﴿وَأَصْحَـٰبُ مَدْيَنَۖ﴾ يعنى قوم شعيب، عليه السلام، كل هؤلاء كذبوا رسلهم ﴿وَكُذِّبَ

(١) انظر: (العكبرى ٢/٧٩، التبيان ٧/٣٨٥، الأخفش ٢/٤١٥، البحر المحيط ٦/٣٧٥).

مُوسَىٰ﴾ يعنى عصى موسى، عليه السلام، لأنه ولد فيهم كما ولد محمد ﷺ فيهم ﴿فَأَمْلَيْتُ﴾ يعنى فأمهلت ﴿لِلْكَٰفِرِينَ﴾ فلم أعجل عليهم بالعذاب ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ بعد الإمهال بالعذاب ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [آية: ٤٤] يعنى تغييرى أليس وجدوه حقًا، فكذلك كذب كفار مكة كما كذبت مكذبى الأمم الخالية.

﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ يعنى وكم من قرية أهلكناها بالعذاب فى الدنيا ﴿أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ﴾ يعنى خربة ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ يعنى ساقطة من فوقها، يعنى بالعروش سقوف البيت، أى ليس فيها مساكن ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾[1] يعنى خالية لا تستعمل ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [آية: ٤٥] يعنى طويلاً فى السماء ليس له أهل.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يقول: فلو ساروا فى الأرض فتفكروا ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ المواعظ ﴿أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [آية: ٤٦].

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ نزلت فى النضر بن الحارث القرشى يقول الله تعالى: ﴿وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ فى العذاب بأنه كائن ببدر، يعنى القتل ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [آية: ٤٧] وهى الأيام الست التى خلق الله فيهن السموات والأرض، وإنما قال الله تعالى ذلك لاستعجالهم بالعذاب، فاليوم عند الله، عز وجل، كألف سنة.

فمن ثم قال: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا﴾ يعنى أمهلت لها، فلم أعجل عليها بالعذاب ﴿وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾ بعد الإملاء بالعذاب، ﴿وَإِلَىَّ﴾ إلى الله ﴿ٱلْمَصِيرُ﴾ [آية: ٤٨] يقول: إلى الله يصيرون.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يعنى كفار مكة ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [آية: ٤٩] يعنى بين ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [آية: ٥٠] ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾ يعنى فى القرآن مثبطين، يعنى كفار مكة يثبطون الناس عن الإيمان بالقرآن.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [آية: ٥١] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ يعنى إذا حدث نفسه ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ يعنى فى حديثه مثل

---

(١) انظر: (الكشاف ٣/١٧، الرازى ٢٦/٤٤، النحاس ٢/٤٠٦، البحر المحيط ٦/٣٧٦).

قوله: ﴿... **ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني ...**﴾ [البقرة: ١٧٨] يقول: إلا ما يحدثوا عنها، يعنى التوراة وذلك أن النبى ﷺ كان يقرأ فى الصلاة عند مقام إبراهيم ﷺ فنعس، فقال: «أفرأيتم اللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى، تلك الغرانيق العلى، عندها الشفاعة ترتجى»، فلما سمع كفار مكة أن لآلهتهم شفاعة فرحوا، ثم رجع النبى ﷺ فقال: ﴿**أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ضيزى**﴾ [طه: ١١٤] فذلك قوله سبحانه: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ على لسان محمد ﷺ ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ من الباطل الذى يلقى الشيطان على لسان محمد ﷺ ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [آية: ٥٢].

﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ على لسان النبى ﷺ وما يرجون من شفاعة آلهتهم ﴿فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ يعنى الشك ﴿وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ يعنى الجافية قلوبهم عن الإيمان، فلم تلن له ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يعنى كفار مكة ﴿لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ [آية: ٥٣] يعنى لفى ضلال بعيد، يعنى طويل.

ثم ذكر المؤمنين سبحانه: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ بالله عز وجل ﴿أَنَّهُ﴾ يعنى القرآن ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ﴾ يعنى فيصدقوا به ﴿فَتُخْبِتَ﴾ يعنى فتخلص ﴿لَهُۥ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آية: ٥٤] يعنى دينًا مستقيمًا.

﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من أهل مكة أبو جهل وأصحابه ﴿فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ يعنى فى شك من القرآن ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ يعنى فجأة ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ [آية: ٥٥] يعنى بلا رأفة ولا رحمة القتل ببدر، ثم قال فى التقديم: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ يعنى يوم القيامة لا ينازعه فيه أحد، واليوم فى الدنيا ينازعه غيره فى ملكه.

﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ ثم بين حكمه فى كفار مكة، فقال سبحانه: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [آية: ٥٦] ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بتوحيد الله ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ بالقرآن بأنه ليس من الله عز وجل ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آية: ٥٧] يعنى الهوان.

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ إلى المدينة ﴿ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنَّهُمُ

ٱللَّهُ﴾ فـى الآخـرة ﴿رِزْقًا حَسَنًاۚ﴾ يعنى كريمًا ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [آية: ٥٨] وذلك أن نفرًا من المسلمين قالوا للنبى ﷺ نحن نقاتل المشركين، فنقتل منهم ولا نستشهد، فما لنا شهادة، فأشركهم الله عز وجل جميعًا فى الجنة، فنزلت فيهم آيتان.

فقال: ﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾ لقولهم: ﴿حَلِيمٌ﴾ [آية: ٥٩] عنهم. لقولهم: أنا نقاتل ولا نستشهد، ﴿۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ﴾ وذلك أن مشركى مكة لقوا المسلمين لليلة بقيت من المحرم، فقال بعضهم لبعض: إن أصحاب محمد يكرهون القتال فى الشهر الحرام، فاحملوا عليهم فناشدهم المسلمون أن يقاتلوهم فى الشهر الحرام، فأبى المشركون إلا القتال. فبغوا على المسلمين فقاتلوهم وحملوا عليهم وثبت المسلمون فنصر الله، عز وجل، المسلمين عليهم، فوقع فى أنفس المسلمين من القتال فى الشهر الحرام، فأنزل الله عز وجل ذلك ومن عاقب، هذا جزاء من عاقب.

﴿بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ﴾ عنهم ﴿غَفُورٌ﴾ [آية: ٦٠] لقتالهم فى الشهر الحرام ﴿ذَٰلِكَ﴾ يعنى هذا الذى فعل من قدرته، ثم بين قدرته، جل جلاله، فقال سبحانه: ذلك ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ يعنى انتقاص كل واحد منهما من الآخر، حتى يكون النهار خمس عشرة ساعة، والليل تسع ساعات فى كل سنة ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ بأعمالهم ﴿بَصِيرٌ﴾ [آية: ٦١] بها.

﴿ذَٰلِكَ﴾ يعنى هذا الذى فعل ذلك، يدل على توحيده بصنعه ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ يعنى يعبدون من دونه من الآلهة ﴿هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ الذى ليس بشىء، ولا ينفعهم عبادتهم، ثم عظم نفسه تبارك اسمه، فقال: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ﴾ يعنى الرفيع فوق خلقه ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾ [آية: ٦٢] فلا شىء أعظم منه.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾، يعنى المطر، ﴿فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةًۗ﴾ من النبات ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾ باستخراج النبت ﴿خَبِيرٌ﴾ [آية: ٦٣] ثم قال تعالى: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ﴾ عبيده، وفى ملكه ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ من عباده خلقه ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ [آية: ٦٤] عند خلقه فى سلطانه.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ﴾ يعنى ذلك ﴿لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ﴾ يقول: وسخر

الفلك، يعنى السفن ﴿تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ﴾ يقول: لئلا تقع على الأرض ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ﴾ يعنى لرفيق ﴿رَّحِيمٌ﴾ [آية: ٦٥] بهم، فيما سخر لهم، وحبس عنهم السماء، فلا تقع عليهم فيهلكوا.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ﴾ يعنى خلقكم، ولم تكونوا شيئًا ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند آجالكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ بعد موتكم فى الآخرة ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ﴾ [آية: ٦٦] لنعم الله، عز وجل، فى حسن خلقه حين لا يوحده.

ثم قال سبحانه: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ﴾ يعنى لكل قوم فيما خلا ﴿جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ يعنى ذبحًا، يعنى هراقة الدماء ذبيحة فى عيدهم ﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ يعنى ذابحوه كقوله: ﴿... إن صلاتى ونسكى ...﴾ [الأنعام: ١٦٢] يعنى ذبيحتى ﴿فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ﴾ [(١)] يعنى فى أمر الذبائح، فإنك أولى بالأمر منهم، أى من كفار خزاعة وغيرهم، نزلت فى بديل بن ورقاء الخزاعى، وبشر بن سفيان الخزاعى، ويزيد بن الحلبس، من بنى الحارث بن عبد مناف لقولهم للمسلمين، فى الأنعام، ما قتلتم أنتم بأيديكم فهو حلال وما قتل الله فهو حرام يعنون الميتة، ثم قال سبحانه: ﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ يعنى إلى معرفة ربك وهو التوحيد ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى﴾ يعنى لعلى دين ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آية: ٦٧].

﴿وَإِن جَادَلُوكَ﴾ فى أمر الذبائح، يعنى هؤلاء النفر ﴿فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٦٨] وبما نعمل، وذلك حين اختلفوا فى أمر الذبائح. فذلك قوله عز وجل: ﴿اللَّهُ يَحْكُمُ﴾ يعنى يقضى ﴿بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [آية: ٦٩] من الدين. نسختها آية السيف.

قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ يا محمد ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ العلم ﴿فِي كِتَابٍ﴾ يعنى اللوح المحفوظ ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الكتاب ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [آية: ٧٠] يعنى هينًا.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ من الآلهة ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ يعنى ما لم ينزل به كتابًا من السماء لهم فيه حجة بأنها آلهة ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ﴾ أنها آلهة ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [آية: ٧١] يقول: وما للمشركين من مانع من العذاب.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ يعنى واضحات ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا

---

(١) انظر: (القرطبى ١٢/٩٤، الكشاف ٣/٢١، الرازى ٢٣/٦٤، البحر المحيط ٦/٣٨٨).

﴿ٱلۡمُنكَرَۖ﴾ ينكرون القرآن أن يكون من الله عز وجل ﴿يَكَادُونَ يَسۡطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۗ﴾ يقول: يكادون يقعون بمحمد ﷺ من كراهيتهم للقرآن، وقالوا: ما شأن محمد وأصحابه أحق بهذا الأمر منا، والله إنهم لأشر خلق الله، فأنزل الله عز وجل ﴿قُلۡ﴾ لهم يا محمد: ﴿أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكُمُۚ ٱلنَّارُ﴾ يعنى النبى ﷺ وأصحابه ﴿وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ﴾ من وعده الله النار وصار إليها، يعنى الكفار، فهم شرار الخلق ﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [آية: ٧٢] النار حين يصيرون إليها، ونزل فيهم فى الفرقان: ﴿**الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا...**﴾ [الفرقان: ٣٤].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يعنى كفار مكة ﴿ضُرِبَ مَثَلٞ﴾ يعنى شبهًا وهو الصنم ﴿فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ﴾ ثم أخبر عنه، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الأصنام يعنى اللات والعزى ومناة وهبل ﴿لَن﴾ يستطيعوا أن ﴿يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ﴾ يقول: لو اجتمعت الآلهة على أن يخلقوا ذبابًا ما استطاعوا، ثم قال عز وجل: ﴿وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا﴾ مما على الآلهة من ثياب أو حلى أو طيب ﴿لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ﴾ يقول: لا تقدر الآلهة أن تستنقذ من الذباب ما أخذ منها، ثم قال: ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ﴾ [آية: ٧٣] فأما الطالب فهو الصنم، وأما المطلوب فهو الذباب، فالطالب هو الصنم الذى يسلبه الذباب ولا يمتنع منه، والمطلوب هو الذباب، فأخبر الله عن الصنم أنه لا قوة له، ولا حيلة، فكيف تعبدون ما لا يخلق ذباب، ولا يمتنع من الذباب.

قوله عز وجل: ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ﴾ يقول: ما عظموا الله حق عظمته حين أشركوا به ولم يوحدوه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾ فى أمره ﴿عَزِيزٌ﴾ [آية: ٧٤] أى منيع فى ملكه، قوله عز وجل: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا﴾ وهم: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت، والحفظة الذين يكتبون أعمال بنى آدم.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ رسلاً، منهم محمد ﷺ فيجعلهم أنبياء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ﴾ بمقالتهم ﴿بَصِيرٞ﴾ [آية: ٧٥] بمن يتخذه رسولاً ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۗ﴾ يقول: يعلم ما كان قبل خلق الملائكة والأنبياء، ويعلم ما يكون من بعدهم ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ [آية: ٧٦] فى الآخرة.

قوله عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ﴾ يأمرهم بالصلاة ﴿وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ﴾ يعنى وحدوا ربكم ﴿وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ﴾ الذى أمركم به ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ يعنى لكى ﴿تُفْلِحُونَ ۩﴾ [آية: ٧٧] يقول: من فعل ذلك فقد أفلح.

﴿وَجَـٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ﴾ يأمرهم بالعمل ﴿حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ يقول: اعملوا لله بالخير حق عمله نسختها الآية التى فى التغابن، وهى: ﴿**فاتقوا الله ما استطعتم...**﴾ [التغابن: ١٦]. ثم قال: ﴿هُوَ ٱجْتَبَـٰكُمْ﴾ يقول الله عز وجل: استخلصكم لدينه ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ يعنى فى الإسلام ﴿مِنْ حَرَجٍ﴾ يعنى من ضيق، ولكن جعله واسعًا هو ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ﴾ يقول الله عز وجل: سماكم ﴿ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ فيها تقديم ﴿مِن قَبْلُ﴾ قرآن محمد ﷺ فى الكتب الأولى ﴿وَفِى هَـٰذَا﴾ القرآن أيضًا سماكم المسلمين ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ﴾ يعنى النبى ﷺ ﴿شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ أنه بلغ الرسالة ﴿وَتَكُونُواْ﴾ أنتم يا معشر أمة محمد ﷺ، يعنى مؤمنيهم ﴿شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ يعنى شهداء للرسل أنهم بلغوا قومهم الرسالة ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يقول: أتموها ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ يقول: أعطوا الزكاة من أموالكم ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ﴾ يقول: وثقوا بالله، فإذا فعلتم ذلك ﴿هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [آية: ٧٨] يقول: نعم المولى هو لكم، ونعم النصير هو لكم.

* * *

سورة المؤمنون

سورة المؤمنين مكية كلها، وهى مائة وثمانى عشرة آية كوفية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ١] يعنى سعد المؤمنون، يعنى المصدقين بتوحيد الله عز وجل.

ثم نعتهم، فقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [آية: ٢] يقول: متواضعون يعنى إذا صلى لم يعرف من عن يمينه، ومن عن شماله ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [آية: ٣] يعنى اللغو: الشتم والأذى إذا سمعوه من كفار مكة لإسلامهم، وفيهم نزلت ﴿**مروا باللغو مروا كراما**﴾ [الفرقان: ٧٢] يعنى معرضين عنه.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾ [آية: ٤] يعنى زكاة أموالهم ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ﴾ [آية: ٥] عن الفواحش. ثم استثنى، فقال سبحانه: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ يعنى حلائلهم ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ من الولائد ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [آية: ٦] يعنى لا يلامون على الحلال.

﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ [آية: ٧] يقول: فمن ابتغى الفواحش بعد الحلال، فهو معتد، ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ [آية: ٨] يقول: يحافظون على أداء الأمانة، ووفاء العهد، ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [آية: ٩] على المواقيت.

ثم أخبر بثوابهم، فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ [آية: ١٠] ثم بين ما يرثون، فقال:

﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ﴾ يعنى البستان عليه الحيطان، بالرومية ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آية: ١١] يعنى فى الجنة لا يموتون.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ يعنى آدم ﷺ ﴿مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [آية: ١٢] والسلالة: إذا عصر الطين انسل الطين والماء من بين أصابعه.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً﴾ يعنى ذرية آدم ﴿فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [آية: ١٣] يعنى الرحم: تمكن النطفة فى الرحم ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ يقول: تحول الماء فصار دمًا ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ يعنى فتحول الدم فصار لحمًا مثل المضغة ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ﴾ (١) يقول: خلقناه، ﴿خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ يعنى الروح ينفخ فيه بعد خلقه، فقال عمر بن الخطاب، رضى الله عنه: قبل أن يتم النبى ﷺ الآية: ﴿**تبارك الله أحسن الخالقين**﴾، فقال النبى ﷺ: «هكذا أنزلت يا عمر».

﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [آية: ١٤] يقول: هو أحسن المصورين، يعنى من الذين خلقوا التماثيل وغيرها التى لا يتحرك منها شىء ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ الخلق بعد ما ذكر من تمام خلق الإنسان ﴿لَمَيِّتُونَ﴾ [آية: ١٥] عند آجالكم ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ﴾ بعد الموت ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [آية: ١٦] يعنى تحيون بعد الموت.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ﴾ يعنى سموات غلظ كل سماء مسيرة خمس مائة عام، وبين كل سماء مسيرة خمس مائة عام ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ﴾ [آية: ١٧] يعنى

---

(١) انظر: (الإتحاف ٣١٨، مجمع البيان ٧/ ١٠٠، البحر المحيط ٦/ ٣٩٨).

عن خلق السماء وغيره ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ ما يكفيكم من المعيشة، يعنى العيون ﴿فَأَسْكَنَّاهُ﴾ يعنى فجعلنا ﴿فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ [آية: ١٨] فيغور فى الأرض، يعنى فلا يقدر عليه.

﴿فَأَنشَأْنَا﴾ يعنى فخلقنا ﴿لَكُم بِهِ﴾ بالماء ﴿جَنَّاتٍ﴾ يعنى البساتين ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [آية: ١٩]، ثم قال: ﴿وَ﴾ خلقنا ﴿وَشَجَرَةً﴾ يعنى الزيتون، وهو أول زيتونة خلقت ﴿تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ﴾ يقول: تنبت فى أصل الجبل الذى كلم الله، عز وجل، عليه موسى، عليه السلام، ﴿تَنبُتُ بِالدُّهْنِ﴾ (١) يعنى تخرج بالذى فيه الدهن، يقول: هذه الشجرة تشرب الماء، وتخرج الزيت، فجعل الله، عز وجل، فى هذه الشجرة أدمًا ودهنًا ﴿وَ﴾ هى ﴿وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾ [آية: ٢٠] وكل جبل يحمل الثمار، فهو سيناء يعنى الحسن.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ﴾ يعنى الإبل والبقر والغنم ﴿لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ (٢) يعنى اللبن ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ﴾ يعنى فى ظهورها وألبانها وأوبارها وأصوافها وأشعارها ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [آية: ٢١] يعنى من النعم، ثم قال: ﴿وَعَلَيْهَا﴾ يعنى الإبل ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ [آية: ٢٢] على ظهورها فى أسفاركم، ففى هذا الذى ذكر من هؤلاء الآيات عبرة فى توحيد الرب، عز وجل.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٢٣) فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ (٢٤) إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ (٢٥) قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ (٢٦) فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ (٢٧) فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٨) وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ (٢٩) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ (٣٠)﴾

---

(١) انظر: (القرطبى ١٢/١١٦، الكشاف ٣/٢٩، البحر المحيط ٦/٤٠١).

(٢) انظر: (الإتحاف ٣١٨، الكشاف ٣/٢٩٩، النشر ٢/٣٠٤، الرازى ٢٣/٩٠، العكبرى ٢/٨١).

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ يعنى وحدوا الله ﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ ليس لكم رب غيره ﴿ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [آية: ٢٣] يقول: أفلا تعبدون الله، عز وجل، ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ﴾ يعنى الأشراف ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ ﴾ يعنون نوحًا ﴿ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ ليس له عليكم فضل فى شىء فتتبعونه ﴿ يُرِيدُ ﴾ نوح ﴿ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ ﴾ يعنى لأرسل ﴿ مَلَٰٓئِكَةً ﴾ إلينا فكانوا رسله ﴿ مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا ﴾ التوحيد ﴿ فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [آية: ٢٤].

﴿ إِنْ هُوَ ﴾ يعنون نوحًا ﴿ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ ﴾، يعنى جنونًا ﴿ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ [آية: ٢٥] يعنون الموت ﴿ قَالَ ﴾ نوح: ﴿ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴾ [آية: ٢٦] يقول: انصرنى بتحقيق قولى فى العذاب بأنه نازل بهم فى الدنيا.

﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ ﴾ يقول: اجعل السفينة ﴿ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾ كما نأمرك ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا ﴾ يقول عز وجل: فإذا جاء قولنا فى نزول العذاب بهم فى الدنيا، يعنى الغرق ﴿ وَفَارَ ﴾ الماء من ﴿ ٱلتَّنُّورُ ﴾ وكان التنور فى أقصى مكان من دار نوح، وهو التنور الذى يخبز فيه، وكان فى الشام بعين وردة، ﴿ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ﴾ ذكر وأنثى ﴿ وَأَهْلَكَ ﴾ فاحملهم معك فى السفينة، ثم استثنى من الأهل ﴿ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ﴾ يعنى من سبقت عليهم كلمة العذاب فكان ابنه وامرأته ممن سبق عليه القول من أهله، ثم قال تعالى: ﴿ وَلَا تُخَٰطِبْنِى ﴾ يقول: ولا تراجعنى ﴿ فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ﴾ يعنى أشركوا ﴿ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾ [آية: ٢٧] يعنى بقوله: ولا تخاطبنى. قول نوح عليه السلام لربه عز وجل: ﴿ **إن ابنى من أهلى** ﴾ [هود: ٤٥] يقول الله: ولا تراجعنى فى ابنك كنعان، فإنه من الذين ظلموا.

ثم قال سبحانه: ﴿ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ ﴾ من المؤمنين ﴿ عَلَى ٱلْفُلْكِ ﴾ يعنى السفينة ﴿ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [آية: ٢٨] يعنى المشركين ﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى ﴾ من السفينة ﴿ مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴾ [آية: ٢٩] من غيرك، يعنى بالبركة أنهم توالدوا وكثروا.

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ﴾ يقول: إن فى هلاك قوم نوح بالغرق لعبرة لمن بعدهم، ثم قال: ﴿ وَإِن ﴾ يعنى وقد ﴿ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾ [آية: ٣٠] بالغرق.

﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم

مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ
وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا
تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا
مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ
هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا﴾ يعنى قوم هود، عليه السلام، ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ يعنى من بعد قوم نوح ﴿قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ [آية: ٣١] وهم قوم هود، عليه السلام، ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ يعنى من أنفسهم ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ يعنى أن وحدوا الله ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ يقول: ليس لكم رب غيره ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [آية: ٣٢] يعنى أفهلا تعبدون الله، عز وجل.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ﴾ يعنى الأشراف ﴿مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بتوحيد الله، عز وجل، ﴿وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ يعنى بالبعث الذى فيه جزاء الأعمال ﴿وَأَتْرَفْنَٰهُمْ﴾ يعنى وأغنيناهم ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ﴾ يعنون هودًا، عليه السلام، ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ ليس له عليكم فضل ﴿يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ [آية: ٣٣] ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ [آية: ٣٤] يعنى لعجزة، مثلها فى يوسف عليه السلام.

﴿أَيَعِدُكُمْ﴾ هود ﴿أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾ [آية: ٣٥] من الأرض أحياء بعد الموت ﴿۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ (١) [آية: ٣٦] يقول: هذا حديث قد درس، فلا يذكر ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ يعنى نموت نحن ويحيا آخرون من أصلابنا، فنحن كذلك أبدًا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [آية: ٣٧] بعد الموت مثلها فى الجاثية.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ
ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ
بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا
ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا

(١) انظر: (الإتحاف ٣٠٨، تحبير التيسير ١٤٦، البحر المحيط ٦/٤٠٤، التبيان ٧/٣٢٢، الطبرى ١٨/١٦، القرطبى ١٢/١٢٢، الكشاف ٣/٣٢، الرازى ٢٣/٩٨، النشر ٢/٣٢٨، حاشية يس ٢/١٩٩).

جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُۚ فَأَتۡبَعۡنَا بَعۡضَهُم بَعۡضٗا وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَۚ فَبُعۡدٗا لِّقَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا وَمَا نَحۡنُ لَهُۥ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [آية: ٣٨] ﴿قَالَ﴾ هو: ﴿رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾ [آية: ٣٩] وذلك أن هودًا، عليه السلام، أخبرهم أن العذاب نازل بهم فى الدنيا، فكذبوه، فقال: رب انصرنى بما كذبون فى أمر العذاب ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٖ﴾ قال: عن قليل ﴿لَّيُصۡبِحُنَّ نَٰدِمِينَ﴾ [آية: ٤٠].

﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ بِٱلۡحَقِّ﴾ يعنى صيحة جبريل، عليه السلام، فصاح صيحة واحدة فماتوا أجمعين، فلم يبق منهم أحد ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمۡ غُثَآءٗۚ﴾ يعنى كالشىء البالى من نبت الأرض يحمله السيل، فشبه أجسادهم بالشىء البالى، ﴿فَبُعۡدٗا﴾ فى الهلاك ﴿لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ٤١] يعنى المشركين ﴿ثُمَّ أَنشَأۡنَا﴾ يعنى خلقنا ﴿مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قُرُونًا ءَاخَرِينَ﴾ [آية: ٤٢] يعنى قومًا آخرين، فأهلكناهم بالعذاب فى الدنيا ﴿مَا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ﴾ [آية: ٤٣] عنه.

﴿ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةٗ وَءَاوَيۡنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبۡوَةٖ ذَاتِ قَرَارٖ وَمَعِينٖ ﴿٥٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ ﴾

﴿ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا تَتۡرَاۖ﴾ يعنى الأنبياء، تترا: بعضهم على أثر بعض ﴿كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةٗ رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُۚ﴾ فلم يصدقوه ﴿فَأَتۡبَعۡنَا بَعۡضَهُم بَعۡضٗا﴾ فى العقوبات ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَۚ﴾ لمن بعدهم من الناس يتحدثون بأمرهم وشأنهم ﴿فَبُعۡدٗا﴾ فى الهلاك ﴿لِّقَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ [آية: ٤٤] يعنى لا يصدقون بتوحيد الله، عز وجل.

﴿ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ﴾ [آية: ٤٥] ﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾ يعنى الأشراف، واسم فرعون قيطوس، بآياتنا: اليد والعصا، وسلطان مبين يعنى حجة بينة ﴿فَٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ يعنى فتكبروا عن الإيمان بالله، عز وجل، ﴿وَكَانُواْ قَوۡمًا عَالِينَ﴾ [آية: ٤٦] يعنى متكبرين عن توحيد الله.

﴿فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا﴾ يعنى أنصدق إنسانين مثلنا ليس لهما علينا فضل ﴿وَقَوۡمُهُمَا﴾ يعنى بنى إسرائيل ﴿لَنَا عَٰبِدُونَ﴾ [آية: ٤٧]، ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡلَكِينَ﴾ [آية: ٤٨] بالغرق ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾ يعنى التوراة ﴿لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ [آية: ٤٩] من الضلالة، يعنى بنى إسرائيل، لأن التوراة نزلت بعد هلاك فرعون وقومه.

قوله عز وجل: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ﴾ يعنى عيسى وأمه مريم، عليهما السلام، ﴿ءَايَةً﴾ يعنى عبرة لبنى إسرائيل، لأن مريم حملت من غير بشر، وخلق ابنها من غير أب، ﴿وَءَاوَيۡنَٰهُمَآ﴾ من الأرض المقدسة ﴿إِلَىٰ رَبۡوَةٍ﴾ يعنى الغوطة من أرض الشام بدمشق، يعنى بالربوة المكان المرتفع من الأرض ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ يعنى استواء ﴿وَمَعِينٍ﴾ [آية: ٥٠] يعنى الماء الجارى.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ﴾ يعنى محمدًا ﷺ ﴿كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ الحلال من الرزق ﴿وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ [آية: ٥١] ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ يقول: هذه ملتكم التى أنتم عليها، يعنى ملة الإسلام، ملة واحدة، عليها كانت الأنبياء، عليهم السلام، والمؤمنون الذين نجو من العذاب، الذين ذكرهم الله، عز وجل، فى هذه السورة، ثم قال سبحانه: ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ﴾ [آية: ٥٢] يعنى فاعبدون بالإخلاص.

﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ﴾ يقول: فارقوا دينهم الذى أمروا به فيما بينهم، ودخلوا فى غيره ﴿زُبُرٗاۖ﴾ يعنى قطعًا، كقوله: ﴿**آتونى زبر الحديد**﴾ [الكهف: ٩٦] يعنى قطع الحديد، يعنى فرقًا فصاروا أحزابًا يهودًا، ونصارى، وصابئين، ومجوسًا، وأصنافًا شتى كثيرة، ثم قال سبحانه: ﴿كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾ [آية: ٥٣] يقول: كل أهل بما عندهم من الدين راضون به.

ثم ذكر كفار مكة، فقال تعالى للنبى ﷺ: ﴿فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [آية: ٥٤] يقول: خل عنهم فى غفلتهم إلى أن أقتلهم ببدر.

﴿أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ٥٥ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ٥٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١ وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا

إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا الْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴾

ثم قال سبحانه: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ﴾ يعنى نعطيهم ﴿مِن مَّالٍ وَبَنِينَ﴾ [آية: ٥٥] ﴿نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَٰتِ ۚ﴾ (١) يعنى المال والولد لكرامتهم على الله، عز وجل، يقول: ﴿بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [آية: ٥٦] أن الذى أعطاهم من المال والبنين هو شر لهم: ﴿**إنما نملى لهم ليزدادوا إثما**﴾ [آل عمران: ١٧٨].

ثم ذكر المؤمنين، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ [آية: ٥٧] يعنى من عذابه ﴿وَالَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ٥٨] يعنى هم يصدقون بالقرآن أنه من الله، عز وجل، ثم قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ [آية: ٥٩] معه غيره ولكنهم يوحدون ربهم.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا﴾ (٢) يعنى يعطون ما أعطوا من الصدقات والخيرات ﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ يعنى خائفة لله من عذابه، يعلمون ﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [آية: ٦٠] فى الآخرة، فيعملون على علم، فيجزيهم بأعمالهم، فكذلك المؤمن ينفق ويتصدق وجلا من خشية الله، عز وجل، ثم نعتهم فقال: ﴿أُولَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي الْخَيْرَٰتِ﴾ (٣) يعنى يسارعون فى الأعمال الصالحة التى ذكرها لهم فى هذه الآية ﴿وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [آية: ٦١] الخيرات التى يسارعون إليها.

﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ﴾ يقول: لا نكلف نفسًا من العمل إلا ما أطاقت، ﴿وَلَدَيْنَا﴾ يعنى وعندنا ﴿كِتَٰبٌ﴾ يعنى أعمالهم التى يعملون فى اللوح المحفوظ ﴿يَنطِقُ بِالْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آية: ٦٢] فى أعمالهم ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ﴾ يعنى الكفار ﴿فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ يقول: فى غفلة من إيمان بهذا القرآن ﴿وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ يقول: لهم أعمال خبيثة دون الأعمال الصالحة، يعنى غير الأعمال الصالحة التى ذكرت عن المؤمنين فى هذه الآية، وفى الآية الأولى، ﴿هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾ [آية: ٦٣] يقول: هم لتلك

---

(١) انظر: (القرطبى ١٢/١٣١، البحر المحيط ٦/٤١٠، العكبرى ٢/٨٢).

(٢) انظر: (العكبرى ٢/٨٢، القرطبى ١٢/١٣٢، الكشاف ٣/٣٥، الفراء ٢/٢٣٨، الرازى ٢٣/١٠٧، البحر المحيط ٦/٤١٠).

(٣) انظر: (القرطبى ١٢/١٣٣، الكشاف ٣/٣٥، البحر المحيط ٦/٤١١).

الأعمال الخبيثة عاملون، التى هى فى اللوح المحفوظ أنهم سيعملونها، لابد لهم من أن يعملوها.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم﴾ يعنى أغنياءهم وجبابرتهم ﴿بِٱلۡعَذَابِ﴾ يعنى القتل ببدر ﴿إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ﴾ [آية: ٦٤] إذا هم يضجون إلى الله، عز وجل، حين نزل بهم العذاب، يقول الله عز وجل: ﴿لَا تَجۡـَٔرُواْ ٱلۡيَوۡمَ﴾ لا تضجوا اليوم ﴿إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾ [آية: ٦٥] يقول: لا تمنعون منا، حتى تعذبوا بعد القتل ببدر.

﴿قَدۡ كَانَتۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسۡتَكۡبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرٗا تَهۡجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمۡ لَمۡ يَعۡرِفُواْ رَسُولَهُمۡ فَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمۡ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢۚ بَلۡ جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ وَأَكۡثَرُهُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ خَرۡجٗا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيۡرٞۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٧٣﴾﴾

﴿قَدۡ كَانَتۡ ءَايَٰتِي﴾ يعنى القرآن ﴿تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ يعنى على كفار مكة ﴿فَكُنتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ تَنكِصُونَ﴾ [آية: ٦٦] يعنى تتأخرون عن إيمان به، تكذيبًا بالقرآن، ثم نعتهم فقال سبحانه: ﴿مُسۡتَكۡبِرِينَ بِهِۦ﴾ يعنى آمنين بالحرم بأن لهم البيت الحرام ﴿سَٰمِرٗا﴾ بالليل إضمار فى الباطل، وأنتم آمنون فيه، ثم قال: ﴿تَهۡجُرُونَ﴾ (١) [آية: ٦٧] القرآن فلا تؤمنون به، نزلت فى الملأ من قريش الذين مشوا إلى أبى طالب.

﴿أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ﴾ يعنى أفلم يستمعوا القرآن ﴿أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [آية: ٦٨] يقول: قد جاء أهل مكة النذر، كما جاء آباءهم وأجدادهم الأولين، ﴿أَمۡ لَمۡ يَعۡرِفُواْ رَسُولَهُمۡ﴾ يعنى محمدًا ﷺ بوجهه ونسبه ﴿فَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [آية: ٦٩] فلا يعرفونه، بل يعرفونه ﴿أَمۡ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢۚ﴾ قالوا: إن بمحمد جنونًا، يقول الله، عز وجل: ﴿بَلۡ جَآءَهُم﴾ محمد ﷺ ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ يعنى بالتوحيد ﴿وَأَكۡثَرُهُمۡ لِلۡحَقِّ﴾ يعنى التوحيد ﴿كَٰرِهُونَ﴾ [آية: ٧٠].

---

(١) انظر: (الإتحاف ٣١٦، البحر المحيط ٤١٣/٦، الكشاف ٣٦/٣، مجمع البيان ١١٤/٧).

يقول الله، عز وجل: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ (١) يعنى لو اتبع الله أهواء كفار مكة، فجعل مع نفسه شريكًا ﴿لَفَسَدَتِ﴾ يعنى لهلكت ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ﴾ من الخلق ﴿بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ﴾ يعنى بشرفهم يعنى القرآن ﴿فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ﴾ [آية: ٧١] يعنى القرآن معرضون عنه فلا يؤمنون به.

﴿أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ﴾ يا محمد ﴿خَرۡجٗا﴾ أجرًا على الإيمان بالقرآن ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ﴾ يعنى فأجر ربك ﴿خَيۡرٞۖ﴾ يعنى أفضل من خراجهم ﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [آية: ٧٢] ﴿وَإِنَّكَ لَتَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [آية: ٧٣] يعنى الإسلام لا عوج فيه.

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ (٧٤) ۞ وَلَوۡ رَحِمۡنَٰهُمۡ وَكَشَفۡنَا مَا بِهِم مِّن ضُرّٖ لَّلَجُّواْ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ (٧٥) وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ (٧٦) حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ (٧٧) وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ (٧٨) وَهُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ (٧٩)﴾

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ يعنى لا يصدقون بالبعث ﴿عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ﴾ [آية: ٧٤] يعنى عن الدين لعادلون.

﴿۞ وَلَوۡ رَحِمۡنَٰهُمۡ وَكَشَفۡنَا مَا بِهِم مِّن ضُرّٖ﴾ يعنى الجوع الذى أصابهم بمكة سبع سنين، لقولهم فى حم الدخان: ﴿**ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون**﴾ [الدخان: ١٢] فليس قولهم باستكانة ولا توبة، ولكنه كذب منهم، كما كذب فرعون وقومه حين قالوا لموسى: ﴿**لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك**﴾ [الأعراف: ١٣٤]. فأخبر الله، عز وجل، عن كفار مكة، فقال سبحانه: ﴿۞ وَلَوۡ رَحِمۡنَٰهُمۡ وَكَشَفۡنَا مَا بِهِم مِّن ضُرّٖ﴾ ﴿لَّلَجُّواْ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [آية: ٧٥] يقول: لتمادوا فى ضلالتهم يترددون فيها وما آمنوا.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ﴾ يعنى الجوع ﴿فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ﴾ يقول: فما استسلموا، يعنى الخضوع لربهم ﴿وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [آية: ٧٦] يعنى وما كانوا يرغبون إلى الله، عز وجل، فى الدعاء.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحۡنَا﴾ يعنى أرسلنا ﴿عَلَيۡهِم بَابٗا ذَا عَذَابٖ شَدِيدٍ﴾ يعنى الجوع ﴿إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ﴾ [آية: ٧٧] يعنى آيسين من الخير والرزق نظيرها فى سورة الروم.

(١) انظر: (مجمع البيان ١١١/٧، البحر المحيط ٤١٤/٦).

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ﴾ يعنى خلق لكم ﴿ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ يعنى القلوب فهذا من النعم ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [آية: ٧٨] يعنى بالقليل أنهم لا يشكرون رب هذه النعم فيوحدونه، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ﴾ يعنى خلقكم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [آية: ٧٩] فى الآخرة.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ﴾ الموتى ﴿وَيُمِيتُ﴾ الأحياء ﴿وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [آية: ٨٠] توحيد ربكم فيما ترون من صنعه فتعتبرون، ﴿بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [آية: ٨١] يعنى كفار مكة، قالوا مثل قول الأمم الخالية ﴿قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [آية: ٨٢] قالوا ذلك تعجبًا وجحدًا، وليس باستفهام.

نزلت فى آل طلحة بن عبد العزى منهم: شيبة، وطلحة، وعثمان، وأبو سعيد ومشافع، وأرطأة، وابن شرحبيل، والنضر بن الحارث، وأبو الحارث بن علقمة، ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ﴾ يعنى البعث ﴿إِنْ هَٰذَآ﴾ الذى يقول محمد ﷺ ﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [آية: ٨٣] يعنى أحاديث الأولين وكذبهم ﴿قُل﴾ لكفار مكة: ﴿لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ﴾ من الخلق، حين كفروا بتوحيد الله، عز وجل، ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٨٤] خلقهما ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [آية: ٨٥] فى توحيد الله، عز وجل، فتوحدونه.

﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [آية: ٨٦] ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [آية: ٨٧] يعنى أفلا تعبدون الله، عز وجل،

﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ﴾ يعنى خلق ﴿كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ يقول: يؤمن ولا يؤمن عليه أحد ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٨٨] ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [آية: ٨٩] قل فمن أين سحرتم فأنكرتم أن الله تعالى واحد لا شريك له، وأنتم مقرون بأنه خلق الأشياء كلها، فأكذبهم الله، عز وجل، حين أشركوا به، فقال سبحانه: ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ﴾ يقول: بل جئناهم بالتوحيد ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [آية: ٩٠].

﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

فى قولهم إن الملائكة بنات الله، عز وجل، يقول الله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾ يعنى الملائكة ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ﴾ يعنى من شريك، فلو كان معه إله ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ﴾ كفعل ملوك الدنيا يلتمس بعضهم قهر بعض، ثم نزه الرب نفسه، جل جلاله، عن مقالتهم فقال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [آية: ٩١] يعنى عما يقولون بأن الملائكة بنات الرحمن ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ يعنى غيب ما كان، وما يكون، والشهادة ﴿فَتَعَٰلَىٰ﴾ يعنى فارتفع ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [آية: ٩٢] لقولهم الملائكة بنات الله ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ﴾ [آية: ٩٣] من العذاب، يعنى القتل ببدر، وذلك أن النبى ﷺ أراد أن يدعو على كفار مكة، ثم قال: ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ٩٤] ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ﴾ من العذاب ﴿لَقَٰدِرُونَ﴾ [آية: ٩٥]، ثم قال الله عز وجل يعزى نبيه ﷺ ليصبر على الأذى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ﴾ نزلت فى النبى ﷺ ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ [آية: ٩٦] من الكذب.

ثم أمره أن يتعوذ من الشيطان، فقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ

﴿ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [آية: ٩٧] يعنى الشياطين فى أمر أبى جهل، ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [آية: ٩٨] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ يعنى الكفار ﴿قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ [آية: ٩٩] إلى الدنيا حين يعاين ملك الموت يؤخذ بلسانه، فينظر إلى سيئاته قبل الموت، فلما هجم على الخزى سأل الرجعة إلى الدنيا ليعمل صالحًا فيما ترك، فذلك قوله سبحانه: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ إلى الدنيا ﴿لَعَلِّىٓ﴾ يعنى لكى ﴿أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ من العمل الصالح، يعنى الإيمان، يقول عز وجل: ﴿كَلَّآ﴾ لا يرد إلى الدنيا.

ثم استأنف فقال: ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ يعنى بالكلمة قوله: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾، ثم قال سبحانه: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ﴾ يعنى ومن بعد الموت أجل ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [آية: ١٠٠] يعنى يحشرون بعد الموت.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ يعنى النفخة الثانية ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ يعنى لا نسبة بينهم عم، وابن عم، وأخ، وابن أخ، وغيره، ﴿يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [آية: ١٠١] يقول: ولا يسأل حميم حميمًا ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بالعمل الصالح، يعنى المؤمنين ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آية: ١٠٢] يعنى الفائزين.

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ يعنى الكفار ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟﴾ يعنى غبنوا ﴿أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [آية: ١٠٣] لا يموتون ﴿تَلْفَحُ﴾ يعنى تنفخ ﴿وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾ [آية: ١٠٤] عابسين شفته العليا قالصة لا تغطى أنيابه، وشفته السفلى تضرب بطنه، وثناياه خارجة من فيه بين شفتيه أربعون ذراعًا، بذراع الرجل الطويل من الخلق الأول كل ناب له مثل أحد. يقال لكفار مكة: ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ

عَلَيْكُمْ﴾ يقول: ألم يكن القرآن يقرأ عليكم فى أمر هذا اليوم، وما هو كائن فيكم، ﴿فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [آية: ١٠٥] نظيرها فى الزمر.

﴿قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ التى كتبت علينا ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ﴾ [آية: ١٠٦] عن الهدى، ثم قالوا: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ يعنى من النار ﴿فَإِنْ عُدْنَا﴾ إلى الكفر والتكذيب ﴿فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾ [آية: ١٠٧] ثم رد مقدار الدنيا منذ خلقت إلى أن تفنى سبع مرات ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا﴾ يقول: اصغروا فى النار ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ (١) [آية: ١٠٨] فلا يتكلم أهل النار بعدها أبدًا غير أن لهم زفيرًا أول نهيق الحمار، وشهيقًا آخر نهيق الحمار، ثم قال عز وجل: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى﴾ المؤمنين ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا﴾ يعنى صدقنا بالتوحيد ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [آية: ١٠٩].

﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾ وذلك أن رءوس كفار قريش المستهزئين: أبا جهل، وعتبة، والوليد، وأمية، ونحوهم، اتخذوا فقراء أصحاب النبى ﷺ سخريًا يستهزءون بهم، ويضحكون من خباب، وعمار، وبلال، وسالم مولى أبى حذيفة، ونحوهم من فقراء العرب، فازدروهم، ثم قال: ﴿حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى﴾ حتى ترككم الاستهزاء بهم عن الإيمان بالقرآن ﴿وَكُنتُم مِّنْهُمْ﴾ يا معشر كفار قريش من الفقراء ﴿تَضْحَكُونَ﴾ [آية: ١١٠] استهزاء بهم نظيرها فى ص، يقول الله عز وجل: ﴿إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ فى الآخرة ﴿بِمَا صَبَرُوٓاْ﴾ على الأذى والاستهزاء، يعنى الفقراء من العرب والموالى ﴿أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [آية: ١١١] يعنى هم الناجون.

﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾

﴿قَٰلَ﴾ عز وجل للكفار: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فى الدنيا، يعنى فى القبور ﴿عَدَدَ سِنِينَ﴾ [آية: ١١٢] ﴿قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ استقلوا ذلك يرون أنهم لم

---

(١) انظر: (الكشاف ٣/٤٤، الرازى ٢٣/١٢٥، البحر المحيط ٦/٤٢٣).

يلبثوا فى قبورهم إلا يومًا أو بعض يوم، ثم قال الكفار لله تعالى أو لغيره: ﴿فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ﴾ [آية: ١١٣] يقول: فسل الحساب، يعنى ملك الموت وأعوانه.

﴿قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ﴾ فى القبور ﴿إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آية: ١١٤] إذا لعلمتم أنكم لم تلبثوا إلا قليلاً، ولكنكم لا تعلمون كم لبثتم فى القبور يقول الله، عز وجل: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾ يعنى لعبًا وباطلاً لغير شىء، أن لا تعذبوا إذا كفرتم ﴿وَ﴾ حسبتم ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [آية: ١١٥] فى الآخرة ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾ يعنى ارتفع الله، عز وجل، ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ أن يكون خلق شيئًا عبسًا ما خلق شيئًا إلا لشىء يكون، لقولهم أن معه إلهًا، ثم وحد الرب نفسه تبارك وتعالى، فقال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ [آية: ١١٦].

﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ﴾ يعنى ومن يصف مع الله ﴿إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ يعنى لا حجة له بالكفر، ولا عذر يوم القيامة، نزلت فى الحارث بن قيس السهمى أحد المستهزئين ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ (١) [آية: ١١٧] يقول: جزاء الكافرين، أنه لا يفلح يعنى لا يسعد فى الآخرة عند ربه، عز وجل، ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ﴾ الذنوب ﴿وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [آية: ١١٨] من غيرك يقول: من كان يرحم أحدًا، فإن الله عز وجل بعباده أرحم، وهو خير، يعنى أفضل رحمة من أولئك الذين لا يرحمون.

* * *

---

(١) انظر: (مختصر شواذ القراءات ٩٩، الكشاف ٣/٤٥، الرازى ٢٣/١٢٨، البحر المحيط ٦/٤٢٥، العكبرى ٢/٨٣).

سُورَةُ النُّور

مدنية وهى أربع وستون آية كوفية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي
فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً
وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ
الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ
هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ
يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ
الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَأُ عَنْهَا
الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ
عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾﴾

﴿سُورَةٌ﴾ (١) يريد فريضة وحكم ﴿أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾ يعنى وبيناها ﴿وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ يعنى عز وجل آيات القرآن بينات، يعنى واضحات، يعنى حدوده تعالى وأمره ونهيه، ﴿لَّعَلَّكُمْ﴾ يعنى لكى ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ [آية: ١]، فتتبعون ما فيه من الحدود والنهى.

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ (٢) إذا لم يحصنا ﴿فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ يجلد الرجل على بشرته وعليه إزار، وتجلد المرأة جالسة عليها درعها ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ يعنى رقة فى أمر الله، عز وجل، من تعطيل الحدود عليهما، ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ الذى فيه جزاء الأعمال، فلا تعطلوا الحد، ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا﴾ يعنى جلدهما

---

(١) انظر: (الإتحاف ٣٢٢، العكبرى ٢/٨٣، القرطبى ١٢/١٥٨، الكشاف ٣/٤٦، النحاس ٢/٤٣١، مجمع البيان ٧/١٢٣، الفراء ٢/٢٤٤، البحر المحيط ١٢/١٥٨).

(٢) انظر: (النحاس ٢/٤٣١، شرح الكافية ١/١٧٨، البحر المحيط ٦/٤٢٧، القرطبى ١٢/١٥٩، الكشاف ٣/٤٧، مجمع البيان ٧/١٢٣، الرازى ٢٣/١٣٠).

﴿طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ٢] يعنى رجلين فصاعدا، يكون ذلك نكالا لهما وعظة للمؤمنين.

قال الفراء: الطائفة الواحد فما فوقه ﴿ٱلزَّانِى﴾ من أهل الكتاب ﴿لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾ من أهل الكتاب، ﴿أَوْ﴾ ينكح ﴿مُشْرِكَةً﴾ من غير أهل الكتاب من العرب، يعنى الولائد اللاتى يزنين بالأجر علانية منهن أم شريك جارية عمرو بن عمير المخزومى، وأم مهزول جارية بن أبى السائب بن عايذ، وشريفة جارية زمعة بن الأسود، وجلالة جارية سهيل بن عمرو، وقريبة جارية هشام بن عمرو، وفرشى جارية عبد الله ابن خطل، وأم عليط جارية صفوان بن أمية، وحنة القبطية جارية عبد الله بن خطل، وأم عليط جارية صفوان بن أمية، وحنة القبطية جارية العاص بن وائل، وأميمة جارية عبد الله بن أبى، ومسيكة بنت أمية جارية عبد الله بن نفيل، كل امرأة منهن رفعت علامة على بابها، كعلامة البيطار ليعرف أنها زانية، وذلك أن نفرًا من المؤمنين سألوا النبى ﷺ عن تزويجهن بالمدينة، قالوا: إئذن لنا فى تزويجهن، فإنهن أخصب أهل المدينة وأكثر خيرًا، والمدينة غالية السعر، والخبز بها قليل، وقد أصابنا الجهد، فإذا جاء الله، عز وجل، بالخير طلقناهن وتزوجنا المسلمات، فأنزل الله عز وجل: ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ ﴿وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ﴾ يقول: وحرم تزويجهن ﴿عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ٣].

﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ يعنى نساء المؤمنين بالزنا ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ (١) من الرجال على قولهم ﴿فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً﴾ يجلد بين الضربين على ثيابه ﴿وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا﴾ ما دام حيًا ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [آية: ٤] يعنى العاصين فى مقالتهم.

ثم استثنى، فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ يعنى بعد الرمى ﴿وَأَصْلَحُوا۟﴾ العمل فليسوا بفساق ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لقذفهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ [آية: ٥] بهم فقرأ النبى ﷺ هاتين الآيتين فى خطبة يوم الجمعة، فقال عاصم بن عدى الأنصارى للنبى ﷺ: جعلنى الله فداك، لو أن رجلاً منا وجد على بطن امرأته رجلاً، فتكلم جلد ثمانين جلدة، ولا تقبل له شهادة فى المسلمين أبدًا، ويسميه المسلمون فاسقًا، فكيف لأحدنا عند ذلك بأربعة شهداء، إلى أن تلتمس أحدنا أربعة شهداء فقد فرغ الرجل من حاجته، فأنزل الله عز وجل فى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ﴾ بالزنا ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ

(١) انظر: (الكشاف ٣/٥٠، البحر المحيط ٦/٤٣١، النحاس ٢/٤٣٢، مجمع البيان ٧/١٢٥).

أَحَدِهِمْ﴾ يعنى الزوج ﴿أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [آية: ٦] إلى ثلاث آيات، فابتلى الله، عز وجل، عاصمًا بذلك فى يوم الجمعة الأخرى، فأتاه ابن عمه عويمر الأنصارى من بنى العجلان بن عمرو بن عوف، وتحته ابنة عمه أخى أبيه، فرماها بابن عمه شريك بن السحماء، والخليل والزوج والمرأة كلهم من بنى عمرو بن عوف، وكلهم بنو عم عاصم، فقال: يا عاصم، لقد رأيت شريكًا على بطن امرأتى، فاسترجع عاصم، فأتى النبى ﷺ فقال: أرأيت سؤالى عن هذه والذين يرمون أزواجهم، فقد ابتليت بها فى أهل بيتى، فقال النبى ﷺ: «وما ذاك يا عاصم» فقال: أتانى ابن عمى فأخبرنى أنه وجد ابن عم لنا على بطن امرأته، فأرسل النبى ﷺ إلى الزوج والخليل والمرأة، فأتوه فقال النبى ﷺ لزوجها عويمر: «ويحك اتق الله، عز وجل، فى خليلتك وابنة عمك أن تقذفها بالزنا». فقال الزوج: أقسم لك بالله، عز وجل، إنى رأيته معها على بطنها، وإنها لحبلى منه، وما قربتها منذ أربعة أشهر.

فقال النبى ﷺ للمرأة - خولة بنت قيس الأنصارية -: «ويحك ما يقول زوجك»، قالت: أحلف بالله إنه لكاذب، ولكنه غار، ولقد رآنى معه نطيل السمر بالليل، والجلوس بالنهار، فما رأيت ذلك فى وجهه، وما نهانى عنه قط، فقال النبى ﷺ للخليل: «ويحك ما يقول ابن عمك»، فحدثه مثل قولها، فقال النبى ﷺ للزوج والمرأة: «قوما فأحلفا بالله، عز وجل»، فقام الزوج عند المنبر دبر صلاة العصر يوم الجمعة، وهو عويمر بن أمية، فقال: أشهد بالله أن فلانة زانية، يعنى امرأته خولة، وإنى لمن الصادقين، ثم قال الثانية: أشهد بالله أن فلانة زانية، ولقد رأيت شريكًا على بطنها، وإنى لمن الصادقين، ثم قال الثالثة: أشهد بالله أن فلانة زانية، وإنها لحبلى من غيرى، وإنى لمن الصادقين، ثم قال فى الرابعة: أشهد بالله أن فلانة زانية، وما قربتها منذ أربعة أشهر، وإنى لمن الصادقين، ثم قال الخامسة: لعنة الله على عويمر، إن كان من الكاذبين عليها فى قوله. ﴿وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ (١) [آية: ٧].

---

(١) انظر: (الإتحاف ٣٢٢، البحر المحيط ٦/٤٣٤، السبعة ٤٥٣، النشر ٢/٣٣٠، الكشاف ٢/٥٢، مجمع البيان ٧/١٢٧، التيسير ١٦١، التبيان ٧/٣٦٣، العكبرى ٢/٨٤، العنوان ١٣٢، تحبير التيسير ١٤٧، النحاس ٢/٤٣٣، الحجة المنسوب لابن خالويه ٢٦٠، غيث النفع ٣٠٢، الكشف ٢/١٣٤، الرازى ٢٣/١٦٦).

ثم قامت خولة بنت قيس الأنصارى مقام زوجها، فقالت: أشهد بالله ما أنا بزانية وإن زوجى لمن الكاذبين، ثم قالت الثانية: أشهد بالله ما أنا بزانية، وما رأى شريكًا على بطنى، وإن زوجى لمن الكاذبين، ثم قالت الثالثة: أشهد بالله ما أنا بزانية، وإنى لحبلى منه وإنه لمن الكاذبين، ثم قالت الرابعة: أشهد بالله ما أنا بزانية، وما رأى علىَّ من ريبة ولا فاحشة، وإن زوجى لمن الكاذبين، ثم قالت الخامسة: غضب الله على خولة إن كان عويمرًا من الصادقين فى قوله. ففرق النبى ﷺ بينهما.

فذلك قوله عز وجل: ﴿وَيَدۡرَؤُاْ عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ﴾ يقول: يدفع عنها الحد لشهادتها بعد ﴿أَن تَشۡهَدَ أَرۡبَعَ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [آية: ٨] ﴿وَٱلۡخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ﴾ (١) زوجها ﴿مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [آية: ٩] فى قوله، وكان الخليل رجلاً أسود ابن حبشية، فقال النبى ﷺ: «إذا ولدت فلا ترضع ولدها حتى تأتونى به»، فأتوه بولدها، فإذا هو أشبه الناس بالخليل، فقال النبى ﷺ: «لولا الأيمان، لكان لى فيهما أمر».

والمتلاعنان يفترقان فلا يجتمعان أبدًا، وإن صدقت زوجها لم يتلاعنا، فإن كان زوجها جامعها بعد الدخول بها رجمت ويرثها زوجها، وإن كان لم يجمعها جلدت مائة وهى امرأته، وإن كان الزوج رجع عن قوله قبل أن يفرغا من الملاعنة جلد ثمانين جلدة وكانت امرأته كما هى.

﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو
بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ
ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١١﴾ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ
وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ﴿١٢﴾ لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ
فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ
وَرَحۡمَتُهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ لَمَسَّكُمۡ فِي مَآ أَفَضۡتُمۡ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ
بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ
﴿١٥﴾ وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ
﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ
ٱلۡأٓيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾

---

(١) انظر: (الإتحاف ٣٢٢، البحر المحيط ٦/٤٣٤، النشر ٢/٣٢٠، التبيان ٧/٣٦٣، الرازى ٢٣/١٦٦، تحبير التيسير ١٣٢).

ثم قال الله عز وجل: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ يعنى ونعمته لأظهر المريب يعنى الكاذب منهما، ثم قال: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ﴾ على التائب ﴿حَكِيمٌ﴾ [آية: ١٠] حكم الملاعنة، ثم قال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ﴾ يعنى بالكذب ﴿عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ وذلك أن النبى ﷺ انطلق غازيًا، وانطلقت معه عائشة بنت أبى بكر، رضى الله عنهما، زوج النبى ﷺ، ومع النبى ﷺ يومئذ رفيق له، يقال له: صفوان بن معطل، من بنى سليم، وكان النبى ﷺ إذا سار ليلاً مكث صفوان فى مكانه، حتى يصبح، فإن سقط من المسلمين شىء من متاعهم حمله إلى العسكر فعرفه، فإذا جاء صاحبه دفعه إليه، وأن عائشة، رضى الله عنها، لما نودى بالرحيل ذات ليلة ركبت الرحل، فدخلت هودجها، ثم ذكرت حليًا كان لها نسيته فى المنزل، فنزلت لتأخذ الحلى، ولا يشعر بها صاحب البعير، فانبعث فسار مع المعسكر، فلما وجدت عائشة، رضى الله عنها، حليها، وكان جزعًا ظفاريًا لا ذهب فيه، ولا فضة، ولا جوهر، فإذا البعير قد ذهب، فجعلت تمشى على إثره وهى تبكى، وأصبح صفوان بن المعطل فى المنزل، ثم سار فى أثر النبى ﷺ وأصحابه، فإذا هو بعائشة، رضى الله عنها، قد غطت وجهها تبكى، فقال صفوان: من هذا؟ فقالت: أنا عائشة، فاسترجع ونزل عن بعيره، وقال: ما شأنك يا أم المؤمنين؟ فحدثته بأمر الحلى فحملها على بعيره، ونزل النبى ﷺ ففقد عائشة، رضى الله عنها، فلم يجدها فلبثوا ما شاء الله، ثم جاء صفوان وقد حملها على بعيره، فقذفها عبد الله بن أبى، وحسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف، وحمنة بنت جحش أخت عبد الله بن جحش الأسدى.

يقول الله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم﴾ لأنكم تؤجرون على ما قد قيل لكم من الأذى ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ حين أمرتم بالتثبت والعظة ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ﴾ على قدر ما خاض فيه من أمر عائشة، رضى الله عنها، وصفوان بن المعطل السلمى، ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ﴾ (١) يعنى عظمة منهم، يعنى من العصبة، وهو عبد الله ابن أبى رأس المنافقين، وهو الذى قال: ما برئت منه، وما برئ منها، ﴿لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آية: ١١] أى شديد.

(١) انظر: (تهذيب اللغة «كبر»، الإتحاف ٣٢٣، لسان العرب «كبر»، تحبير التيسير ١٤٧، الطبرى ٦٩/١٨، القرطبى ٢٠٠/١٢، النشر ٣٣١/٢، البحر المحيط ٤٣٧/٦، مجمع البيان ١٢٩/٧، النحاس ٤٣٤/٢، والرازى ١٧٤/٢٣، التبيان ٣٩٨/٧، الآلوسى ١١١٥/١٨، مختصر شواذ القراءات ١٠١).

ففى هذه الآية عبرة لجميع المسلمين إذا كانت بينهم خطيئة، فمن أعلن عليها بفعل، أو كلام، أو عرض، أو أعجبه ذلك، أو رضى به، فهو شريك فى تلك الخطيئة على قدر ما كان بينهم، والذى تولى كبره، يعنى الذى ولى الخطيئة بنفسه، فهو أعظم إثمًا عند الله، وهو المأخوذ به، قال: فإذا كانت خطيئة بين المسلمين فمن شهد وكره، فهو مثل الغائب، ومن غاب ورضى فهو كمن شهد، ثم وعظ الذين خاضوا فى أمر عائشة، رضى الله عنها، فقال: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ يقول: هلا إذ سمعتم قذف عائشة، رضى الله عنها، بصفوان كذبتم به ألا ﴿ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾ لأن فيهم حمنة بنت جحش ﴿بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ يقول: ألا ظن بعضهم ببعض خيرًا بأنهم لم يزنوا ﴿وَ﴾ ألا ﴿وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [آية: ١٢] يقول: ألا قالوا هذا القذف كذب بين، ثم ذكر الذين قذفوا عائشة، فقال: ﴿لَّوْلَا﴾ يعنى هلا ﴿جَآءُو عَلَيْهِ﴾ يعنى على القذف ﴿بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ﴾ : بأربعة شهداء ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [آية: ١٣] فى قولهم، يعنى الذين قذفوا عائشة، رحمها الله، ثم قال: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ يعنى ونعمته ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آية: ١٤] يقول: لأصابكم فيما قلتم من القذف العقوبة فى الدنيا والآخرة، فيها تقديم ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ (١) يقول: إذ يرويه بعضكم عن بعض ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم﴾ يعنى بألسنتكم ﴿مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ يقول: من غير أن تعلموا أن الذى قلتم من القذف حق ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا﴾ يقول: تحسبون القذف ذنبًا هينًا ﴿وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [آية: ١٥] فى الوزر، ثم وعظ الذين خاضوا فى أمر عائشة، رضى الله عنها، فقال سبحانه: ﴿وَلَوْلَآ﴾ يعنى هلا ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ يعنى القذف ﴿قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ﴾ يعنى ما ينبغى لنا ﴿أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾ الأمر هلا قلتم مثل ما قال سعد بن معاذ، رضى الله عنه، وذلك أن سعدًا لما سمع القول فى أمر عائشة، قال: سبحانك هذا بهتان عظيم.

ثم قال عز وجل: ألا قلتم ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ يعنى ألا نزهتم الرب جل جلاله عن أن يعصى وقلتم ﴿هَٰذَا﴾ القول ﴿بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [آية: ١٦] لشدة قولهم، والبهتان الذى يبهت، فيقول ما لم يكن من قذف أو غيره، ثم وعظ الذين خاضوا فى أمر عائشة رضى

---

(١) انظر: (الفراء ٢/٢٤٨، تهذيب اللغة «ولوق»، البحر المحيط ٦/٤٣٨، الطبرى ١٨/٧٠٨، القرطبى ١٢/٢٠٤، الكشاف ٣/٥٤، مجمع البيان ٧/١٢٩، التبيان ٧/٣٦٩، النحاس ٢/٤٣٥، لسان العرب «ولق»).

الله عنها، فقال: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا﴾ يعنى القذف أبدًا ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آية: ١٧] ﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ يعنى أموره ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [آية: ١٨].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (١٩) وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٢٠)﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ﴾ يعنى من قذف عائشة، رضى الله عنها، وصفوان ﴿أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ﴾ يعنى أن يظهر الزنا، أحبوا ما شاع لعائشة، رضى الله عنها، من الثناء السيئ ﴿فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فى صفوان وعائشة، رضى الله عنهما، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يعنى وجيع ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ يعنى عذاب النار ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [آية: ١٩] ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ يعنى نعمته لعاقبكم فيما قلتم لعائشة، رضى الله عنها، ثم قال عز وجل: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ﴾ يعنى رفيق بكم ﴿رَّحِيمٌ﴾ [آية: ٢٠] بكم حين عفا عنكم، فلم يعاقبكم فى أمر عائشة، رضى الله عنها.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢١) وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٢)﴾

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ يعنى تزيين الشيطان فى قذف عائشة، رضى الله عنها، ﴿وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ يعنى بالمعاصى ﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾ يعنى ما لا يعرف ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ يعنى نعمته ﴿مَا زَكَىٰ﴾ (١) يعنى ما صلح ﴿مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى﴾ يعنى يصلح ﴿مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لقولهم لعائشة ﴿عَلِيمٌ﴾ [آية: ٢١] به.

---

(١) انظر: (البحر المحيط ٤٣٩/٦، الإتحاف ٣٢٣).

﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ [١] يعنى ولا يحلف ﴿أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ﴾ يعنى فى الغنى ﴿وَٱلسَّعَةِ﴾ فى الرزق، يعنى أبا بكر الصديق، رضى الله عنه، ﴿أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ يعنى مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف، وأمه اسمها أسماء بنت أبى جندل بن نهشل، قرابة أبى بكر الصديق ابن خالته، ﴿وَٱلْمَسَٰكِينَ﴾ لأن مسطحًا كان فقيرًا ﴿وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ لأنه كان من المهاجرين الذين هاجروا إلى المدينة ﴿وَلْيَعْفُواْ﴾ يعنى وليتركوا ﴿وَلْيَصْفَحُوٓاْ﴾ [٢] يعنى وليتجاوزوا عن مسطح ﴿أَلَا تُحِبُّونَ﴾ يعنى أبا بكر ﴿أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [آية: ٢٢] يعنى بالمؤمنين، فقال النبى ﷺ لأبى بكر رضى الله عنه: «أما تحب أن يغفر الله تعالى لك»؟ قال: بلى، قال: «فاعف واصفح»، فقال أبو بكر رضى الله عنه: قد عفوت وصفحت لا أمنعه معروفًا بعد اليوم، وقد جعلت له مثل ما كان قبل اليوم، وكان أبو بكر، رضى الله عنه، قد حرمه تلك العطية حين ذكر عائشة، رضى الله عنها، بالسوء.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغْفِرَةٞ وَرِزْقٞ كَرِيمٞ ﴿٢٦﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ﴾ يعنى يقذفون بالزنا ﴿ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ لفروجهن عفائف، يعنى عائشة، رضى الله عنها، ﴿ٱلْغَٰفِلَٰتِ﴾ عن الفواحش ﴿ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ يعنى المصدقات ﴿لُعِنُواْ﴾ يعنى عذبوا بالجلد ثمانين، ﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَ﴾ فى ﴿وَٱلْأٓخِرَةِ﴾ بعذاب النار، يعنى عبد الله بن أبى يعذب بالنار؛ لأنه منافق ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [آية: ٢٣] ثم ضرب النبى ﷺ عبد الله بن أبى، وحسان بن ثابت، ومسطح، وحمنة بنت جحش، كل واحد منهم ثمانين فى قذف عائشة، رضى الله عنها.

(١) انظر: (الفراء ٢/٢٤٨، الإتحاف ٣٢٣، الطبرى ١٨/٨١، الكشاف ٣/٥٦، ٢ النشر/٣٣١، التبيان ٧/٣٧٢، البحر المحيط ٦/٤٤٠، العكبرى ٢/٨٤، النحاس ٢/٤٣٦، تحبير التيسير ١٤٨، مجمع البيان ٧/١٢٩، الآلوسى ١٨/١٢٥).

(٢) انظر: (مجمع البيان ٧/١٣٣، البحر المحيط ٦/٤٤٠).

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٢٤] ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ فى الآخرة ﴿يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ (١) يعنى حسابهم بالعدل لا يظلمون ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [آية: ٢٥] يعنى العدل البين.

ثم قال تعالى: ﴿الْخَبِيثَاتُ﴾ يعنى السيئ من الكلام ﴿لِلْخَبِيثِينَ﴾ من الرجال والنساء الذين قذفوا عائشة، لأنه يليق بهم الكلام السيئ ﴿وَالْخَبِيثُونَ﴾ من الرجال والنساء ﴿لِلْخَبِيثَاتِ﴾ يعنى السيئ من الكلام لأنه يليق بهم الكلام السيئ.

ثم قال سبحانه: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ﴾ يعنى الحسن من الكلام ﴿لِلطَّيِّبِينَ﴾ من الرجال والنساء، يعنى عز وجل الذين ظنوا بالمؤمنين والمؤمنات خيرًا ﴿وَالطَّيِّبُونَ﴾ من الرجال والنساء ﴿لِلطَّيِّبَاتِ﴾ يعنى الحسن من الكلام، لأنه يليق بهم الكلام الحسن، ثم قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ يعنى مما يقول هؤلاء القاذفون الذين قذفوا عائشة، رضى الله عنها، هم مبرأون من الخبيثات من الكلام ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [آية: ٢٦] يعنى رزقًا حسنًا فى الجنة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا﴾ (٢) يعنى حتى تستأذنوا ﴿وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾ فيها تقديم فابدءوا بالسلام قبل الاستئذان، وذلك أنهم كانوا فى الجاهلية يقول بعضهم لبعض: حييت صباحًا ومساءً، فهذه كانت تحية القوم بينهم، حتى نزلت هذه الآية، ثم قال: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ يعنى السلام والاستئذان ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ يعنى أفضل لكم من أن تدخلوا بغير إذن ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [آية: ٢٧] أن التسليم والاستئذان خير لكم، فتأخذون به، ويأخذ أهل البيت حذرهم، ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا

---

(١) انظر: (الطبرى ١٨/٨٤، القرطبى ١٢/٢١٠، مجمع البيان ٧/١٣٣، التبيان ٧/٣٧٤، الكشاف ٣/٥٦، البحر المحيط ٦/٤٤١).

(٢) انظر: (الطبرى ١٨/٨٧، القرطبى ١٢/٢١٣، الكشاف ٣/٥٩، البحر المحيط ٦/٤٤٥، الرزاى ٢٣/١٩٦، التبيان ٧/٣٧٧).

فِيهَآ أَحَدًا﴾ يعنى فى البيوت ﴿فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ﴾ فى الدخول ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ﴾ ولا تقعدوا ولا تقوموا على أبواب الناس، فإن لهم حوائج ﴿هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ﴾ يقول: الرجعة خير لكم من القيام والقعود على أبوابهم، ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ [آية: ٢٨] إن دخلتم بإذن أو بغير إذن، فمن دخل بيتًا بغير إذن أهله، قال له ملكاه اللذان يكتبان عليه: أفٍّ لك عصيت وآذيت، يعنى عصيت الله، عز وجل، وآذيت أهل البيت، فلما نزلت آية التسليم والاستئذان فى البيوت، قال أبو بكر الصديق، رضى الله عنه، للنبى ﷺ: فكيف بالبيوت التى بين مكة والمدينة والشام على ظهر الطريق ليس فيها ساكن؟ فأنزل الله عز وجل فى قول أبى بكر الصديق، رضى الله عنه: ﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ﴾ يعنى حرج ﴿أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ﴾ ليس بها ساكن ﴿فِيهَا مَتَٰعٞ﴾ يعنى منافع ﴿لَّكُمۡۚ﴾ من البرد والحر، يعنى الخانات والفنادق ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ﴾ يعنى ما تعلنون بألسنتكم ﴿وَمَا تَكۡتُمُونَ﴾ [آية: ٢٩] يعنى ما تسرون فى قلوبكم.

﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآئِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوۡ نِسَآئِهِنَّ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾

﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ﴾ يخفضوا ﴿مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ﴾ ومن هاهنا صلة، يعنى يحفظوا أبصارهم كلها عما لا يحل النظر إليه، ﴿وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ﴾ عن الفواحش ﴿ذَٰلِكَ﴾ الغض للبصر، والحفظ للفرج ﴿أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ﴾ يعنى خيرًا لهم، من أن لا يغضوا الأبصار، ولا يحفظوا الفروج، ثم قال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾ [آية: ٣٠] فى الأبصار والفروج، نزلت هذه الآية والتى بعدها فى أسماء بنت مرشد كان لها فى بنى حارثة نخل يسمى الوعل، فجعلت النساء يدخلنه غير متواريات، يظهرن ما على صدورهن وأرجلهن وأشعارهن، فقالت أسماء: ما أقبح هذا.

فأنزل الله عز وجل: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ يعنى الوجه والكفين وموضع السوارين ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ يعنى على صدورهن ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ يعنى عز وجل ولا يضعن الجلباب ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ يعنى أزواجهن ﴿أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ﴾.

ثم قال: ﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ يعنى نساء المؤمنات كلهن ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ من العبيد ﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ﴾ وهو الرجل يتبع الرجل فيكون معه من غير عبيده، من ﴿غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ يقول: من لا حاجة له فى النساء: الشيخ الهرم، والعنين، والخصى، والعجوب، ونحوه، ثم قال سبحانه: ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ﴾ يعنى الغلمان الصغار ﴿ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ لا يدرون ما النساء من الصغر، فلا بأس بالمرأة أن تضع الجلباب عند هؤلاء المسمين فى هذه الآية، ثم قال تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ﴾ يقول: ولا يحركن أرجلهن ﴿لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ يعنى الخلخال، وذلك أن المرأة يكون فى رجلها خلخال فتحرك رجلها عمدًا ليسمع صوت الجلاجل، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ﴾ ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ من الذنوب التى أصابوها مما فى هذه السورة ﴿أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ مما نهى عنه عز وجل من أول هذه السورة إلى هذه الآية ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ يعنى لكى ﴿تُفْلِحُونَ﴾ [آية: ٣١].

﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ (٣٢) وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٣) وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٣٤)﴾

﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ يعنى الأحرار بعضكم بعضًا، يعنى من الأزواج من رجل، أو امرأة، وهما حران فأمر الله، عز وجل، أن يزوجا، ثم قال سبحانه: ﴿وَ﴾ أنكحوا ﴿وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾ يقول: وزوجوا المؤمنين من عبيدكم وإمائكم، فإنه أغض للبصر، وأحفظ للفرج، ثم رجع إلى الأحرار، فيها تقديم ﴿إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ﴾ لا سعة لهم فى التزويج ﴿يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ الواسع فوعدهم أن يوسع عليهم عند

التزويج ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ لخلقه ﴿عَلِيمٌ﴾ [آية: ٣٢] بهم، فقال عمر، رضى الله عنه: ما رأيت أعجز ممن لم يلتمس الغناء فى الباءة، يعنى النساء، يعنى قول الله، عز وجل: ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ .

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ﴾ عن الزنا، ويقال: نكاح الأمة ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ يعنى سعة التزويج ﴿حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ يعنى يرزقه فيتزوج الحرائر تزوجوا الإماء، ﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ يعنى عبيدكم ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ يعنى مالاً، نزلت فى حويطب بن عبد العزى، وفى غلامه صبيح القبطى، وذلك أنه طلب إلى سيده المكاتبه على مائة دينار، ثم وضع عنه عشرين دينارًا، فأداها وعتق، ثم إن صبيحًا يوم حنين أصابه سهم فمات منه، ثم أمر الله تبارك وتعالى أن يعينوا فى الرقاب، فقال: ﴿وَءَاتُوهُم﴾ يعنى وأعطوهم ﴿مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾ يقول: ولا تكرهوا ولائدكم على الزنا، نزلت فى عبد الله بن أبى المنافق، وفى جاريته أميمة، وفى عبد الله بن نتيل المنافق، وفى جاريته مسيكة، وهى بنت أميمة، ومنهن أيضًا معاذة، وأروى، وعمرة، وقتيلة، فأتت أميمة وابنتها مسيكة للنبى ﷺ، فقالت: إنا نكره على الزنا، فأنزل الله عز وجل هذه الآية: ﴿وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾ ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ يعنى تعففًا عن الفواحش، ﴿لِّتَبْتَغُواْ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يعنى كسبهن وأولادهن من الزنا ﴿وَمَن يُكْرِههُّنَّ﴾ على الزنا ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ﴾ لهن فى قراءة ابن مسعود ﴿غَفُورٌ﴾ لذنوبهن ﴿رَّحِيمٌ﴾ (١) [آية: ٣٣] بهن، لأنهن مكرهات.

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ﴾ يعنى الحلال والحرام والحدود وأمره ونهيه مما ذكر فى هذه السورة إلى هذه الآية، ثم قال سبحانه: ﴿وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ﴾ يعنى سنن العذاب فى الأمم الخالية، حين كذبوا رسلهم ﴿وَمَوْعِظَةً﴾ يعنى وعظة ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آية: ٣٤].

﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ

(١) انظر: (مجمع البيان ١٣٩/٧، القرطبى ٢٥٥/١٢، الكشاف ٦٧/٣).

ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ
أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يقول: الله هادى أهل السموات والأرض، ثم انقطع الكلام، وأخذ فى نعت نبيه ﷺ وما ضرب له من المثل، فقال سبحانه: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ مثل نور محمد ﷺ إذا كان مستودعًا فى صلب أبيه عبد الله بن عبد المطلب ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾ يعنى بالمشكاة الكوة ليست بالنافذة ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ يعنى السراج ﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾ (١) الصافية تامة الصفاء، يعنى بالمشكاة صلب عبد الله أبى محمد ﷺ، ويعنى بالزجاجة جسد محمد ﷺ، ويعنى بالسراج الإيمان فى جسد محمد ﷺ، فلما خرجت الزجاجة فيها المصباح من الكوة صارت الكوة مظلمة، فذهب نورها، والكوة مثل عبد الله، ثم شبه الزجاجة بمحمد ﷺ فى كتب الأنبياء، عليهم السلام، لا خفاء فيه كضوء الكوكب الدرى، وهو الزهرة فى الكواكب، ويقال: المشترى وهو البرجرس بالسريانية، ﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ﴾ (٢) يعنى بالشجرة المباركة إبراهيم خليل الرحمن ﷺ، يقول: يوقد محمد من إبراهيم، عليهما السلام، وهو من ذريته، ثم ذكر إبراهيم، عليه السلام، فقال سبحانه: ﴿زَيْتُونَةٍ﴾ قال: طاعة حسنة ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ يقول: لم يكن إبراهيم، عليه السلام، يصلى قبل المشرق كفعل النصارى، ولا قبل المغرب كفعل اليهود، ولكنه كان يصلى قبل الكعبة، ثم قال: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ يعنى إبراهيم يكاد علمه يضىء.

وسمعت من يحكى، عن أبى صالح فى قوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ﴾ قال: يكاد محمد ﷺ أن يتكلم بالنبوة قبل أن يوحى إليه، يقول: ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ يقول: ولو لم تأته النبوة لكانت طاعته مع طاعة الأنبياء، عليهم السلام، ثم قال عز وجل: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ قال محمد ﷺ نبى خرج من صلب نبى، يعنى إبراهيم، عليهما السلام، ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ قال: يهدى الله لدينه من يشاء من عباده، وكأن الكوة مثلا لعبد الله بن عبد المطلب، ومثل السراج مثل الإيمان، ومثل الزجاجة مثل جسد محمد ﷺ، ومثل الشجرة المباركة مثل إبراهيم، عليهما السلام، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَـٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [آية: ٣٥].

---

(١) انظر: (الكشاف ٦٨/٣، الرازى ٢٣، ٢٣٥، القرطبى ٢٦١/١٢، البحر المحيط ٤٥٦/٦).
(٢) انظر: (البحر المحيط ٤٥٦/٦، النحاس ٤٤١/٢، الرازى ٢٣٦/٢٣، العكبرى ٤٤١/٢).

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ﴾ يقول: أمر الله، عز وجل، أن ترفع، يعنى أن تبنى، أمر الله عز وجل برفعها وعمارتها ﴿وَ﴾ أمر أن ﴿وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ﴾ يعنى يوحد الله عز وجل نظيرها فى البقرة: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾[1] [آية: ٣٦] يقول: يصلى لله عز وجل.

﴿رِجَالٌ﴾ فيها تقديم بالغدو والعشى، ثم نعتهم، فقال سبحانه: ﴿لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٌ﴾ يعنى شراء ﴿وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ يعنى الصلوات المفروضة ﴿وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ يقول: لا تلهيهم التجارة عن إقام الصلاة، وإعطاء الزكاة، ثم أخبر عنهم، فقال سبحانه: ﴿يَخَافُونَ يَوۡمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ﴾ حين زالت من أماكنها من الصدور فنشبت فى حلوقهم عند الحناجر، قال: ﴿وَٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [آية: ٣٧] يعنى تقلب أبصارهم فتكون زرقًا.

﴿لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا﴾ يعنى الذى ﴿عَمِلُواْ﴾ من الخير ولهم مساوئ، فلا يجزيهم بها ﴿وَيَزِيدَهُم﴾ على أعمالهم ﴿مِّن فَضۡلِهِۦۗ﴾ فضلا على أعمالهم ﴿وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ [آية: ٣٨] يقول الله تعالى: ليس فوقى ملك يحاسبنى، أنا الملك، أعطى من شئت بغير حساب، لا أخاف من أحد يحاسبنى.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٍ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ بتوحيد الله مثل ﴿أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾ الخبيثة ﴿كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٍ﴾[2] يعنى عز وجل بالسراب الذى يرى فى الشمس بأرض قاع ﴿يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ﴾ يعنى العطشان ﴿مَآءً﴾ فيطلبه ويظن أنه قادر عليه ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ﴾ يعنى أتاه ﴿لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا﴾ فهكذا الكافر إذا انتهى إلى عمله يوم القيامة وجده لم يغن عنه شيئًا، لأنه عمله فى غير إيمان، كما لم يجد العطشان السراب شيئًا حتى انتهى إليه، فمات من العطش، فهكذا الكافر يهلك يوم القيامة كما هلك العطشان حين انتهى إلى السراب، يقول:

---

(١) انظر: (البحر المحيط ٦/٤٥٨، الرازى ٢٤/٤، التبيان ٧/٣٨٩).

(٢) انظر: (القرطبى ١٢/٢٨٣، البحر المحيط ٦/٤٦٠).

﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ﴾ جل جلاله بالمرصاد و ﴿عِندَهُۥ﴾ عمله ﴿فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ﴾ يقول: فجازاه بعمله لم يظلمه ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [آية: ٣٩] يخوفه بالحساب كأنه قد كان، نزلت في شيبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، وكان يلتمس الدين في الجاهلية، ويلبس الصفر، فكفر في الإسلام.

ثم ضرب الله عز وجل لشيبة وكفره بالإيمان مثلاً آخر، فقال: ﴿أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ﴾ يعني في بحر عميق، والبحر إذا كان عميقًا كان أشد لظلمته، يعني بالظلمات الظلمة التي فيها الكافر، والبحر اللجي قلب الكافر ﴿يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ﴾ فوق الماء، ثم يذهب عنه ذلك الموج، ثم يغشاه موج آخر مكان الموج الأول، فذلك قوله عز وجل: ﴿يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ﴾ فهي ظلمة الموج، وظلمة الليل، وظلمة البحر والسحاب، يقول: وهذه ظلمات ﴿بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ﴾ فهكذا الكافر قلبه مظلم، في صدر مظلم، في جسد مظلم، لا يبصر نور الإيمان، كما أن صاحب البحر ﴿إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ﴾ في ظلمة الماء ﴿لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ﴾ يعني لم يرها البتة، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا﴾ يعني الهدى الإيمان ﴿فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [آية: ٤٠] يعني من هدى.

﴿إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ﴾ لم يقارب به البصر، كقول الرجل لم يصب، ولم يقارب.

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِي سَحَابٗا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيۡنَهُۥ ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ رُكَامٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٤٥﴾﴾

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ﴾ يقول: ألم تعلم أن الله يذكره ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ من الملائكة ﴿وَ﴾ من في ﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾ من المؤمنين: من الإنس والجن ﴿وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ﴾ الأجنحة ﴿كُلّٞ﴾ من فيها: في السموات والأرض ﴿قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ﴾ من الملائكة،

والمؤمنين من الجن والإنس، ثم قال عز وجل: ﴿وَتَسْبِيحَهُۥ﴾ يعنى ويذكره كل مخلوق بلغته غير كفار الإنس والجن ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [آية: ٤١].

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آية: ٤٢] فى الآخرة ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ﴾ يقول: ألم تعلم أن الله ﴿يُزْجِى﴾ يعنى يسوق ﴿سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ﴾ يعنى يضم بعضه إلى بعض، ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا﴾ يعنى قطعًا يحمل بعضها على إثر بعض، ثم يؤلف بينه، يعنى يضم السحاب بعضه إلى بعض بعد الركام ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ يقول: فترى المطر يخرج من خلال السحاب، ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ﴾ بالبرد ﴿مَن يَشَآءُ﴾ فيضر فى زرعه وثمره، ﴿وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ﴾ فلا يضره فى زرعه، ولا فى ثمره ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ﴾ (١) يقول: ضوء برقه ﴿يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [آية: ٤٣].

﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ﴾ يعنى بالتقلب اختلافهما: أنه يأتى بالليل ويذهب بالنهار، ثم يأتى بالنهار، ويذهب بالليل ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ الذى ذكر من صنعه ﴿لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [آية: ٤٤] يعنى لأهل البصائر فى أمر الله، عز وجل.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ﴾ يعنى الهوام ﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ﴾ الإنس والجن والطير ﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ﴾ قوائم، يعنى الدواب والأنعام والوحش والسباع ﴿يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من الخلق ﴿قَدِيرٌ﴾ [آية: ٤٥].

﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾﴾

---

(١) انظر: (القرطبى ١٢/٢٩٠، الرازى ٢٤/١٥، البحر المحيط ٦/٤٦٥، شرح التصريح ٢/٢٩٣).

﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ﴾ لما فيه من أمره ونهيه ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آية: ٤٦] يعنى إلى دين مستقيم، يعنى الإسلام، وغيره من الأديان ليس بمستقيم.

﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ يعنى صدقنا بتوحيد الله، عز وجل، ﴿وَبِٱلرَّسُولِ﴾ يعنى محمدًا ﷺ أنه من الله، عز وجل، نزلت فى بشر المنافق، ﴿وَأَطَعْنَا﴾ قولهما ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ يعنى ثم يعرض عن طاعتهما طائفة منهم ﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ يعنى من بعد الإيمان بالله، عز وجل، ورسوله ﷺ ﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ٤٧] يعنى عز وجل بشر المنافق.

ثم أخبر عنه، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ يعنى من المنافقين ﴿مُّعْرِضُونَ﴾ [آية: ٤٨] عن النبى ﷺ إلى كعب بن الأشرف، وذلك أن رجلاً من اليهود كان بينه وبين بشر خصومة، وأن اليهودى دعا بشرًا إلى النبى ﷺ، ودعاه بشر إلى كعب، فقال بشر: إن محمدًا يحيف علينا.

يقول الله عز وجل: ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ يعنى بشر المنافق ﴿يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ [آية: ٤٩] يأتوا إليه طائعين مسارعين إلى النبى ﷺ ﴿أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ يعنى الكفر ﴿أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ﴾ أم شكوا فى القرآن ﴿أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يعنى أن يجور الله عز وجل عليهم ﴿وَرَسُولُهُۥ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [آية: ٥٠]، ثم نعت الصادقين فى إيمانهم.

فقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾(١) يعنى إلى كتابه ورسوله، يعنى أمر رسوله ﷺ ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا﴾ قول النبى ﷺ ﴿وَأَطَعْنَا﴾ أمره ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آية: ٥١].

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فى أمر الحكم ﴿وَيَخْشَ ٱللَّهَ﴾ فى ذنوبه التى عملها، ثم قال تعالى: ﴿وَيَتَّقْهِ﴾ ومن يتق الله تعالى، فيما بعد فلم يعصه ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [آية: ٥٢]، يعنى الناجون من النار، فلما بين الله، عز وجل، كراهية المنافقين لحكم النبى ﷺ أتوه، فقالوا: والله لو أمرتنا أن نخرج من ديارنا وأموالنا ونسائنا لخرجنا أفنحن لا

---

(١) انظر: (القرطبى ١٢/٢٩٥، الكشاف ٣/٧٢، البحر المحيط ٦/٤٦٨، العكبرى ٢/٨٦، الإتحاف ٣٢٦، النحاس ٢/٤٥٠، مجمع البيان ٧/١٤٩، الرازى ٢٤/٢٢).

نرضى بحكمك، فأنزل الله تبارك وتعالى فيما حلفوا للنبى ﷺ: ﴿۞ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ﴾ يعنى حلفوا بالله، يعنى المنافقين ﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ فإنه من حلف بالله عز وجل، فقد اجتهد فى اليمين، ﴿لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ﴾ يعنى النبى ﷺ، ﴿لَيَخْرُجُنَّ﴾ من الديار والأموال كلها ﴿قُل﴾ لهم: ﴿لَّا تُقْسِمُوا﴾ لا تحلفوا، ولكن هذه منكم ﴿طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ﴾ يعنى طاعة حسنة للنبى ﷺ ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٥٣] من الإيمان والشرك.

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾﴾

ثم أمرهم بطاعته عز وجل وطاعة رسوله ﷺ، فقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ فيما أمرتم، ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ يعنى أعرضتم عن طاعتهما، ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ﴾ يعنى النبى ﷺ ﴿مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾ يقول: فإنما على محمد ﷺ ما أمر من تبليغ الرسالة، وعليكم ما أمرتم من طاعتهما، ثم قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ﴾ يعنى النبى ﷺ ﴿تَهْتَدُوا﴾ من الضلالة، وإن عصيتموه، فإنما على رسولنا محمد ﷺ البلاغ المبين، يعنى ليس عليه إلا أن يبلغ ويبين ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [آية: ٥٤].

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وذلك أن كفار مكة صدوا المسلمين عن العمرة عام الحديبية، فقال المسلمون: لو أن الله عز وجل فتح علينا مكة ودخلناها آمنين، فسمع الله عز وجل قولهم، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ يعنى أرض مكة ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من بنى إسرائيل وغيرهم، وعدهم أن يستخلفهم بعد هلاك كفار مكة ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ﴾ الإسلام حتى يشيع الإسلام ﴿الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ يعنى الذى رضى لهم ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ﴾ من كفار أهل مكة ﴿أَمْنًا﴾ لا يخافون أحدًا ﴿يَعْبُدُونَنِي﴾ يعنى يوحدوننى ﴿لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ من الآلهة ﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ التمكين فى الأرض، ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آية: ٥٥] يعنى العاصين.

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يعنى وأتموا الصلاة، ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ فيما أمركم ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آية: ٥٦] يقول: لكى ترحموا، فلا تعذبوا ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من أهل مكة ﴿مُعْجِزِينَ﴾، يعنى سابقى الله ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ حتى يجزيهم الله عز وجل بكفرهم ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آية: ٥٧].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَـٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّـٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَـٰتٍۭ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ﴾ فى بيوتكم ﴿ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾ يعنى العبيد والولائد فى كل وقت، نزلت فى أسماء بنت أبى مرشد، قالت: إنه ليدخل على الرجل والمرأة، ولعلهما أن يكونا فى لحاف واحد لا علم لهما، فنزلت هذه، فقال سبحانه: ﴿وَ﴾ ليستأذنكم ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ﴾ يعنى من الأحرار من الصبيان ﴿ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ﴾ لأنها ساعات غفلة وغيره ﴿مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ﴾ يعنى نصف النهار ﴿وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ﴾ يقول: هذه ساعات غفلة وغيره ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ﴾ معشر المؤمنين، يعنى أرباب البيوت ﴿وَلَا عَلَيْهِمْ﴾ يعنى الخدم والصبيان الصغار ﴿جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ﴾ يعنى بعد العورات الثلاث ﴿طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم﴾ يعنى بالطوافين يتقلبون عليكم ليلاً ونهارًا يدخلون ويخرجون بغير استئذان ﴿بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ﴾ يعنى هكذا ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ﴾ يعنى أمره ونهيه فى الاستئذان ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [آية: ٥٨] حكم ما ذكر من الاستئذان فى هذه الآية.

﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَـٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ﴾ يعنى من الأحرار ﴿فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعنى من الكبار من ولد الرجل وأقربائه، ويقال: من العبيد ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ﴾ يعنى أمره ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [آية: ٥٩] حكم الاستئذان بعد العورات الثلاث على الأطفال إذا احتلموا.

﴿وَٱلْقَوَاعِدُ﴾ عن الحيض ﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ يعنى المرأة الكبيرة التى لا تحيض من الكبر ﴿ٱلَّتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ يعنى تزويجًا ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ﴾ يعنى حرج ﴿أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ فى قراءة ابن مسعود: «من ثيابهن»، وهو الجلباب الذى يكون فوق الخمار ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ﴾ لا تريد بوضع الجلباب أن ترى زينتها يعنى الحلى، قال عز وجل: ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ﴾ ولا يضعن الجلباب ﴿خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ من وضع الجلباب ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آية: ٦٠].

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ نزلت فى الأنصار، وذلك أنه لما نزلت: ﴿**إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلمًا إنما يأكلون فى بطونهم نارًا وسيصلون سعيرًا**﴾ [النساء: ١٠]، ﴿**يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل**﴾ [النساء: ٢٩]، قالت الأنصار: ما بالمدينة مال أعز من الطعام، فكانوا لا يأكلون مع الأعمى، لأنه لا يبصر موضع الطعام، ولا مع الأعرج، لأنه لا يطيق الزحام، ولا مع المريض، لأنه لا يطيق أن يأكل كما يأكل الصحيح، وكان الرجل يدعو حميمه، وذا قرابته، وصديقه إلى طعامه، فيقول: أطعم من هو أفقر إليه منى، فإنى أكره أن آكل أموال الناس بالباطل، والطعام أفضل المال، فأنزل الله عز وجل: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ ﴿وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ فى الأكل معهم ﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ لأنهم يأكلون على حده ﴿أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾[1] يعنى خزائنه، يعنى عبيدكم وإمائكم ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ نزلت فى مالك بن زيد، وكان صديقه الحارث بن عمرو، وذلك أن

---

(١) انظر: (الكشاف ٣/٧٧، الرازى ٢٤/٣٦، البحر المحيط ٦/٤٧٤، النحاس ٢/٤٥٥).

الحارث خرج غازيًا وخلف مالكًا فى أهله وماله وولده، فلما رجع رأى مالكًا مجهودًا قال: ما أصابك؟ قال: لم يكن عندى شيء، ولم يحل لى أكل مالك، ثم قال سبحانه: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ وذلك أنهم كانوا يأكلون على حدة، ولا يأكلون جميعًا، يرون أن أكله ذنب، يقول الله عز وجل: ﴿تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾، وكانت بنو ليث بن بكر لا يأكل الرجل منهم حتى يجد من يأكل معه، أو يدركه الجهد، فيأخذ عنزة له فيركزها ويلقى عليها ثوبًا تحرجًا أن يأكل وحده، فلما جاء الإسلام فعلوا ذلك، وكان المسلمون إذا سافروا اجتمع نفر منهم فجمعوا نفقاتهم وطعامهم فى مكان، فإن غاب رجل منهم لم يأكلوا حتى يرجع صاحبهم مخافة الإثم.

فنزلت: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا﴾ إن كنتم جماعة ﴿أَوْ أَشْتَاتًا﴾ يعنى متفرقين ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا﴾ للمسلمين ﴿فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ يعنى بعضكم على بعض، يعنى أهل دينكم يقول: السلام ﴿تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً﴾ يعنى من سلم أجر، فهى البركة ﴿طَيِّبَةً﴾ حسنة ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ يعنى أمره فى أمر الطعام والتسليم ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آية: ٦١].

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾﴾

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ﴾ أى النبى ﷺ ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ يقول: إذا اجتمعوا على أمر هو لله عز وجل طاعة، ﴿لَّمْ يَذْهَبُوا۟﴾ يعنى لم يفارقوا النبى ﷺ، ﴿حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾ يعنى لبعض أمرهم ﴿فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ يعنى من المؤمنين، نزلت فى عمر بن الخطاب، رضوان الله عليه، فى غزاة تبوك، وذلك أنه استأذن النبى ﷺ فى الرجعة أن يسمع المنافقين، إلى أهله فقال النبى ﷺ: «انطلق فوالله

ما أنت بمنافق»، يريد أن يسمع المنافقين، فلما سمعوا ذلك، قالوا: ما بال محمد إذا استأذنه أصحابه أذن لهم، فإذا استأذناه لم يأذن لنا، فواللات ما نراه يعدل، وإنما زعم أنه جاء ليعدل، ثم قال: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ﴾ يعنى للمؤمنين ﴿ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آية: ٦٢].

﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًاۚ﴾ يقول الله عز وجل: لا تدعوا النبى ﷺ باسمه يا محمد، ويا ابن عبد الله، إذا كلمتموه كما يدعو بعضكم بعضًا باسمه يا فلان، ويا ابن فلان، ولكن عظموه وشرفوه ﷺ، وقولوا: يا رسول الله، يا نبى الله ﷺ، نظيرها فى الحجرات: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًاۚ﴾ وذلك أن المنافقين كان يثقل عليهم يوم الجمعة قول النبى ﷺ وحديثه إذا كانوا معه على أمر جامع، فيقوم المنافق وينسل ويلوذ بالرجال وبالسارية، لئلا يراه النبى ﷺ حتى يخرج من المسجد، ويدعوه باسمه يا محمد، ويا ابن عبدالله، فنزلت هؤلاء الآيات قوله سبحانه: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًاۚ﴾ فخوفهم عقوبته، فقال سبحانه: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ يعنى عن أمر الله عز وجل ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ يعنى الكفر ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آية: ٦٣] يعنى وجيعًا، يعنى القيل فى الدنيا.

ثم عظم نفسه جل جلاله، فقال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ﴾ من الخلق عبيده وفى ملكه ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ من الإيمان والنفاق ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾ أى إلى الله فى الآخرة ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْۗ﴾ من خير أو شر ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ﴾ من أعمالكم ﴿عَلِيمٌۢ﴾ [آية: ٦٤] به عز وجل.

* * *

سورة الفرقان

سورة الفرقان مكية وهى سبع وسبعون آية كوفية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾

﴿تَبَارَكَ﴾ حدثنا أبو جعفر محمد بن هانئ، قال: حدثنا أبو القاسم الحسين بن عون، قال: حدثنا أبو صالح الهذيل بن حبيب الزيدانى، قال: حدثنا مقاتل بن سليمان فى قوله عز وجل: ﴿تَبَارَكَ﴾ يقول: افتعل البركة ﴿ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ (١) يعنى القرآن، وهو المخرج من الشبهات على عبده محمد ﷺ ﴿لِيَكُونَ﴾ محمد ﷺ ﴿لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [آية: ١] يعنى للإنس والجن نذيرًا نظيرها فى فاتحة الكتاب: ﴿**رب العالمين**﴾ [الفاتحة: ٢].

ثم عظم الرب عز وجل نفسه عن شركهم، فقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وحده ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ لقول اليهود والنصارى: عزيز ابن الله، والمسيح ابن الله، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ من الملائكة، وذلك أن العرب، قالوا: إن الله عز وجل شريكًا من الملائكة، فعبدوهم، فأكذبهم الله عز وجل، نظيرها فى آخر بنى إسرائيل، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [آية: ٢] كما ينبغى أن يخلقه.

﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾

﴿وَٱتَّخَذُوا۟﴾ يعنى كفار مكة ﴿مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ يعنى اللات والعزى يعبدونهم، ﴿لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا﴾ ذبابًا ولا غيره، ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ يعنى الآلهة لا تخلق شيئًا، وهى تخلق، ينحتونها بأيديهم، ثم يعبدونها، نظيرها فى مريم، وفى يس، وفى الأحقاف، ثم

(١) انظر: (القرطبى ١٣/٢، البحر المحيط ٤٨١/٦، العكبرى ٨٧/٢).

أخبر عن الآلهة، فقال تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا﴾ يقول: لا تقدر الآلهة أن تمتنع ممن أراد بها سوءًا ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ يقول: ولا تسوق الآلهة إلى أنفسها نفعًا، ثم قال تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ﴾ يعنى الآلهة ﴿مَوْتًا﴾ يعنى أن تميت أحدًا، ثم قال عز وجل: ﴿وَلَا حَيَوٰةً﴾ يعنى ولا يحيون أحدًا يعنى الآلهة ﴿وَلَا نُشُورًا﴾ [آية: ٣] أن تبعث الأموات، فكيف تعبدون من لا يقدر على شيء من هذا، وتتركون عبادة ربكم الذى يملك ذلك كله.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾﴾

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ قال النضر بن الحارث من بنى عبد الدار: ما هذا القرآن إلا كذب اختلقه محمد ﷺ من تلقاء نفسه، ثم قال: ﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ يقول: النضر عاون محمدًا ﷺ عداس مولى حويطب بن عبد العزى، ويسار غلام العامر بن الحضرمى، وجبر مولى عامر بن الحضرمى، كان يهوديًا، فأسلم، وكان هؤلاء الثلاثة من أهل الكتاب يقول الله تعالى: ﴿فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا﴾ [آية: ٤] قالوا: شركًا وكذبًا حين يزعمون أن الملائكة بنات الله، عز وجل، وحين قالوا: إن القرآن ليس من الله عز وجل إنما اختلقه محمد ﷺ من تلقاء نفسه.

﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ وقال النضر: هذا القرآن حديث الأولين أحاديث رستم وإسنفندباز ﴿ٱكْتَتَبَهَا﴾[1] محمد ﷺ ﴿فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [آية: ٥] يقول: هؤلاء النفر الثلاثة يعلمون محمدًا ﷺ طرفى النهار بالغداة والعشى.

﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ﴾ وذلك أنهم قالوا بمكة سرًا: ﴿**هل هذا إلا بشر مثلكم**﴾ لأنه إنسى مثلكم، بل هو ساحر، ﴿**أفتأتون السحر وأنتم**

---

(١) انظر: (مختصر شواذ القراءات ١٠٢، الكشاف ٣/٨٢، البحر المحيط ٦/٤٨٢).

تبصرون﴾ إلى آيتين، فأنزل الله عز وجل: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ﴾ ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [آية: ٦] حين لا يعجل عليهم بالعقوبة.

﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ﴾ يعنى النبى ﷺ ﴿يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ [آية: ٧] يعنى رسولاً يصدق محمدًا ﷺ بما جاء.

﴿أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ﴾ يعنى أو ينزل إليه مال من السماء، فيقسمه بيننا ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ﴾ يعنى بستانًا ﴿يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ هذا قول النضر بن الحارث، وعبد الله بن أمية، ونوفل بن خويلد، كلهم من قريش، ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ﴾ يعنى هؤلاء ﴿إِن﴾ يعنى ما ﴿تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [آية: ٨] يعنى أنه مغلوب على عقله، فأنزل لله تبارك وتعالى فى قولهم للنبى ﷺ: إنه يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق: ﴿**وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق**﴾ [الفرقان: ٢٠] يقول: هكذا كان المرسلون من قبل محمد ﷺ.

﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾

ونزل فى قولهم إن محمدًا مسحور، قوله تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ يقول: انظر كيف وصفوا لك الأشياء، حين زعموا أنك ساحر، ﴿فَضَلُّوا﴾ عن الهدى ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ [آية: ٩] يقول: لا يجدون مخرجًا مما قالوا لك بأنك ساحر.

ونزل فى قولهم: لولا أنزل، يعنى هلا ألقى، إليه كنز، أو تكون له جنة يأكل منها، فقال تبارك وتعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي﴾ ﴿إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ﴾ يعنى أفضل من الكنز والجنة فى الدنيا، جعل لك فى الآخرة ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ يقول: بينها الأنهار ﴿وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا﴾[1] [آية: ١٠] يعنى بيوتًا فى الجنة، وذلك أن قريشًا يسمون بيوت الطين القصور.

---

(١) انظر: (الفراء ٢/٢٦٣، الكشاف ٣/٨٣، البحر المحيط ٦/٤٨٤).

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾ يعنى عز وجل بالقيامة، وذلك أن النبى ﷺ أخبرهم بالبعث فكذبوه، يقول الله تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ [آية: ١١] يعنى وقودًا ﴿إِذَا رَأَتْهُم﴾ السعير، وهى جهنم ﴿مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ يعنى مسيرة مائة سنة ﴿سَمِعُوا لَهَا﴾ من شدة غضبها عليهم ﴿تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [آية: ١٢] يعنى آخر نهيق الحمار.

﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا﴾ يعنى جهنم ﴿مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ لضيق الرمح فى الزج ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾ يعنى موثقين فى الحديد قرناء مع الشياطين ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [آية: ١٣] يقول: دعوا عند ذلك بالويل.

يقول الخزان: ﴿لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا﴾ يعنى ويلاً واحدًا ﴿وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ [آية: ١٤] يعنى ويلاً كثيرًا، لأنه دائم لهم أبدًا.

﴿ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْئُولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾ ﴾

﴿قُلْ﴾ لكفار مكة: ﴿أَذَٰلِكَ﴾ الذى ذكر من النار ﴿خَيْرٌ﴾ أفضل ﴿أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ﴾ يعنى التى لا انقطاع لها ﴿الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً﴾ بأعمالهم الحسنة ﴿وَمَصِيرًا﴾ [آية: ١٥] يعنى ومرجعًا.

﴿لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ﴾ فيها لا يموتون ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا﴾ منه فى الدنيا ﴿مَّسْئُولًا﴾ [آية: ١٦] يسأله فى الآخرة المتقون إنجاز ما وعدهم فى الدنيا، وهى الجنة، ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ (١) يعنى يجمعهم، يعنى كفار مكة ﴿وَ﴾ يحشر ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ من الملائكة ﴿فَيَقُولُ﴾ للملائكة: ﴿أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي

---

(١) انظر: (الكشاف ٣/٨٤، الرازى ٢٤/٦١، البحر المحيط ٦/٤٨٨).

﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يقول: أنتم أمرتموهم بعبادتكم؟ ﴿أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾ [آية: ١٧] يقول: أو هم أخطئوا طريق الهدى، فتبرأت الملائكة.

فـ ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ﴾ نزهوه تبارك وتعالى أن يكون معه آلهة ﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ (١) يعني ما لنا أن نتخذ من دونك وليًا أنت ولينا من دونهم، ﴿وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ﴾ يعني كفار مكة ﴿وَ﴾ متعت ﴿وَءَابَآءَهُمْ﴾ من قبلهم ﴿حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾ يقول: حتى تركوا إيمانًا بالقرآن ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا﴾ [آية: ١٨] يعني هلكى.

يقول الله تعالى لكفار مكة: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم﴾ الملائكة ﴿بِمَا تَقُولُونَ﴾ بأنهم لم يأمروكم بعبادتهم ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾ يقول: لا تقدر الملائكة صرف العذاب عنكم ﴿وَلَا نَصْرًا﴾ يعني ولا منعًا يمنعونكم منه ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ﴾ يعني يشرك بالله في الدنيا، فيموت على الشرك ﴿نُذِقْهُ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابًا كَبِيرًا﴾ [آية: ١٩] يعني شديدًا، وكقوله في بني إسرائيل: ﴿**ولتعلن علوًا كبيرًا**﴾ يعني شديدًا.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ لقول كفار مكة للنبي ﷺ: أنه يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، ﴿إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ (٢) ابتلينا بعضًا ببعض، وذلك حين أسلم أبو ذر الغفاري، رضي الله عنه، وعبد الله بن مسعود، وعمار بن ياسر، وصهيب، وبلال، وخباب بن الأرت، وجبر مولى عامر بن الحضرمي، وسالم مولى أبي حذيفة، والنمر بن قاسط، وعامر بن فهيرة، ومهجع بن عبد الله، ونحوهم من الفقراء، فقال أبو جهل، وأمية، والوليد، وعقبة، وسهيل، والمستهزءون من قريش: انظروا إلى هؤلاء الذين اتبعوا محمدًا ﷺ من موالينا وأعواننا رذالة كل قبيلة فازدروهم، فقال الله تبارك وتعالى لهؤلاء الفقراء من العرب والموالي: ﴿أَتَصْبِرُونَ ۗ﴾؟ على الأذى والاستهزاء ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [آية: ٢٠] أن تصبروا، فصبروا ولم يجزعوا، فأنزل الله عز وجل فيهم: ﴿**إني جزيتهم**

---

(١) انظر: (الفراء ٢/٢٦٤، الكشاف ٣/٨٦، النحاس ٢/٤٦٠، الإتحاف ٣٢٨، القرطبي ١٣/١٠، الطبري ١٨/١٤٢، مجمع البيان ٧/١٦٢)، وينظر: (البحر المحيط ٦/٤٨٩، مغني اللبيب ٢/١٧، حاشية يس ١١/٣٦٦، الآلوسي ١٨/٢٤٨).

(٢) انظر: (الكشاف ٣/٨٧، الرازي ٢٤/٦٥، القرطبي ١٣/١٣، البحر المحيط ٦/٤٩٠).

اليوم بما صبروا ﴾ على الأذى والاستهزاء من كفار قريش ﴿ **أنهم هم الفائزون** ﴾ [المؤمنون: ١١١] يعنى الناجين من العذاب.

﴿ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾

﴿ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ﴾ يعنى لا يخشون البعث، نزلت فى عبد الله بن أمية، والوليد بن المغيرة، ومكرز بن حفص بن الأحنف، وعمرو بن عبد الله بن أبى قيس العامرى، ويغيض بن عامر بن هشام، ﴿ لَوْلَآ ﴾ يعنى هلا ﴿ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ فكانوا رسلاً إلينا، ﴿ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ﴾ فيخبرنا أنك رسول، يقول الله تعالى: ﴿ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ ﴾ يقول: تكبروا ﴿ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴾ [آية: ٢١] يقول: علوا فى القوم علوًا شديدًا حين قالوا: أو نرى ربنا، فهكذا العلو فى القول.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ وذلك أن كفار مكة إذا خرجوا من قبورهم، قالت لهم الحفظة من الملائكة عليهم، السلام: حرام محرم عليكم أيها المجرمون، أن يكون لكم من البشرى شىء، حين رأيتمونا، كما بشر المؤمنون فى حم السجدة، فذلك قوله: ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ يعنى الحفظة من الملائكة للكفار: ﴿ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ [آية: ٢٢] يعنى حرامًا محرمًا عليكم أيها المجرمون البشارة كما بشر المؤمنون.

﴿ وَقَدِمْنَآ ﴾ يعنى وجئنا، ويقال: وعمدنا ﴿ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [آية: ٢٣] يعنى كالغبار الذى يسطع من حوافر الدواب ﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا ﴾ يعنى أفضل منزلاً فى الجنة، ﴿ وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ [آية: ٢٤] يعنى القائلة، وذلك أنه يخفف عنهم الحساب، ثم تقليون من يومهم ذلك فى الجنة مقدار نصف يوم من أيام الدنيا، فيما يشتهون من التحف والكرامة، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ من مقيل الكفار، وذلك أنه إذا فرغ من عرض الكفار، أخرج لهم عنق من النار يحبط بهم، فذلك قوله فى الكهف: ﴿ **أحاط بهم سرادقها** ﴾ [الكهف:

٢٩]، ثم خرج من النار دخان ظل أسود، فيتفرق عليهم من فوقهم ثلاث فرق، وهم فى السرادق فينطلقون يستظلون تحتها مما أصابهم من حر السرادق، فيأخذهم الغثيان والشدة من حره، وهو أخف العذاب، فيقبلون فيها لا مقيل راحة، فذلك مقيل أهل النار، ثم يدخلون النار أفواجًا أفواجًا.

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ﴾ يعنى السموات السبع، يقول: عن الغمام وهو أبيض كهيئة الضبابة، لنزول الرب عز وجل، وملائكته، فذلك قوله سبحانه ﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ (١) من السماء إلى الأرض عند انشقاقها ﴿تَنزِيلًا﴾ [آية: ٢٥] لحساب الثقلين كقوله عز وجل فى البقرة: ﴿**هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام**﴾ [البقرة: ٢١٠].

﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ وحده جل جلاله، واليوم الكفار ينازعونه فى أمره، ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾ [آية: ٢٦] يقول: عسر عليهم يومئذ مواطن يوم لشدته القيامة ومشقته، ويهون على المؤمن كأذنى صلاته.

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ يعنى ندامه، يعنى عقبة بن أبى معيط بن عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وذلك أنه كان يكثر مجالسة النبى ﷺ وأصحابه، فقال له خليله وهو أمية بن خلف الجمحى: يا عقبة، ما أراك إلا قد صبأت إلى حديث هذا الرجل، يعنى النبى ﷺ، فقال: لم أفعل، فقال: وجهى من وجهك حرام إن لم تتفل فى وجه محمد ﷺ، وتبرأ منه حتى يعلم قومك وعشيرتك أنك غير مفارق لهم، ففعل ذلك عقبة، فأنزل الله عز وجل فى عقبة بن أبى معيط: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ من الندامة.

---

(١) انظر: (الكشاف ٨٩/٣، البحر المحيط ٤٩٤/٦، مغنى اللبيب ١٣٢/٢، الرازى ٧٤/٢٤، شرح الكافية ٨٥/١، شرح التصريح ٤٠١/٢).

﴿يَـٰقُولُ يَـٰلَيْتَنِى﴾ يتمنى ﴿ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ [آية: ٢٧] إلى الهدى ﴿يَـٰوَيْلَتَىٰ﴾ يدعو بالويل، ثم يتمنى، فيقول: يا ﴿لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا﴾ يعنى أمية ﴿خَلِيلًا﴾ [آية: ٢٨] يعنى يا ليتنى لم أطع فلانًا، يعنى أمية بن خلف، فقتله النبى ﷺ يوم بدر، وقتل عقبة عاصم بن أبى الأفلح الأنصارى صبرًا بأمر رسول الله ﷺ، ولم يقتل من الأسرى يوم بدر من قريش غيره، والنضر بن الحارث.

يقول عقبة: ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِى﴾ لقد ردنى ﴿عَنِ ٱلذِّكْرِ﴾ يعنى عن الإيمان بالقرآن ﴿بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى﴾ يعنى حين جاءنى ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾ فى الآخرة ﴿لِلْإِنسَـٰنِ﴾ يعنى عقبة ﴿خَذُولًا﴾ [آية: ٢٩] يقول: يتبرأ منه، ونزل فيهما: ﴿**الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو**﴾ [الزخرف: ٦٧].

﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى﴾ قريشًا ﴿ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [آية: ٣٠] يقول: تركوا الإيمان بهذا القرآن، فهم مجانبون له، يقول الله عز وجل: يعزى نبيه ﷺ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ يعنى وهكذا ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ نزلت فى أبى جهل وحده، أى فلا يكبرن عليك، فإن الأنبياء قبلك قد لقيت هذا التكذيب من قومهم، ثم قال عز وجل: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا﴾ إلى دينه ﴿وَنَصِيرًا﴾ [آية: ٣١] يعنى ومانعًا فلا أحد أهدى من الله عز وجل، ولا أمنع منه.

﴿ **وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَـٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُو۟لَـٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَـٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَدَمَّرْنَـٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾** ﴾

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ﴾ يعنى هلا نزل ﴿عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ كما جاء به موسى وعيسى يقول: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ يعنى ليثبت القرآن فى قلبك ﴿وَرَتَّلْنَـٰهُ تَرْتِيلًا﴾ [آية: ٣٢] يعنى نرسله ترسلاً آيات، ثم آيات، ذلك قوله سبحانه: ﴿**وقرآنًا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً**﴾ [الإسراء: ١٠٦].

ثم قال عز وجل: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ يخاصمونك به إضمار لقولهم: لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة، ونحوه فى القرآن مما يخاصمون به النبى ﷺ، فيرد الله عز وجل

عليهم قولهم، فذلك قوله عز وجل: ﴿إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ فيما تخصمهم به ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [آية: ٣٣] يعني وأحسن تبيانًا فترد به خصومتهم.

ثم أخبر الله عز وجل بمستقرهم في الآخرة، فقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [آية: ٣٤] يعني وأخطأ طريق الهدى في الدنيا من المؤمنين.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ يقول: أعطينا موسى، عليه السلام، التوراة ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾ [آية: ٣٥] يعني معينًا، ثم انقطع الكلام فأخبر الله عز وجل محمد ﷺ، فقال سبحانه: ﴿فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ﴾ يعني أهل مصر ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ يعني الآيات التسع ﴿فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾(١) [آية: ٣٦] يعني أهلكناهم بالعذاب هلاكًا يعني الغرق.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا (٣٧) وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا (٣٨) وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا (٣٩) وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا (٤٠) وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا (٤١) إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٢) أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا (٤٣) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٤)﴾

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا﴾ يعني حين ﴿كَذَّبُوا الرُّسُلَ﴾ يعني نوحًا وحده ﴿أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً﴾ يعني عبرة لمن بعدهم ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [آية: ٣٧] يعني وجيعًا.

ثم قال تعالى: ﴿وَ﴾ أهلكنا ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ﴾ يعني البئر التي قتل فيها صاحب ياسين بأنطاكية التي بالشام ﴿وَقُرُونًا﴾ يعني وأهلكنا أممًا ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ ما بين عاد إلى أصحاب الرس ﴿كَثِيرًا﴾ [آية: ٣٨].

---

(١) انظر: (الكشاف ٩٢/٣، البحر المحيط ٤٩٨/٦، مجمع البيان ١٦٨/٧).

﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ [آية: ٣٩] وكلاً دمرنا بالعذاب تدميرًا ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ﴾ بالحجارة ﴿مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ﴾ يعنى قرية لوط عليه السلام، كل حجر فى العظم على قدر كل إنسان، ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ﴾؟ فيعتبروا، ﴿بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ [آية: ٤٠] يقول عز وجل: بل كانوا لا يخشون بعثًا، نظيرها فى تبارك الملك: ﴿**وإليه النشور**﴾ [الملك: ١٥] يعنى الإحياء.

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ﴾ يعنى النبى ﷺ ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ [آية: ٤١] ﷺ نزلت فى أبى جهل لعنه الله، ثم قال أبو جهل: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾ يعنى ليستزلنا عن عبادة آلهتنا، ﴿لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا﴾ يعنى تثبتنا ﴿عَلَيْهَا ۚ﴾ يعنى على عبادتها ليدخلنا فى دينه، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾ فى الآخرة ﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [آية: ٤٢] يعنى من أخطأ طريق الهدى أهم أم المؤمنون؟ فنزلت ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ (١) وذلك أن الحارث بن قيس السهمى هوى شيئًا فعبده، ﴿أَفَأَنتَ﴾ يا محمد ﴿تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [آية: ٤٣] يعنى مسيطرًا يقول: تريد أن تبدل المشيئة إلى الهدى والضلالة.

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾ إلى الهدى ﴿أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ﴾ الهدى، ثم شبههم بالبهائم، فقال سبحانه: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ﴾ فى الأكل والشرب لا يلتفتون إلى الآخرة ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [آية: ٤٤] يقول: بل هم أخطأ طريقًا من البهائم، لأنها تعرف ربها وتذكره، وكفار مكة لا يعرفون ربهم فيوحدونه.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾

---

(١) انظر: (مجمع البيان ١٧١/٧، البحر المحيط ٥٠١/٦).

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾ يقول تبارك وتعالى: لو شاء لجعل الظل دائمًا لا يزول إلى يوم القيامة، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ﴾ يعنى على الظل ﴿دَلِيلًا﴾ [آية: ٤٥] تتلوه الشمس فتدفعه، حتى تأتى على الظل كله.

﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا﴾ يعنى الظل ﴿قَبْضًا يَسِيرًا﴾ [آية: ٤٦] يعنى خفيفًا ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ يعنى سكنًا ﴿وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ يعنى الإنسان مسبوتًا لا يعقل كأنه ميت، ﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا﴾ [آية: ٤٧] ينتشرون فيه لابتغاء الرزق.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًا﴾ (١) يعنى يبشر السحاب بالمطر ﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾، يعنى قدام المطر ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ يعنى المطر ﴿طَهُورًا﴾ [آية: ٤٨] للمؤمنين ﴿لِّنُحْۦِىَ بِهِۦ﴾ المطر ﴿بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ ليس فيه نبت فينبت بالمطر ﴿وَنُسْقِيَهُۥ﴾ بالرياح والمطر ﴿مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا﴾ فى تلك البلدة ﴿وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا﴾ [آية: ٤٩] فى تلك البلدة.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ﴾ يعنى المطر بين الناس يصرف المطر أحيانًا مرة بهذا البلدة، ومرة ببلد آخر، فذلك التصرف، ﴿لِيَذَّكَّرُوا۟﴾ فى صنعه، فيعتبروا فى توحيد الله عز وجل، فيوحده ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [آية: ٥٠] يعنى إلا كفرًا بالله تعالى فى نعمه.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا﴾ زمانك يا محمد ﴿فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾ [آية: ٥١] يعنى رسولاً، ولكن بعثناك إلى القرى كلها رسولاً اختصصناك بها ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ يعنى كفار مكة، دعوا النبى ﷺ إلى ملة آبائه ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ﴾ يعنى بالقرآن ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [آية: ٥٢] يعنى شديدًا.

﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا
وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ
قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ
ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا
مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ

---

(١) انظر: (الكشاف ٣/٩٥، مجمع البيان ٧/١٧١).

بِحَمْدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا
فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ
ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾

﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ يعنى ماء المالح على ماء العذب، ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ يعنى تبارك وتعالى خلدًا طيبًا ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ يعنى مرًا من شدة الملوحة، ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ يعنى أجلاً ﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [آية: ٥٣] يعنى حجابًا محجوبًا، فلا يختلطان، ولا يفسد طعم الماء العذب.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا﴾ يعنى النطفة إنسانًا ﴿فَجَعَلَهُۥ﴾ يعنى الإنسان ﴿نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ أما النسب فالقرابة له خمس نسوة، أمهاتكم اللاتى أرضعنكم، وأخواتكم من الرضاعة، وأمهات نسائكم، وربائبكم اللائى فى حجوركم من نسائكم، اللائى دخلتم بهن، فإن لم تكونوا دخلتم بهن، فلا جناح عليكم، وحلائل أبنائكم، فهذا من الصهر، ثم قال تعالى: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [آية: ٥٤] على ما أراده.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الملائكة ﴿مَا لَا يَنفَعُهُمْ﴾ فى الآخرة إن عبدوهم ﴿وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ فى الدنيا إذا لم يعبدوهم ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ﴾ يعنى أبا جهل ﴿عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾ [آية: ٥٥] يعنى معينًا للمشركين على ألا يوحدوا الله عز وجل.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ [آية: ٥٦] من النار ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ يعنى على الإيمان ﴿مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ [آية: ٥٧] لطاعته.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ وذلك حين دعى النبى ﷺ إلى ملة آبائه ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾ أى بحمد ربك، يقول: واذكر بأمره، ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾ [آية: ٥٨] يعنى بذنوب كفار مكة، فلا أحد أخبر، ولا أعلم بذنوب العباد من الله عز وجل.

ثم عظم نفسه تبارك وتعالى، فقال عز وجل: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ قبل ذلك ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ جل جلاله ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [آية: ٥٩] يعنى فاسأل بالله خبيرًا يا من تسأل عنه محمدًا.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ لكفار مكة ﴿اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ﴾ عز وجل، وذلك أن أبا جهل قال: يا محمد، إن كنت تعلم الشعر، فنحن عارفون لك، فقال النبى ﷺ: «الشعر غير هذا، إن هذا كلام الرحمن»، عز وجل، قال أبو جهل: بخ بخ أجل، لعمر الله، إنه لكلام الرحمن الذى باليمامة، فهو يعلمك، قال النبى ﷺ: «الرحمن هو الله عز وجل، الذى فى السماء، ومن عنده يأتى جبريل، عليه السلام». فقال أبو جهل: يا آل غالب، من يعذرنى من ابن أبى كبشة، يزعم أن ربه واحد، وهو يقول: الله يعلمنى، والرحمن يعلمنى، ألستم تعلمون أن هذين إلهين؟ قال الوليد بن المغيرة، وعتبة، وعقبة: ما نعلم الله والرحمن إلا اسمين، فأما الله فقد عرفناه، وهو الذى خلق ما نرى، وأما الرحمن فلا نعلمه إلا مسيلمة الكذاب، ثم قال: يا ابن أبى كبشة، تدعو إلى عبادة الرحمن الذى باليمامة. فأنزل الله عز وجل: ﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن﴾ يعنى صلوا للرحمن ﴿قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ﴾ فأنكروه ﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ يعنى نصلى للذى تأمرنا، يعنون مسيلمة ﴿وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩﴾ [آية: ٦٠] يقول: زادهم ذكر الرحمن تباعدًا من الإيمان.

﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾

﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ يعنى مضيئًا ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ [آية: ٦١] ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ فجعل النهار خلفًا من الليل لمن كانت له حاجة، وكان مشغولاً ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ﴾ الله عز وجل ﴿أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [آية: ٦٢] فى الليل والنهار، يعنى عبادته.

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ يعنى حلمًا فى اقتصاد، ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ﴾ يعنى السفهاء ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾ [آية: ٦٣] يقول: إذا سمعوا الشتم والأذى من كفار مكة من أجل الإسلام ردوا معروفًا.

﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ﴾ بالليل فى الصلاة ﴿سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [آية: ٦٤] ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [آية: ٦٥] يعنى

لازمًا لصاحبه لا يفارقه، ﴿إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [آية: ٦٦] يعنى بئس المستقر وبئس الخلود، كقوله سبحانه: ﴿دار المقامة﴾ [فاطر: ٣٥] يعنى دار الخلد.

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ﴾ فى غير حق، ﴿وَلَمْ يَقْتُرُواْ﴾ يعنى و لم يمسكوا عن حق، ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [1] [آية: ٦٧] يعنى بين الإسراف والإقتار مقتصدًا ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ﴾ يعنى لا يعبدون ﴿مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ قتلها ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ يعنى بالقصاص ﴿وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ جميعًا ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ [آية: ٦٨] يعنى جزاؤه، واديًا فى جنهم.

﴿يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ﴾ [2] يعنى فى العذاب ﴿مُهَانًا﴾ [آية: ٦٩] يعنى يهان فيه، نزلت بمكة، فلما هاجر النبى ﷺ إلى المدينة، كتب وحشى بن حبيش غلام المطعم عدة ابن نوفل بن عبد مناف، إلى النبى ﷺ بعد ما قتل حمزة: هل لى من توبة وقد أشركت وقتلت وزنيت؟ فسكت النبى ﷺ، فأنزل الله فيه بعد سنتين.

فقال سبحانه: ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ من الشرك ﴿وَءَامَنَ﴾ يعنى وصدق بتوحيد الله عز وجل ﴿وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ﴾ يعنى يحول الله عز وجل ﴿سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ والتبديل من العمل السيئ إلى العمل الصالح ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لما كان فى الشرك ﴿رَّحِيمًا﴾ [آية: ٧٠] به فى الإسلام، فأسلم وحشى، وكان وحشى قد قتل حمزة بن عبد المطلب عليه السلام يوم أحد، ثم أسلم، فأمره النبى ﷺ، فخرب مسجد المنافقين، ثم قتل مسيلمة الكذاب باليمامة على عهد أبى بكر الصديق، رضى الله عنه، فكان وحشى يقول: أنا الذى قتلت خير الناس، يعنى حمزة، وأنا الذى قتلت شر

(١) انظر: (الكشاف ٣/١٠٠، القرطبى ١٣/٧٤، الرازى ٢٤/١١٠، البحر المحيط ٦/٥١٤).
(٢) انظر: (الكشاف ٣/١٠١، القرطبى ١٣/٧٦، البحر المحيط ٦/٥١٥، الحجة المنسوب لابن خالويه ٢٦٦).

الناس، يعنى مسيلمة الكذاب، فلما قبل الله عز وجل توبة وحشى، قال كفار مكة: كلنا قد عمل عمل وحشى، فقد قبل الله عز وجل توبته، ولم ينزل فينا شىء فأنزل الله عز وجل فى كفار مكة: ﴿ **يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا** ﴾ [الزمر: ٥٣] فى الإسلام، يعنى بالإسراف الذنوب العظام الشرك والقتل والزنا، فكان بين هذه الآية: ﴿ **ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق** ﴾ [الفرقان: ٦٨] إلى آخر الآية، وبين الآية التى فى النساء: ﴿ **ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم** ﴾ [النساء: ٩٣] إلى آخر الآية، ثمانى سنين.

﴿ وَمَن تَابَ ﴾ من الشرك ﴿ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴾ [آية: ٧١] يعنى مناصحًا لا يعود إلى نكل الذنب.

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾ ﴾

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾ يعنى لا يحضرون الذنب يعنى الشرك ﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴾ [آية: ٧٢] يقول: إذا سمعوا من كفار مكة الشتم والأذى على الإسلام مروا كرامًا معرضين عنهم، كقوله سبحانه: ﴿ **وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه** ﴾ [القصص: ٥٥].

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ ﴾ يعنى والذين إذا وعظوا بآيات القرآن ﴿ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ [آية: ٧٣] يقول: لم يقفوا عليها صمًا لم يسمعوها، ولا عميانًا لم يبصروها، كفعل مشركى مكة، ولكنهم سمعوا وأبصروا وانتفعوا به.

﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ يقول: اجعلهم صالحين، فتقر أعيننا بذلك، ﴿ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [آية: ٧٤] يقول: واجعلنا أئمة يقتدى بنا فى الخير.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا﴾ [آيـــة: ٧٥] نظيرها في الزمر: ﴿**لهم غرف من فوقها غرف مبنية**﴾ [الزمر: ٢٠].

قال أبو محمد: سألت أبا صالح عنها، فقال: قال مقاتل: اجعلنا نقتدى بصالح أسلافنا، حتى يقتدى بنا من بعدنا، بما صبروا على أمر الله عز وجل، ويلقون فيها تحية، يعني السلام، ثم قال: وسلامًا يقول: وسلم الله لهم أمرهم وتجاوز عنهم، ويقال: التسليم من الملائكة عليهم ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾ لا يموتون أبدًا ﴿حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا﴾ فيها ﴿وَمُقَامٗا﴾ [آية: ٧٦] يعنى الخلود.

﴿قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ﴾ يقول: ما يفعل بكم ﴿رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ﴾ يقول: لولا عبادتكم ﴿فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ﴾ [١] النبى ﷺ، يَعِدُ كفار مكة ﴿فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامَۢا﴾ [آية: ٧٧] يلزمكم العذاب ببدر، فقتلوا وضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم، وعجل الله تعالى بأرواحهم إلى النار، فيعرضون عليها طرفى النهار.

* * *

(١) انظر: (القرطبى ٨٥/١٣، الكشاف ١٠٣/٣، النحاس ٤٧٨/٢، مجمع البيان ١٨٠/٧، البحر المحيط ٥١٨/٦).

سورة الشعراء

سورة الشعراء مكية، غير آيتين فإنهما مدنيتان

أحدهما: قوله تعالى: ﴿أو لم يكن لهم آية أن يعلمه﴾ الآية

والأخرى قوله تعالى: ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾

وبعض أهل التفسير يقول: إن من قوله تعالى: ﴿والشعراء﴾ إلى آخرها، وهن أربع آيات مدنيات، والله أعلم بما أنزل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾

﴿طسٓمٓ﴾ [آية: ١] ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ [آية: ٢]، يعنى عز وجل ما بين فيه من أمره، ونهيه، وحلاله، وحرامه.

﴿لَعَلَّكَ﴾ يا محمد ﴿بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾، وذلك حين كذب به كفار مكة، منهم: الوليد بن المغيرة، وأبو جهل، وأمية بن خلف، فشق على النبى ﷺ تكذيبهم إياه، فأنزل الله عز وجل: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾، يعنى قاتلاً نفسك حزنًا ﴿أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ٣]، يعنى ألا يكونوا مصدقين بالقول أنه من عند الله عز وجل، نظيرها فى الكهف: ﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم﴾ [الكهف: ٦].

﴿إِن نَّشَأْ﴾، يعنى لو نشاء، ﴿نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ﴾، يعنى فمالت ﴿أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا﴾، يعنى للآية، ﴿خَٰضِعِينَ﴾ [آية: ٤]، يعنى مقبلين إليها مؤمنين بالآية.

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ﴾، يقول: ما يحدث الله عز وجل إلى النبى ﷺ من

القرآن، ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهُ﴾، يعنى عن الإيمان بالقرآن ﴿مُعْرِضِينَ﴾ [آية: ٥].

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا﴾ بالحق، يعنى بالقرآن لما جاءهم، يعنى حين جاءهم محمد ﷺ ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ﴾ يعنى حديث ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [آية: ٦] وذلك أنهم حين كذبوا بالقرآن، أوعدهم الله عز وجل بالقتل ببدر، ثم وعظهم ليعتبروا.

فقال عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [آية: ٧] يقول: كم أخرجنا من الأرض من كل صنف من ألوان النبت حسن.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ يقول: إن فى النبت لعبرة فى توحيد الله عز وجل، أنه واحد ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ﴾ يعنى أهل مكة ﴿مُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ٨] يعنى مصدقين بالتوحيد.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ [آية: ٩] فى نقمته منهم ببدر ﴿الرَّحِيمُ﴾ حين لا يعجل عليهم بالعقوبة إلى الوقت المحدد لهم.

﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ (١١) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (١٢) وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ (١٣) وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (١٤) قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ (١٥) ﴾

﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ﴾ يقول: وإذ أمر ربك يا محمد ﴿مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [آية: ١٠] يعنى المشركين.

﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ واسمه فيطوس بأرض مصر، وقل لهم يا موسى: ﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾ (١) [آية: ١١] يعنى ألا يعبدون الله عز وجل. ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ [آية: ١٢] فيما أقول.

﴿وَ﴾ أخاف أن ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾ يعنى يضيق قلبى، ﴿وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي﴾ بالبلاغ ﴿فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ﴾ [آية: ١٣] يقول: فأرسل معى هارون، كقوله فى النساء: ﴿**ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم**﴾ [النساء: ٢]، يعنى مع أموالكم. ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ﴾ يعنى عندى ذنب، يعنى قتل النفس ﴿فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ [آية: ١٤].

﴿قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا﴾ لا تخافا القتل ﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ [آية: ١٥].

---

(١) انظر: (الكشاف ٣/١٠٦، العكبرى ٢/٩٠، مجمع البيان ٧/١٨٥، البحر المحيط ٧/٧).

﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ١٦] كقوله سبحانه: ﴿**فأتياه فقولا إنا رسولا ربك**﴾ [طه: ٤٧]، يعنى نفسه وهارون، رسولا ربك لقول فرعون: أنا الرب والإله، ثم انقطع الكلام.

ثم انطلق موسى ﷺ إلى مصر وهارون بمصر، فانطلقا كلاهما إلى فرعون، فلم يأذن لهما سنة فى الدخول، فلما دخلا عليه، قال موسى لفرعون: ﴿إِنَّا﴾، يعنى نفسه وهارون، عليه السلام، ﴿رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [آية: ١٧] إلى أرض فلسطين لا تستعبدهم، فعرف فرعون موسى، لأنه رباه فى بيته، فلما قتل موسى، عليه السلام، النفس هرب من مصر، فلما أتاه ﴿قَالَ﴾ فرعون له: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ يعنى صبيًا ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا﴾ يعنى عندنا ﴿مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ [آية: ١٨] يعنى ثلاثين سنة.

﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (١) [آية: ١٩] ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [آية: ٢٠] يعنى من الجاهلين، وهى قراءة ابن مسعود: «فعلتها إذا وأنا من الجاهلين». ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ﴾ إلى مدين ﴿لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ أن تقتلون ﴿فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا﴾ يعنى العلم والفهم ﴿وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [آية: ٢١] إليكم.

ثم قال لفرعون: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ﴾ يا فرعون تمن على بإحسانك إلى خاصة فيما زعمت، وتنسى إساءتك ﴿أَنْ عَبَّدتَّ﴾ يقول: استعبدت ﴿بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [آية: ٢٢] فاتخذهم عبيدًا لقومك القبط، وكان فرعون قد قهرهم أربع مائة وثلاثين سنة، ويقال:

---

(١) انظر: (القرطبى ٩٤/١٣، الكشاف ١٠٨/٣، التبيان ١٠/٨، مجمع البيان ١٨٥/٧، البحر المحيط ١٠/٧، العكبرى ٩١/٢، الآلوسى ٦٨/١٩).

وأربعين سنة، وإنما كانت بنو إسرائيل بمصر حين أتاها يعقوب وبنوه وحشمه، حين أتوا يوسف.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾ لموسى: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ٢٣] منكرًا له. ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ من العجائب ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ [آية: ٢٤] بتوحيد الله عز وجل ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ﴾ يعنى الأشراف، وكان حوله خمسون ومائة من أشرافهم أصحاب الأثرة: ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ [آية: ٢٥] إلى قول هذا، يعنى موسى ﴿قَالَ﴾ موسى: هو ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [آية: ٢٦].

﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿قَالَ﴾ فرعون لهم: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ﴾ يعنى موسى ﴿ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [آية: ٢٧] ﴿قَالَ﴾ موسى: هو ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ يعنى مشرق ومغرب يوم(*)، يستوى الليل والنهار فى السنة يومين، ويسمى البرج الميزان، ثم قال: ﴿وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ يعنى ما بين المشرق والمغرب من جبل أو بناء، أو شجر، أو شيء، ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آية: ٢٨] توحيد الله عز وجل.

﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى﴾ يعنى ربًا ﴿لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾

(*) كذا فى الأصل، ولعله يقصد يوم معين يستوى الليل والنهار فيه.

[آية: ٢٩] يعنى من المحبوسين. ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ﴾ [آية: ٣٠] يعنى بأمر بين، يعنى اليد والعصا، يستبين لك أمرى فتصدقنى. ﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [آية: ٣١] بأنك رسول رب العالمين إلينا.

﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ﴾ وفى يد موسى، عليه السلام، عصاه، وكانت من الآس، قال ابن عباس: إن جبريل دفع العصا إلى موسى، عليهما السلام، بالليل حين توجه إلى مدين وكان آدم، عليه السلام، أخرج بالعصا من الجنة، فلما مات آدم قبضها جبريل، عليه السلام، فقال موسى لفرعون: ما هذه بيدى؟ قال فرعون: هذه عصا، فألقاها موسى من يده ﴿فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [آية: ٣٢] يعنى حية ذكر أصفر أشعر العنق عظيم ملأ الدار عظمًا، قائم على ذنبه يتملظ على فرعون وقومه يتوعدهم، قال فرعون: خذها يا موسى، مخافة أن تبتلعه، فأخذ بذبها، فصارت عصًا مثل ما كانت، قال فرعون: هل من آية أخرى غيرها؟ قال موسى: نعم، فأبرز يده، قال لفرعون: ما هذه؟ قال فرعون: هذه يدك، فأدخلها فى جيبه وهى مدرعة مصرية من صوف.

﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾ يعنى أخرج يده من المدرعة ﴿فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾ [آية: ٣٣] لها شعاع مثل شعاع الشمس من شدة بياضها يغشى البصر. ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿لِلْمَلَإِ﴾ يعنى الأشراف ﴿حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا﴾ يعنى موسى ﴿لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [آية: ٣٤] بالسحر. ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم﴾ يعنى مصر ﴿بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [آية: ٣٥] يقول: فماذا تشيرون علىّ، فرد عليه الملأ من قومه، يعنى الأشراف.

﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ يقول: احبسهما جميعًا، ولا تقتلهما، حتى ننظر ما أمرهما، ﴿وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ﴾ يعنى فى القرى ﴿حَٰشِرِينَ﴾ [آية: ٣٦] يحشرون عليك السحرة. فذلك قوله سبحانه: ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ [آية: ٣٧] يعنى عالم بالسحر. ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [آية: ٣٨] يعنى موقت، وهو يوم عيدهم، وهو يوم الزينة، وهم اثنتان وسبعون ساحرًا من أهل فارس، وبقيتهم من بنى إسرائيل.

﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ﴾ يعنى لأهل مصر ﴿هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ﴾ [آية: ٣٩] إلى السحرة ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ﴾ على أمرهم ﴿إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ [آية: ٤٠] لموسى وأخيه، واجتمعوا، فقال موسى للساحر الأكبر: تؤمن بى إن غلبتك؟ قال الساحر: لآتين بسحر لا يغلبه سحر، فإن غلبتنى لأومنن بك، وفرعون ينظر إليهما، ولا يفهم ما يقولان.

﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ يعنى جعلاً ﴿إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ [آية: ٤١] لموسى وأخيه. ﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿نَعَمْ﴾ لكم الجعل ﴿وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [آية: ٤٢] عندى فى المنزلة سوى الجعل. ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟﴾ ما فى أيديكم من الحبال والعصى ﴿مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ﴾ [آية: ٤٣] ﴿فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ﴾ يعنى بعظمة فرعون، كقولهم لشعيب: ﴿**وما أنت علينا بعزيز**﴾ [هود: ٩١]، يعنى بعظيم.

﴿إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [آية: ٤٤] فإذا هى حيات فى أعين الناس، وفى عين موسى وهارون تسعى إلى موسى وأخيه، وإنما هى حبال وعصى لا تحرك، فخاف موسى، فقال جبريل لموسى، عليه السلام: ألق عصاك، فإذا هى حية عظيمة سدت الأفق برأسها، وعلقت ذنبها فى قبة لفرعون طول القبة سبعون ذراعًا فى السماء، وذلك فى المحرم يوم السبت لثمانى ليال خلون من المحرم، ثم إن حية موسى فتحت فاها، فجعلت تلقم تلك الحيات، فلم يبق منها شىء.

فذلك قوله عز وجل: ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [آية: ٤٥] يعنى فإذا هى تلقم ما يكذبون من سحرهم، ثم أخذ موسى، عليه السلام، بذنبها فإذا هى عصا كما كانت، فقال السحرة بعضهم لبعض: لو كان هذا سحر لبقيت الحبال والعصى.

فذلك قوله عز وجل: ﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾ [آية: ٤٦] لله عز وجل.

﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾

﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ٤٧] لقول موسى: أنا رسول رب العالمين، فقال فرعون: أنا رب العالمين. قالت السحرة: ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [آية: ٤٨] فبهت فرعون عند ذلك، وألقى بيديه. فـ﴿قَالَ﴾ فرعون للسحرة: ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾ يقول: صدقتم بموسى ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ يقول: من قبل أن آمركم بالإيمان به، ثم قال فرعون للسحرة: ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ إن هذا لمكر مكرتموه، يقول: إن هذا لقول قلتموه أنتم، يعنى به السحرة وموسى فى المدينة، يعنى فى أهل مدين لتخرجوا منها

أهلها بقول الساحر الأكبر لموسى، حين قال: لئن غلبتنى لأؤمن بك، ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ هذا وعيد، فأخبرهم بالوعيد، فقال: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ﴾ يعنى اليد اليمنى والرجل اليسرى، ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [آية: ٤٩] فى جذوع النخل.

فردت عليه السحرة حين أوعدهم بالقتل والصلب، ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ﴾ ما عسيت أن تصنع هل هو إلا أن تقتلنا ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ [آية: ٥٠] يعنى لراجعون إلى الآخرة ﴿إِنَّا نَطْمَعُ﴾ أى نرجو ﴿أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا﴾، يعنى سحرنا ﴿أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ٥١] يعنى أول المصدقين بتوحيد الله عز وجل من أهل مصر، فقطعهم وصلبهم فرعون من يومه، قال ابن عباس: كانوا أول النهار سحرة وآخر النهار شهداء.

﴿ ۞ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ
حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ
حَاذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ
وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ
مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ
اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ
﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ ﴾

﴿۞ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ بنى إسرائيل ليلاً ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ [آية: ٥٢] يعنى يتبعكم فرعون وقومه، فأمر جبريل، عليه السلام، كل أهل أربعة أبيات من بنى إسرائيل فى بيت، ويعلم تلك الأبواب بدم الخراف، فإن الله عز وجل يبعث الملائكة إلى أهل مصر، فمن لم يروا على بابه دمًا دخلوا بيته فقتلوا أبكارهم، من أنفسهم وأنعامهم، فيشغلهم دفنهم إذا أصبحوا عن طلب موسى، ففعلوا واستعاروا حلى أهل مصر، فساروا من ليلتهم قبل البحر، هارون على المقدمة، وموسى على الساقة، فأصبح فرعون من الغد يوم الأحد، وقد قتلت الملائكة أبكارهم، فاشتغلوا بدفنهم، ثم جمع الجموع فساروا يوم الاثنين فى طلب موسى، عليه السلام، وأصحابه، وهامان على مقدمة فرعون فى ألفى ألف وخمس مائة، ويقال: ألف ألف مقاتل.

فذلك قوله عز وجل: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ [آية: ٥٣] يحشرون الناس

فى طلب موسى، عليه السلام، وهارون، عليه السلام، وبنى إسرائيل. ثم قال فرعون: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعنى بنى إسرائيل ﴿لَشِرْذِمَةٌ﴾ يعنى عصابة ﴿قَلِيلُونَ﴾ [آية: ٥٤] وهم ست مائة ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ﴾ [آية: ٥٥] لقتلهم أبكارنا، ثم هربوا منا ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ﴾ [(١)] [آية: ٥٦] علينا السلاح.

يقول الله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم﴾ من مصر ﴿مِّن جَنَّٰتٍ﴾ يعنى البساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾ [آية: ٥٧] يعنى أنهار جارية ﴿وَكُنُوزٍ﴾ يعنى الأموال الظاهرة من الذهب والفضة، وإنما سمى كنزًا، لأنه لم يعط حق الله عز وجل منه، وكل ما لم يعط حق الله تعالى منه، فهو كنز، وإن كان ظاهرًا. قال سبحانه: ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [آية: ٥٨] يعنى المساكن الحسان ﴿كَذَٰلِكَ﴾ هكذا فعلنا بهم فى الخروج من مصر، وما كانوا فيه من الخير.

ثم قال سبحانه: ﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [آية: ٥٩]، وذلك أن الله عز وجل رد بنى إسرائيل بعدما أغرق فرعون وقومه إلى مصر، ﴿فَأَتْبَعُوهُم﴾ يقول: فاتبعهم فرعون وقومه ﴿مُّشْرِقِينَ﴾ [آية: ٦٠] يعنى ضحى ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ﴾ يعنى جمع موسى، عليه السلام، وجمع فرعون، فعاين بعضهم بعضًا، ﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [آية: ٦١] هذا فرعون وقومه لحقونا من ورائنا، وهذا البحر أمامنا قد غشينا، ولا منقذ لنا منه.

﴿قَالَ﴾ موسى، عليه السلام: ﴿كَلَّآ﴾ لا يدركوننا ﴿إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [آية: ٦٢] الطريق، وذلك أن جبريل، عليه السلام، حين أتاه فأمره بالمسير من مصر، قال: موعد ما بيننا وبينك البحر، فعلم موسى، عليه السلام، أن الله عز وجل سيجعل له مخرجًا، وذلك يوم الاثنين العاشر من المحرم.

فلما صار موسى إلى البحر أوحى الله عز وجل إليه، ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ﴾ فجاءه جبريل، عليه السلام، فقال: اضرب بعصاك البحر، فضربه بعصاه فى أربع ساعات من النهار، ﴿فَٱنفَلَقَ﴾ البحر فانشق الماء اثنى عشر طريقًا يابسًا، كل طريق طوله فرسخان وعرضه فرسخان، وقام الماء عن يمين الماء، وعن يساره، كالجبل العظيم، فذلك قوله عز وجل: ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [آية: ٦٣] يعنى

(١) انظر: (مختصر شواذ القراءات ١٠٦، البحر المحيط ١٨/٧، القرطبى ١٠١/١٣، الكشاف ١١٤/٣، مجمع البيان ١٨٩/٧، الرازى ١٣٧/٢٤، التبيان ٢١/٨، النحاس ٤٨٩/٢، العكبرى ٩١/٢).

كالجبلين المقابلين كل واحد منهما على الآخر، وفيهما كوى من طريق إلى طريق لينظر بعضهم إلى بعض إذا ساروا فيه ليكون آنس لهم إذا نظر بعضهم إلى بعض، فسلك كل سبط من بنى إسرائيل فى طريق لا يخالطهم أحد من غيرهم، وكانوا اثنى عشر سبطًا، فساروا فى اثنى عشر طريقًا فقطعوا البحر، وهو نهر النيل بين أيلة، ومصر، نصف النهار فى ست ساعات من النهار يوم الاثنين، وهو يوم العاشر من المحرم، فصام موسى، عليه السلام، يوم العاشر شكرًا لله عز وجل حين أنجاه الله عز وجل، وأغرق عدوه فرعون، فمن ثم تصومه اليهود، وسار فرعون وقومه فى تمام ثمانية ساعات، فلما توسطوا البحر تفرقت الطرق عليهم، فأغرقهم الله عز وجل أجمعين.

فذاك قوله تعالى: ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْآخَرِينَ﴾ [(١)] [آية: ٦٤] يعنى هناك الآخرين، قربنا فرعون وجنوده فى مسالك بنى إسرائيل ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ﴾ [آية: ٦٥] من الغرق فلم يبقى أحد إلا نجا ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ﴾ [آية: ٦٦] يعنى فرعون وقومه فى تمام تسع ساعات من النهار، ثم أوحى الله عز وجل إلى البحر، فألقى فرعون على الساحل فى ساعة، فتلك عشر ساعات، وبقى من النهار ساعتان.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ يقول: فى هلاك فرعون وقومه لعبرة لمن بعدهم، ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آية: ٦٧] يقول: لم يكن أكثر أهل مصر مصدقين بتوحيد الله عز وجل، ولو كان أكثرهم مؤمنين لم يعذبوا فى الدنيا، ولم يؤمن من أهل مصر غير آسية امرأة فرعون، وحزقيل المؤمن من آل فرعون، وفية الماشطة، ومريم ابنة ناموثية التى دلت على عظام يوسف.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فى نقمته من أعدائه حين انتقم منهم ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [آية: ٦٨] بالمؤمنين حين أنجاهم من العذاب، وكان موسى بمصر ثلاثين سنة، فلما قتل النفس خرج إلى مدين هاربًا على رجليه فى الصيف بغير زاد، وكان راعيًا عشر سنين، ثم بعثه الله رسولاً وهو ابن أربعين سنة، ثم دعا قومه ثلاثين سنة، ثم قطع البحر، فعاش خمسين سنة، فمات وهو ابن عشرين ومائة سنة ﷺ، وكان دعا فرعون وقومه عشر سنين، فلما أبوا أرسل الله عليهم الطوفان والجراد والقمل، وإلى آخر الآية، ثم لبث فيهم أيضًا عشرين سنة كل ذلك ثلاثين سنة، فلم يؤمنوا فأغرقهم الله أجمعين، فعاش موسى، عليه

---

(١) انظر: (القرطبى ١٣/١٠٧، الكشاف ٣/١١٥، الرازى ٢٤/١٣٩، البحر المحيط ٧/٢٠، الآلوسى ١٩/٨٨).

السلام، عشرين ومائة سنة.

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ
نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ
أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ
تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ
فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى
خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾
وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ
لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ
﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ على أهل مكة ﴿نَبَأَ﴾ يعنى حديث ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ [آية: ٦٩] ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ آزر ﴿وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [آية: ٧٠] ﴿قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾ من ذهب، وفضة، وحديد، ونحاس، وخشب، ﴿فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾ [آية: ٧١] يقول: فتقيم عليها عاكفين، وهى اثنان وسبعون ﴿قَالَ﴾ إبراهيم، عليه السلام: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ﴾ [آية: ٧٢] يقول: هل تجيبكم الأصنام إذا دعوتموهم، ﴿أَوْ يَنفَعُونَكُمْ﴾ فى شىء إذا عبدتموها، ﴿أَوْ يَضُرُّونَ﴾ [آية: ٧٣] يضرونكم بشىء إن لم تعبدوها فردوا على إبراهيم.

﴿قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [آية: ٧٤] يعنى هكذا يعبدون الأصنام ﴿قَالَ﴾ إبراهيم: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ [آية: ٧٥] من الأصنام ﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ﴾ [آية: ٧٦]، ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ﴾ أنا برئ مما تعبدون، ثم استثنى إبراهيم عليه السلام مما يعبدوم رب العالمين جل جلاله، وعبادتهم الله، لأنهم يعلمون أن الله تعالى هو ربهم الذى خلقهم قوله: ﴿إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ٧٧] مما تعبدون، فإنى لا أتبرأ منه وإقرارهم بالله عز وجل أنه خلقهم، وهو ربهم، وهم عباده.

ثم ذكر إبراهيم، عليه السلام، نعم رب العالمين تعالى، فقال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [آية: ٧٨] ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى﴾ إذا جعت ﴿وَيَسْقِينِ﴾ [آية: ٧٩] إذا

عطشت، ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [آية: ٨٠] ﴿ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى﴾ فى الدنيـا ﴿ ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ [آية: ٨١] بعد الموت فى الآخرة، ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ﴾ يعنـى أرجـو ﴿ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [آية: ٨٢] يعنى يوم الحساب، يقول: أنا أعبد الذى يفعل هذا بى ولا أعبد غيره، وخطيئة إبراهيم ثلاث كذبات، حين قال عن سارة: هذه أختـى، وحـين قال: إنى سقيم، وحين قال: بـل فعلـه كبـيرهم هـذا، إحداهـن لنفسـه، واثنتـان لله، عـز وجل، ربه تعالى ذكره.

فقال: ﴿ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا﴾ يعنى الفهم والعلم ﴿ وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آيـة: ٨٣] يعنى الأنبياء عليـهم السـلام، ﴿ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾ [آيـة: ٨٤] يعنـى ثناء حسنًا يقال: من بعدى فى الناس، فأعطاه الله عز وجل ذلك، فكل أهل دين يقولون: إبراهيم، عليه السلام، ويثنون عليه، ثـم قـال: ﴿ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [آيـة: ٨٥] يقول: اجعلنى ممن يرث الجنة.

﴿ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [آية: ٨٦] يعنى من المشركين، ﴿ وَلَا تُخْزِنِى﴾ يعنى لا تعذبنى ﴿ يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ [آية: ٨٧] يعنى يوم تبعث الخلق بعد الموت.

ثم نعت إبراهيم، عليه السلام، ذلك اليـوم، فقـال: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ [آيـة: ٨٨] من العذاب من بعد المـوت، ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ﴾ فـى الآخـرة ﴿ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [آيـة: ٨٩] من الشرك مخلصًا لله عز وجل بالتوحيد، فينفعه يوم البعث ماله وولده.

﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ ﴾

﴿ وَأُزْلِفَتِ﴾ يعنى وقربـت ﴿ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آيـة: ٩٠] ﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ﴾ يعنـى وكشف الغطاء عن الجحيم ﴿ لِلْغَاوِينَ﴾ [آية: ٩١] من كفـار بنـى آدم، وهـم الضـالون عن الهدى. ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ [آية: ٩٢].

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ لأنهم عبدوا الشيطان نظيرها في الصافات ﴿هَلۡ يَنصُرُونَكُمۡ أَوۡ يَنتَصِرُونَ﴾ [آية: ٩٣] يعني هل يمنعونكم النار، أو يمتنعون منها.

﴿فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا﴾ يعني فقذفوا في النار، يعني فقذفهم الخزنة في النار ﴿هُمۡ﴾ يعني كفار بني آدم ﴿وَٱلۡغَاوُۥنَ﴾ [آية: ٩٤] يعني الشياطين الذين أغووا بني آدم، ثم قال تعالى: ﴿وَجُنُودُ إِبۡلِيسَ أَجۡمَعُونَ﴾ [آية: ٩٥] يعني ذرية إبليس كلهم.

﴿قَالُواْ وَهُمۡ فِيهَا يَخۡتَصِمُونَ﴾ [آية: ٩٦] في النار، فيها تقديم، وذلك أن الكفار من بني آدم، قالوا للشياطين: ﴿تَٱللَّهِ﴾ يعني والله ﴿إِن﴾ لقد ﴿كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ [آية: ٩٧] ﴿إِذۡ نُسَوِّيكُم﴾ يعني نعدلكم يا معشر الشياطين ﴿بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ٩٨] في الطاعة فهذه خصومتهم.

ثم قال كفار مكة من بني آدم: ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ﴾ عن الهدى ﴿إِلَّا ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ [آية: ٩٩] يعني الشياطين، ثم أظهروا الندامة، فقالوا: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ﴾ [آية: ١٠٠] من الملائكة والنبين ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ﴾ [آية: ١٠١] يعني القريب الشفيق، فيشفعون لنا كما يشفع المؤمنين، وذلك أنهم لما رأوا كيف يشفع الله عز وجل، والملائكة، والنبين في أهل التوحيد، قالوا عند ذلك: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ﴾ إلى آخر الآية.

حدثنا أبو محمد، قال: حدثني الهذيل، قال: قال مقاتل: استكثروا من صداقة المؤمنين، فإن المؤمنين يشفعون يوم القيامة، فذلك قوله سبحانه: ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ﴾ .

ثم قال: ﴿فَلَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ﴾ يعني رجعة إلى الدنيا ﴿فَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [آية: ١٠٢] يعني من المصدقين بالتوحيد، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ﴾ يعني إن في هلاك قوم إبراهيم لعبرة لمن بعدهم ﴿وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آية: ١٠٣] يقول: لو كان أكثرهم مؤمنين لم يعذبوا في الدنيا.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ في نقمته ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [آية: ١٠٤] بالمؤمنين هلك قوم إبراهيم بالصيحة تفسيره في سورة العنكبوت.

﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ

(١١١) قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (١١٢) إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ
(١١٣) وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١١٤) إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (١١٥) قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ
يَـٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ (١١٦) قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ (١١٧) فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ
فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١١٨) فَأَنجَيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ (١١٩)
ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ (١٢٠) إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٢١) وَإِنَّ
رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ (١٢٢) ﴾

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [آية: ١٠٥] يعنى كذبوا نوحًا وحده، نظيرها فى اقتربت الساعة ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ﴾ ليس بأخيهم فى الدين، ولكن أخوهم فى النسب ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [آية: ١٠٦] يعنى ألا تخشون الله عز وجل.

﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [آية: ١٠٧] فيما بينكم وبين ربكم ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ يعنى فاعبدوا الله ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ [آية: ١٠٨] فيما آمركم به من النصيحة ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ يعنى جعلاً، وذلك أنهم قالوا للأنبياء: إنما تريدون أن تملكوا علينا فى أموالنا، فردت عليهم الأنبياء، فقالوا: لا نسألكم عليه من أجر، يعنى على الإيمان جعلاً.

﴿إِنْ أَجْرِىَ﴾ يعنى جزائى ﴿إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [آية: ١٠٩] ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ يعنى فاعبدوا الله ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ [آية: ١١٠] فيما آمركم به من النصيحة ﴿۞ قَالُوٓا۟﴾ لنوح ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ﴾ أنصدقك بقولك ﴿وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ [آية: ١١١] يعنى السفلة.

﴿قَالَ﴾ نوح، عليه السلام: ﴿وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [آية: ١١٢] يقول: لم أكن أعلم أن الله يهديهم للإيمان من بينكم ويدعكم، ثم قال نوح، عليه السلام: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ﴾ يعنى ما جزاء الأرذلون ﴿إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ [آية: ١١٣].

﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ١١٤] يقول: وما أنا بالذى لا يقبل الإيمان من الذين تزعمون أنهم الأرذلون عندكم ﴿إِنْ أَنَا۠﴾ يعنى ما أنا ﴿إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [آية: ١١٥] يعنى رسول بيّن ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ﴾ يعنى لئن لم تسكت ﴿يَـٰنُوحُ﴾ عنا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾ [آية: ١١٦] يعنى من المقتولين.

﴿قَالَ﴾ نوح: ﴿رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ﴾ [آية: ١١٧] البعث ﴿فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾ يقول: اقض بينى وبينهم قضاء، يعنى العذاب، ﴿وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ١١٨] من الغرق، فنجاه الله عز وجل.

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [آية: ١١٩]، يعنى الموقر من الناس والطير والحيوان كلها، من كل صنف ذكر وأنثى، ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ﴾ أهل السفينة ﴿ٱلْبَاقِينَ﴾ [آية: ١٢٠] يعنى من بقى منهم ممن لم يركب السفينة ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾ يقول: إن فى هلاك قوم نوح لعبرة لمن بعدهم من هذه الأمة، ليحذروا مثل عقوبتهم، ثم قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آية: ١٢١] يعنى مصدقين بتوحيد الله عز وجل، يقول: كان أكثرهم كافرين بالتوحيد، ولو كان أكثرهم مؤمنين لم يعذبوا فى الدنيا.

ثم قال سبحانه: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فى نقمته منهم بالغرق ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [آية: ١٢٢] بالمؤمنين إذ نجاهم من الغرق، إنما ذكر الله تعالى تكذيب الأمم الخالية رسلهم، لما كذب كفار قريش النبى ﷺ بالرسالة، أخبر الله عز وجل النبى ﷺ أنه أرسله كما أرسل نوحًا وهودًا وصالحًا ولوطًا وشعيبًا، فكذبهم قومهم، فكذلك أنت يا محمد، وذكر عقوبة الذين كذبوا رسلهم لئلا يكذب كفار قريش محمدًا ﷺ، فحذرهم مثل عذاب الأمم الخالية.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾﴾

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [آية: ١٢٣] ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ﴾ ليس بأخيهم فى الدين ولكن أخوهم فى النسب، ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [آية: ١٢٤] يعنى ألا تخشون الله عز وجل، ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [آية: ١٢٥] فيما بينكم وبين ربكم، ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ يعنى فاعبدوا الله، ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ [آية: ١٢٦] فيما آمركم به من النصيحة ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ يقول: لا أسالكم على الإيمان جعلاً ﴿إِنْ أَجْرِىَ﴾ يقول: ما أجرى ﴿إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ١٢٧].

﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾ يعنى طريق ﴿ءَايَةً﴾ يعنى علمًا ﴿تَعْبَثُونَ﴾ [آية: ١٢٨] يعنى تلعبون، وذلك أنهم كانوا إذا سافروا لا يهتدون إلا بالنجوم، فبنوا القصور الطوال عبثًا يقول: علمًا بكل طريق يهتدون بها فى طريقهم، ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾ يعنى القصور ليذكروا بها هذا منزل بنى فلان، وبنى فلان ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ يعنى كأنكم ﴿تَخْلُدُونَ﴾(١) [آية: ١٢٩] فى الدنيا فلا تموتون.

﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [آية: ١٣٠] يقول: إذا أخذتم أخذتم فقتلتم فى غير حق، كفعل الجبارين، والجبار من يقتل بغير حق، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [آية: ١٣١] ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم﴾ يقول: اتقوا الله الذى أعطاكم ﴿بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ [آية: ١٣٢] من الخير.

ثم أخبر بالذى أعطاهم، فقال سبحانه: ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾ [آية: ١٣٣] ﴿وَجَنَّاتٍ﴾ يقول: البساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾ [آية: ١٣٤] يعنى وأنهار جارية أعطاهم هذا الخير كله، بعدما أخبرهم عن قوم نوح بالغرق، قال: فإن لم تؤمنوا فـ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [آية: ١٣٥] إن ينزل بكم فى الدنيا، يعنى بالعظيم الشديد فردوا عليه، عليه السلام ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ﴾ بالعذاب ﴿أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ﴾ [آية: ١٣٦] ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ [آية: ١٣٧] يعنى ما هذا العذاب الذى يقول هود إلا أحاديث الأولين ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [آية: ١٣٨].

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ بالعذاب فى الدنيا ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ بالريح ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ يقول: إن فى هلاكهم بالريح لعبرة لمن بعدهم من هذه الأمة، فيحذروا مثل عقوبتهم، ثم قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آية: ١٣٩] ولو كان أكثرهم مؤمنين لم يعذبوا فى الدنيا، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ فى نقمته من أعدائه حين أهلكهم بالريح ﴿الرَّحِيمُ﴾ [آية: ١٤٠] بالمؤمنين حين أنجاهم.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا

---

(١) انظر: (البحر المحيط ٧/٣٢، الرازى ٢٤/١٥٧).

يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ
إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَـٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾
وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُواْ نَـٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾
فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ
ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [آية: ١٤١] يعنى صالحًا وحده ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَـٰلِحٌ﴾ فى النسب، وليس بأخيهم فى الدنيا، ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [آية: ١٤٢] يعنى ألا تخشون الله عز وجل ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [آية: ١٤٣] فيما بينكم وبين الله عز وجل.

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [آية: ١٤٤] فيما آمركم به ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ يعنى على الإيمان ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ يعنى جعلاً ﴿إِنْ أَجْرِىَ﴾ يعنى جزائى ﴿إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [آية: ١٤٥] ثم قال صالح عليه السلام: ﴿أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَـٰهُنَآ﴾ من الخير ﴿ءَامِنِينَ﴾ [آية: ١٤٦] من الموت.

ثم أخبر عن الخير، فقال سبحانه: ﴿فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [آية: ١٤٧] ﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ [آية: ١٤٨] يعنى طلعها متراكب بعضها على بعض من الكثرة، ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَـٰرِهِينَ﴾ [آية: ١٤٩] يعنى حاذقين بنحتها، ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [آية: ١٥٠] فيما آمركم به من النصحية، ﴿وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [آية: ١٥١] يعنى التسعة الذين عقروا الناقة، ثم نعتهم، فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [آية: ١٥٢] يقول: الذين يعصون فى الأرض، ولا يطيعون الله عز وجل، فيما أمرهم به، ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾ [آية: ١٥٣].

حدثنا أبو محمد، قال: حدثنا الأثرم، قال أبو عبيدة والفراء: المسحر المخلوق، ويقال أيضًا: الذى له سحر يجتمع فيه طعامه أسفل نحره، لأن نصف العنق نحر، ونصفه سحر.

﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ يقول: إنما أنت بشر مثلنا فى المنزلة، ولا تفضلنا فى شىء لست بملك، ولا رسول، ﴿فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [آية: ١٥٤] بأنك رسول الله إلينا، فقال لهم صالح: إن الله عز وجل سيخرج لكم من هذه الصخرة ناقة وبراء عشراء، يعنى حامل، قال مقاتل: كانت الناقة من غير نسل، ثم انشقت عن الناقة.

و﴿قَالَ﴾ لهم صالح، عليه السلام: ﴿هَـٰذِهِۦ نَاقَةٌ﴾ الله لكم آية بأنى رسول الله

﴿ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴾ [آية: ١٥٥] وكان للناقة يوم، ولهم يوم، وإذا كان شرب يوم الناقة من الماء كانوا فى لبن ما شاءوا، وليس لهم ماء، فإذا كان يومهم، لم يكن للناقة ماء، وكان لأهل القرية ولمواشيهم يوم، ولها يوم آخر، فذروها تأكل فى أرض الله.

﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ ﴾ يعنى ولا تعقروها، ﴿ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾ [آية: ١٥٦] فى الدنيا ﴿ فَعَقَرُوهَا ﴾ يوم الأربعاء، فماتت ﴿ فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ ﴾ [آية: ١٥٧] على عقرها، ﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ ﴾ يوم السبت من صيحة جبريل، عليه السلام، فماتوا أجمعين ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ ﴾ يعنى فى هلاكهم بالصيحة لعبرة لمن بعدهم من هذه الأمة يحذر كفار مكة مثل عذابهم.

ثم قال سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [آية: ١٥٨] يعنى لو كان أكثرهم مؤمنين ما عذبوا فى الدنيا ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ﴾ فى نقمته من أعدائه ﴿ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [آية: ١٥٩] بالمؤمنين، وعاد وثمود ابنا عم، ثمود بن عابر بن أرم بن سام بن نوح، وهود بن شالح.

﴿ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٦٠ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٦١ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ١٦٢ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٦٣ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٤ أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٥ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ عَادُونَ ١٦٦ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ ١٦٧ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلۡقَالِينَ ١٦٨ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهۡلِي مِمَّا يَعۡمَلُونَ ١٦٩ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ١٧٠ إِلَّا عَجُوزٗا فِي ٱلۡغَٰبِرِينَ ١٧١ ثُمَّ دَمَّرۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ١٧٢ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ ١٧٣ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧٤ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ١٧٥ ﴾

﴿ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ [آية: ١٦٠] كذبوا لوطًا وحده، ولوط بن حراز بن آزر، فسارة أخت لوط، عليه السلام، ﴿ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ لُوطٌ ﴾ ابن حراز ﴿ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [آية: ١٦١] يعنى ألا تخشون الله عز وجل.

﴿ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴾ [آية: ١٦٢] ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [آية: ١٦٣] فيما آمركم به من النصيحة ﴿ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ ﴾ يعنى ما أسألكم على الإيمان من جعل ﴿ إِنۡ أَجۡرِيَ ﴾ يعنى ما جزائى ﴿ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [آية: ١٦٤].

﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آية: ١٦٥] يعنى نكاح الرجال ﴿ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ﴾ يعنى بالأزواج فروج نسائكم ﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾ [آية: ١٦٦] يعنى معتدين ﴿ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ ﴾ يعنى لئن لم تسكت عنا ﴿ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴾ [آية: ١٦٧] من القرية، ﴿ قَالَ ﴾ لوط: ﴿ إِنِّى لِعَمَلِكُم ﴾ يعنى إتيان الرجال ﴿ مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴾ [آية: ١٦٨] يعنى الماقتين ﴿ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [آية: ١٦٩] من الخبائث ﴿ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴾ [آية: ١٧٠].

ثم استثنى، فقال: ﴿ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ [آية: ١٧١] يعنى الباقين فى العذاب يعنى امرأته ﴿ ثُمَّ دَمَّرْنَا ﴾ يعنى أهلكنا ﴿ ٱلْءَاخَرِينَ ﴾ [آية: ١٧٢] بالخسف والحصب، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ﴾ يعنى الحجارة ﴿ فَسَآءَ ﴾ يعنى فبئس ﴿ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾ [آية: ١٧٣] يعنى الذين أنذروا بالعذاب خسف الله بقرى قوم لوط، وأرسل الحجارة على من كان خارجًا من القرية.

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ﴾ يعنى إن فى هلاكهم بالخسف والحصب لعبرة لهذه الأمة، ثم قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آية: ١٧٤] لو كان أكثرهم مؤمنين لم يعذبوا فى الدنيا ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ﴾ فى نقمته ﴿ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [آية: ١٧٥] بالمؤمنين، وذلك قوله تعالى: ﴿ **ولقد أنذرهم بطشنا** ﴾ [القمر: ٣٦].

﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ ﴾

﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ﴾ يعنى غيطة الشجر، كان أكثر الشجر الدوم، وهو المقل ﴿ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [آية: ١٧٦] يعنى كذبوا شعيبًا، عليه السلام، وحده، وشعيب بن نويب ابن مدين بن إبراهيم، خليل الرحمن.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ و لم يكن شعيب من نسبهم، فلذلك لم يقل عز وجل أخوهم شعيب، وقد كان أرسل إلى أمة غيرهم أيضًا إلى ولد مدين، وشعيب من نسائهم، فمن ثم قال فى هذه السورة: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ و لم يقل أخوهم، لأنه ليس من نسلهم، ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [آية: ١٧٧] يقول: ألا تخشون الله عز وجل؟.

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [آية: ١٧٨] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [آية: ١٧٩] فيما آمركم به من النصيحة ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ يعنى على الإيمان ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ يعنى من جعل ﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾ يعنى ما جزائى ﴿إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [آية: ١٨٠].

﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ ولا تنقصوه ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ [آية: ١٨١] يعنى من المنقصين للكيل ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ [آية: ١٨٢] يعنى بالميزان المستقيم، والميزان بلغة الروم القسطاس، ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ يقول: ولا تنقصوا الناس حقوقهم فى الكيل والميزان، ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ يعنى ولا تسعوا فى الأرض ﴿مُفْسِدِينَ﴾ [آية: ١٨٣] بالمعاصى.

﴿وَاتَّقُوا﴾ يقول: واخشوا أن يعذبكم فى الدنيا ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ وَ﴾ خلق ﴿وَالْجِبِلَّةَ﴾ يعنى الخليقة ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ (١) [آية: ١٨٤] يعنى الأمم الخالية الذين عذبوا فى الدنيا قوم نوح وصالح، وقوم لوط.

﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ [آية: ١٨٥] يعنى أنت بشر مثلنا لست بملك، ولا رسول، فذلك قوله سبحانه: ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ لا تفضلنا فى شىء فنتبعك، ﴿وَإِنْ نَظُنُّكَ﴾ يقول: وقد نحسبك يا شعيب، ﴿لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [آية: ١٨٦] يعنى حين تزعم أنك نبى رسول.

﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ يعنى جانبًا ﴿مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [آية: ١٨٧] بأن العذاب نازل بنا لقوله فى هود: ﴿**وإنى أخاف عليكم عذاب يوم محيط**﴾ [هود: ٨٤]. ﴿قَالَ﴾ شعيب: ﴿رَبِّي أَعْلَمُ﴾ من غيره ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ١٨٨] من نقصان الكيل والميزان، ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ بالعذاب، ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ وذلك أن الله عز وجل كان حبس عنهم الريح والظل، فأصابهم حر شديد، فخرجوا من

---

(١) انظر: (الإتحاف ٣٣٤، القرطبى ١٣/١٣٦، الكشاف ٣/١٢٧، الرازى ٢٤/١٦٤، البحر المحيط ٧/٣٨، العكبرى ٢/٩٢).

منازلهم، فرفع الله عز وجل سحابة فيها عذاب بعد ما أصابهم الحر سبعة أيام، فانقلبوا ليستظلوا تحتها، فأهلكهم الله عز وجل حرًا وغمًا تحت السحابة، فذلك قوله عز وجل: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾ [آية: ١٨٩] لشدته.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ١٩٠ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ١٩١ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥ وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٩٦ أَوَ لَمۡ يَكُن لَّهُمۡ ءَايَةً أَن يَعۡلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ١٩٧ وَلَوۡ نَزَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ بَعۡضِ ٱلۡأَعۡجَمِينَ ١٩٨ فَقَرَأَهُۥ عَلَيۡهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤۡمِنِينَ ١٩٩ كَذَٰلِكَ سَلَكۡنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٢٠٠ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ٢٠١ فَيَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٢٠٢ فَيَقُولُواْ هَلۡ نَحۡنُ مُنظَرُونَ ٢٠٣ أَفَبِعَذَابِنَا يَسۡتَعۡجِلُونَ ٢٠٤ أَفَرَءَيۡتَ إِن مَّتَّعۡنَٰهُمۡ سِنِينَ ٢٠٥ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ٢٠٦ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ٢٠٧﴾

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ﴾ إن فى هلاكهم بالحر والغم لعبرة لمن بعدهم، يحذر كفار مكة أمة محمد ﷺ، ثم قال عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آية: ١٩٠] يعنى لو كان أكثرهم مؤمنين ما عذبوا فى الدنيا ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ فى نقمته من أعدائه ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [آية: ١٩١] بالمؤمنين.

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ١٩٢] وذلك أنه لما قال كفار مكة: إن محمدًا ﷺ يتعلم القرآن من أبى فكيهة، ويجئ به الرى، وهو شيطان، فيلقيه على لسان محمد ﷺ، فأكذبهم الله تعالى، فقال عز وجل: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ يعنى القرآن ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ﴾ [آية: ١٩٣] يعنى جبريل، عليه السلام، أمين فيما استودعه الله عز وجل من الرسالة إلى الأنبياء، عليهم السلام، نزله ﴿عَلَىٰ قَلۡبِكَ﴾ ليثبت به قلبك يا محمد، ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ﴾ [آية: ١٩٤].

أنزله ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ﴾ [آية: ١٩٥] ليفقهوا ما فيه لقوله، إنما يعلمه أبو فكيهة، وكان أبو فكيهة أعجميًا، ثم قال سبحانه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [آية: ١٩٦] يقول: أمر محمد ﷺ ونعته فى كتب الأولين.

ثم قال: ﴿أَوَ لَمۡ يَكُن﴾ محمد ﷺ ﴿لَّهُمۡ ءَايَةً﴾ يعنى لكفار مكة ﴿أَن يَعۡلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [آية: ١٩٧] يعنى ابن سلام وأصحابه، ﴿وَلَوۡ نَزَّلۡنَٰهُ﴾ يعنى القرآن ﴿عَلَىٰ

بَعۡضِ ٱلۡأَعۡجَمِينَ ﴾ [1] [آية: ١٩٨] يعنى أبا فكيهة، يقول: لو أنزلناه على رجل ليس بعربى اللسان ﴿فَقَرَأَهُۥ عَلَيۡهِم﴾ على كفار مكة، لقالوا: ما نفقه قوله، و ﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤۡمِنِينَ﴾ [آية: ١٩٩] يعنى بالقرآن مصدقين بأنه من الله عز وجل، ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكۡنَٰهُ﴾ يعنى هكذا جعلنا الكفر بالقرآن ﴿فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [آية: ٢٠٠].

﴿لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ يعنى بالقرآن ﴿حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾ [آية: ٢٠١] يعنى الوجيع، ﴿فَيَأۡتِيَهُم﴾ العذاب ﴿بَغۡتَةً﴾ [2] يعنى فجأة، ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [آية: ٢٠٢] فيتمنون الرجعة والنظرة، فذلك قوله سبحانه: ﴿فَيَقُولُواْ﴾ يعنى كفار مكة ﴿هَلۡ نَحۡنُ مُنظَرُونَ﴾ [آية: ٢٠٣] فنعتب ونراجع، فلما أوعدهم النبى ﷺ العذاب، قالوا: فمتى هذا العذاب؟ تكذيبًا به.

يقول الله عز وجل: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسۡتَعۡجِلُونَ﴾ [آية: ٢٠٤] ﴿أَفَرَءَيۡتَ إِن مَّتَّعۡنَٰهُمۡ سِنِينَ﴾ [آية: ٢٠٥] فى الدنيا ﴿ثُمَّ جَآءَهُم﴾ بعد ذلك العذاب ﴿مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ [آية: ٢٠٦] ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم﴾ من العذاب ﴿مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ﴾ [آية: ٢٠٧] فى الدنيا.

﴿ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكۡرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنۡ عَصَوۡكَ فَقُلۡ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾

ثم خوفهم، فقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ﴾ فيما خلا بالعذاب فى الدنيا ﴿إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾ [آية: ٢٠٨] يعنى رسلاً تنذرهم العذاب بأنه نازل بهم فى الدنيا ﴿ذِكۡرَىٰ﴾ يقول: العذاب يذكر ويفكر، ﴿وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [آية: ٢٠٩] فنعذب على غير ذنب كان منهم ظلمًا، قالت قريش: إنه يجئ بالقرآن الرى، يعنون الشيطان، فيلقيه على لسان محمد ﷺ، فكذبوه بما جاء به.

---

(١) انظر: (القرطبى ١٣/١٤٠، الكشاف ٣/١٢٩، مجمع البيان ٧/٢٠٣، الإتحاف ٣٣٤، البحر المحيط ٧/٤٢).

(٢) انظر: (القرطبى ١٣/١٤٠، الكشاف ٣/١٢٩، مجمع البيان ٧/٢٠٣، الإتحاف ٣٣٤، البحر المحيط ٧/٤٢).

فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ (١) [آية: ٢١٠] ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ﴾ إن ينزلوا بالقرآن ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [آية: ٢١١] لأنه حيل بينهم وبين السمع بالملائكة والشهب، وذلك أنهم كانوا يستمعون إلى السماء قبل أن يبعث النبى ﷺ، فلما بعث رمتهم الملائكة بالشهب.

فذلك قوله سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [آية: ٢١٢] بالملائكة والكواكب ﴿فَلَا تَدْعُ﴾ يعنى ﴿مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ وذلك حين دعى إلى دين آبائه، فقال: لا تدع يعنى فلا تعبد مع الله إلٰهًا آخر ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾ [آية: ٢١٣] ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [آية: ٢١٤] لما نزلت هذه الآية قال النبى ﷺ: «إنى أرسلت إلى الناس عامة، وأرسلت إليكم يا بنى هاشم، وبنى المطلب خاصة،» وهم الأقربون، وهما أخوان ابنا عبد مناف.

﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ يعنى لين لهم جناحك ﴿لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ٢١٥] ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾ يعنى بنى هاشم، وبنى عبد المطلب، فلم يجيبوك إلى الإيمان ﴿فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٢١٦] من الشرك والكفر.

﴿وَتَوَكَّلْ﴾ يعنى وثق بالله عز وجل ﴿عَلَى ٱلْعَزِيزِ﴾ فى نقمته ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ [آية: ٢١٧] بهم حين لا يعجل عليهم بالعقوبة، وذلك حين دعى إلى ملة آبائه، ثم قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [آية: ٢١٨] وحدك إلى الصلاة.

﴿وَتَقَلُّبَكَ﴾ يعنى ويرى ركوعك وسجودك وقيامك فهذا التقلب ﴿فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [آية: ٢١٩] يعنى ويراك مع المصلين فى جماعة ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لما قالوا حين دعى إلى دين آبائه ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ [آية: ٢٢٠] بما قال كفار مكة.

﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾

---

(١) انظر: (جمهرة اللغة «شطن»، الإتحاف ٣٠٣، القرطبى ١٤٢/١٣، الكشاف ١٣١/٣، الطبرى ٧٢/١٩، مجمع البيان ٢٠٣/٧، التبيان ٦٠/٨، النحاس ٥٠٣/٢، همع الهوامع ١٦٠/١).

﴿ هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ [آية: ٢٢١] لقولهم: إنما يجئ به الرى فيلقيه على لسان محمد ﷺ ﴿ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ﴾ يعنى كذاب ﴿ أَثِيمٍ﴾ [آية: ٢٢٢] بربه منهم مسيلمة الكذاب، وكعب بن الأشرف، ﴿ يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ﴾ يقول: تلقى الشياطين بآذانهم إلى السمع فى السماء لكلام الملائكة، وذلك أن الله عز وجل إذا أراد أمرًا فى أهل الأرض أعلم به أهل السماوات من الملائكة، فتكلموا به، فتسمع الشياطين لكلام الملائكة، وترميهم بالشهب فيخطفون الخطفة، ثم قال عز وجل: ﴿ وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ﴾ [آية: ٢٢٣] يعنى الشياطين حين يخبرون الكهنة أنه يكون فى الأرض كذا وكذا.

ثم قال سبحانه: ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ﴾ [آية: ٢٢٤] منهم عبد الله بن الزبعرى السهمى، وأبو سفيان بن عبد المطلب، وهميرة بن أبى وهب المخزومى، ومشافع بن عبد مناف عمير الجمحى، وأبو عزة اسمه عمرو بن عبد الله، كلهم من قريش، وأمية بن أبى الصلت الثقفى، تكلموا بالكذب والباطل، وقالوا: نحن نقول مثل قول محمد ﷺ قالوا الشعر، واجتمع إليهم غواة من قومهم يستمعون من أشعارهم، ويروون عنهم، حتى يهجون.

فذلك قوله عز وجل: ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ يَهِيمُونَ﴾ [آية: ٢٢٥] يعنى فى كل طريق، يعنى فى كل فن من الكلام يأخذون، ﴿ وَأَنَّهُمۡ يَقُولُونَ مَا لَا يَفۡعَلُونَ﴾ [آية: ٢٢٦] فعلنا وفعلنا وهم كذبة، فاستأذن شعراء المسلمين أن يقتصوا من المشركين منهم عبد الله بن رواحة، وحسان بن ثابت، وكعب بن مالك، من بنى سلمة بن خثم، كلهم من الأنصار، فأذن لهم النبى ﷺ، فهجوا المشركين، ومدحوا النبى ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ﴾ إلى آيتين.

ثم استثنى عز وجل شعراء المسلمين، فقال: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱنتَصَرُواْ﴾ على المشركين ﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ﴾ يقول: انتصر شعراء المسلمين من شعراء المشركين، فقال: ﴿ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ يعنى أشركوا ﴿ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ﴾ [آية: ٢٢٧] يقول: ينقلبون فى الآخرة إلى الخسران.

حدثنا عبيد الله بن ثابت، قال: حدثنى أبى، عن الهذيل، عن رجل، عن الفضيل بن عيسى الرقاشى، قال: ﴿ **بلسان عربى مبين**﴾، قال: فضله على الألسن.

قال الهذيل: سمعت المسيب يحدث عن أبى روق، قال: كانت ناقة صالح، عليه السلام، يوضع لها الإناء فتدر فيه اللبن.

حدثنا عبد الله، قال: حدثنى أبى، عن الهذيل، عن على بن عاصم، عن الفضل بن عيسى الرقاشى، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله، عن رسول الله ﷺ، قال: «لما كلم الله عز وجل موسى، عليه السلام، فوق الطور، فسمع كلامًا فوق الكلام الأول، فقال: يا رب هذا كلامك الذى كلمتنى به، قال: لا يا موسى، إنما كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان، ولى قوة الألسن كلها، وأنا أقوى من ذلك، فلما رجع موسى، عليه السلام، إلى قومه، قالوا: يا موسى، صف لنا كلام الرحمن؟ قال: سبحان الله، لا أستطيع، قالوا: فشبهه، قال: ألم تروا إلى أصوات الصواعق التى تقتل بأحلى حلاوة إن سمعتموه، فإنه قريب منه، وليس به».

* * *

سُورَةُ النَّمْلِ

سورة النمل مكية، وهى ثلاث وتسعون آية كوفية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝١ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ۝٥ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦﴾

﴿طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [آية: ١] يعنى بين ما فيه من أمره ونهيه ﴿هُدًى﴾ يعنى بيان من الضلالة لمن عمل به، ﴿وَبُشْرَىٰ﴾ لما فيه من الثواب ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ٢] يعنى للمصدقين بالقرآن بأنه من الله عز وجل.

ثم نعتهم، فقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يعنى يتمون الصلاة المكتوبة ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ يعنى ويعطون الزكاة المفروضة ﴿وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ﴾ يعنى بالبعث الذى فيه جزاء الأعمال ﴿هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [آية: ٣].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ﴾ يعنى لا يصدقون بالبعث ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ يعنى ضلالتهم ﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ [آية: ٤] يعنى يترددون فيها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ﴾ يعنى شدة ﴿ٱلْعَذَابِ﴾ فى الآخرة ﴿وَهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ [آية: ٥].

﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى﴾ يعنى لتؤتى ﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾ كقوله سبحانه: ﴿**وما يلقاها**﴾ [فصلت: ٣٥] يعنى وما يؤتاها، ثم قال: ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ﴾ فى أمره ﴿عَلِيمٍ﴾ [آية: ٦] بأعمال الخلق.

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝٧ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٩ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝١٠ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ

بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ﴾ يعنى امرأته حين رأى النار ﴿إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ يقول: إنى رأيت نارًا، وهو نور رب العزة جل ثناؤه، رآه ليلة الجمعة عن يمين الجبل بالأرض المقدسة ﴿سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ أين الطريق، وقد كان تحير وترك الطريق، ثم قال: فإن لم أجد من يخبرنى الطريق، ﴿أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ يقول: آتيكم بنار قبسة مضيئة ﴿لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [آية: ٧] من البرد.

﴿فَلَمَّا جَآءَهَا﴾ يعنى النار، وهو نور رب العزة، تبارك وتعالى، ﴿نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ يعنى الملائكة ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ٨] فى التقديم، ثم قال: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ يقول: إن النور الذى رأيت أنا ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آية: ٩] ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ﴾ يعنى تحرك ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ (١) يعنى كأنها كانت حية ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾ من الخوف من الحية ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ يعنى ولم يرجع، يقول الله عز وجل: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ﴾ من الحية ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ﴾ يعنى عندى ﴿ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [آية: ١٠].

﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ (٢) نفسه من الرسل، فإنه يخاف، فكان منهم آدم، ويونس، وسليمان، وإخوة يوسف، وموسى بقتله النفس، عليهم السلام، ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ﴾ يعنى فمن بدل إحسانًا بعد إساءته ﴿فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آية: ١١].

﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ﴾ اليمنى ﴿فِي جَيْبِكَ﴾ يعنى جيب المدرعة من قبل صدره، وهى مضربة ﴿تَخْرُجْ﴾ اليد من المدرعة ﴿بَيْضَآءَ﴾ لها شعاع كشعاع الشمس ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ يعنى من غير برص، ثم انقطع الكلام، يقول الله تبارك وتعالى لمحمد ﷺ: ﴿فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾ يعنى أعطى تسع آيات اليد، والعصا، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والسنين، والطمس، فآيتان منهما أعطى موسى، عليه السلام، بالأرض المقدسة اليد والعصى، حين أرسل إلى فرعون، وأعطى سبع آيات بأرض مصر

---

(١) انظر: (الكشاف ٣/١٣٨، الرازى ٢٤/١٨٤، البحر المحيط ٧/٥٦، الآلوسى ١٩/١٦٣).

(٢) انظر: (الكشاف ٣/١٣٨، الرازى ٢٤/١٨٤، مجمع البيان ٧/٢١٢، البحر المحيط ٧/٥٧).

حين كذبوه، فكان أولها اليد، وآخرها الطمس، يقول: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ واسمه فيطوس ﴿وَقَوْمِهِۦٓ﴾ أهل مصر ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ [آية: ١٢] يعنى عاصين.

﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً﴾ [(١)] يعنى مبينة معاينة يرونها ﴿قَالُوا۟﴾: يا موسى ﴿هَٰذَا﴾ الذى جئت به ﴿سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [آية: ١٣] يعنى بين، يقول الله عز وجل: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا﴾ يعنى بالآيات، يعنى بعد المعرفة، فيها تقديم ﴿وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ أنها من الله عز وجل، وأنها ليست بسحر ﴿ظُلْمًا﴾ شركا ﴿وَعُلُوًّا﴾ تكبرًا ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [آية: ١٤] فى الأرض بالمعاصى، كان عاقبتهم الغرق، وإنما استيقنوا بالآيات أنها من الله، لدعاء موسى ربه أن يكشف عنهم الرجز، فكشفه عنهم، وقد علموا ذلك.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا﴾ يعنى أعطينا ﴿دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا﴾ بالقضاء، وبكلام الطير، وبكلام الدواب، ﴿وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ١٥] يعنى

---

(١) انظر: (الأخفش ٤٢٨/٢ مجمع البيان ٢١٢/٧، الكشاف ١٣٩/٣، العكبرى ٩٣/٢، البحر المحيط ٥٨/٧، الرازى ١٨٤/٢٤).

بالقضاء، والنبوة، والكتاب، وكلام البهائم، والملك الذى أعطاهما الله عز وجل، وكان سليمان أعظم ملكًا من داود، وأفطن منه، وكان داود أكثر تعبدًا من سليمان.

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ يعنى ورث سليمان علم داود وملكه، ﴿وَقَالَ﴾ سليمان لبنى إسرائيل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ يعنى أعطينا الملك والنبوة والكتاب والرياح، وسخرت لنا الشياطين، ومنطق الدواب، ومحاريب، وتماثيل، وجفان كالجوابى، وقدرو راسيات وعين القطر، يعنى عين الصفر.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذى أعطينا ﴿لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ [آية: ١٦] يعنى البين، ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ﴾ يعنى وجمع لسليمان ﴿جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ طائفة ﴿وَ﴾ من ﴿وَٱلْإِنسِ وَ﴾ من ﴿وَٱلطَّيْرِ﴾ طائفة ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [آية: ١٧] يعنى يساقون، وكان سليمان استعمل جندًا يرد الأول على الآخر حتى ينام الناس.

وقال عز وجل: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ﴾ من أرض الشام ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ (١) واسمها الجرمى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟﴾ وهن خارجات، فقالت: ادخلوا ﴿مَسَٰكِنَكُمْ﴾ يعنى بيوتكم ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ﴾ (٢) يعنى لا يهلكنكم سليمان ﴿وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [آية: ١٨] بهلاككم، فسمع سليمان قولها من ثلاثة أميال، فانتهى إليها سليمان حين قالت: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ (٣) ضحك من ثناءها على سليمان بعدله فى ملكه، أنه لو يشعر بكم لم يحطمكم، يعنى بالضحك الكشر، وقال سليمان: لقد علمت النمل أنه ملك لا بغى فيه، ولا فخر، ولئن علم بنا قبل أن يغشانا لم نوطأ، ثم وقف سليمان بمن معه من الجنود ليدخل النمل مساكنهم، ثم حمد ربه عز وجل حين علمه منطق كل شىء، فسمع كلام النملة ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ﴾ يعنى ألهمنى ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ﴾ من قبلى، يعنى أبويه داود، وأمه بتشايع بنت الياثن، ﴿وَ﴾ ألهمنى ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ﴾ يعنى بنعمتك ﴿فِى﴾ يعنى مع

---

(١) انظر: (مختصر شواذ القراءات ١٠٨، العكبرى ٩٣/٢، القرطبى ١٦٩/١٣، الكشاف ١٤١/٣، الرازى ١٨٧/٢٤، البحر المحيط ٦١/٧).

(٢) انظر: (القرطبى ١٧٣/١٣، البحر المحيط ٦١/٧، الكشاف ١٤٢/٣، الرازى ١٨٨/٢٤، الآلوسى ١٧٩/١٩).

(٣) انظر: (الكشاف ١٤٢/٣، البحر المحيط ٦٢/٧، العكبرى ٩٣/٢، الآلوسى ١٨٠/١٩).

﴿عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آية: ١٩] الجنة.

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ﴾ يعنى الهدهد حين سار من بيت المقدس قبل اليمن، فلما مر بالمدينة وقف، فقال إن الله عز وجل: سيبعث من هاهنا نبيًا طوبى لمن تبعه، فلما أراد أن ينزل ﴿فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ﴾ والميم هاهنا صلة، كقوله تعالى: ﴿**أم عندهم**﴾ يعنى أعندهم ﴿**الغيب فهم يكتبون**﴾ [الطور: ٤١، والقلم: ٤٧] أم ﴿كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ [آية: ٢٠].

﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ يعنى لأنتفن ريشه، فلا يطير مع الطير حولاً ﴿أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ يعنى لأقتلنه، ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [آية: ٢١] يعنى حجة بينة أعذره بها، ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ يقول: لم يلبث إلا قليلاً، حتى جاء الهدهد، فوقع بين يدى سليمان، عليه السلام، فجعل ينكث بمنقاره ويومئ برأسه إلى سليمان، ﴿فَقَالَ﴾ لسليمان: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ يقول: علمت ما لم تعلم به ﴿وَجِئْتُكَ﴾ بأمر لم تخبرك به الجن، ولم تنصحك فيه، ولم يعمل به الإنس، وبلغت ما لم تبلغه أنت ولا جنودك، وجئتك ﴿مِن﴾ أرض ﴿سَبَإٍ﴾ باليمن ﴿بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [آية: ٢٢] يقول: بحديث لا شك فيه، فقال سليمان: وما ذلك؟.

قال الهدهد: ﴿إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ يعنى تملك أهل سبأ ﴿وَأُوتِيَتْ﴾ يعنى وأعطيت ﴿مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ يكون باليمن، يعنى العلم والمال والجنود والسلطان والزينة وأنواع الخير، فهذا كله من كلام الهدهد، وقال الهدهد: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [آية: ٢٣] يعنى ضخم ثمانون ذراعًا فى ثمانين ذراعًا، وارتفاع السرير من الأرض أيضًا ثمانون ذراعًا فى ثمانين ذراعًا، مكلل بالجوهر، والمرأة اسمها بلقيس بنت أبى سرح، وهى من الإنس وأمها من الجن، اسمها فازمة بنت الصخر.

ثم قال: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ السيئة، يعنى سجودهم للشمس ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ يعنى عن الهدى ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [آية: ٢٤].

ثم قال الهدهد: ﴿أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ﴾ يعنى الغيث ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ﴾ فى قلوبكم ﴿وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [آية: ٢٥] بألسنتكم ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩﴾ [آية: ٢٦] يعنى بالعظيم العرش.

﴿۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ
إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ
﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى
مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ
﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ
إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾
وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ
أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ
إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾

﴿۞ قَالَ﴾ سليمان للهدهد: دلنا على الماء ﴿سَنَنظُرُ﴾ فيما تقول، ﴿أَصَدَقْتَ﴾ في قولك ﴿أَمْ كُنتَ﴾ يعني أم أنت ﴿مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آية: ٢٧] مثل قوله عز وجل: ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس**﴾ [آل عمران: ١١٠].

وكان الهدهد يدلهم على قرب الماء من الأرض إذا نزلوا، فدلهم على ماء، فنزلوا واحتفروا الركايا، وروى الناس والدواب، وكانوا قد عطشوا، فدعا سليمان الهدهد، وقال: ﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ﴾ يعني إلى أهل سبأ ﴿ثُمَّ تَوَلَّ﴾ يقول: ثم انصرف ﴿عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ [آية: ٢٨] الجواب، فحمل الهدهد الكتاب بمنقاره، فطار حتى وقف على رأس المرأة، فرفرف ساعة والناس ينظرون، فرفعت المرأة رأسها، فألقى الهدهد الكتاب في حجرها، فلما رأت الكتاب ورأت الخاتم رعدت وخضعت، وخضع من معها من الجنود، لأن ملك سليمان، عليه السلام، كان في خاتمه فعرفوا أن الذي أرسل هذا الطير أعظم ملكًا من ملكها، فقالت: إن ملكًا رسله الطير، إن ذلك الملك عظيم، فقرأت هي الكتاب، وكانت عربية من قوم تبع بن أبي شراحيل الحميري، وقومها من قوم تبع، وهم عرب، فأخبرتهم بما في الكتاب، ولم يكن فيه شيء غير: «إنه من سليمان، وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا على» ألا تعظموا على «وأتوني مسلمين». قال أبو صالح: ويقال: مختوم.

فـ﴿قَالَتْ﴾ المرأة لهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟﴾ يعني الأشراف، ﴿إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾ [آية: ٢٩] يعني كتاب حسن ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [آية: ٣٠]

﴿أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ (1) [آية: ٣١]، ثم قالت: إن يكن هـذا الملك يقـاتل على الدنيا، فإنا نمده بما أراد من الدنيا، وإن يكن يقاتل لربه، فإنه لا يطلب الدنيا، ولا يريدها، ولا يقبل منا شيئًا غير الإسلام.

ثم استشارتهم فـ ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ﴾ يعنى الأشراف، وهم: ثلاث مائة، وثلاثة عشر قائدًا، مع كل مائة ألف، وهم أهل مشورتها، فقـالت لهـم: ﴿أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾ مـن هـذا ﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ [آيـة: ٣٢] تقـول: مـا كنـت قاضيـة أمـرًا حتـى تحضرون.

﴿قَالُوا﴾ لها: ﴿نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ﴾ يعنى عدة كثـيرة فـى الرجـال كقولـه: ﴿**فأعينونى بقوة**﴾ [الكهف: ٩٥]، يعنى بالرجال ﴿وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ فى الحرب، يعنى الشجاعة ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾ يقول: قد أخبرناك بما عندنا وما نجاوز ما تقولـين، ﴿فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ [آية: ٣٣] يعنى ماذا تشيرين علينا، كقول فرعون لقومه: ﴿**فماذا تأمرون**﴾ [الشعراء: ٣٥] يعنى ماذا تشيرون عليّ.

﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ يعنـى أهلكوهـا، كقولـه عـز وجـل: ﴿**لفسدت السموات والأرض**﴾ يعنـى لهلكـتها ومـن فيـهن، ثـم قـال: ﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ يعنى أهانوا أشرافها وكبراءها لكى يستقيم لهم الأمر، يقول الله عز وجـل: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [آية: ٣٤] كما قالت.

ثم قالت المرأة لأهل مشورتها: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾ أصانعهم على ملكى إن كانوا أهل دنيا، ﴿فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [آية: ٣٥] من عنده بـالجواب، فأرسلت بالهدية مع الوفد عليهم المنذر بن عمر، والهديـة مائـة وصيـف، ومائـة وصيفـة، وجعلت للجارية قصة أمامها، وقصة مؤخرها، وجعلت للغلام قصة أمامه، وذؤابـة وسـط رأسـه، وألبستهم لباسًا واحـدًا، وبعثـت بحقـة فيـها جوهرتـان إحداهمـا مثقوبـة والأخـرى غير مثقوبة. وقالت للوفد: إن كان نبيًا، فسيميز بين الجوارى والغلمان ويخبر بمـا فـى الحقة، ويرد الهدية فلا يقبلها، وإن كان ملكًا فسيقبل الهدية ولا يعلم ما فى الحقة، فلمـا انتـهت الهدية إلى سليمان، عليه السلام، ميز بين الوصفاء والوصائف من قبل الوضوء، وذلك أنه

---

(1) انظر: (القرطبى ١٣/١٩٣، الكشـاف ٣/١٤٦، مجمع البيـان ٧/٢١٩، الـرازى ٢٤/١٩٦، العكبرى ٢/٩٤، النحاس ٢/٥٢١، البحر المحيط ٧/٧٢).

أمرهم بالوضوء فكانت الجارية تصب الماء على بطن ساعدها، والغلام على ظهر ساعده، فميز بين الوصفاء والوصائف وحرك الحقة، وجاء جبريل، عليه السلام، فأخبره بما فيها فقيل له: ادخل فى المثقوبة خيطًا من غير حيلة إنس ولا جان، وأثقب الأخرى من غير حيلة إنس ولا جان، وكانت الجوهرة المثقوبة معوجة، فأتته دودة تكون فى الفضفضة وهى الرطبة، فربط فى مؤخرها خيطًا، فدخلت الجوهرة حتى أنفذت الخيط إلى الجانب الآخر، فجعل رزقها فى الفضة، وجاءت الأرضة فقالت لسليمان: اجعل رزقى فى الخشب والسقوف والبيوت، قال: نعم، فثقبت الجوهرة فهذه حيلة من غير إنس ولا جان.

وسألوه ماء لم ينزل من السماء، ولم يخرج من الأرض، فأمر بالخيل فأجريت حتى عرقت فجمع العرق فى شىء حتى صفا وجعله فى قداح الزجاج، فعجب الوفد من علمه، وجاء جبريل، عليه السلام، فأخبره بما فى الحقة فأخبرهم سليمان بما فيها، ثم رد سليمان الهدية.

﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ﴾ للوفد: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾ يقول: فما أعطانى الله تعالى من الإسلام والنبوة والجنود خير مما أعطاكم ﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ [آية: ٣٦] يعنى إذا أهدى بعضكم إلى بعض، فأما أنا فلا أفرح بها إنما أريد منكم الإسلام.

ثم قال سليمان لأمير الوفد: ﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ بالهدية ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾ لا طاقة لهم بها من الجن والإنس، ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [آية: ٣٧] يعنى مذلين بالإنس والجن.

﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ
ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ
مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن
فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ
كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا
جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا
كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ

حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾

ثم ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [آية: ٣٨] يعنى مخلصين بالتوحيد، وإنما علم سليمان أنها تسلم، لأنه أوحى إليه بذلك، فلذلك قال: ﴿قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ فيحرم علىّ سريرها، لأن الرجل إذا أسلم حرم ماله ودمه، وكان سريرها من ذهب قوائمه اللؤلؤ والجوهر، مستور بالحرير والديباج، عليه الحجلة.

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ (١) يعنى مارد من الجن اسمه: الحقيق، ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ﴾ يعنى سريرها ﴿قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ يعنى من مجلسك، وكان سليمان، عليه السلام، يجلس للناس غدوة فيقضى بينهم حتى يضحى الضحى الأكبر، ثم يقوم، فقال: أنا آتيك به قبل أن تحضر مقامك، وذلك أنى أضع قدمى عند منتهى بصرى فليس شىء أسرع منى، فآتيك بالعرش، وأنت فى مجلسك، ﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ﴾ يعنى على حمل السرير ﴿لَقَوِيٌّ﴾ على حمله ﴿أَمِينٌ﴾ [آية: ٣٩] على ما فى السرير من المال.

قال سليمان أريد أسرع من ذلك: ﴿قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وهو رجل من الإنس من بنى إسرائيل كان يعلم اسم الله الأعظم، وكان الرجل اسمه آصف بن برخيا بن شمعيا بن دانيال ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ﴾ بالسرير ﴿قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ الذى هو على منتهى بصرك، وهو جاءٍ إليك، فقال سليمان: لقد أسرعت أن فعلت ذلك، فدعا الرجل باسم الله الأعظم، ومنه ذو الجلال والإكرام، فاحتمل السرير احتمالاً فوضع بين يدى سليمان، وكانت المرأة قد أقبلت إلى سليمان حين جاءها الوفد، وخلفت السرير فى أرضها باليمن فى سبعة أبيات بعضها فى بعض أقفالها من حديد، ومعها مفاتيح الأبيات السبعة، ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ﴾ فلما رأى سليمان العرش ﴿مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾ تعجب منه فـ﴿قَالَ هَٰذَا﴾ السرير ﴿مِن فَضْلِ رَبِّي﴾ أعطانيه ﴿لِيَبْلُوَنِيٓ﴾ يقول: ليختبرنى ﴿ءَأَشْكُرُ﴾ الله عز وجل فى نعمه حين أتيت العرش ﴿أَمْ أَكْفُرُ﴾ بنعم الله إذا رأيت من هو دونى أعلم منى، فعزم الله عز وجل له على الشكر.

فقال عز وجل: ﴿وَمَن شَكَرَ﴾ فى نعمه ﴿فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ يقول: فإنما يعمل

---

(١) انظر: (مختصر شواذ القراءات ١٠٩، الكشاف ١٤٨/٣، النحاس ٥٢٣/٢، مجمع البيان ٢٢٢/٧، البحر المحيط ٧٦/٧، الآلوسى ٢٠٢/١٩).

لنفسه ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ النعم ﴿فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ﴾ عن عبادة خلقه ﴿كَرِيمٌ﴾ [آية: ٤٠] مثلها فى لقمان: ﴿فإن ربى غنى حميد﴾ [الآية: ١٢].

﴿قَالَ﴾ سليمان: ﴿نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾ زيدوا فى السرير، وانقصوا منه، ﴿نَنظُرْ﴾ إذا جاءت ﴿أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [آية: ٤١] يقول: أتعرف العرش أم تكون من الذين لا يعرفون؟.

﴿فَلَمَّا جَاءَتْ﴾ المرأة ﴿قِيلَ﴾ لها ﴿أَهَكَذَا عَرْشُكِ﴾؟ فأجابتهم فـ ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ وقد عرفته ولكنها شبهت عليهم كما شبهوا عليها، ولو قيل لها: هذا عرشك؟ لقالت: نعم، قيل لها: فإنه عرشك فما أغنى عنه إغلاق الأبواب؟ يقول سليمان: ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ﴾ من الله عز وجل ﴿مِن قَبْلِهَا﴾ يعنى من قبل أن يجئ العرش والصرح وغيره، ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ [آية: ٤٢] يعنى وكنا مخلصين بالتوحيد من قبلها.

﴿وَصَدَّهَا﴾ عن الإسلام ﴿مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ من عبادة الشمس ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ [آية: ٤٣] ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾ وهو قصر من قوارير على الماء تحته السمك، ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ يعنى غدير الماء ﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾ يعنى رجليها لتخوض الماء إلى سليمان، وهو على السرير فى مقدم البيت، وذلك أنها لما أقبلت قالت الجن: لقد لقينا من سليمان ما لقينا من التعب، فلو قد اجتمع سليمان وهذه المرأة وما عندها من العلم لهلكنا، وكانت أمها جنية، فقالوا: تعالوا نبغضها إلى سليمان، نقول: إن رجليها مثل حوافر الدواب، لأن أمها كانت جنية، ففعلت، فأمر سليمان فبنى لها بيتًا من قوارير فوق الماء، وأرسل فيه السمك لتحسب أنه الماء، فتكشف عن رجليها فينظر سليمان أصدقته الجن أم كذبته، وجعل سريره فى مقدم البيت، فلما رأت الصرح حسبته لجة الماء وكشفت عن ساقيها، فنظر إليها سليمان، فإذا هى من أحسن الناس قدمين ورأى على ساقها شعرًا كثيرًا فكره سليمان ذلك، فقالت: إن الرمانة لا تدرى ما هى حتى تذوقها، قال سليمان: ما لا يحلو فى العين لا يحلو فى الفم، فلما رأت الجن أن سليمان رأى ساقيها، قالت الجن: لا تكشفى عن ساقيك ﴿قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ﴾ يعنى أملس ﴿مِّن قَوَارِيرَ﴾ فلما رأت السرير والصرح علمت أن ملكها ليس بشىء عند ملك سليمان، وأن ملكه من ملك الله عز وجل.

فـ ﴿قَالَتْ﴾ حين دخلت الصرح ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ يعنى بعبادتها الشمس

﴿وَأَسۡلَمۡتُ﴾ يعنى أخلصت ﴿مَعَ سُلَيۡمَٰنَ﴾ بالتوحيد ﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ٤٤] خرت لله عز وجل ساجدة، وتابت إلى الله عز وجل من شركها.

واتخذها سليمان عليه السلام لنفسه، فولدت له داود بن سليمان بن داود، عليهم السلام، وأمر لها بقرية من الشام يجى لها خراجها، وكانت عذرًا فاتخذ الحمامات من أجلها. وقال النبى ﷺ: «كانت من أحسن نساء العالمين ساقين، وهى من أزواج سليمان فى الجنة»، فقالت عائشة، رضى الله عنها، للنبى ﷺ: هى أحسن ساقين منى، قال النبى ﷺ: «أنت أحسن ساقين منها فى الجنة».

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمۡ فَرِيقَانِ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِۖ لَوۡلَا تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ تِسۡعَةُ رَهۡطٖ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

وكان سليمان عليه السلام يسير بها معه إذا سار ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ يعنى وحدوا الله ﴿فَإِذَا هُمۡ فَرِيقَانِ يَخۡتَصِمُونَ﴾ [آية: ٤٥] مؤمنين وكافرين، وكانت خصومتهم الآية التى فى الأعراف: ﴿**قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحًا مرسل من ربه قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا إنا بالذى أمنتم به كافرون فعقروا الناقة**﴾ [الآيات: ٧٥ - ٧٧] ووعدهم صالح العذاب، فقالوا: ﴿**يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين**﴾ [الأعراف: ٧٧] فرد عليهم صالح: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾ يقول: لم تستعجلون بالعذاب قبل العافية ﴿لَوۡلَا﴾ يعنى هلا ﴿تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ﴾ من الشرك ﴿لَعَلَّكُمۡ﴾ يعنى لكى ﴿تُرۡحَمُونَ﴾ [آية: ٤٦] فلا تعذبوا فى الدنيا.

فـ﴿قَالُواْ﴾ يا صالح ﴿ٱطَّيَّرۡنَا﴾ يعنى تشاءمنا ﴿بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ﴾ على دينك، وذلك أنه قحط المطر عنهم وجاعوا، فقالوا: أصابنا هذا الشر من شؤمك وشؤم أصحابك،

فـ ﴿قَالَ﴾ لهم عليه السلام: إنما ﴿طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ﴾ يقول: الذى أصابكم هو مكتوب فى أعناقكم ﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ﴾ [آية: ٤٧] يعنى تبتلون، وإنما ابتليتم بذنوبكم.

﴿وَكَانَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ﴾ قرية صالح: الحجر ﴿تِسۡعَةُ رَهۡطٖ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يعنى يعملون فى الأرض بالمعاصى ﴿وَلَا يُصۡلِحُونَ﴾ [آية: ٤٨] يعنى ولا يطيعون الله عز وجل فيها منهم: قدار بن سالف بن جدع، عاقر الناقة، واسم أمه قديرة، ومصدع، وداب، ويباب إخوة بنى مهرج، وعائذ بن عبيد، وهذيل، وذو أعين وهما أخوان ابنا عمرو، وهديم، وصواب، فعقروا الناقة ليلة الأربعاء، وأهلكهم الله عز وجل يوم السبت بصيحة جبريل، عليه السلام.

﴿قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ﴾ يعنى تحالفوا بالله عز وجل ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ﴾ ليلاً بالقتل يعنى صالحًا وأهله، ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ﴾ يعنى ذا رحم صالح أن سألوا عنه ﴿مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ﴾ قالوا: ما ندرى من قتل صالحًا وأهله، ما نعرف الذين قتلوه ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [آية: ٤٩] فيما نقول.

يقول عز وجل: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا﴾ حين أرادوا قتل صالح، عليه السلام، وأهله، يقول الله تعالى: ﴿وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا﴾ حين جثم الجبل عليهم ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [آية: ٥٠].

﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَٰهَا مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾﴾

﴿فَٱنظُرۡ﴾ يا محمد ﴿كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ﴾ يعنى عاقبة عملهم وصنيعهم، ﴿أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ﴾ يعنى التسعة، يعنى أهلكناهم بالجبل حين جثم عليهم، ﴿وَ﴾ دمرنا ﴿وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [آية: ٥١] بصيحة جبريل، عليه السلام، فلم نبقى منهم أحدًا.

﴿فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ﴾ يعنى خربة ليس بها سكان، ﴿بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ﴾ يعنى بما

أشركوا ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾ يعنى أن فى هلاكهم لعبرة ﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٥٢] بتوحيد الله عز وجل، ﴿وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يعنى الذين صدقوا، من العذاب ﴿وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [آية: ٥٣] الشرك.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ يعنى المعاصى، يعنى بالمعصية إتيان الرجال شهوة من دون النساء ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ﴾ ﴿بَلْ أَنتُمْ﴾ يعنى ولكن أنتم ﴿قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [آية: ٥٥] ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ [1] قوم لوط حين نهاهم عن المعاصى ﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟﴾ بعضهم لبعض ﴿أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ﴾ يعنى لوطًا وابنتيه ﴿مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [آية: ٥٦] يعنى لوطًا وحده، يتطهرون مثلها فى الأعراف: ﴿يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الآية: ٨٢] يعنى يتنزهون عن إتيان الرجال فإنا لا نحب أن يكون بين أظهرنا من ينهانا عن عملنا.

يقول الله عز وجل: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾ من العذاب ﴿وَأَهْلَهُۥٓ﴾ يعنى وابنتية ريثا وزعوثا، ثم استثنى، فقال سبحانه: ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾ لم ننجها ﴿قَدَّرْنَٰهَا﴾ يقول: قدرنا تركها ﴿مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [آية: ٥٧].

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ﴾ يعنى الحجارة ﴿فَسَآءَ﴾ يعنى فبئس ﴿مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ [آية: ٥٨] يعنى الذين أنذروا بالعذاب، فذلك قوله عز وجل: ﴿**ولقد أنذرهم بطشتنا**﴾ [القمر: ٣٦] يعنى عذابنا.

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ

(١) انظر: (الكشاف ٣/١٥٣، مجمع البيان ٧/٢٢٧، الإتحاف ٣٣٨، البحر المحيط ٧/٨٦).

صَـٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾

و ﴿قُلِ﴾ يا محمد ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ فى هلاك الأمم الخالية، يعنى ما ذكر فى هذه السورة من هلاك فرعون وقومه، وثمود، وقوم لوط، وقل: الحمد لله الذى علمك هذا الأمر الذى ذكر، ثم قال: ﴿وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ يعنى الذين اختارهم الله عز وجل لنفسه للرسالة، فسلام الله على الأنبياء، عليهم السلام، ثم قال الله عز وجل: ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [آية: ٥٩] به، يقول: الله تبارك وتعالى أفضل أم الآلهة التى تعبدونها؟ يعنى كفار مكة كان النبى ﷺ إذا قرأ هذه الآية، قال: «بل، الله خير وأبقى وأجل وأكرم».

﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ﴾ يعنى حيطان النخل والشجر ﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ يعنى ذات حسن ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ﴾ يعنى ما ينبغى لكم ﴿أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ﴾ فتجعلوا اللآلهة نصيبًا مما أخرج الله عز وجل لكم من الأرض بالمطر، ثم قال سبحانه استفهام: ﴿أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ يعينه على صنعه جل جلاله، ثم قال تعالى: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [آية: ٦٠] يعنى يشركون، يعنى كفار مكة.

ثم قال سبحانه: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾ يعنى مستقرًا لا تميد بأهلها ﴿وَجَعَلَ خِلَـٰلَهَآ﴾ يعنى فجر نواحى الأرض ﴿أَنْهَـٰرًا﴾ فهى تطرد، ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ﴾ يعنى الجبال، فتثبت بها الأرض لئلا تزول بمن على ظهرها، ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ الماء المالح والماء العذب ﴿حَاجِزًا﴾ حجز الله عز وجل بينهما بأمره، فلا يختلطان، ﴿أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ يعينه على صنعه عز وجل، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ يعنى لكن أكثرهم، يعنى أهل مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٦١] بتوحيد ربهم.

﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ يعنى الضر ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ يعينه على صنعه ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [آية: ٦٢] يقول: ما أقل ما تذكرون ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَـٰتِ﴾ يقول: أم من يرشدكم فى أهوال ﴿ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ﴾ يقول: يبسط السحاب قدام المطر، كقوله فى عسق: ﴿**وينشر رحمته**﴾ [الشورى: ٢٨] يعنى ويبسط رحمته بالمطر، ﴿أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ يعينه على صنعه عز وجل، ثم قال: ﴿تَعَـٰلَى ٱللَّهُ﴾ يعنى ارتفع الله،

يعظم نفسه جل جلاله ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [آية: ٦٣] به من الآلهة.

ثم قال تعالى: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ يقول: من بدأ الخلق فخلقهم، و لم يكونوا شيئًا، ثم يعيده فى الآخرة، ﴿وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ يعنى المطر ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ يعنى النبت ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ يعينه على صنعه عز وجل، ﴿قُلْ﴾ لكفار مكة: ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ يعنى هلموا بحجتكم بأنه صنع شيئًا من هذا غير الله عز وجل من الآلة، فتكون لكم الحجة على الله تعالى ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آية: ٦٤] بأن مع الله آلهة كما زعمتم، يعنى الملائكة.

﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ
(٦٥) بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ (٦٦)
وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ (٦٧) لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ
وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ (٦٨) قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟
كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ (٦٩) وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ
(٧٠) وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٧١) قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم
بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ (٧٢) وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا
يَشْكُرُونَ (٧٣) وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٤) وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى
ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ (٧٥)﴾

﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ يعنى الملائكة ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ الناس ﴿ٱلْغَيْبَ﴾ يعنى البعث، يعنى غيب الساعة ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وحده، عز وجل، ثم قال عز وجل: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ (١) [آية: ٦٥] يقول لكفار مكة: وما يشعرون متى يبعثون بعد الموت لأنهم يكفرون بالبعث.

﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ (٢) يقول: علموا فى الآخرة حين عاينوها ما شكوا فيه، وعموا عنه فى الدنيا، ﴿بَلْ هُمْ﴾ اليوم ﴿فِى شَكٍّ مِّنْهَا﴾ يعنى من الساعة ﴿بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾ [آية: ٦٦] فى الدنيا. ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا

---

(١) انظر: (الكشاف ١٥٦/٣، البحر المحيط ٩٢/٧، الرازى ٢١١/٢٤، الآلوسى ١٣/٢٠)، «وقال: هى لغة بنى سليم».

(٢) انظر: (الكشاف ١١٦/٣، البحر المحيط ٩٢/٧، العكبرى ٩٤/٢، مجمع البيان ٢٣٠/٧، النحاس ٥٣١/٢).

﴿لَمُخْرَجُونَ﴾ [آية: ٦٧] من القبور أحياء نزلت فى أبى طلحة، وشيبة، ومشافع، وشرحبيل، والحارث وأبوه، وأرطأة بن شرحبيل، ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا﴾ الذى يقول محمد ﷺ يعنون البعث ﴿نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ﴾ يعنون من قبلنا ﴿إِنْ هَٰذَآ﴾ الذى يقول محمد ﷺ: ﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [آية: ٦٨] يعنى أحاديث الأولين وكذبهم.

﴿قُلْ﴾ لكفار مكة: ﴿سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [آية: ٦٩] يعنى كفار الأمم الخالية كيف كان عاقبتهم فى الدنيا الهلاك، يخوف كفار مكة مثل عذاب الأمم الخالية، لئلا يكذبوا محمدًا ﷺ وقد رأوا هلاك قوم لوط، وعاد، وثمود.

ثم قال للنبى ﷺ: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ يعنى على كفار مكة إن تولوا عنك، ولم يجيبوك، ﴿وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [آية: ٧٠] يقول: لا يضيق صدرك بما يقولن هذا دأبنا ودأبك أيام الموسم، وهم الخراصون وهم المستهزءون.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ يعنون العذاب، ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آية: ٧١] يعنى النبى ﷺ وحده بأن العذاب نازل بنا، ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم﴾ (١) يعنى قريب لكم ﴿بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [آية: ٧٢] فكان بعض العذاب القتل ببدر، وسائر العذاب لهم فيما بعد الموت.

ثم قال: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ يعنى على كفار مكة حين لا يعجل عليهم العذاب حين أرادوه ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ يعنى أكثر أهل مكة ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾ [آية: ٧٣] الرب عز وجل فى تأخير العذاب عنهم، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ (٢) يعنى ما تسر قلوبهم، ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [آية: ٧٤] بألسنتهم.

﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ﴾ يعنى علم غيب ما يكون من العذاب ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وذلك حين استعجلوه بالعذاب ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [آية: ٧٥] يقول: إلا هو بين فى اللوح المحفوظ.

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ

---

(١) انظر: (الكشاف ١٥٨/٣، العكبرى ٩٥/٢، الرازى ٢١٤/٢٤، البحر المحيط ٩٥/٧).

(٢) انظر: (مختصر شواذ القراءات ١١٠، الإتحاف ٣٣٩، القرطبى ٢٣٠/١٣، الكشاف ١٥٨/٣، العكبرى ٩٥/٢، البحر المحيط ٩٥/٧).

ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ﴾ يعنى فى القرآن ﴿يَخْتَلِفُونَ﴾ [آية: ٧٦] يقول: هذا القرآن مبين لأهل الكتاب اختلافهم، ﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ من العذاب لمن آمن به، فذلك قوله عز وجل: ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ٧٧] بالقرآن أنه من ربك، ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم﴾ يعنى بين بنى إسرائيل ﴿بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [آية: ٧٨].

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ يعنى فثق بالله عز وجل، وذلك حين دعى إلى ملة آبائه فأمره أن يثق بالله عز وجل ولا يهوله قول أهل مكة، ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾ [آية: ٧٩] يعنى على الدين البين وهو الإسلام، ثم ضرب لكفار مكة مثلاً، فقال سبحانه: ﴿إِنَّكَ﴾ يا محمد ﴿لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ فى النداء، فشبه كفار مكة بالأموات كما لا يسمع الميت النداء، كذلك لا تسمع الكفار النداء، ولا تفقهه، ﴿وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ﴾ [آية: ٨٠] يقول: إن الأصم إذا ولى مدبرًا، ثم ناديته لم يسمع الدعاء، وكذلك الكافر لا يسمع الإيمان إذا دعى إليه.

ثم قال عز وجل للنبى ﷺ: ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ﴾ إلى الإيمان ﴿عَن ضَلَٰلَتِهِمْ﴾ يعنى عن كفرهم ﴿إِن تُسْمِعُ﴾ يقول: ما تسمع الإيمان ﴿إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ إلا من يصدق بالقرآن أنه من الله عز وجل، ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آية: ٨١] يقول: فهم مخلصون بتوحيد الله عز وجل.

﴿۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ يقول: إذا نزل العذاب بهم ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ تخرج من الصفا الذى بمكة ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾[1] بالعربية تقول: ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ﴾ يعنى كفار مكة ﴿كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ يعنى بخروج الدابة ﴿لَا يُوقِنُونَ﴾ [آية: ٨٢] هذا قول الدابة للناس: إن الناس بخروجى لا يوقنون، لأن خروجها آية من آيات الله عز وجل،

---

(١) انظر: (الفراء ٢/٣٠٠، الطبرى ٢٠/١١، القرطبى ١٣/٢٣٨، الكشاف ٣/١٦٠، النحاس ٢/٥٣٥، العكبرى ٢/٩٥، مجمع البيان ٧/٢٣٢، الرازى ٢٤/٢١٨).

فإذا رآها الناس كلهم عادت إلى مكانها من حيث خرجت لها أربع قوائم، وزغب، وريش، ولها جناحان، واسمها أفضى، فإذا خرجت بلغ رأسها السحاب.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾﴾

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ يعنى زمرا ﴿مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [آية: ٨٣] يعنى فهم يساقون إلى النار ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي﴾ يعنى بالساعة ﴿وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا﴾ أنها باطل ﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٨٤].

﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم﴾ يعنى ونزل العذاب بهم ﴿بِمَا ظَلَمُوا﴾ يعنى بما أشركوا ﴿فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾ [آية: ٨٥] يعنى لا يتكلمون فيها، ثم وعظ كفار مكة ليعتبروا فى صنعه فيوحدوه عز وجل، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾ يقول: إن فيهما لعبرة ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ٨٦] يعنى لقوم يصدقون بتوحيد الله عز وجل.

﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ﴾ يقول: فمات ﴿مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾ من شدة الخوف والفزع، ﴿إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾ يعنى جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت، عليهم السلام، ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ (١) [آية: ٨٧] يعنى وكل البر والفاجر أتوه فى الآخرة صاغرين.

---

(١) انظر: (القرطبى ١٣/٢٤١، الكشاف ٢٤/٢٢٠، الرازى ٣/١٦١).

﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ يعنى تحسبها مكانها ﴿وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ فتستوى فى الأرض ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ﴾ يعنى الذى أحكم ﴿كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [آية: ٨٨] يعنى إنه خبير بما فعلتم، نظيرها فى الروم.

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ فى الآخرة يعنى بلا إله إلا الله ﴿فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ فيها تقديم يقول له: منها خير ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ [آية: ٨٩].

حدثنى الهذيل، عن مقاتل، عن ثابت البنانى، عن كعب بن عجرة، عن النبى ﷺ فى قوله عز وجل: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾، ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ قال: «هذه تنجى، وهذه تردى».

﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ يعنى بالشرك ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ﴾ ثم تقول لهم خزنة جهنم: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٩٠] من الشرك ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ﴾ يعنى مكة ﴿ٱلَّذِى حَرَّمَهَا﴾ من القتل والسبى وحرم فيها الصيد وغيره، فلا يستحل فيها ما لا ينبغى ﴿وَلَهُۥ﴾ ملك ﴿كُلُّ شَىْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [آية: ٩١] يعنى من المخلصين بالتوحيد ﴿وَ﴾ أمرت ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ عليكم يا أهل مكة ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ﴾ عن الإيمان بالقرآن مثلها فى الزمر، ﴿فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [آية: ٩٢] يعنى من المرسلين يعنى أنا كأحد الرسل.

﴿وَقُلِ﴾ يا محمد ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ يعنى العذاب فى الدنيا ﴿فَتَعْرِفُونَهَا﴾ أنها حق، وذلك أن النبى ﷺ أخبرهم بالعذاب أنه نازل بهم فكذبوه، فنزلت: ﴿سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ يعنى القتل ببدر إذا نزل بكم فلا تستعجلون، ثم قال سبحانه: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٩٣] هذا وعيد، فعذبهم الله عز وجل بالقتل، وضربت الملائكة وجوهم وأدبارهم وعجل الله بأرواحهم إلى النار.

* * *

سُورَةُ القَصَصِ

مكية

وفيها من المدنى: ﴿الَّذينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله: ﴿سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ لاَ نَبْتَغِى الْجَاهِلِينَ﴾ [الآيات: ٥٢ - ٥٥].

وفيها آية ليست بمكية ولا مدنية قوله: ﴿إِنَّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ [آية: الآية: ٨٥] نزلت بالجحفة أثناء الهجرة.

وعداد آياتها ثمان وثمانون آية كوفية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٣﴾

﴿طسٓمٓ﴾ [آية: ١] ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعنى القرآن ﴿ٱلْمُبِينِ﴾ [آية: ٢] يعنى بين ما فيه ﴿نَتْلُواْ عَلَيْكَ﴾ يعنى نقرأ عليك يا محمد ﴿مِن نَّبَإِ﴾ يعنى من حديث ﴿مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ﴾ اسمه فيطوس ﴿بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ٣] يعنى يصدقون بالقرآن.

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٤ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ۝٦﴾

ثم أخبر عن فرعون، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا﴾ يعنى تعظم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعنى أرض مصر ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا﴾ يعنى من أهل مصر ﴿شِيَعًا﴾ يعنى أحزابًا ﴿يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ﴾ يعنى من أهل مصر يستضعف بنى إسرائيل ﴿يُذَبِّحُ﴾ يعنى يقتل ﴿أَبْنَآءَهُمْ﴾ يعنى أبناء بنى إسرائيل ﴿وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ﴾ يقول: ويترك بناتهم

فلا يقتلهن، وكان جميع من قتل من بنى إسرائيل، ثمانية عشر طفلاً ﴿إِنَّهُۥ﴾ يعنى فرعون ﴿كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [آية: ٤] يعنى كان يعمل فى الأرض بالمعاصى.

يقول الله عز وجل: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ﴾ يقول: نريد أن ننعم ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ﴾ يعنى بنى إسرائيل حين أنجاهم من آل فرعون ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ يعنى قادة فى الخير، يقتدى بهم فى الخير ﴿وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [آية: ٥] لأرض مصر بعد هلاك فرعون.

﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعنى فى أرض مصر ﴿وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا﴾ القبط ﴿مِنْهُم﴾ يعنى من بنى إسرائيل ﴿مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ﴾ [آية: ٦] من مولود بنى إسرائيل أن يكون هلاكهم فى سببه، وهو موسى ﷺ، وذلك أن الكهنة أخبروا فرعون أنه يولد فى هذه السنة مولود فى بنى إسرائيل يكون هلاكك فى سببه، فجعل فرعون على نساء بنى إسرائيل قوابل من نساء أهل مصر، وأمرهن أن يقتلن كل مولود ذكر يولد من بنى إسرائيل مخافة ما بلغه، فلم يزل الله عز وجل بلطفه يصنع لموسى، عليه السلام، حتى نزل بآل فرعون من الهلاك ما كانوا يحذرون، وملك فرعون أربع مائة سنة، وستة وأربعين سنة.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى
وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ
لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ
﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ
وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى
بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ
فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ
فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ
إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ واسمها يوكابد من ولد لاوى بن يعقوب ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ (١) فأمرها جبريل، عليه السلام، بذلك ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ القتل وكانت

---

(١) انظر: (القرطبى ١٣/٢٥٠، البحر المحيط ٧/١٠٥).

أرضعته ثلاثة أشهر، وكان خوفها أنه كان يبكي من قلة اللبن، فيسمع الجيران بكاء الصبي، فقال: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ﴾ يعني في البحر، وهو بحر النيل، فقالت: رب، إني قد علمت أنك قادر على ما تشاء، ولكن كيف لي أن ينجو صبي صغير من عمق البحر، وبطون الحيتان، فأوحى الله عز وجل إليها أن تجعله في التابوت، ثم تقذفه في اليم، فإني أوكل به ملك يحفظه في اليم، فصنع لها التابوت حزقيل القبطي، ووضعت موسى في التابوت، ثم ألقته في البحر يقول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَخَافِي﴾ عليه الضيعة ﴿وَلَا تَحْزَنِيٓ﴾ عليه القتل ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [آية: ٧] إلى مصر فصدقت، بذلك ففعل الله عز وجل ذلك به، وبارك الله تعالى على موسى، عليه السلام، وهو في بطن أمه ثلاث مائة وستين بركة.

﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ﴾ من البحر من بين الماء والشجر، وهو في التابوت، فمن ثم سمي موسى، بلغة القبط الماء: مو، والشجر: سى، فسموه موسى، ثم قال تعالى: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا﴾ في الهلاك ﴿وَحَزَنًا﴾ يعني وغيظًا في قتل الأبكار، فذلك قوله عز وجل: ﴿**وإنهم لنا لغائظون**﴾ [الشعراء: ٥٥] لقتلهم أبكارنا، ثم قال سبحانه: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾ [آية: ٨].

﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾ واسمها آسية بنت مزاحم، عليها السلام: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ﴾ فإنا أتينا به من أرض أخرى، وليس من بني إسرائيل، ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ فنصيب منه خيرًا ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ يقول الله عز وجل: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [آية: ٩] أن هلاكهم في سببه.

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ﴾ (١) وذلك أنها رأت التابوت يرفعه موج ويضعه آخر، فخشيت عليه الغرق، فكادت تصيح شفقة عليه، فذلك قوله عز وجل: ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ﴾ يقول: إن همت لتشعر أهل مصر بموسى، عليه السلام، أنه ولدها ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ بالإيمان ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ١٠] يعني من المصدقين بتوحيد الله عز وجل، حين قال لها: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿وَقَالَتْ﴾ أم موسى ﴿لِأُخْتِهِۦ﴾ يعني أخت موسى لأبيه وأمه، واسمها مريم: ﴿قُصِّيهِ ۖ﴾ يعني قصي أثره في البحر، وهو في التابوت يجري في الماء، حتى تعلمي

(١) انظر: (الفراء ٢/٣٠٣، القرطبي ١٣/٢٥٥، البحر المحيط ٧/١٠٧، مجمع البيان ٧/٢٤٠).

علمه من يأخذه ﴿فَبَصُرَتۡ بِهِۦ عَن جُنُبٖ﴾[1] يعنى كأنها مجانبة له بعيدًا من أن ترقبه كقوله تعالى: ﴿والجار الجنب﴾ [النساء: ٣٦] يعنى بعيدًا منهم من قوم آخرين، وعينها إلى التابوت معرضة بوجهها عنه إلى غيره، ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [آية: ١١] أنها ترقبه.

﴿۞وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ مِن قَبۡلُ﴾ أن يصير إلى أمه، وذلك أنه لم يقبل ثدى امرأة ﴿فَقَالَتۡ﴾ أخته مريم: ﴿هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٖ يَكۡفُلُونَهُۥ لَكُمۡ﴾ يعنى يضمنون لكم رضاعه، ﴿وَهُمۡ لَهُۥ﴾ للولد ﴿نَٰصِحُونَ﴾ [آية: ١٢] هن أشفق عليه وأنصح له من غيره، فأرسل إليها فجاءت، فلما وجد الصبى ريح أمه قبل ثديها.

فذلك قوله عز وجل: ﴿فَرَدَدۡنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَ وَلِتَعۡلَمَ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾ لقوله: ﴿إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾ ثم قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ﴾ يعنى أهل مصر ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [آية: ١٣] بأن وعد الله عز وجل حق.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ (١٤) وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ يَقۡتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦۖ فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ (١٥)﴾

﴿وَلَمَّا بَلَغَ﴾ موسى ﴿أَشُدَّهُۥ﴾ يعنى لثمانى عشرة سنة، ﴿وَٱسۡتَوَىٰٓ﴾ يعنى أربعين سنة، ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾ يقول: أعطيناه علمًا وفهمًا، ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آية: ١٤] يقول: هكذا نجزى من أحسن ، يعنى من آمن بالله عز وجل، وكان بقرية تدعى خانين على رأس فرسخين، فأتى المدينة فدخلها نصف النهار.

فذلك قوله عز وجل: ﴿وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ﴾ يعنى القرية ﴿عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا﴾ يعنى نصف النهار، وقت القائلة، ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ﴾ كافرين ﴿يَقۡتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ﴾ يعنى هذا من جنس موسى، من بنى إسرائيل ﴿وَهَٰذَا﴾ الآخر ﴿مِنۡ عَدُوِّهِۦۖ﴾ من القبط، ﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ﴾ بكفه مرة واحدة، ﴿فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ﴾ الموت، وكان موسى، عليه السلام، شديد البطش، ثم ندم موسى، عليه السلام، فقال: إنى لم أومر بالقتل، ﴿قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ﴾ يعنى من تزيين الشيطان ﴿إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ﴾ [آية: ١٥].

---

(١) انظر: (القرطبى ١٣/٢٥٧، الكشاف ٣/١٦٧، الرازى ٢٢/٢٣٠، البحر المحيط ٧/١٠٧).

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾
قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا
يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ
أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا
بِٱلْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ يعنى أضررت نفسى بقتل النفس، ﴿فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [آية: ١٦] بخلقه ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ يقول: إذ أنعمت على بالمغفرة، فلم تعاقبنى بالقتل ، ﴿فَلَنْ﴾ أعود أن ﴿أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [آية: ١٧] يعنى معينًا للكافرين، فيما بعد اليوم، لأن الذى نصره موسى كان كافرًا.

﴿فَأَصْبَحَ﴾ موسى من الغد ﴿فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ يعنى ينتظر الطلب، ﴿فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ﴾ يعنى يستغيثه ثانية على رجل آخر كافر من القبط، ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ﴾ للذى نصره بالأمس، الإسرائيلى: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [آية: ١٨] يقول: إنك لمضل مبين قتلت أمس فى سببك رجلاً.

﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ﴾ الثانية بالقبطى ﴿بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾ يعنى عدوًا لموسى وعدوًا للإسرائيلى، ظن الإسرائيلى أن موسى يريد أن يبطش به لقول موسى له: ﴿**إنك لغوى مبين**﴾ ﴿قَالَ﴾ الإسرائيلى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِٱلْأَمْسِ إِن تُرِيدُ﴾ يعنى ما تريد ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا﴾ يعنى قتالاً ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ مثل سيرة الجبابرة القتل فى غير حق ﴿وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [آية: ١٩] يعنى من المطيعين لله عز وجل فى الأرض، و لم يكن أهل مصر علموا بالقاتل، حتى أفشى الإسرائيلى على موسى، فلما سمع القبطى بذلك انطلق، فأخبرهم أن موسى هو القاتل، فائتمروا بينهم بقتل موسى.

﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ
فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ
﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن
دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ
كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ

فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ
أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ
﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ
أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ
ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ
عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ﴿٢٨﴾ ﴾

﴿وَجَآءَ رَجُلٞ﴾ فجاء حزقيل بن صابوث القبطى، وهو المؤمن ﴿مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ﴾ يعنى أقصى القرية ﴿يَسۡعَىٰ﴾ على رجليه، فـ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ﴾ من أهل مصر ﴿يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ﴾ بقتلك القبطى، ﴿فَٱخۡرُجۡ﴾ من القرية ﴿إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [آية: ٢٠].

﴿فَخَرَجَ﴾ موسى، عليه السلام، ﴿مِنۡهَا﴾ من القرية ﴿خَآئِفٗا﴾ أن يقتل ﴿يَتَرَقَّبُۖ﴾ يعنى ينتظر الطلب، وهو هارب منهم ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ٢١] يعنى المشركين، أهل مصر، فاستجاب الله عز وجل له، فأتاه جبريل، عليه السلام، فأمره أن يسير تلقاء مدين، وأعطاه العصا، فسار من مصر إلى مدين فى عشرة أيام بغير دليل.

فذلك قوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلۡقَآءَ مَدۡيَنَ﴾ بغير دليل خشى أن يضل الطريق ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [آية: ٢٢] يعنى يرشدنى قصد الطريق إلى مدين فبلغ مدين. فذلك قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ﴾ ابن إبراهيم خليل الرحمن لصلبه، عليهم السلام، وكان الماء لمدين فنسب إليه، ثم قال: ﴿وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ﴾ يقول: وجد موسى على الماء جماعة ﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ﴾ أغنامهم، ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ﴾ يعنى حابستين الغنم لتسقى فضل ماء الرعاء، وهما ابنتا شعيب النبى ﷺ، واسم الكبرى صبورا، واسم الصغرى عبرا، وكانتا توأمتين، فولدت الأولى قبل الأخرى بنصف نهار، ﴿قَالَ﴾ لهما موسى: ﴿مَا خَطۡبُكُمَاۖ﴾ يعنى ما أمركما، ﴿قَالَتَا لَا نَسۡقِي﴾ الغنم ﴿حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ﴾ بالغنم راجعة من الماء إلى الرعى، فنسقى فضلتهم ﴿وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ﴾ [آية: ٢٣] لا يستطيع أن يسقى الغنم من الكبر، فقال لهما موسى، عليه السلام: أين الماء؟ فانطلقا به إلى الماء، فإذا الحجر على رأس البئر لا

يزيله إلا عصابة من الناس، فرفعه موسى، عليه السلام، وحده بيده، ثم أخذ الدلو، فأدلى دلوًا واحدًا، فأفرغه فى الحوض، ثم دعا بالبركة.

﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ الغنم، فرويت ﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ﴾ يعنى انصرف ﴿إِلَى ٱلظِّلِّ﴾ ظل شجرة، فجلس تحتها من شدة الحر وهو جائع، ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [آية: ٢٤] يعنى إلى الطعام، فرجعت الكبيرة إلى موسى لتدعوه.

فذلك قوله عز وجل: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا﴾ (١) يعنى الكبرى ﴿تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ يعنى على حياء، وهى التى تزوجها موسى، عليه السلام، فـ ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ وبين موسى وبين أبيها ثلاثة أميال، فولا الجوع الذى أصابه ما اتبعها، فقام يمشى معها، ثم أمرها أن تمشى خلفه وتدله بصوتها على الطريق كراهية أن ينظر إليها، وهما على غير جادة، يقول: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ﴾: فلما أتى موسى شعيبًا، عليهما السلام، ﴿وَقَصَّ عَلَيْهِ﴾ يعنى على شعيب ﴿ٱلْقَصَصَ﴾ الذى كان من أمره أجمع، أمر القوابل اللائى قتلن أولاد بنى إسرائيل، وحين ولد وحين قذف فى التابوت فى اليم، ثم المراضع بعد التابوت، حتى أخبره بقتل الرجل من القبط، ﴿قَالَ﴾ له شعيب: ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ٢٥] يعنى المشركين.

﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا﴾ وهى الكبرى ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ﴾ يقول: إن الذى استأجرت هو ﴿ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [آية: ٢٦] قال شعيب لابنته: من أين علمت قوته؟ وأمانته؟ قالت: أزال الحجر وحده عن رأس البئر، وكان لا يطيقه إلا رجال، وذكرت أنه أمرها أن تمشى خلفه كراهية أن ينظر إليها.

فـ ﴿قَالَ﴾ شعيب لموسى، عليهما السلام: ﴿إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ﴾ يعنى أن أزواجك إحد ابنتى ﴿هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى﴾ نفسك ﴿ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا﴾ يعنى عشر سنين، ﴿فَمِنْ عِندِكَ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ فى العشر ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آية: ٢٧] يعنى من الرافقين بك، كقول موسى لأخيه هارون: ﴿**اخلفنى فى قومى وأصلح**﴾ [آية: الأعراف: ١٤٢] يعنى وارفق بهم، فى سورة الأعراف.

---

(١) انظر: (البحر المحيط ١١٤/٧، غيث النفع ٣١٦، الآلوسى ٦٤/٢٠).

﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ﴾ (١) ثماني سنين، أو عشر سنين، ﴿فَلَا عُدْوَانَ﴾ يعني فلا سبيل ﴿عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [آية: ٢٨] يعني شهيد فيما بيننا، كقوله عز وجل: ﴿وكفى بالله وكيلاً﴾ [النساء: ٨١]، يعني شهيدًا، فأتم موسى، عليه السلام، عشر سنين على أن يزوج ابنته الكبرى اسمها صبورا بنت شعيب بن نويب بن مدين بن إبراهيم.

﴿۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿٣١﴾ اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ﴾ السنين العشر، ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ ليلة الجمعة ﴿آنَسَ﴾ يعني رأى ﴿مِن جَانِبِ﴾ يعني من ناحية ﴿الطُّورِ﴾ يعني الجبل ﴿نَارًا﴾ وهو النور بأرض المقدسة، فـ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا﴾ مكانكم ﴿إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾ يقول: إن رأيت نارًا ﴿لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ أين الطريق وكان قد تحير ليلاً، فإن لم أجد من يخبرني، ﴿أَوْ جَذْوَةٍ﴾ يعني آتيكم بشعلة، وهو عود قد احترق بعضه ﴿مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ﴾ يعني لكي ﴿تَصْطَلُونَ﴾ [آية: ٢٩] من البرد، فترك موسى، عليه السلام، امرأته وولده فى البرية بين مصر ومدين، ثم استقام فذهب بالرسالة، فأقمت امرأته مكانها ثلاثين سنة فى البرية مع ولدها وغنمها، فمر بها راع فعرفها، وهى حزينة تبكى، فانطلق بها إلى أبيها.

﴿فَلَمَّا أَتَاهَا﴾ أتى النار ﴿نُودِيَ﴾ ليلاً ﴿مِن شَاطِئِ﴾ يعنى من جانب، يعنى من الناحية ﴿الْوَادِ الْأَيْمَنِ﴾ يعنى يمين الجبل ﴿فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ﴾ والمباركة، لأن الله عز وجل كلم موسى، عليه السلام، فى تلك البقعة نودى ﴿مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ وهى

---

(١) انظر: (الإتحاف ٣٤٢، القرطبى ١٣/٢٧٩، الكشاف ٣/١٧٤، مجمع البيان ٧/٢٤٩، البحر المحيط ٧/١٢٥).

عوسجة، وكان حول العوسجة شجر الزيتون، فنودى ﴿أَن يَـٰمُوسَىٰٓ﴾ فى التقديم ﴿إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ الذى ناديتك ﴿رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [آية: ٣٠] هذا كلامه عز وجل لموسى، عليه السلام.

﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ وهى ورق الآس أس الجنة من يدك ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ﴾ تحرك ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ يقول: كأنها حية لم تزل. قال الهذيل، عن غير مقاتل: ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ يعنى شيطان ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾ من الرهب من الحية، يعنى من الخوف، فيها تقديم ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ يعنى ولم يرجع، قال سبحانه: ﴿يَـٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ﴾ من الحية ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْـَٔامِنِينَ﴾ [آية: ٣١] من الحية.

﴿ٱسْلُكْ﴾ يعنى ادخل ﴿يَدَكَ﴾ اليمنى ﴿فِى جَيْبِكَ﴾ فجعلها فى جيبه من قبل الصدر، وهى مدرعة من صوف مضربة ﴿تَخْرُجْ﴾ يدك من الجيب ﴿بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ يعنى من غير برص لها شعاع كشعاع الشمس، يغشى البصر ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ يعنى عضدك من يدك ﴿مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ﴾ يعنى آيتين من ربك يعنى اليد والعصا ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ﴾ [آية: ٣٢]، يعنى عاصين.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ [آية: ٣٣] ﴿وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا﴾ يعنى عونًا لكى ﴿يُصَدِّقُنِىٓ﴾ وهارون يومئذ بمصر لكى يصدقنى فرعون ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ [آية: ٣٤].

﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ يعنى ظهرك بأخيك هارون ﴿وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا﴾ يعنى حجة بآياتنا، يعنى اليد والعصا، فيها تقديم ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ بقتل، يعنى فرعون وقومه لقولهما فى طه: ﴿**إننا نخاف أن يفرط علينا بالقاتل أو أن يطغى**﴾،

فذلك قوله سبحانه: ﴿ فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ﴾ ﴿ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴾ [آية: ٣٥].

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا ﴾ اليد والعصا ﴿ بَيِّنَـٰتٍ ﴾ يعنى واضحات التى فى طه والشعراء، ﴿ قَالُواْ مَا هَـٰذَآ ﴾ الذى جئت به يا موسى، ﴿ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى ﴾ افتريته يا موسى، أنت تقولته وهارون ﴿ وَ ﴾ قالوا: ﴿ وَمَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [آية: ٣٦] يعنى اليد والعصا.

﴿ وَ ﴾ لما كذبوه بما جاء به ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ ﴾ فإنى جئت بالهدى من عند الله عز وجل، ﴿ وَ ﴾ هو أعلم بـ ﴿ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ﴾ يعنى دار الجنة ألنا أو لكم؟ ثم قال: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ [آية: ٣٧] فى الآخرة لا يفوز المشركون، يعنى لا يسعدون.

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَـٰهُمْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ ﴾ يعنى الأشراف من قومه ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى ﴾ هذا القول من فرعون كفر ﴿ فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا ﴾ يقول: أوقد النار على الطين حتى يصير اللبن أجرًا، وكان فرعون أول من طبخ الأجر وبناه، ﴿ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا ﴾ يعنى قصرًا طويلاً، ﴿ لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ ﴾ فبنى، وكان ملاطة خبث القوارير، فكان الرجل لا يستطيع القيام عليه مخافة أن تنسفه الريح، ثم قال فرعون: فاطلع إلى إله موسى ﴿ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ ﴾ يقول: إنى لأحسب موسى ﴿ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾ [آية: ٣٨] بما يقول: إن فى السماء إلهًا.

﴿ وَٱسْتَكْبَرَ ﴾ فرعون ﴿ هُوَ وَجُنُودُهُۥ ﴾ عن الإيمان ﴿ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ يعنى بالمعاصى ﴿ وَظَنُّوٓاْ ﴾ يقول: وحسبوا ﴿ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴾ [آية: ٣٩] أحياء بعد الموت فى الآخرة.

يقول الله عز وجل: ﴿فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ يعنى فقذفناهم فى نهر النيل الذى بمصر ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [آية: ٤٠] يعنى المشركين، أهل مصر كان عاقبتهم الغرق، ﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً﴾ يعنى قادة فى الشرك ﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ يعنى يدعون إلى الشرك، وجعل فرعون والملأ قادة الشرك، وأتبعناهم أهل مصر ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ [آية: ٤١] يعنى لا يمنعون من العذاب ﴿وَأَتْبَعْنَـٰهُمْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ يعنى الغرق ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ فى النار ﴿هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾ [آية: ٤٢].

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَـٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا وَلَـٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَـٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَـٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَـٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا﴾ بالعذاب فى الدنيا ﴿ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾ يعنى نوحًا، وعادًا، وقوم إبراهيم، وقوم لوط، وقوم شعيب، وغيرهم كانوا قبل موسى، ثم قال عز وجل: ﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾ يقول: فى هلاك الأمم الخالية بصيرة لبنى إسرائيل، ﴿وَهُدًى﴾ يعنى التوراة هدى من الضلالة لمن عمل بها، ﴿وَرَحْمَةً﴾ لم آمن بها من العذاب ﴿لَّعَلَّهُمْ﴾ يعنى لكى ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾ [آية: ٤٣] فيؤمنوا بتوحيد الله، عز وجل.

﴿وَمَا كُنتَ﴾ يا محمد ﴿بِجَانِبِ﴾ يعنى بناحية، كقوله عز وجل: ﴿**جانب البر**﴾ [الإسراء: ٦٨] يعنى ناحية البر ﴿ٱلْغَرْبِىِّ﴾ بالأرض المقدسة، والغربى، يعنى غربى الجبل حيث تغرب الشمس ﴿إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾ يقول: إذ عهدنا إلى موسى الرسالة إلى فرعون وقومه، ﴿وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾ [آية: ٤٤] لذلك الأمر.

﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا﴾ يعنى خلفنا قرونًا، ﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا﴾ يعنى شاهدًا ﴿فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ يعنى تشهد مدين، فتقرأ على أهل مكة أمرهم ﴿وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [آية: ٤٥] يعنى أرسلناك إلى أهل مكة لتخبرهم بأمر مدين.

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ﴾ يعنى بناحية من الجبل الذى كلم الله عز وجل عليه موسى، عليه السلام، ﴿إِذْ نَادَيْنَا﴾ يعنى إذ كلمنا موسى، وآتيناه التوراة ﴿وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ يقول: ولكن القرآن رحمة، يعنى نعمة من ربك النبوة اختصصت بها، إذ أوحينا إليك أمرهم لتعرف كفار نبوتك، فذلك قوله: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾ يعنى أهل مكة بالقرآن ﴿مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ﴾ يعنى رسولاً ﴿مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ﴾ يعنى لكى ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾ [آية: ٤٦] فيؤمنوا.

﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ﴾ يعنى العذاب فى الدنيا ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من المعاصى، يعنى كفار مكة ﴿فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾ يعنى القرآن ﴿وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ٤٧] يعنى المصدقين، فيها تقديم، يقول: لولا أن يقولوا: ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك، ونكون من المؤمنين لأصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ يعنى القرآن ﴿مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ﴾ يعنى هلا ﴿أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ﴾ يعنى أعطى محمد ﷺ القرآن جملة مكتوبة كما أعطى موسى التوراة ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ قرآن محمد ﷺ ﴿قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا﴾ يعنون التوراة والقرآن، ومن قرأ «ساحران» يعنى موسى ومحمدًا، صلى الله عليهما، «تظاهرا»، يعنى تعاونا على الضلالة، يقول: صدق كل واحد منهما الآخر، ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ﴾ [آية: ٤٨] يعنى بالتوراة وبالقرآن لا نؤمن بهما.

﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ
﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ
بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ
ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾
وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ
يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾

وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾

يقول الله عز وجل لمحمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ لكفار مكة ﴿فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ﴾ لأهله ﴿مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آية: ٤٩] بأنهما ساحران تظاهرا ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ﴾ فإن لم يفعلوا: أن يأتوا بمثل التوراة والقرآن ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ﴾ بغير علم ﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾ يقول: فلا أحد أضل ﴿مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ٥٠] إلى دينه عز وجل.

﴿۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ﴾ يقول: ولقد بينا لكفار مكة ما فى القرآن من الأمم الخالية، كيف عذبوا بتكذيبهم رسلهم، ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ يعنى لكى ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾ [آية: ٥١] فيخافوا فيؤمنوا.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعنى أعطيناهم الإنجيل ﴿مِن قَبْلِهِۦ﴾ يعنى القرآن ﴿هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ٥٢] يعنى هم بالقرآن مصدقون بأنه من الله عز وجل نزلت فى مسلمى أهل الإنجيل، وهم أربعون رجلاً من أهل الإنجيل، أقبلوا من الشام بحيرى، وأبرهة، والأشرف، ودريد، وتمام، وأيمن، وإدريس، ونافع.

فنعتهم الله عز وجل، فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ آياتنا، يقول: وإذا قرئ عليهم القرآن ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ﴾ يعنى صدقنا بالقرآن ﴿إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾ [آية: ٥٣] يقول: إنا كنا من قبل هذا القرآن مخلصين لله عز وجل بالتوحيد.

يقول الله عز وجل: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ﴾ أجرًا بتمسكهم بالإسلام حين أدركوا محمدًا ﷺ، فآمنوا به، وأجرهم بالإيمان بالنبى ﷺ، فلما اتبعوا النبى ﷺ شتمهم كفار قومهم فى متابعة النبى ﷺ، فصفحوا عنهم وردوا معروفًا، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ ما سمعوا من قومهم من الأذى ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ من الأموال ﴿يُنفِقُونَ﴾ [آية: ٥٤] فى طاعة الله عز وجل.

﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ﴾ من قومهم، يعنى من الشر والشتم والأذى، ﴿أَعْرَضُواْ عَنْهُ﴾ يعنى عن اللغو، فلم يردوا عليهم مثل ما قيل لهم، ﴿وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ يعنى لنا ديننا ولكم دينكم، وذلك حين عيروهم بترك دينهم، وقالوا لكفار قومهم: ﴿سَلَٰمٌ

عَلَيْكُمْ﴾ يقول: ردوا عليهم معروفًا ﴿لَا نَبْتَغِى الْجَاهِلِينَ﴾ [آية: ٥٥] يعنى لا نريد أن تكون مع أهل الجهل والسفه.

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِى أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ وذلك أن أبا طالب بن عبد المطلب، قال: يا معشر بنى هاشم، أطيعوا محمدًا ﷺ، وصدقوه تفلحوا وترشدوا، قال النبى ﷺ: «يا عم، تأمرهم بالنصيحة لأنفسهم وتدعها لنفسك»، قال: فما تريد يا ابن أخى؟ قال: «أريد منك كلمة واحدة، فإنك فى آخر يوم من الدنيا، أن تقول: لا إله إلا الله، أشهد لك بها عند الله» عز وجل، قال: يا ابن أخى، قد عملت أنك صادق، ولكنى أكره أن يقال: جزع عند الموت، ولولا أن يكون عليك، وعلى بنى أبيك غضاضة وسبة لقلتها، ولأقررت بعينك عند الفراق لما أرى من شدة وجدك ونصيحتك، ولكن سوف أموت على ملة أشياخ عبد المطلب، وهاشم وعبد مناف، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّكَ﴾ يا محمد ﴿لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ إلى الإسلام ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [آية: ٥٦] يقول: وهو أعلم بمن قدر له الهدى.

﴿وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا﴾ نزلت فى الحارث بن نوفل بن عبد مناف القرشى، وذلك أنه قال للنبى ﷺ: إنا لنعلم أن الذى تقول حق، ولكنا يمنعنا أن نتبع الهدى معك مخافة أن يتخطفنا العرب من أرضنا، يعنى مكة، فإنما نحن أكلة رأس العرب، ولا طاقة لنا بهم، يقول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ﴾ يحمل إلى الحرم ﴿ثَمَرَاتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ يعنى بكل شىء من ألوان الثمار ﴿رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾ يعنى من عندنا ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ يعنى أهل مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٥٧] يقول: هم يأكلون رزقى ويعبدون غيرى، وهم آمنون فى الحرم من القتل والسبى،

فكيف يخافون لو أسلموا أن لا يكون ذلك لهم، نجعل لهم الحرم آمنا فى الشرك ونخوفهم فى الإسلام؟ فإنا لا نفعل ذلك بهم لو أسلموا.

ثم خوفهم عز وجل، فقال سبحانه: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ يقول: بطروا وأشروا يتقلبون فى رزق الله عز وجل، فلم يشكروا الله تعالى فى نعمه فأهلكهم بالعذاب ﴿فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ﴾ يعنى من بعد هلاك أهلها ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ من المساكن فقد يسكن فى بعضها ﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ [آية: ٥٨] لما خلفوا من بعد هلاكهم يخوف كفار مكة بمثل عذاب الأمم الخالية حين قالوا: نتخوف أن نتخطف من مكة.

ثم قال الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ﴾ يعنى معذب أهل القرى الخالية ﴿حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا﴾ يعنى فى أكبر تلك القرى رسولاً، وهى مكة ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ يقول: يخبرهم الرسول بالعذاب بأنه نازل بهم فى الدنيا إن لم يؤمنوا ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ﴾ يعنى معذبى أهل القرى فى الدنيا ﴿إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [آية: ٥٩] يقول: إلا وهم مذنبون، يقول: لم نعذب على غير ذنب.

﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ ۖ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ﴾ يقول: وما أعطيتم من خير، يعنى به كفار مكة ﴿فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا﴾ يقول: تمتعون فى أيام حياتكم، فمتاع الحياة الدنيا وزينتها إلى فناء

﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ من الثواب ﴿ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ يعنى أفضل وأدوم لأهله مما أعطيتم فى الدنيا ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [آية: ٦٠] أن الباقى خير من الفانى الذاهب.

﴿ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ ﴾ يعنى أفمن وعده الله عز وجل، يعنى النبى ﷺ فى الدنيا ﴿ وَعْدًا حَسَنًا ﴾ يعنى الجنة ﴿ فَهُوَ لَٰقِيهِ ﴾ فهو معاينه يقول: مصيبة ﴿ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ بالمال ﴿ ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴾ [آية: ٦١] النار، يعنى أبا جهل بن هشام، لعنه الله، ليسا بسواء، نظيرها فى الأنعام.

﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ ﴾ يعنى كفار مكة ﴿ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [آية: ٦٢] فى الدنيا أن معى شريكًا ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ ﴾ يعنى وجب عليهم كلمة العذاب وهم الشياطين، حق عليهم القول يوم قال الله تعالى وذكره، لإبليس: ﴿ لأملأن جهنم منكم أجمعين ﴾ [الأعراف: ١٨]، فقالت الشياطين فى الآخرة: ﴿ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ﴾ يعنون كفار بنى آدم، يعنى هؤلاء الذين أضللناهم كما ضللنا ﴿ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ﴾ منهم يا رب ﴿ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾ [آية: ٦٣] فتبرأت الشياطين ممن كان يعبدها.

﴿ وَقِيلَ ﴾ لكفار بنى آدم ﴿ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ﴾ يقول سلوا الآلهة: أهم الآلهة؟ ﴿ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ ﴾ يقول: سألوهم فلم تجبهم الآلهة، نظيرها فى الكهف. يقول الله تعالى: ﴿ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ ﴾ [آية: ٦٤] من الضلالة يقول: لو أنهم كانوا مهتدين فى الدنيا ما رأوا العذاب فى الآخرة.

﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ ﴾ يقول: ويوم يسألهم، يعنى كفار مكة يسألهم الله عز وجل، ﴿ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [آية: ٦٥] فى التوحيد ﴿ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ ﴾ يعنى الحجج ﴿ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [آية: ٦٦] يعنى لا يسأل بعضهم بعضًا عن الحجج، لأن الله تعالى ادحض حجتهم، وأكل ألسنتهم، فذلك قوله تعالى: ﴿ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ ﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ ﴾ من الشرك ﴿ وَءَامَنَ ﴾ يعنى وصدق بتوحيد الله عز وجل، ﴿ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ ﴾ والعسى من الله عز وجل واجب ﴿ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴾ [آية: ٦٧].

﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾ وذلك أن الوليد قال فى «حم» الزخرف: ﴿ لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾ [الزخرف: ٣١] يعنى نفسه، وأبا مسعود الثقفى، فذلك قوله سبحانه: ﴿ ويختار ﴾ أى للرسالة والنبوة من يشاء، فشاء

جل جلاله، لأن يجعلها فى النبى ﷺ، وليست النبوة والرسالة بأيديهم، ولكنها بيد الله عز وجل، ثم قال سبحانه: ﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ﴾ من أمرهم، ثم نزه نفسه تبارك وتعالى عن قول الوليد حين قال: ﴿**أجعل**﴾ محمد ﷺ ﴿**الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب**﴾ [ص: ٥]، فكفر بتوحيد الله عز وجل، فأنزل الله سبحانه ينزه نفسه عز وجل عن شركهم، فقال: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ﴾ يعنى وارتفع ﴿عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [آية: ٦٨] به غيره عز وجل.

ثم قال عز وجل: ﴿وَرَبُّكَ يَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ﴾ يعنى ما تسر قلوبهم ﴿وَمَا يُعۡلِنُونَ﴾ [آية: ٦٩] بألسنتهم، نظيرها فى النمل، ثم وحد الرب نفسه تبارك وتعالى حين لم يوحده كفار مكة، الوليد وأصحابه.

فقال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ يعنى يحمده أولياؤه فى الدنيا ويحمدونه فى الآخرة، يعنى أهل الجنة ﴿وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [آية: ٧٠] بعد الموت فى الآخرة فيجزيكم بأعمالكم.

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٍ تَسۡكُنُونَ فِيهِۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا فَقُلۡنَا هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلۡحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿قُلۡ﴾ يا محمد، لكفار مكة: ﴿أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ فدامت ظلمته ﴿مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ﴾ يعنى بضوء النهار، ﴿أَفَلَا﴾ يعنى أفهلا ﴿تَسۡمَعُونَ﴾ [آية: ٧١] المواعظ، و﴿قُلۡ﴾ لهم ﴿أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٍ تَسۡكُنُونَ فِيهِۚ﴾ من النصب ﴿أَفَلَا﴾ يعنى أفهلا ﴿تُبۡصِرُونَ﴾ [آية: ٧٢].

ثم أخبر عن صنعه تعالى ذكره، فقال سبحانه: ﴿وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ﴾ يعنى لتستقروا ﴿فِيهِ﴾ بالليل من النصب ﴿وَلِتَبۡتَغُواْ﴾ بالنهار ﴿مِن

فَضْلِهِۦ﴾ يعنى الرزق ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آية: ٧٣] ربكم فى نعمه، فتوحدوه عز وجل.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ يعنى يسألهم ﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [آية: ٧٤] فى الدنيا ﴿وَنَزَعْنَا﴾ يقول: وأخرجنا ﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ يعنى رسولها ونبيها يشهد عليها بالبلاغ والرسالة ﴿فَقُلْنَا﴾ لهم يعنى للكفار: ﴿هَاتُوا۟﴾ هلموا ﴿بُرْهَٰنَكُمْ﴾ يعنى حجتكم بأن معى شريكًا، فلم يكن لهم حجة، ﴿فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ﴾ يعنى التوحيد لله عز وجل، ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ فى الآخرة ﴿مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [آية: ٧٥] فى الدنيا بأن مع الله سبحانه شريكًا.

﴿۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾

﴿۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ يعنى من بنى إسرائيل، وكان ابن عمه، قارون بن أصهر بن قوهث بن لاوى بن يعقوب، وموسى بن عمران بن قوهث ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ يقول: بغى قارون على بنى إسرائيل من أجل كنزه ما له ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ﴾ يعنى وأعطيناه ﴿مِنَ ٱلْكُنُوزِ﴾ يعنى من الأموال ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ﴾ يعنى خزائنه ﴿لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾ والعصبة من عشرة نفر إلى أربعين، فإذا كانوا أربعين فهم أولو قوة يقول: لتعجز العصبة أولى القوة عن حمل الخزائن ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ﴾ بنو إسرائيل: ﴿لَا تَفْرَحْ﴾ يقول: لا تمرح ولا تبطر ولا تفخر بما أوتيت من الأموال، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [آية: ٧٦] يعنى المرحين البطرين.

﴿وَ﴾ قالوا له: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ يعنى فيما أعطاك الله عز وجل من الأموال والخير، ﴿ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ يعنى دار الجنة، ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ﴾ يعنى ولا تترك حظك ﴿مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ أن تعمل فيها لآخرتك، ﴿وَأَحْسِن﴾ العطية فى الصدقة

والخير فيما يرضى الله عز وجل، ﴿كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ﴾ بإحسان الله إليك ﴿ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ يقول: لا تعمل فيها بالمعاصى، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [آية: ٧٧].

فرد قارون على قومه حين أمروه أن يطيع الله عز وجل فى ماله، وفيما أمره أن يطيع الله عز وجل فى ماله، وفيما أمره، فـ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ﴾ يعنى إنما أعطيته، يعنى المال ﴿عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾ يقول: على خير علمه الله عز وجل عندى، يقول الله عز وجل: ﴿أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ قارون ﴿أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ﴾ بالعذاب ﴿مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ﴾ حين كذبوا رسلهم ﴿مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ﴾ من قارون ﴿قُوَّةً﴾ وبطشًا ﴿وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ﴾ من الأموال، منهم نمروذ الجبار وغيره، ثم قال عز وجل: ﴿وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ [آية: ٧٨] يقول: ولا يسأل مجرمو هذه الأمة عن ذنوب الأمم الخالية الذين عذبوا فى الدنيا، فإن الله عز وجل قد أحصى أعمالهم الخبيثة وعلمها.

﴿فَخَرَجَ﴾ قارون ﴿عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ﴾ قومه بنى إسرائيل، الزينة، يعنى الشارة الحسنة خرج على بغلة شهباء عليها سرج من ذهب عليه الأرجوان، ومعه آلاف فارس على الخيل عليهم وعلى دوابهم الأرجوان، ومعه ثلاث مائة جارية بيض عليهن الحلى والثياب الحمر على البغال الشهب، فلما نظر المؤمنون إلى تلك الزينة والجمال، ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾ وهم أهل التوحيد ﴿يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ﴾ يعنى مثل ما أعطى ﴿قَٰرُونُ﴾ من الأموال، ﴿إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾ [آية: ٧٩] يقول: إنه لذو نصيب وافر فى الدنيا.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗاۚ
وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ
يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ مَكَانَهُۥ
بِٱلۡأَمۡسِ يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ لَوۡلَآ أَن مَّنَّ
ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ
لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾ بما وعد الله فى الآخرة للذين تمنوا مثل مما أعطى قارون ﴿وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ﴾ يعنى لمن صدق بتوحيد الله عز وجل، ﴿وَعَمِلَ

صَٰلِحًا﴾ خير مما أوتى قارون فى الدنيا، ﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ يعنى الأعمال الصالحة، يعنى ولا يؤتاها ﴿إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ [آية: ٨٠].

﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ﴾ يعنى بقارون، وذلك أن الله عز وجل أمر الأرض أن تطيع موسى، عليه السلام، فأمر موسى الأرض أن تأخذ قارون، فأخذته إلى قدميه، فدعا قارون موسى وذكره الرحم، فأمرها موسى، عليه السلام، أن تبتلعه، فهو يتجلجل فى الأرض كل يوم قامة رجل إلى يوم القيامة، فقالت بنو إسرائيل: إن موسى إنما أهلك قارون حتى يأخذ ماله وداره، فخسف الله عز وجل بعد قارون بثلاثة أيام، بداره وماله الصامت، فانقطع الكلام، فذلك قوله عز وجل: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ﴾ يعنى بقارون ﴿وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يقول الله عز وجل: لم يكن لقارون جند يمنعونه من الله عز وجل، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾ [آية: ٨١] يقول: وما كان قارون من الممتنعين مما نزل به من الخسف.

﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ﴾ بعد ما خسف به ﴿يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ يعنى لكن الله ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ﴾ يعنى يوسع الرزق على من يشاء، ويقتر على من يشاء، وقالوا: ﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ يعنى لولا أن الله عز وجل أنعم علينا بالإيمان ﴿لَخَسَفَ بِنَا﴾، ثم قال: ﴿وَيْكَأَنَّهُۥ﴾ يعنى ولكنه ﴿لَا يُفْلِحُ﴾ لا يسعد ﴿ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [آية: ٨٢].

﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ﴾ يعنى الجنة ﴿نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا﴾ يعنى تعظمًا ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ عن الإيمان بالتوحيد، ﴿وَلَا فَسَادًا﴾ يقول: ولا يريدون فيها عملاً بالمعاصى، ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ﴾ فى الآخرة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آية: ٨٣] من الشرك فى الدنيا.

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ
إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ
أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ
ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ
ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾
وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ﴾ يعنى بكلمة الإخلاص، وهى لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، ﴿فَلَهُۥ خَيۡرٌ مِّنۡهَا﴾ فى التقديم، يقول: فله منها خير، ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ يعنى الشرك يقول: من جاء فى الآخرة بالشرك، ﴿فَلَا يُجۡزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ يعنى الذين عملوا الشرك ﴿إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [آية: ٨٤] من الشرك، فإن جزاء الشرك النار، فلا ذنب أعظم من الشرك، ولا عذاب أعظم من النار.

حدثنا محمد، قال: حدثنا أبو القاسم، قال: حدثنا الهذيل، عن مقاتل، عن علقمة بن مرثد، قال: ذكر النبى ﷺ، هذه الآية: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ﴾ ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ فقال: «هذه تنجى وهذه تردى».

وقال مقاتل: إنه بلغه عن كعب بن عجرة، قال: سمعت النبى ﷺ يقول: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ﴾ فهى لا إله إلا الله، ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ فهى الشرك، فهذه تنجى، وهذه تردى، قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ وذلك أن النبى ﷺ خرج من الغار ليلاً، ثم هاجر من وجهه ذلك إلى المدينة، فسار فى غير الطريق مخافة الطلب، فلما أمن رجع إلى الطريق، فنزل بالجحفة بين مكة والمدينة، وعرف الطريق إلى مكة، فاشتاق إليها، وذكر مولده ومولد أبيه، فأتاه جبريل، عليه السلام، فقال: «أتشتاق إلى بلدك ومولدك؟ فقال النبى ﷺ: نعم، فقال جبريل: إن الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ »، يعنى إلى مكة ظاهرًا عليهم، فنزلت هذه الآية بالجحفة ليست بمكية، ولا مدنية ﴿قُل رَّبِّىٓ أَعۡلَمُ مَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ وذلك أن كفار مكة كذبوا محمدًا ﷺ، وقالوا: إنك فى ضلال، فأنزل الله تبارك وتعالى فى قولهم: ﴿قُل رَّبِّىٓ أَعۡلَمُ مَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ فأنا الذى جئت بالهدى من عند الله عز وجل، ﴿وَ﴾ هو أعلم ﴿وَمَنۡ هُوَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آية: ٨٥] يقول: أنحن أم أنتم.

﴿وَمَا كُنتَ تَرۡجُوٓاْ﴾ يا محمد ﴿أَن يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَـٰبُ﴾ يعنى أن ينزل عليك القرآن يذكره النعم، وقال: ما كان الكتاب ﴿إِلَّا رَحۡمَةً﴾ يعنى عز وجل نعمة ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ اختصصت بها يا محمد، وذلك حين دعى إلى دين آبائه، فأوحى الله عز وجل إلى النبى ﷺ فى ذلك، فقال: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا﴾ يعنى معينًا ﴿لِّلۡكَـٰفِرِينَ﴾ [آية: ٨٦] على دينهم.

﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ﴾ كفار مكة ﴿عَنۡ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ يعنى عن إيمان بالقرآن ﴿بَعۡدَ إِذۡ أُنزِلَتۡ إِلَيۡكَ وَٱدۡعُ﴾ الناس ﴿إِلَىٰ﴾ معرفة ﴿رَبِّكَ﴾ عز وجل، وهو التوحيد، ثم أوعز إلى

النبى ﷺ وحذره، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آية: ٨٧] وذلك حين دعى إلى دين آبائه.

فحذره الله عز وجل أن يتبع دينهم، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَدْعُ﴾ يقول: ولا تعبد ﴿مَعَ ٱللَّهِ﴾ تعالى ﴿إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ فإنه واحد ليس معه شريك، ثم وحد نفسه جل جلاله، فقال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ يقول سبحانه: كل شىء من الحيوان ميت، ثم استثنى نفسه جل جلاله بأنه تعالى حى دائم لا يموت، فقال جل جلاله: ﴿إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ يعنى إلا هو ﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ يعنى القضاء ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [آية: ٨٨] أحياء فى الآخرة، فيجزيكم عز وجل بأعمالكم.

* * *

سُورَةُ العَنكَبُوتِ

سورة العنكبوت مكية

ويقال: نزلت بين مكة والمدينة فى طريقه حين هاجر ﷺ، وهى تسع وستون آية كوفية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾

﴿الٓمٓ﴾ [آية: ١] ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ﴾ نزلت فى مهجع بن عبد الله مولى عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، كان أول قتيل من المسلمين يوم بدر، وهو أول من يدعى إلى الجنة من شهداء أمة محمد ﷺ، فجزع عليه أبواه.

وكان الله تبارك وتعالى بين للمسلمين أنه لا بد لهم من البلاء والمشقة فى ذات الله عز وجل، وقال النبى ﷺ يومئذ: «سيد الشهداء مهجع»، وكان رماه عامر بن الحضرمى بسهم فقتله، فأنزل الله عز وجل فى أبويه عبد الله وامرأته: ﴿الٓمٓ﴾ [آية: ١] ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾ [آية: ٢] يقول: أحسبوا أن يتركوا عن التصديق بتوحيد الله عز وجل، ولا يبتلون فى إيمانهم.

﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا﴾ يقول: ولقد ابتلينا ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ﴾ يعنى من قبل هذه الأمة من المؤمنين، ﴿فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ﴾ يقول: فليرين الله الذين ﴿صَدَقُواْ﴾ فى إيمانهم من هذه الأمة عند البلاء، فيصبروا لقضاء الله عز وجل، ﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ﴾ يقول: وليرين ﴿ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [آية: ٣] فى إيمانهم فيشكوا عند البلاء.

ثم وعظ كفار العرب، فقال سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ يعنى الشرك نزلت فى بنى عبد شمس ﴿أَن يَسْبِقُونَا﴾ يعنى أن يفوتونا بأعمالهم السيئة حتى يجزيهم بها فى الدنيا، فقتلهم الله عز وجل ببدر منهم شيبة وعتبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة بن ربيعة، وحنظلة بن أبى سفيان بن حرب، وعبيدة بن سعد بن العاص بن أمية، وعقبة بن أبى معيط، والعاص بن وائل، ثم قال عز وجل: ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [آية: ٤] يعنى ما يقضون، يعنى بنى عبد شمس بن عبد مناف.

ثم قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ﴾ يقول: من خشى البعث فى الآخرة، فليعمل لذلك اليوم، ﴿فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾ يعنى يوم القيامة ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [آية: ٥] لقول بنى عبد شمس بن عبد مناف حين قالوا: إنا نعطى فى الآخرة ما يعطى المؤمنون، يعنى بالمؤمنين بنى هاشم، وبنى عبد المطلب بن عبد مناف، العليم به.

نزلت ﴿مَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ﴾ فى بنى هاشم، وبنى عبد المطلب ابنى عبد مناف، منهم على بن أبى طالب، وحمزة، وجعفر، عليهم السلام، وعبيدة بن الحارث، والحصين، والطفيل ابنا الحارث بن المطلب، ومسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب، وزيد بن جارثة، وأبو هند، وأبو ليلى مولى النبى ﷺ، وأيمن ابن أم أيمن قتيل يوم حنين، رضى الله عنه، ثم قال تعالى: ﴿وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ يقول: من يعمل الخير فإنما يعمل لنفسه، يقول: إنما أعمالهم لأنفسهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آية: ٦] يعنى عن أعمال القبيلتين بنى هاشم، وبنى عبد المطلب، ابنى عبد مناف.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾﴾

ثم قال عز وجل أيضًا يعنيهم: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٧] فيجزيهم بإحسانهم، ولا يجزيهم بمساوئهم، يعنى بنى هاشم، وبنى المطلب.

ثم قال الله عز وجل: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ نزلت فى سعد بن أبى وقاص الزهرى، رضى الله عنه، وأمه حمنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ بأن معى شريكًا ﴿فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾ فى الشرك ﴿إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ فى الآخرة، ﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [آية: ٨] يعنى سعدًا، رضى الله عنه، وذلك أنه حين أسلم حلفت أمه لا تأكل طعامًا، ولا تشرب شرابًا، ولا تدخل [كنا]، حتى يرجع سعد عن الإسلام، فجعل سعد يترضاها، فأبت عليه، وكان بها بارًا فأتى سعد، رضى الله عنه، النبى ﷺ، فشكى إليه فنزلت فى سعد، رضى الله عنه، هذه الآية، فأمره النبى ﷺ أن يترضاها ويجهد بها على أن تأكل وتشرب، فأبت حتى يئس منها، وكان أحب ولدها إليها.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آية: ٩] ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ نزلت فى عياش بن أبى ربيعة بن المغيرة بن عمرو بن مخزوم القرشى، وذلك أن عياشًا أسلم، فخاف أهل بيته، فهرب إلى المدينة بدينه قبل أن يهاجر النبى ﷺ إليها، فحلفت أمه أسماء بنت مخرمة بن أبى جندل بن نهشل التميمى ألا تأكل ولا تشرب، ولا تغسل رأسها، ولا تدخل كنا(*) حتى يرجع إليها، فصبرت ثلاثة أيام، ثم أكلت وشربت، فركب أبو جهل عدو الله والحارث ابنا هشام، وهما أخواه لأمه، وهما بنو عم حتى أتيا المدينة، فلقياه، فقال أبو جهل لأخيه عياش: قد علمت أنك كنت أحب إلى أمك من جميع ولدها، وآثر عندها، لأنه كان أصغرهم سنًا، وكان بها بارًا، وقد حلفت أمك ألا تأكل، ولا تشرب، ولا تغسل رأسها، ولا تدخل بيتًا، حتى ترجع إليها، وأنت تزعم أن فى دينك بر الوالدين، فارجع إليها، فإن ربك الذى بالمدينة هو بمكة فاعبدوه بها، فأخذ عياش عليهم المواثيق ألا يحركاه، فاتبعهما، فأوثقاه، ثم جلده كل واحد منهما مائة جلدة حتى يبرأ من دين محمد ﷺ، فأنزل الله عز وجل فى عياش: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ يعنى صدقنا بتوحيد الله، ﴿فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ﴾ يعنى ضربهما إياه ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ﴾ يقول: جعل عذاب الناس فى الدنيا كعذا ب الله فى الآخرة، كقوله عز وجل: ﴿**يوم هم على النار يفتنون**﴾ [الذاريات: ١٣]، يعنى يعذبون.

(*) كذا فى الأصل.

ثم استأنف ﴿وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ﴾ على عدوك بمكة وغيرها، إذا كان للمؤمنين دولة ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ المنافقون للمؤمنين ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ﴾ على عدوكم، وإذا رأوا دولة للكافرين شكوا فى إيمانهم، ﴿أَوَ لَيۡسَ ٱللَّهُ﴾ يعنى عز وجل، أو ما الله ﴿بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ١٠] من الإيمان والنفاق.

﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ﴾ يعنى وليرين الله ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يعنى صدقوا عند البلاء والتمحيص، ﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ﴾ يعنى وليرين ﴿ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ [آية: ١١] فى إيمانهم، فيشكوا عند البلاء والتمحيص.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلۡنَٰهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعنى أبا سفيان ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ نزلت فى عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وخباب بن الأرت، رضى الله عنهم، ختن عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، على أخته أم جميل ﴿ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ﴾، وذلك أن أبا سفيان بن حرب بن أمية، قال لهؤلاء النفر: اتبعوا ملة آبائنا، ونحن الكفلاء بكل تبعة من الله تصيبكم، وأهل مكة علينا شهداء، فذلك قوله تعالى: ﴿وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ﴾، يقول الله عز وجل: ﴿وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ [آية: ١٢] فيما يقولون.

﴿وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ﴾، يعنى وليحملن أوزارهم التى عملوا، وأوزارًا مع أوزارهم؛ لقولهم للمؤمنين: اتبعوا سبيلنا ﴿مَّعَ﴾، يعنى إلى أوزارهم التى عملوا لأنفسهم، ﴿وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ [آية: ١٣]، من الكذب؛ لقولهم: نحن الكفلاء بكل تبعة تصيبكم من الله عز وجل.

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا﴾، يدعوهم إلى الإيمان بالله عز وجل، فكذبوه، ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾ [آية: ١٤]، يعنى الماء طغى على كل شيء، فأغرقوا.

﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ﴾، يعنى نوحًا، عليه السلام، ﴿وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾ من الغرق، ﴿وَجَعَلۡنَٰهَآ﴾، يعنى السفينة، ﴿ءَايَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ١٥]، يعنى لمن بعدهم من الناس.

﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدۡ كَذَّبَ أُمَمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ كَيۡفَ يُبۡدِئُ ٱللَّهُ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿١٩﴾ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾، يعنى وحدوا الله، ﴿وَٱتَّقُوهُۖ﴾، يعنى واخشوه، ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾، يعنى عبادة الله، ﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ من عبادة الأوثان، ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [آية: ١٦]، ولكنكم لا تعلمون.

﴿إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا﴾، يعنى أصنامًا، ﴿وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ﴾، يعنى تعملونها بأيديكم، ثم تزعمون أنها آلهة كذبًا وأنتم تنحتونها، فذلك قوله عز وجل: ﴿ **وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ [الصافات: ٩٦] بأيديكم من الأصنام، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الآلهة، ﴿لَا يَمۡلِكُونَ﴾، يقول: لا يقدرون ﴿لَكُمۡ رِزۡقٗا﴾، على رزق، ﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ﴾، يعنى وحدوه، ﴿وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ﴾، واشكروا الله فى النعم، فإن مصيركم إليه، فذلك قوله تعالى: ﴿إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [آية: ١٧]، أحياء بعد الموت.

﴿وَإِن تُكَذِّبُواْ﴾، يعنى كفار مكة يكذبوا محمدًا ﷺ بالعذاب وبالبعث، ﴿فَقَدۡ كَذَّبَ أُمَمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡۖ﴾، يعنى من قبل كفار مكة كذبوا رسلهم بالعذاب، ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [آية: ١٨]، يقول: وما على النبى ﷺ إلا أن يبين لكم أمر العذاب.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾، كما خلقهم، يقول: أو لم يعلم كفار مكة كيف بدأ الله عز وجل خلق الإنسان من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة، ثم عظامًا، ثم لحمًا، ولم يكونوا شيئًا، ثم هلكوا، ثم يعيدهم فى الآخرة ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [آية: ١٩]، يقول: إعادتهم فى الآخرة على الله عز وجل هين.

ثم قال للنبى ﷺ: ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾؛ ليعتبروا فى أمر البعث، ﴿فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾، يعنى خلق السموات والأرض وما فيها من الخلق؛ لأنهم يعلمون أن الله عز وجل خلق الأشياء كلها، ﴿ثُمَّ﴾ إن ﴿اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾، يعنى بعيد الخلق الأول، يقول: هكذا يخلق الخلق الآخر، يعنى البعث بعد الموت كما بدأ الخلق الأول، إنما ذكر النشأة الآخرة؛ لأنها بعد الخلق الأول، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من البعث وغيره، ﴿قَدِيرٌ﴾ [آية: ٢٠].

﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ [آية: ٢١]، يعنى وإليه ترجعون بعد الموت يوم القيامة فيجزيكم بأعمالكم، ﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾، يعنى كفار مكة بمعجزين، يعنى بسابقين الله عز وجل فتفوتوه، ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ كنتم، ﴿وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾، كنتم أينما كنتم حتى يجزيكم بأعمالكم السيئة، ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ﴾، يعنى من قريب لينفعكم، ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ [آية: ٢٢]، يعنى ولا مانع يمنعكم من الله عز وجل.

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٣) فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٢٤) وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ (٢٥) ۞ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي ۖ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٦) ﴾

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾، يعنى بالقرآن، ﴿وَلِقَائِهِ﴾، وكفروا بالبعث، ﴿أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي﴾، يعنى من جنتى، ﴿وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آية: ٢٣]، يعنى وجيعًا.

ثم ذكر إبراهيم، عليه السلام، فى التقديم، قال: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾، يعنى قوم إبراهيم، عليه السلام، حين دعاهم إلى الله عز وجل ونهاهم عن عبادة الأصنام،

﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ بالنار، فقذفوه فى النار، ﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ﴾، يعنى عز وجل إن فى النار التى لم تحرق إبراهيم، عليه السلام، لعبرة ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ٢٤]، يعنى يصدقون بتوحيد الله عز وجل.

﴿وَقَالَ﴾ لهم إبراهيم، عليه السلام: ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم﴾ الأوثان آلهة، ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ عز وجل، ﴿أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، يعنى بين الأتباع والقادة مودة على عبادة الأصنام، ﴿ثُمَّ﴾ إذا كان ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾، يقول: تتبرأ القادة من الأتباع، ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾، يقول: ويلعن الأتباع القادة من الأمم الخالية وهذه الأمة، ثم قال لهم إبراهيم، عليه السلام: ﴿وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ﴾، يعنى مصيركم إلى النار، ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [آية: ٢٥]، يعنى مانعين من العذاب يمنعونكم منه.

﴿۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾، يعنى فصدق بإبراهيم لوط، عليهما السلام، وهو أول من صدق بإبراهيم حين رأى إبراهيم لم تضره النار، ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم، عليه السلام: ﴿إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾، يعنى هجر قومه المشركين من أرض كوثا هو ولوط، وسارة أخت لوط، عليهم السلام، إلى الأرض المقدسة، ﴿إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾، يعنى إلى رضا ربى، وقال فى الصافات: ﴿إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى﴾، يعنى إلى رضا ربى، ﴿سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩]، فهاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آية: ٢٦].

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًاۚ قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ﴾، يعنى لإبراهيم، ﴿إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ ابن إسحاق بالأرض المقدسة، ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ﴾، يعنى ذرية إبراهيم، ﴿ٱلنُّبُوَّةَ﴾، يعنى إسماعيل، وإسحاق،

ويعقوب، علهيم السلام، ﴿وَٱلْكِتَٰبَ﴾، يعنى صحف إبراهيم، ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ﴾، يعنى أعطيناه جزاءه، ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾، يعنى الثناء الحسن، والمقالة الحسنة من أهل الأديان كلها؛ لمضيه على رضوان الله حين ألقى فى النار، وكسر الأصنام، ومضيه على ذبح ابنه، فجميع أهل الأديان يقولون: إبراهيم منا لا يتبرأ منه أحد، ﴿وَإِنَّهُۥ﴾، يعنى إبراهيم ﴿فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آية: ٢٧]، نظيرها فى النحل.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾، يعنى المعصية، يعنى إتيان الرجال فى أدبارهم ليلا، ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آية: ٢٨]، فيما مضى قبلكم، وكانوا لا يأتون إلا الغرباء.

ثم قال عز وجل: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾، يعنى المسافر، وذلك أنهم إذا جلسوا فى ناديهم، يعنى فى مجالسهم رموا ابن السبيل بالحجارة والخذف، فيقطعون سبيل المسافر، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾، يعنى فى مجالسكم المنكر، يعنى الحذف بالحجارة، ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾، أى قوم لوط، عليه السلام، حين نهاهم عن الفاحشة والمنكر، ﴿إِلَّآ أَن قَالُوا۟﴾ للوط، عليه السلام: ﴿ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [آية: ٢٩]، يعنى بأن العذاب نازل بهم فى الدنيا.

فدعا لوط ربه عز وجل، فـ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [آية: ٣٠]، يعنى العاصين، يعنى بالفساد إتيان الرجال فى أدبارهم، يقول: رب انصرنى بتحقيق قولى فى العذاب عليهم بما كذبون، يعنى بتكذيبهم إياى حين قالوا: إن العذاب ليس بنازل بهم فى الدنيا، فأهلكهم الله عز وجل بالخسف والحصب، وكان لوط، عليه السلام، قد أنذرهم العذاب، فذلك قوله: ﴿**وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا**﴾ [القمر: ٣٦]، يعنى عذابنا.

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ﴾، يعنى الملائكة، ﴿إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ بالولد، ﴿قَالُوٓا۟﴾ لإبراهيم: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾، يعنون قرية لوط، ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ﴾ [آية: ٣١].

﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ﴾، يعنى لوطا، ثم استثنى، فقال: ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [آية: ٣٢]، يعنى الباقين فى العذاب.

﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ٣٣ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ٣٤ وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٣٥﴾

﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا﴾ الملائكة، ﴿لُوطٗا﴾، وحسب أنهم من الإنس، ﴿سِيٓءَ بِهِمۡ﴾، يعنى كرههم لوط لصنيع قومه بالرجال، ﴿وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا﴾، يعنى بضيافة الملائكة ذرعًا، يعنى مخافة عليهم أن يفضحوهم، ﴿وَقَالُواْ﴾، وقالت الرسل للوط، عليه السلام: ﴿لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡ﴾؛ لأن قومه وعدوه، فقالوا: معك رجال سحروا أبصارنا، فستعلم ما تلقى عذابهم، فقالت الرسل: ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ﴾، ثم استثنى امرأته، فذلك قوله عز وجل: ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾ [آية: ٣٣]، يعنى من الباقين فى العذاب، فهلك قوم لوط، ثم أهلكت بعد بحجر أصابها فقتلها.

﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا﴾، يعنى عذابًا، ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ على قرى لوط، يعنى الخسف والحصب، ﴿بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾ [آية: ٣٤]، يعنى يعصون، ﴿وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ﴾، يعنى من قرية لوط آية، ﴿بَيِّنَةٗ﴾، يعنى علامة واضحة، يعنى هلاكهم، ﴿لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ [آية: ٣٥]، بتوحيد الله عز وجل، كانت قرية لوط بين المدينة والشام، وولد للوط بعد هلاك قومه ابنتان، وكان له ابنتان قبل هلاكهم، ثم مات لوط، وكان أولاده مؤمنين من بعده.

﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٣٦ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٣٧ وَعَادٗا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ ٣٨ وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ٣٩ فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٤٠﴾

﴿وَ﴾ أرسلنا ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا﴾ بن نويب بن مدين بن إبراهيم خليل الرحمن، جل جلاله، لصلبه، ﴿فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾، يعنى وحدوا الله، ﴿وَٱرۡجُواْ

﴿ٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾، يعنى واخشوا البعث الذى فيه جزاء الأعمال، ﴿وَلَا تَعْثَوْاْ﴾، يعنى ولا تسعوا، ﴿فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [آية: ٣٦]، يعنى بالمعاصى فى نقصان الكيل والميزان، وهو الفساد فى الأرض.

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ بالعذاب حين أوعدهم أنه نازل بهم فى الدنيا، ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ﴾، يعنى عز وجل فى محلتهم وعسكرهم، ﴿جَٰثِمِينَ﴾ [آية: ٣٧]، أمواتًا خامدين مثل النار إذا أطفئت، بينما هى تقد إذا هى طفئت، فشبه أرواحهم فى أجسادهم وهم أحياء مثل النار إذا تقد، ثم شبه هلاكهم بالنار إذا طفئت، بينما هم أحياء إذ صاح بهم جبريل، عليه السلام، فصعقوا أمواتًا أجمعين.

﴿وَ﴾ أهلكنا ﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ﴾، وهما ابنا عم، ﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم﴾ يا أهل مكة، ﴿مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ﴾، يعنى منازلهم آية فى هلاكهم، ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ السيئة، ﴿فَصَدَّهُمْ﴾ الشيطان ﴿عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾، أى طريق الهدى، ﴿وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ﴾ [آية: ٣٨] فى دينهم يحسبون أنهم على هدى.

﴿وَ﴾ أهلكنا ﴿وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ﴾، واسمه فيطوس، ﴿وَهَٰمَٰنَ﴾ قهرمان فرعون ودستوره، ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾، أخبرهم أن العذاب نازل بهم فى الدنيا، فكذبوه وادعوا أنه غير نازل بهم فى الدنيا، ﴿فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ﴾ [آية: ٣٩]، يعنى فتكبروا بذنوبهم، يعنى بتكذيبهم الرسل، كقوله تعالى: ﴿ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٢]، يعنى بتكذيبهم الرسل، وكفروا به، ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ﴾ [الشمس: ١٤]، يعنى بتكذيبهم صالحًا.

قال عز وجل: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾، يعنى من الحجارة، وهم قوم لوط، ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ﴾، يعنى صيحة جبريل، عليه السلام، وهم قوم صالح، وقوم شعيب، وقوم هود، وقوم إبراهيم، ﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾، يعنى قارون وأصحابه، ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾، يعنى قوم نوح، وقوم فرعون، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾، فيعذبهم على غير ذنب، ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آية: ٤٠]، يخوف كفار مكة بمثل عذاب الأمم الخالية؛ لئلا يكذبوا محمد ﷺ.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ

يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

ثم قال عز وجل: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ﴾ يعنى الآلهة، وهى الأصنام اللات والعزى ومناة وهبل، ﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ وذلك أن الله عز وجل ضرب مثل الصنم فى الضعف، يعنى كشبه العنكبوت إذا ﴿ٱتَّخَذَتْ بَيْتًاۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ﴾ يعنى أضعف ﴿ٱلْبُيُوتِ﴾ كلها ﴿لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِۖ﴾ فكذلك ضعف الصنم هو أضعف من بيت العنكبوت ﴿لَوْ﴾ يعنى إن ﴿كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٤١] ولكن لا يعلمون.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍۚ﴾ يعنى الأصنام ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آية: ٤٢] يعنى العزيز فى ملكه الحكيم فى أمره.

ثم قال عز وجل: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِۖ﴾ يقول: وتلك الأشباه نبينها لكفار مكة، فيما ذكر من أمر الصنم، ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [آية: ٤٣] يقول: الذين يعقلون عن الله عز وجل الأمثال.

﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۚ﴾ لم يخلقهما باطلاً لغير شىء خلقهما لأمر هو كائن ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية: ٤٤] يقول: إن فى خلقهما لعبرة للمصدقين بتوحيد الله عز وجل.

﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعنى اقرأ على أهل الكتاب ما أنزل إليك من القرآن، ثم قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ﴾ يعنى وأتم ﴿ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾ يعنى عن المعاصى ﴿وَٱلْمُنكَرِۗ﴾ يعنى المنكر ما لا يعرف يقول: إن الإنسان ما دام يصلى لله عز وجل، فقد انتهى عن الفحشاء والمنكر لا يعمل بها ما دام يصلى حتى ينصرف، ثم قال عز وجل: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ﴾ يعنى إذا صليت لله تعالى فذكرته فذكرك الله بخير، وذكر الله إياك أفضل من ذكرك إياه فى الصلاة، ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [آية: ٤٥] فى صلاتكم.

﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ
وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ
﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ
هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن
قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ
بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾
وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ
مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾

﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ﴾ يعنى النبى ﷺ وحده ﴿أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ البتة يعنى مؤمنيهم عبد الله بن سلام وأصحابه، ﴿إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ فيها تقديم، يقول: جادلهم قل لهم بالقرآن وأخبرهم عن القرآن، نسختها آية السيف فى براءة، فقال تعالى: ﴿**قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر**﴾ [التوبة: ٢٩] ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ﴾ لهم يعنى ظلمة اليهود ﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ يعنى القرآن ﴿وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾ يعنى التوراة ﴿وَ﴾ قولوا لهم: ﴿وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ﴾ ربنا وربكم واحد ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [آية: ٤٦] يعنى مخلصين بالتوحيد.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ يعنى وهكذا ﴿أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ﴾ كما أنزلنا التوارة على أهل الكتاب، ليبين لهم عز وجل يعنى ليخبرهم، ثم ذكر مؤمنى أهل التوراة عبد الله بن سلام وأصحابه، فقل سبحانه: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ يعنى أعطيناهم التوارة، يعنى ابن سلام وأصحابه ﴿يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ﴾ يصدقون بقرآن محمد ﷺ أنه من الله عز وجل، ثم ذكر مسلمى مكة، فقال: ﴿وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ﴾ يعنى يصدق بقرآن محمد ﷺ أنه من الله جاء، ثم قال: ﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ يعنى آيات القرآن بعد المعرفة، لأنهم يعلمون أن محمدًا ﷺ نبى، وأن القرآن حق من الله عز وجل، ﴿إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [آية: ٤٧] من اليهود.

﴿وَمَا كُنتَ﴾ يا محمد ﴿تَتۡلُواْ﴾ يعنى تقرأ ﴿مِن قَبۡلِهِۦ﴾ يعنى من قبل القرآن ﴿مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ﴾ فلو كنت يا محمد تتلو القرآن أو تخطه، لقالت اليهود: إنما كتبه من تلقاء نفسه، و ﴿إِذٗا لَّٱرۡتَابَ﴾ يقول: وإذًا لشك ﴿ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾ [آية:

٤٨] يعنى الكاذبين، يعنى كفار اليهود إذًا لشكوا فيك يا محمد، إذا لقالوا: إن الذى نجد فى التوراة نعته، هو أمى لا يقرأ الكتاب ولا يخطه بيده.

ثم ذكر مؤمنى أهل التوراة، فقال: ﴿بَلْ هُوَ﴾ يا محمد ﴿ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ﴾ يعنى علامات واضحات بأنه أمى لا يقرأ الكتاب ولا يخطه بيده، ﴿فِى صُدُورِ﴾ يعنى فى قلوب ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ بالتوراة، يعنى عبد الله بن سلام وأصحابه، ثم قال عز وجل: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ يعنى ببعث محمد ﷺ فى التوراة بأنه أمى لا يقرأ الكتاب، ولا يخطه بيده، وهو مكتوب فى التوراة، فكتموا أمره وجحدوا، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ يعنى ببعث محمد ﷺ فى التوراة ﴿إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [آية: ٤٩] يعنى كفار اليهود.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ قال كفار مكة: هلا أنزل على محمد ﷺ آيات من ربه إلينا، كما كان تجئ إلى قومهم، فأوحى الله تبارك وتعالى إلى النبى ﷺ، قال: ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ فإذا شاء أرسلها وليست بيدى، ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [آية: ٥٠].

فلما سألوه الآية، قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾ بالآية من القرآن ﴿أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ فيه خبر ما قبلهم، وما بعدهم، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ يعنى عز وجل فى القرآن ﴿لَرَحْمَةً﴾ لمن آمن به وعمل به، ﴿وَذِكْرَىٰ﴾ يعنى وتذكرة ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ٥١] يعنى يصدقون بالقرآن أنه من الله عز وجل، فكذبوا بالقرآن فنزل:

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾ يعنى فلا شاهد أفضل من الله بيننا ﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ يعنى صدقوا بعبادة الشيطان ﴿وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ بتوحيد الله ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [آية: ٥٢].

﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِۚ﴾ استهزاء وتكذيبًا به، ونزلت فى النضر بن الحارث، حيث قال: ﴿فأمطر علينا﴾ فى الدنيا ﴿حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ [الأنفال: ٣٢] يقول: ذلك استهزاء وتكذيبًا، فنزلت فيه: ﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِۚ وَلَوۡلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ فى الآخرة ﴿لَّجَآءَهُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾ الذى استعجلوه فى الدنيا، ﴿وَلَيَأۡتِيَنَّهُم﴾ العذاب فى الآخرة ﴿بَغۡتَةً﴾ يعنى فجأة ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [آية: ٥٣] يعنى لا يعلمون به حتى ينزل بهم العذاب.

ثم قال سبحانه: ﴿يَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ﴾ يعنى النضر بن الحارث، ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آية: ٥٤]. ثم أخبر بمنازلهم يوم القيامة، فقال تعالى: ﴿يَوۡمَ يَغۡشَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾ وهم فى النار ﴿مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۡ﴾ يعنى بذلك لهم من فوقهم ظل من النار ومن تحتهم ظلل، يعنى بين طبقتين من نار، ﴿وَيَقُولُ﴾ لهم الخزنة: ﴿ذُوقُواْ﴾ جزاء ﴿مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [آية: ٥٥] من الكفر والتكذيب.

﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ نزلت فى ضعفاء مسلمى أهل مكة إن كنتم فى ضيق بمكة من إظهار الإيمان، فـ﴿إِنَّ أَرۡضِي﴾ يعنى أرض الله بالمدينة ﴿وَٰسِعَةٞ﴾ من الضيق ﴿فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [آية: ٥٦] يعنى فوحدونى بالمدنية علانية.

ثم خوفهم الموت ليهاجروا، فقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾ [آية: ٥٧] فى الآخرة بعد الموت فيجزيكم بأعمالكم.

ثم ذكر المهاجرين، فقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾ يعنى لننزلنهم ﴿مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾ لا يموتون فى الجنة ﴿نِعۡمَ أَجۡرُ﴾ يعنى جزاء ﴿ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ [آية: ٥٨] لله عز وجل.

ثم نعتهم، فقال عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ على الهجرة ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [آية: ٥٩] يعنى وبالله يثقون فى هجرتهم، وذلك أن أحدهم كان يقول: بمكة أهاجر إلى المدينة وليس لى بها مال، ولا معيشة.

فوعظهم الله ليعتبروا، فقال: ﴿وَكَأَيِّن﴾ يعنى وكم ﴿مِّن دَآبَّةٖ﴾ فى الأرض أو طير ﴿لَّا تَحۡمِلُ﴾ يعنى لا ترفع ﴿رِزۡقَهَا﴾ معها ﴿ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا﴾ حيث توجهت ﴿وَإِيَّاكُمۡۚ﴾ يعنى يرزقكم إن هاجرتم إلى المدينة ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [آية: ٦٠] لقولهم: إنا لا نجد ما ننفق فى المدينة.

ثم قال عز وجل للنبى ﷺ: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم﴾ يعنى ولئن سألت كفار مكة ﴿مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ﴾ وحده خلقهم ﴿فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ [آية: ٦١] يعنى عز وجل من أين تكذبون يعنى بتوحيدى.

ثم رجع إلى الذين رغبهم فى الهجرة، والذين قالوا: لا نجد ما ننفق، فقال عز وجل: ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ﴾ يعنى يوسع ﴿ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ﴾ يعنى ويقتر على من يشاء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [آية: ٦٢] من البسط على من يشاء، والتقتير عليه.

﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم﴾ يعنى كفار مكة ﴿مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ﴾ يعنى المطر، ﴿فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ﴾ يفعل ذلك ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ﴾ بإقرارهم بذلك ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [آية: ٦٣] بتوحيد ربهم، وهم مقرون بأن الله عز وجل خلق الأشياء كلها وحده.

﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ وَلِيَتَمَتَّعُواْۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾

ثم قال تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ يعنى وباطلاً ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ يعنى الجنة ﴿لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ يقول: لهى دار الحياة لا موت فيها ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٦٤] ولكنهم لا يعلمون.

﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ يعنى السفن، يعنى كفار مكة يعظهم ليعتبروا ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ يعنى موحدين له بالتوحيد ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [آية: ٦٥] فلا يوحدون كما يوحدونه عز وجل فى البحر.

﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ يعنى لئلا يكفروا بما أعطيناهم فى البحر من العافية حين سلمهم الله عز وجل من البلاء وأنجاهم من اليم، ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا۟﴾ إلى منتهى آجالهم ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ٦٦] هذا وعيد.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾ يعنى كفار مكة يعظهم ليعتبروا ﴿أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ فيقتلون ويسبون فادفع عنهم، وهم يأكلون رزقى ويعبدون غيرى، فلست أسلط عليهم عدوهم إذا أسلموا نزلت فى الحارث بن نوفل القرشى، نظيرها فى «طسم» القصص، ثم بين لهم ما يعبدون، فقال سبحانه: ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾؟ يعنى أفبالشيطان يصدقون أن لله تعالى شريكًا، ﴿وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ﴾ الذى أطعمهم من جوع، وآمنهم من خوف ﴿يَكْفُرُونَ﴾ [آية: ٦٧] فلا يؤمنون برب هذه النعمة، فيوحدونه عز وجل.

ثم قال تعالى ذكره: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ يقول: فلا أحد أظلم، ﴿مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ﴾ يعنى بالتوحيد ﴿لَمَّا جَآءَهُۥ﴾ يعنى حين جاءه، ثم قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ﴾ يقول: أما لهذا المكذب بالتوحيد فى جهنم ﴿مَثْوًى﴾ يعنى مأوى ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [آية: ٦٨] بالتوحيد.

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا﴾ يعنى عملوا بالخير لله عز وجل، مثلها فى آخر الحج، ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ يعنى ديننا ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آية: ٦٩] لهم فى العون لهم.

* * *

تم بحمد الله الجزء الثانى، ويليه بإذن الله الجزء الثالث والأخير، وأوله سورة الروم

* * *

فهرس المحتويات

سورة الأنفال -- ٣
سورة التوبة -- ٣٣
سورة يونس -- ٨٠
سورة هود -- ١٠٨
سورة يوسف -- ١٣٧
سورة الرعد -- ١٦٧
سورة إبراهيم -- ١٨٢
سورة الحجر -- ١٩٨
سورة النحل -- ٢١٣
سورة الإسراء -- ٢٤٦
سورة الكهف -- ٢٧٨
سورة مريم -- ٣٠٦
سورة طه -- ٣٢٤
سورة الأنبياء -- ٣٥١
سورة الحج -- ٣٧٤
سورة المؤمنون -- ٣٩٢
سورة النور -- ٤٠٧
سورة الفرقان -- ٤٢٩
سورة الشعراء -- ٤٤٥
سورة النمل -- ٤٦٩
سورة القصص -- ٤٨٨
سورة العنكبوت -- ٥١٠